

تاريخ الأندلس

وملكون المغرب

في القرنين الثاني والثالث للهجرة

القرن الثاني للهجرة

تأليف

عبد الرحمن بن محمد بن عبد البر

في القرنين الثاني والثالث للهجرة

الجزء الرابع

دار المعرفه

بيروت - لبنان

مُزَوَّجُ الزَّهْنِ

ومعادن الجواهر

تصنيف الرحالة الكبير ، والمؤرخ الجليل
أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي
المتوفى في عام ٣٤٦ من الهجرة

بتحقيق
محمد محي الدين عبد الحميد

عفا الله تعالى عنه ١

الجزء الرابع

دار المعرفة
بيروت - لبنان

كتاب

جميع حق الطبع محفوظ للمحقق

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

طبعة

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى

ذكر خلافة المأمون

وبويع المأمونُ عبدُ الله بن هارونَ الرشيد ، وكُنِيته أبو جعفر ، وأمه
 باذغيسية ، واسمها مراجل ، وقيل : [إن] كُنِيته أبو العباس ، وهو ابن
 ثمان وعشرين سنةً وشهرين ، وتوفي بالبديدون^(١) على عين القشيرة^(٢) ،
 وهي عين يخرج منها النهر المعروف بالبديدون ، وقيل : إن اسمها بالرومية
 أيضاً رقة ، وُجِّلَ إلى طوسوس ، فدفن بها على يسار المسجد ، سنة ثمانى
 عشرة ومائتين ، وهو ابن تسع وأربعين سنةً ، فكانت خلافته إحدى
 وعشرين سنةً ، منها أربعة عشر شهراً كان يحارب أخاه محمد ابن زبيدة
 على ما ذكرنا ، وقيل : سنتان وخمسة أشهر ، وكان أهل خراسان في تلك
 الحروب يُسمُّون عليه بالخلافة ، وَيُدْعَى له على المنابر في الأمصار والحرمين
 والكور والسهل والجبل مما حوَاه طاهرٌ وغلبَ عليه ، وَيُسَمَّى على محمدٍ
 بالخلافة مَنْ كان ببغداد خاصة لا غيرها^(٣) .

موجز

(٢) في ب « العشيرة » ،

(١) في ب « بالبديدون »

(٣) في ب « لا غير » .

ذكر جل من أخباره وسيره ، ولمع مما كان في أيامه

وغلّب على المأمون الفضل بن سهل ، حتى ضايقه في جارية أراد شراءها ،
 المأمون
 والفضل
 ابن سهل
 فقتله ، وادعى قوم أن المأمون دسّ عليه من قتله ، ثم سلّم عليه الوزراء
 بعد ذلك : منهم أحمد بن خالد الأحول ، وعمرو بن مسعدة ، وأبو عبادة ،
 وكل هؤلاء سلّم عليهم ^(١) برسم الوزارة .

ومات عمرو بن مسعدة سنة سبع عشرة ومائتين ، فعرض لماله ،
 عمرو
 ابن مسعدة
 ولم يعرض لمال وزير غيره .

وغلّب على المأمون آخراً الفضل بن مروان ، ومحمد بن يزيد .

وفي خلافته قبض على بن موسى [موسى] الرضا مسموماً بطوس ، ودُفن هنالك
 طي بن موسى
 الرضا
 [وهو يومئذ ابن تسع وأربعين سنة وستة أشهر ، وقيل غير ذلك] .

وجها المأمون إبراهيم بن المهدي المعروف بابن شكلة عمّه ، وكان المأمون
 المأمون
 وعمه إبراهيم
 يظهر التشيع ، وابن شكلة التسنن ، فقال المأمون :

إذا المرّجى سرك أن تراه يموت لحينه من قبل موته
 فجدد عنده ذكري عليّ وصلّى على النبي وآل بيته
 فأجابه إبراهيم راداً عليه :

إذا الشيعيّ جمجم في مقال فسرك أن يبوح بذات نفسه
 فصلّى على النبي وصاحبيه وزيريه وجاريه برمسه ^(٢)

ولإبراهيم بن المهدي مع المأمون أخبار حسان ، هي موجودة في كتاب
 الأخبار لإبراهيم بن المهدي .

ودخل أبو دلف القاسم بن عيسى العجليّ على المأمون ، فقال له : يا قاسم ،
 المأمون
 وأبو دلف
 ما أحسن أبياتك في صفة الحرب ، ولذاذتك بها ، وزهدك في المغنيات !
 قال : يا أمير المؤمنين ، أي أبيات هي ؟ قال : قولك :

(١) في « سلم عليه » (٢) الرسم : القبر ، وأراد أبا بكر وعمر

لِسَلِّ السُّيُوفَ وَشَقِّ الصُّفُوفَ وَنَقْضِ التُّرَابِ وَضَرْبِ الْقُلَلِ
قال : ثم ماذا يا قاسم ؟ قال :

وَلِبَسِ الْعَجَاجَةَ وَالْخَافِقَاتِ تُرَيْكَ الْمَنَايَا بَرُوسِ الْأَسَلِ^(١)
وَقَدْ كَشَفَتْ عَنْ شَبَابِهَا [عَرُوسِ الْمَنِيَةِ بَيْنَ الشَّعْلِ]
[وَجَاءَتْ تَهَادَى وَأَبْنَاؤُهَا] كَأَنَّ عَلَيْهِمُ ثُرُوقَ الطَّافِلِ
خَرُوسِ نَطُوقِ إِذَا اسْتَنْطَقَتْ جَهُولِ يَطِيشِ عَلَى مَنْ جَهَلِ
إِذَا خَطَبْتَ أَخَذَتْ مَهْرَهَا رَعُوسًا تَسَاقَطُ بَيْنَ الْقُلَلِ
أَلَذَّ وَأَشْهَى مِنَ الْمَسْمَعَاتِ وَشَرِبِ الْمَدَامَةَ فِي يَوْمِ طَلِّ
أَنَا ابْنُ الْحَسَامِ ، وَتَرَبُّ الصَّفَّاحِ ، وَرَيْبُ النَّوْنِ ، وَقَرَبِ الْأَجْلِ^(٢)

ثم قال : يا أمير المؤمنين ، هذه لذتي مع أعدائك ، وقوتي مع أوليائك ،
ويدي معك ، ولئن استلذت مستلذ شيئاً من المعاقرة ملت إلى المصادمة
والمحاربة ، قال : يا قاسم ، إذا كان هذا النمط من الأشعار شأنك واللذة
لذتك فماذا تركت للوسنان مما خلفت ، وأظهرت له من قليل ما سترت ؟
قال : يا أمير المؤمنين ، وأي أشعاري ؟ قال : حيث تقول :

أَيُّهَا الرَّاقِدُ الْمُورِّقُ عَيْنِي نَمَّ ، هَنِئًا لَكَ الرَّقَازُ اللَّذِيذُ
عَلِمَ اللَّهُ أَنَّ قَلْبِي مِمَّا قَدْ جَنَّتْ مُقْلَتَاكَ فِيهِ وَقَيْدُ

قال : يا أمير المؤمنين ، سهوة بعد سهرة غلبت ، وذلك [قسم] متقدم ،
وهذا ظن متأخر ، قال : يا قاسم ، ما أحسن ما قال صاحب هذين البيتين :
أَذْمُ لَكَ الْأَيَّامَ فِي ذَاتِ بَيْنِنَا وَمَا لِلْيَالِي فِي الَّذِي بَيْنِنَا عُدْرُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْمُحِبِّينَ زَوْرَةٌ سَوَى ذِكْرِ شَيْءٍ قَدَمْضَى دَرَسَ الْفِكْرُ
قال أبودلف : ما أحسن ما قال يا أمير المؤمنين ! هذا السيد الهاشمي
والملك العباسي ، قال : وكيف أدتلك الفطنة ، ولم تداخلك الظننة ، حتى

(١) في ب « بروس القل » (٢) هذا البيت يروى في ب هكذا :

أنا ابن الحمام ، وترب الصفاح وترب النون ، وترب الأجل

تَحَقَّقَتْ أَنَّى صَاحِبَهُمَا ، وَلَمْ يَدَاخِلْكَ الشُّكُّ فِيهِمَا ، قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
إِنَّمَا الشَّعْرُ بَسَاطٌ صَوْفٌ ، فَعَنَ خَاطَ الشَّعْرَ بِنَقِيِّ الصَّوْفِ ظَهَرَ رَوْنَقُهُ عِنْدَ
التَّصْنِيفِ ، وَنَارُ ضَوْؤِهِ ^(١) عِنْدَ التَّأْلِيفِ .

من كلمات
المأمون

وَكَانَ الْمَأْمُونُ يَقُولُ : يَغْتَفِرُ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الْقَدْحَ فِي الْمَلِكِ ، وَإِفْشَاءَ السَّرِّ ،
وَالْتَعَرُّضَ لِلْحَرَمِ .

وَقَالَ الْمَأْمُونُ : أَخَّرَ الْحَرْبَ مَا اسْتَطَعْتُ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ مِنْهَا بَدَأَ فَاجْعَلْهَا
فِي آخِرِ النَّهَارِ .

وَذَكَرَ أَنَّهُ مِنْ كَلَامِ أَنْوَشِرَوَانَ .

وَكَانَ الْمَأْمُونُ يَقُولُ : أَعْيَيْتِ الْحَيْلَةَ فِي الْأَمْرِ إِذَا أَقْبَلَ أَنْ يُدْبِرَ ، وَإِذَا
أَدْبَرَ أَنْ يُقْبَلَ .

وَلَمَّا تَأْتَى الْمَلِكُ لِلْمَأْمُونِ [وَخَلَصَ] قَالَ : هَذَا جَسِيمٌ لَوْلَا أَنَّهُ عَدِيمٌ ،
وَهَذَا مَلِكٌ لَوْلَا أَنَّهُ بَعْدَهُ هُلُكٌ ^(٢) ، وَهَذَا سُرُورٌ لَوْلَا أَنَّهُ غُرُورٌ ، وَهَذَا يَوْمٌ
لَوْ كَانَ يُوَثَّقُ بِمَا بَعْدَهُ ^(٣) .

وَكَانَ الْمَأْمُونُ يَقُولُ : الْبَشَرُ مَنظَرٌ مُوْتِقٌ ، وَخَلْقٌ مُشْرِقٌ ، وَزَارِعٌ
لِلْقُلُوبِ ، وَمَحَلٌّ مَأْلُوفٌ ، وَفَضْلٌ مَنظَرٌ ، وَثَنَاءٌ بَسِيطٌ ، وَتُحْفٌ لِلْأَحْرَارِ ،
وَذَرْعٌ رَحِيبٌ ، وَأَوَّلُ الْحَسَنَاتِ ، وَذَرِيعَةٌ إِلَى الْجَاهِ ، وَأَحْمَدٌ لِلشِّيمِ ^(٤) ،
وَبَابٌ لِرِضَا الْعَامَةِ ، وَمِفْتَاحٌ لِمُحِبَّةِ الْقُلُوبِ .

وَكَانَ الْمَأْمُونُ يَقُولُ : سَادَةُ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا الْأَسْخِيَاءُ ، وَفِي الْآخِرَةِ
الْأَنْبِيَاءُ ^(٥) وَإِنَّ الرِّزْقَ الْوَاسِعَ لِمَنْ لَا يَسْتَمْتَعُ بِهِ بِمَنْزِلَةِ طَعَامٍ عَلَى مِيزَابِ
الْبَخْلِ ، لَوْ كَانَ طَرِيقًا مَاسِلِكَتَهُ ، وَلَوْ كَانَ قَيْصًا مَا لَبَسْتَهُ .

وَحَضَرَ الْمَأْمُونُ إِمْلَاءَ كَمَا لِبَعْضِ أَهْلِ بَيْتِهِ ، فَسَأَلَهُ [بَعْضُ] مَنْ حَضَرَ
أَنْ يُخَطِّبَ ، فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَ [الصَّلَاةُ عَلَى] الْمُصْطَفِيِّ

(١) فِي أ « وَبَانَ ضَوْؤُهُ » (٢) فِي أ « لَوْلَا أَنْ بَعْدَهُ هَلِكٌ » .

(٣) فِي أ « يُوَثَّقُ بَعْدَهُ » (٤) فِي أ « وَأَحْمَدُ الشِّيمِ » .

(٥) فِي أ « الْأَتْقِيَاءُ » .

رسول الله ، وخَيْرُ ما عَمِلَ به كتابُ الله ، قال الله تعالى : (وأنكحوا
الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم ، إن يكونوا فقراء يُغْنِهِم الله
من فضله ، والله واسع عليم) ولو لم يكن فى المناكحة آية محكمة ولا سنة
متَّبعة إلا ما جعل الله فى ذلك من تأليف البعيد والقريب أسارع إليه
الموفقُ المصيب ، وبادر إليه العاقل النجيب^(۱) ، وفلان من قد عرفتموه فى
نسب لم تجهلوه ، خطب إليكم فتاتكم فلانة ، وبذل [لها] من الصداق
كذا وكذا ، فشَفُّمُوا شافعنا ، وأنكحوا خاطبنا ، وقولوا خيراً تحمدوا
عليه وتوجروا ، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

وذكر ثُمَامَةُ بن أشرس قال : كنا يوماً عند المأمون^(۲) ، فدخل يحيى
ابن أكرم — وكان قد ثقل عليه موضعى منه — فتذاكرنا شيئاً من الفقه ،
فقال يحيى فى مسألة دارت : هذا قول عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود
وابن عمر وجابر ، قلت : أخطأوا كلهم ، وأغفلوا وجه الدلالة ، فاستعظم
[منى] ذلك [يحيى] وأكبره ، وقال : يا أمير المؤمنين ، إن هذا يخطئ
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم ، فقال المأمون : سبحان الله!!
أكذا يا ثُمَانَةُ ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، إن هذا لا يبالى ما قال ولا ما شنع
به ، ثم أقبلت عليه فقلت : ألسنت تزعم أن الحق فى واحد عند الله عز وجل ؟
قال : نعم ، قلت : فزعمت أن تسعة أخطأوا وأصاب العاصر ، وقلت أنا :
أخطأ العاصر ، فما أنكرت ؟ قال : فنظر المأمون إلى وتبسم ، وقال : لم يعلم
أبو محمد أنك تجيب هذا الجواب^(۳) ، قال يحيى : وكيف ذلك ؟ قلت : ألسنت
تقول : إن الحق فى واحد ؟ قال : بلى ، قلت : فهل يخلى الله عز وجل
هذا الحق من قائل يقول به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال :
لا ، قلت : أفليس من يخالفه ولم يقل به فقد أخطأ عندك الحق ؟ قال : نعم ،
قلت : فقد دخلت فيما عبت ، وقلت بما أنكرت وبه شنعت ، وأنا أوضح^(۴)

بين ثمامة ويحيى
ابن أكرم
عند المأمون

(۱) فى ا « العاقل اللبيب » (۲) فى ا « فى مجلس المأمون » .

(۳) فى ا « تجيب بهذا الجواب » (۴) فى ا « وأنا أصح دلالة منك » .

دلالة منك ، لأني خطأتهم في الظاهر ، وكل مصيب عند الله الحق ، وإنما خطأتهم عند الخلاف ، وأدبني الدلالة إلى قول بعضهم ، فخطأت من خالفني ، وأنت خطأت من خالفك في الظاهر وعند الله عز وجل .

وقدم وفد الكوفة إلى بغداد ، فوقفوا للمأمون ، فأعرض عنهم ، فقال شيخ منهم : يا أمير المؤمنين ، يدك أحق يد بتقبيل ؛ لعلوها في المكارم ، وبعدها^(١) من المآثم ، وأنت يوسف^(٢) العفو في قلة التثريب ، من أرادك بسوء جعله الله حصيد سيفك ، وطريد خوفك ، وذليل دولتك ، فقال : يا عمرو ، نعم الخطيب خطيبهم ، اقض حوائجهم [فقضيت] .

وذكر ثمامة بن أشرس قال : بلغ المأمون خبر عشرة من الزنادقة ممن يذهب إلى قول ماني ، ويقول بالنور والظلمة ، من أهل البصرة ، فأمر بحملهم إليه بعد أن سُموا واحداً واحداً ، فلما جمعوا نظر إليهم طفيلي فقال :

ما اجتمع هؤلاء إلا لصنيع ، فدخل في وسطهم ، ومضى معهم ، و[هو] لا يعلم بشأنهم ، حتى صار بهم الموكلون إلى السفينة ، فقال الطفيلي : نزهة لا شك فيها ، فدخل معهم السفينة ، فما كان بأسرع من أن حى بالقيود ، فقيد القوم والطفيلي معهم ، فقال الطفيلي : بلغ أمر تطفيلي إلى القيود ، ثم أقبل على الشيوخ فقال : فدَيْتكم أيش أتم ؟ قالوا : بل أيش أنت ؟ ومن أنت من إخواننا ؟ قال : والله ما أدري غير أني [والله] رجل طفيلي خرجت في هذا اليوم من منزلي فلقيتكم فرأيت منظرًا جميلاً وعوارضَ حسنة [وبزة] ونعمة^(٣) فقلت : شيوخ وكهول وشباب جمعوا لوليمة ، فدخلت في وسطكم ، وحاذبت بعضكم كأنني في جملة أحدكم ، فصرتم إلى هذا الزورق ، فرأيت قد فرش هذا الفرش ومهد ورأبت سفراً مملوءة وجرباً وساللاً ، فقلت : نزهة يمضون إليها إلى بعض القصور والبساتين ، إن هذا اليوم مبارك ، فابتهجت سروراً ، إذ جاء هذا الموكل بكم فقيدكم وقيدني معكم ، فورد علي ما قد أزال عقلي ، فأخبروني ما الخبر ، فضحكوا منه وتبسموا وفرحوا به وسُرُّوا ،

(١) في « وبعدها عن المآثم » (٢) في « وأنت توسع العفو الذنب » .

(٣) في « وعوارض حسنة ونعمة ظاهرة » .

ثم قالوا : الآن قد حصلت في الإحصاء ، وأوثقت في الحديد ، وأما نحن
فمأينة غُمَزَ بنا إلى المأمون ، وسندخل إليه ، ويسأئنا عن أحرانا ،
ويستكشفنا عن مذهبنا ، ويدعوننا إلى التوبة والرجوع عنه بامتحننا بضروب
من الحن : منها إظهار صورة ماني لنا ، ويأمرنا أن نتفلَ عليها ،
ونتبرأ منها ، ويأمرنا بدمج طائر ماء ، وهو الدرَّاج ، فمن أجابه إلى ذلك
نجا ، ومن تخلف عنه قتل ، فإذا دعيت وامتحنمت فأخبر عن نفسك واعتفادك
على حسب ما تؤدِّيك الدلالة إلى القول به ، وأنت زعمت أنك طفيلي ،
والطفيلي يكون معه مدَّ أخلات وأخبار ، فأقطع سفرنا هذا إلى مدينة بغداد
بشيء من الحديث وأيام الناس ، فلما وصلوا إلى بغداد وأدخلوا على المأمون
جعل يدعو بأسمائهم رجلا رجلا فيسأله عن مذهبه ، فيخبره بالإسلام ،
فيمتحنه ويدعوه إلى البراءة من ماني ويظهر له صورته ، ويأمره أن يتفلَ
عليها والبراءة منها ، وغير ذلك ، فيأبون ، فيمرهم على السيف ، حتى بلغ إلى
الطفيلي بعد فراغه من العشرة ، وقد استوعبوا عدة القوم ، فقال المأمون
للكلين : من هذا ؟ قالوا : والله ما ندري ، غير أننا وجدناه مع القوم فجئنا
به ، فقال له المأمون : ما خبرك ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، امرأتى طالق إن
كنت أعرف من أقوالهم شيئا ، وإنما أنا رجل طفيلي ، وقصَّ عليه خبره
من أوله إلى آخره ، فضحك المأمون ، ثم أظهر له الصورة ، فلغنها وتبرأ
منها ، وقال : أعطونيها حتى أسلحَ عليها ، والله ما أدري ما ماني : أيهوديا
كان أم مسلمانا ، فقال المأمون : يؤدَّبُ على فرط تطفله ومخاطرته بنفسه .

وكان إبراهيم بن المهدي قائما بين يدي المأمون ، فقال : يا أمير المؤمنين ،
هَبْ لي ذنبه وأحدثك بحديث عجب في التطفيل عن نفسي ، قال :
قل يا إبراهيم .

إبراهيم بن
المهدي يتطفل

قال : يا أمير المؤمنين ، خرجت يوماً فررت في سِكَكِ بغداد متطرفاً ، حتى

انتهيت إلى موضع ، فشممت رائحة أبازير من جناح [في] دار عالية ،
وقدور قد فاح قنارها ، فتأقت نفسي إليها ، فوقفتم على خياط فقلت :
لمن هذه الدار ؟ فقال : لرجل من التجار من البزازين ، قلت : ما اسمه ؟
قال : فلان بن فلان ، فرفعت طرفي إلى الجناح ، فإذا فيه شبك ، فنظرت
إلى كف قد خرجت من الشباك وَمِعْصَم ما رأيت أَحْسَنَ منهما قط ،
فشغلني يا أمير المؤمنين حُسْنُ الكف والمعصم عن رائحة القدور ، فبقيت
باهتاً وقد ذهل عقلي ، ثم قلت للخياط : هو ممن يشرب النبيذ ؟ قال :
نعم ، وأحسب أن عنده اليوم دعوة ، ولا ينادم إلا تجاراً مثله [مستورين]
فأنا كذلك إذ أقبل رجلان نبيلان راكبان من رأس الدرب ، فقال لي
الخياط : هذان منادماه ، قلت : ما أسماهما ؟ وما كُنَاهُمَا ؟ فقال : فلان
وفلان ، فحركت دابتي حتى دخلت بينهما ، وقتت : جعلت فداكما ،
قد استبطأ كما أبو فلان أعزّه الله ، وسائرتهما حتى انتهينا إلى الباب ،
فقدّماني ، فدخلت ودخلاً ، فلما رأني صاحب المنزل لم يشك إلا أنني
منهما بسبيل ، فرحّب وأجلسني في أجلّ موضع ، فجيء يا أمير المؤمنين
بالمائدة وعليها خبز نظيف ، وأتينا بتلك الألوان ؛ فكان طعمها أطيب
من رائحتها ، فقلت في نفسي : هذه الألوان قد أكلتها ، وبقي الكف
والمعصم ، ثم رفع الطعام فغسلنا أيدينا ، ثم صرنا إلى مجلس المفادمة ،
فإذا هو أنبلّ مجلس وأجلّ فرش ، وجعل صاحب المجلس يلطف بي
ويقبل عليّ بالحديث ، والرجلان لا يشكان أنه مني بسبيل ، وإنما كان
ذلك الفعل منه بي لما ظنّ أنني منهما بسبيل ، حتى إذا شربنا أقداحاً
خرجت علينا جارية تقثنى كأنها غصن بانٍ ، فسأمت غير^(١) خجلة ،
وهيئت لها وسادة ، وأتى بعودٍ فوضع في حجرها ، فجسّته فتبينت الخدق
في جسها ، ثم اندفعت تغني

(١) في ا « فأقيات وسلمت غير خجلة » .

توهمها طرفي فالتم خدّها فصار مكان الوهم من نظري أثر
وصالحها كفي فآلم كفها فمن لمس كفي في أناملها عقر
ومرت بقلبي خاطراً فجرحتها ولم أر شيئاً قط يجرحه الفكر

فهيجت والله يا أمير المؤمنين على بلابلي ، وطربت لحسن غنائها وحقها ،

ثم اندفعت تغني :

أشرت إليها : هل علمت مودتي فردت بطف العين : إني على العهد
فحدت عن الإظهار عمداً لسرها وحادت عن الإظهار أيضاً على عمد

فصحت : السلامة ، وجاءني من الطرب ما لا أملك [معه] النفس

ولا الصبر ، واندفعت تغني :

أليس عجيباً أن بيتاً يضمني وإياك لا نخلو ولا نتكلم
سوى أعين تشكو الهوى بجفونها وترجع أحشاء على النار تضرم
إشارة أفواه ، ونغمز حواجب وتكسير أجفان ، وكف يسلم

خسدتها والله يا أمير المؤمنين على حدقها ، ومعرفتها بالغناء ، وإصابتها
معنى الشعر ، وأنها لم تخرج من الفن الذي ابتدأته ، فقلت : بقي عليك
يا جارية شيء ، ففضبت وضربت بعودها الأرض ، ثم قالت : متى كنتم
تُحضرون مجالسكم البغضاء ؟ فندمت على ما كان مني ، ورأيت القوم قد
تغيروا [إلى] ، فقلت : أليس ثمّ عودٌ ؟ قالوا : بلى ياسيدنا ، فأتيت بعود ،
فأصلحت من شأنه ما أردت ، واندفعت أغني :

ما للمنازل لا يجبن حزيننا ؟ أصممن أم بعد المدى فبلينا ؟

راحوا العشيّة روحة مذكورة إن متن متن ، وإن حيين حيننا

فما استتمته جيداً حتى خرجت الجارية فأكبت على رجلي تقبلها ، وهي

تقول : المعذرة والله لك^(١) ياسيدي ، فاسمعت من ينفى هذا الصوت مثلك ، وقام

(١) في « المعذرة والله إليك ياسيدي » .

مولاهما وكل من كان عنده فصنعوا كصنعها ، وطرب القوم ، واستحسوا
الشرب فشربوا بالطاسة^(١) ثم اندفعت أغنى :

أبالله هل تُمسِنَ لا تذكُرِني وقد سَجَمَتُ عيناى من ذكرك الدِّمَّ
إلى الله أشكو بُخْلَهَا وَسَمَّاحَتِي لها عمل منى وتبذل علقما
فردى مُصَابَ القلب أنت قتلته ولا تتركه ذاهل العقل مفرما^(٢)
إلى الله أشكو أنها أجنبية وأنى لها بالود ما عشت مكرما

فجاء من طرب القوم [يا أمير المؤمنين] ما خشيت أن يخرجوا من
عقولهم ، فأمسكت ساعة ، حتى إذا هدا القوم اندفعت أغنى الثالثة :

هذا محبك مَطْوِيٌّ على كمده صَبٌّ ، مدامعه تجرى على جَسَدِهِ
له يَدٌ تسأل الرِّحْمَنَ راحته مما به ، ويَدٌ أخرى على كبده
يا من رأى كَلِيفًا مستهتراً أسفاً كانت منيته في عينه ويده

فجعلت الجارية يا أمير المؤمنين تصبح : السلامة ، هذا والله الغناء
يا مولاي ، وسكر القوم ، وخرجوا من عقولهم ، وكان صاحب المنزل جيد
الشراب ونديماه دونه ، فأمر غلماناه مع غلمانهم بحفظهم وصرْفهم إلى منازلهم ،
وخلوت معه فشربنا أقداحا ، ثم قال : يا سيدى ، ذهب والله ما خلا من
أيامى باطلا ، إذ كنت لأعرفك ، فمن أنت يا مولاي ؟ فلم يزل يباح على حتى
أخبرته [فقام] فقبل رأسى ، وقال : يا سيدى ، وإنى أعجب أن يكون هذا
الأدب إلالمثلك ، وإذا أنا منذ اليوم مع الخلافة ولا أعلم ، وسألنى عن قصتى
وكيف حَمَلْتُ نفسى على ما فعلته ، فأخبرته خبر الطعام والكف والمعصم ،
فقال : يا فلانة ، لجارية له ، قولى لفلانة تنزل ، فجعل ينزل إلى جواريه
واحدة واحدة ، فأنظر إلى كفها وأقول : ليست هى ، حتى قال : والله ما بقى
غير أمى وأختى ، ولأثر لئنهما إليك ، فعجبت من كرمه وسعة صدره ، فقلت

(١) فى ا « بالطاسات » .

(٢) وقع هذا البيت فى اتاليا لما بعده .

له : جعلت فداك ، ابدأ بالأخت قبل الأم ، فمسي أن تكون صاحبتی ، فقال : صدقت ، ففعل ، فلما رأيت كففها ومعصمها قلت : هي هي ، جعلت فداك ، فأمر غلمانہ من فؤره فصاروا إلى عشرة مشايخ من جلة جيرانهم فأحضروا ، وجيء بیدرتين فيهما عشرون ألف درهم ، ثم قال : هذه أختي فلانة ، وأنا أشهدكم أني قد زوجتها من سيدي إبراهيم بن المهدي ، وأمهرتها عنه عشرين ألف درهم ، فرضيت وقبيلت النكاح ، ودفعت إليها البدره الواحدة ، وفرقت الأخرى على المشايخ ، وقلت لهم : اعذروا فهذا الذي حضرني في هذا الوقت ، فقبضوها وانصرفوا ، ثم قال : يا سيدي أمهد لك بعض البيوت تنام مع أهلك ، فأحشمتني والله يا أمير المؤمنين ما رأيت من كرمه وسعة صدره ، فقلت : بل أحضر عمارية وأحملها إلى منزلي ، فقال : افعل ماشئت ، فأحضرت عمارية وحملتها إلى منزلي ، فوحقك يا أمير المؤمنين لقد حمل إلى من الجهاز ما ضاق عنه بعض دوري .

فتمعجب المأمون من كرم ذلك الرجل ، وأطلق الطفيلي ، وأجازه بجائزة حسنة^(١) وأمر إبراهيم بإحضار ذلك الرجل ؛ فصار بعد^(٢) من خواص المأمون وأهل مودته ، ولم يزل معه على أفضل الأحوال السارة في المنادمة وغيرها .

وذكر المبرد وثعلب قالا : كان كلثوم العتّابي واقفاً بباب المأمون ، فجاء يحيى بن أكرم ، فقال له العتّابي : إن رأيت أن تعلم أمير المؤمنين بمكاني ، قال : لست بحاجب ، قال : [قد] علمت ، ولكنك ذو فضل ، وذو الفضل معوان ، قال : سلكت بي غير طريقي ، قال : إن الله قد أحقك بجاه ونعمة منه ، فهما مقيمان عليك بالزيادة إن شكرت ، وبالتقتير إن كفرت ، وأنا لك اليوم خير منك لنفسك ، أدعوك لما فيه زيادة نعمتك وأنت تأبي ذلك ، ولكل شيء زكاة ، وزكاة الجاه بذله للمستعين ، فدخل يحيى فأخبر المأمون الخبر ، فأدخل إليه العتّابي ، وفي المجلس إسحاق بن إبراهيم الموصلي ،

إسحاق الموصلي
وكلثوم العتّابي
عند المأمون

(١) في « وأجازه جائزة سنية » . (٢) في « فصار يعد » .

فأمسه بالجلوس ، وأقبل يسأله عن أحواله وشأنه ، فيجيبه بلسان ناطق ، فاستظرفه المأمون ، وأخذ في مُدَاعَبَتِهِ ، فظن الشيخ أنه قد استخفَّ به ، فقال : يا أمير المؤمنين ، الإيناس قبل الإبساس ، فاشتبه عليه قوله ، فنظر إلى إسحاق [فغمزه بعينه] ثم قال : ألف دينار ، فأنى بها فوضعت بين يدي العتّابي ، ثم دعا إلى المفاوضة ، وأغرَى المأمونُ إسحاقَ بالعبث به ، فأقبل إسحاق بعارضة في كل باب يذكره ويزيد عليه ، فعجب منه ، وهو لا يعلم أنه إسحاق ، ثم قال : أياذن أمير المؤمنين في مسألة هذا الرجل عن اسمه ونسبه ؟ فقال : افعل ، فقال له العتّابي : من أنت ؟ وما اسمك ؟ قال : أنا من الناس واسمى كل بصل ! فقال له العتّابي : أما النسبة فقد عرفت (١) ، وأما الاسم فننكر ، وما كل بصل من الأسماء ؟ فقال له إسحاق : ما أقلّ إنصافك ، وما كلثوم ؟ والبصل أطيب من الثوم ، قال العتّابي : قاتلك الله! ما أمْلَحَكَ !! مارأيت كالرجل حلاوة ، أفيأذن أمير المؤمنين في صلته بما وصلني به فقد والله غلبني ؟ فقال له المأمون : بل ذلك مُوَفَّرٌ (٢) عليك ونأمر له بمثله ، فانصرف إسحاق إلى منزله ، ونادمه بقية يومه .

وكان العتّابي من أرض جند قنسرين والمواسم ، وسكن الرقة من ديار مُضَرَ ، وكان من العلم والقراءة والأدب والمعرفة والترسل وحسن النظم للكلام وكثرة الحفظ وحسن الإشارة وفصاحة اللسان وبراعة البيان وملوكية المجالسة وبراعة الكتابة وحلاوة المخاطبة وجوْدَةُ الحفظ (٣) وصحة القريحة على ما لم يكن كثير من الناس في عصره .

وذكر أنه قال : كاتبُ الرجلِ لسانُهُ ، وحاجبه وَجْهُهُ ، وجليسه كله ، ونظم في ذلك شعراً ، فقال :

لسانُ الفَتَى كاتبه وَوَجْهُ الفَتَى حاجبه

(١) في «أما النسبة فمعروفة» (٢) في «موفور عليك» .

(٣) في «وجودة الخط» .

وَنَدَمَانَهُ كُلُّهُ وَكُلُّهُ لَهُ وَاجِبُهُ

وذكر عنه أنه قال : إذا وليت عملاً فانظر مَنْ كاتبك ، فإنما يعرف مقدارك مَنْ بعد عنك بكاتبك ، واستمقل حاجبك ، فإنما يقضى عليك الوفود قبل الوصول إليك بحاجبك ، واستكرم واستظرف جليستك ونديمك ، فإنما يُوزنُ الرجل بمن معه .

وقد فاخر كاتب نديماً فقال الكاتب : أنا معونة وأنت مؤونة ، وأنا لاجد وأنت للهزل ، وأنا للشدة وأنت للذة ، وأنا للحرب وأنت للسلم ، فقال النديم : أنا للنعمة وأنت للنقمة ، وأنا للحظوة وأنت للمهنة ، وتقوم وأجلس ، وتحتشم وأنا مؤنس ، تدأب لحاجتي ، وتشقى^(١) بما فيه سعادتى ، وأنا شريك وأنت معين ، وأنا قرين وأنت تابع^(٢) ، وإنما سميت نديماً للندم على مفارقتى . وللعتابى أخبار حسان ، وتصنيفات ملاح^(٣) ، فى ذكرها خروج عما إليه قصدنا ، ونحوه يَمَمْنَا ، وإنما ذكرنا عنه هذه الفصول لتغلغل الكلام بنا إليها وتشعبه نحوها .

بين كاتب
ونديم

وحكى الجوهري عن العتبي ، عن عباس الديرى^(٣) ، قال : رفع رجل قصة إلى المأمون ، وسأله أن يأذن له فى الدخول عليه ، والاستماع منه ، فأذن له ، فدخل فسلم ، فقال له المأمون : تكلم بحاجتك ، قال : أخبر أمير المؤمنين أن مصائب الدهر وأعاجيب الأيام [ومحن الزمان] قصدتني فأخذت منى ما كانت الدنيا أعطتني ، فلم تبقى لى ضيعة إلا خربت ، ولا نهر إلا اندقر^(٤) ، ولا منزل إلا تهدم ، ولا مال إلا ذهب ، وقد أصبحت لا أملك سبداً ولا كبداً ، وعلى دين كثير ، ولى عيال وأطفال وصبية صغار ، وأنا شيخ كبير ، قد قعدت بى المطالب ، وكبرت عنى المكاسب ، وبنى حاجة إلى نظر أمير المؤمنين وعطفه ، قال : فبينما هو فى الكلام إذ ضرب ط ، فقال : وهذا يا أمير المؤمنين من عجائب الدهر ومحنته ، ولا والله ما ظهر منى قط إلا فى

رجل رفع
قصة للمأمون

(١) فى ا « وتشقى لمسا فيه سعادتى » (٢) فى ب « وأنا ناثم وأنت قرين » .

(٣) فى ب « عباس الزيدى » (٤) فى ب « إلا أبدى » .

موضعه ؛ فقال المأمون لجلسائه : ما رأيت قط أقوى قلباً ولا أربطاً جاشاً ولا أشدَّ نفساً من هذا الرجل ، ثم أمر له بخمسين ألف درهم [مَعَجَلَةً] .
 قال أبو العتاهية : وَجَّهَ إِلَى الْمَأْمُونِ [يَوْمًا] فَصَرَّتُْ إِلَيْهِ ، فَأَلْفَيْتَهُ مُطْرِقًا متفكراً مغموماً ، فأحجمت [عن الدنو إليه وهو على تلك الحال ، فرفع رأسه وأشار بيده : أن اذن ، فدنوت] ، فأطرقَ ملياً ثم رفع رأسه فقال : يا إسماعيل ، شأن النفس المأل ، وحبُّ الاستطراف ، والأنس بالوحدة ، كما نانس بالألفة^(١) ، قلت : أجل يا أمير المؤمنين ، ولى في هذا بيت شعر ، قال : وما هو ؟ قلت :

لا يُصْلِحُ النَّفْسَ إِذْ كَانَتْ مُصْرَفَةً إِلَّا التَّنْقُلُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ
 قال : أحسنت زدني ، فقلت : لا أقدر على ذلك ، وآنسته بقية يومه ، وأمر لي بمال ، فأنصرفت .

ويحكى أن المأمون أمر بعض خواصه من خدَمِهِ أن يخرج فلا يرى أحداً في الطريق إلا أتى به كائناً مَنْ كان من رفيع أو خسيس ، فأتاه برجل من العامة ، فدخل وعنده المعتصم أخوه ويحيى بن أ كشم ومحمد بن عمرو^(٢) الرومي ، وقد طبخ كل واحد منهم قِدْرًا ، فقال محمد بن إبراهيم الطاهري [للرجل العامى] : هؤلاء من خواص أمير المؤمنين فأجبهم عما يسألون ، فقال المأمون : إلى أين خرجت في هذا الوقت وقد بقي عليك من الليل ثلاثُ ساعاتٍ ؟ فقال : غرني القمر ، وسمعت تكبيراً فلم أشك أنه أذان ، فقال له المأمون : اجلس ، فجلس ، فقال له المأمون : قد طبخ كل واحد منا قِدْرًا هو ذا يقدمُ إليك من كل واحد منها قِدْرًا [فذق ذلك] فأخبر عن فضائلها وما ترى من طيبها ، فقال : هاتوا ، فقدمت في طبق كبير كلها موضوعة عليه لتمييز بينها ، واكل واحدة ممن طبخها علامة ، فبدأ فذاق قِدْرًا طبخها المأمون فقال : زه ، وأكل منها ثلاث لقمات ، وقال : أما هذه فكأنها مسكة وطباخها حكيم نظيف ظريف مليح ، ثم ذاق قدر المعتصم ، فقال : هذه والله فكأنها والأولى من يد واحدة خرجتاً ، وبِحكمة [متساوية]

(١) في ب « كما تانس بالإلف » (٢) في ب « محمد بن عمرو » .

طبختا ، ثم ذاق قدر محمد بن عمرو^(١) الرومي فقال : وهذه قدرُ طبابخِ ابن طبابخِ أجاد ، ما أحكمه ، ثم ذاق قدر يحيى بن أكتهم [القاضي] فأعرض بوجهه ، وقال : شه ، هذه والله جعل طبابخها فيها مكان بصلها خرا ، فضحك القوم وذهب بهم الضحك [كل مذهب] ، وقعد يحادثهم ويطايبهم ويتلهى معهم ، وطابوا معه ، فلما برق الفجر قال له المأمون : لا يخرجنَّ منك ما كنا فيه ، وعلم أنه علم بهم^(٢) ، فوصله بأربعة آلاف دينار^(٣) ، وقسَّط له على أصحاب القدور [كل واحد منهم على قدر مرتبته] ، وقال : إياك أن تعود إلى الخروج في مثل هذا الوقت مرةً أخرى ، فقال : لا أعدمكم الله الطبخ ولا أعدمني الخروج ؛ فسألوه عن تجارته ، وعرفوا منزله ، وجعل [بعد] في خدمة المأمون وخدمة الجميع ، وصار في جملتهم .

وحدث أبو عباد الكاتب - وكان خاصاً بالمأمون - قال : قال لي المأمون : ما أعياني إلا جواب ثلاثة أنفس : صرت إلى أم ذى الرياستين أعزيتها عنه فقلت : لا تأسى عليه ولا تحزني لفقده ، فإن الله قد أخلف عليك مني ولداً يقوم لك مقامه ، ففهما كنت تنبسطين إليه فيه فلا تنقبضين عني منه ، فبكت ، ثم قالت : يا أمير المؤمنين ، وكيف لأحزن على ولداً كسبني ولداً مثلك ؟ وأتيت برجل قد تنبأ فقلت له : من أنت ؟ قال : موسى بن عمران عليه السلام ، فقلت : ويحك !! إن موسى بن عمران عليه السلام كانت له آيات ودلالات بأن بها أمره ، منها أنه ألقى عصاه فابتلعت كيد السحرة ، ومنها إخراج يده من جيبه وهي بيضاء ، وجعلت أعدد عليه ما أنى به موسى بن عمران عليه السلام من دلائل النبوة ، وقلت له : لو أتيتني بشيء واحد من علاماته أو آية من آياته كنت أول من آمن بك ، وإلا قتلتك ، فقال : صدقت ، إلا أني أتيت بهذه العلامات لما قال فرعون أنا ربكم الأعلى ، فإن قلت أنت كذلك أتيتك من العلامات بمثل ما أتيت به ، والثالثة أن أهل الكوفة اجتمعوا يشكون عاملاً كنت أحمد مذهبه

عن المأمون
عن جواب
ثلاثة

(١) في ب « محمد بن عمر » (٢) في ا « وعلم أنه قد عرفهم »

(٣) في ا « بأربعة آلاف درهم » .

وأرتضى سيرته ، فوجهت إليهم إني أعلم سيرة الرجل ، وأنا عازم على القعود لكم في غداة غد ، فاخترتوا رجلاً يقول المناظرة عنكم ، فأنا أعلم بكثرة كلامكم ، فقالوا : ما فينا من يرتضيه لمناظرة أمير المؤمنين ، إلا رجل أطروش ، فإن صبر أمير المؤمنين عليه تفضل بذلك ، فوعدتهم الصبر عليه ، وحضروا من الغد ، فأمرت^(١) بالرجال فدخلوا والأطروش ، فلما مثل بين يدي أمرتهم بالجلوس ، ثم قلت له : ما تشكو من عاملكم ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، هو شر عامل في الأرض ، أما في أول سنة ولينا فإننا بعنا أئماننا وعقارنا ، وفي السنة الثانية بعنا ضياعنا وذخائرنا ، وفي السنة الثالثة خرجنا عن بلدنا فاستغثنا بأمر المؤمنين ليرحم شكوانا ويتطوّل علينا بالأمر بصرفه عنا ، فقلت له : كذبت^(٢) لا أمان لك ، بل هو رجل أحمدت سيرته ومذهبه ، وارتضيت دينه وطريقته ، واخترتك لكم لمعرفة بكثرة سخطكم على عمالكم ، قال : يا أمير المؤمنين ، صدقت وكذبت أنا ! ولكن هذا العامل الذي ارتضيت دينه وأمانته [وعفته] وعدله وإنصافه ، كيف خصصتنا به هذه السنين دون البلاد [التي قد ألزمك الله عز وجل من العناية بأمورها مثل ما ألزمك من العناية بأمورنا ؟ فاستعمله على هذه البلاد] حتى يشملهم من إنصافه وعدله مثل الذي شملنا ، فقلت له : قم في غير حفظ الله ، فقد عرّلتك عنكم .

وكان يحيى بن أكرم يقول : كان المأمون يجلس للمناظرة في الفقه يوم الثلاثاء ، فإذا حضر الفقهاء ومن يناظره من سائر أهل المقالات أدخلوا حجرة مفروشة ، وقيل لهم : انزعوا أخفافكم ، ثم أحضرت الموائد ، وقيل لهم : أصيبوا من الطعام والشراب وجدّدوا الوضوء ، ومن خففه ضيق فلينزعه ، ومن ثقلت عليه قلنسوته فليضعها ، فإذا فرغوا أتوا بالمجامر فبخروا وطيبوا ، ثم خرجوا فاستدناهم حتى يدنوا منه ، ويناظروهم أحسن مناظرة ، وأنصفها وأبعدها من مناظرة المتجبرين ، فلا يزالون كذلك إلى أن تزول الشمس ، ثم تُنصبُ الموائد الثانية فيطعمون وينصرفون ، قال : فإنه يوماً

(١) في « فأمرت بإدخال الأطروش » (٢) في « كذبت ، لا أم لك » .

بِجَالِسٍ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ صَالِحِ الْحَاجِبِ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، رَجُلٌ
وَأَقِفْ بِالْبَابِ عَلَيْهِ ثِيَابٌ بَيْضٌ غَلَاظٌ مَشْمُرَةٌ ، وَيَطْلُبُ الدُّخُولَ لِمِنَظَرَةٍ ،
فَقُلْتُ (١) : إِنَّهُ بَعْضُ الصُّوفِيَّةِ ، فَأَرَدْتُ بَأَنَّ أَشِيرَ أَنْ لَا يُؤْذَنَ لَهُ ، فَبَدَأَ
الْمَأْمُونُ فَقَالَ : ائِدْنَ لَهُ ، فَدَخَلَ رَجُلٌ عَلَيْهِ ثِيَابٌ قَدْ شَمَّرَهَا وَنَعَلَهُ فِي يَدِهِ ،
فَوَقَفَ عَلَى طَرَفِ الْبَسَاطِ فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، فَقَالَ
الْمَأْمُونُ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ ، فَقَالَ : أَنْأذَنُ [لِي] فِي الدُّنُو مِنْكَ ؟ قَالَ : ائِدْنِي ،
فَدَنَا ، ثُمَّ قَالَ : اجْلِسْ ، فَجَلَسَ ، ثُمَّ قَالَ : أَنْأذَنُ فِي كَلَامِكَ ؟ فَقَالَ :
تَكَلِّمُ بِمَا تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ فِيهِ رِضًا ، قَالَ : أَخْبِرْنِي عَنْ هَذَا الْمَجْلِسِ الَّذِي أَنْتَ قَدْ
جَلَسْتَهُ أَبَا جَمَاعٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْكَ ، وَرِضًا مِنْكَ ، أَمْ بِالْمَغَالِبَةِ لَهُمْ وَالْقُوَّةِ
عَالِيَهُمْ بِسُلْطَانِكَ ؟ قَالَ : لَمْ أَجْلِسْهُ بِاجْتِمَاعٍ مِنْهُمْ وَلَا بِمَغَالِبَةٍ لَهُمْ ، إِنَّمَا كَانَ
يَتَوَلَّى أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ سُلْطَانٌ قَبْلِي أَحْمَدَهُ الْمُسْلِمُونَ (٢) إِمَامًا عَلَى رِضَا وَإِمَامًا عَلَى
كُرْهِهِ ، فَعَقَدَ لِي وَآخِرَ مَعِيَ وَلايَةَ هَذَا الْأَمْرِ بَعْدَهُ فِي أَعْنَاقِ مَنْ حَضَرَهُ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَأَخَذَ عَلِيٌّ مِنْ حَضْرَةِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ مِنَ الْحَاجِّ الْبَيْعَةَ لِي
وَآخِرَ مَعِيَ فَأَعْطَوْهُ ذَلِكَ إِمَامًا طَائِعِينَ وَإِمَامًا كَارِهِينَ ، فَحَضَرَ الَّذِي عَقَدَ
لَهُ مَعِيَ عَلِيٌّ هَذِهِ السَّبِيلَ الَّتِي مَضَى عَلَيْهَا ، فَلَمَّا صَارَ [الْأَمْرُ] إِلَيَّ عَلِمْتُ أَنِّي
أَحْتَاجُ إِلَى اجْتِمَاعِ كَلِمَةِ الْمُسْلِمِينَ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا عَلَى الرِّضَا ، ثُمَّ
نَظَرْتُ فَرَأَيْتُ أَنِّي مَتَى تَخَلَّيْتُ عَنْ (٣) الْمُسْلِمِينَ اضْطَرَبَ حَبْلُ الْإِسْلَامِ
[وَمَرَجَ عَهْدَهُمْ] ، وَانْتَقَضَتْ أَطْرَافُهُ ، وَغَلَبَ الْمَرْجُ وَالْفِتْنَةُ ، وَوَقَعَ التَّنَازَعُ ،
فَقَطَعْتُ أَحْكَامَ اللَّهِ سَبْجَانَهُ وَتَعَالَى ، وَلَمْ يَحْجِجْ أَحَدٌ بَيْتَهُ ، وَلَمْ يَجَاهِدْ فِي
سَبِيلِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ سُلْطَانٌ يَجْمَعُهُمْ وَيُسَوِّسُهُمْ ، وَانْقَطَعَتِ السَّبِيلُ ، وَلَمْ يُؤْخَذْ
لِمَظْلُومٍ مِنْ ظَالِمٍ ، فَقَمَتَ بِهَذَا الْأَمْرِ حَيَاةُ الْمُسْلِمِينَ ، وَبِجَاهِدٍ لِعَدُوِّهِمْ ،
وَضَابِطًا لِسَبْلِهِمْ ، وَأَخَذًا عَلَى أَيْدِيهِمْ ، إِلَى أَنْ يَجْتَمِعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى رَجُلٍ
تَتَّفَقَ كَلِمَتُهُمْ عَلَى الرِّضَا بِهِ فَاسْلَمَ الْأَمْرُ إِلَيْهِ ، وَأَكُونَ كَرَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ،

(١) فِي أ « فَعَلِمْتُ أَنَّهُ بَعْضُ الصُّوفِيَّةِ » (٢) فِي أ « أَحْتَمَلُهُ الْمُسْلِمُونَ » .

(٣) فِي أ « مَتَى خَلَيْتُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أُمُورَهُمْ اضْطَرَبَ حَبْلُ الْإِسْلَامِ » .

وأنت أيها الرجل رسولي إلى جماعة المسلمين ، فمتى اجتمعوا على رجل ورَضُوا به خرجت إليه من هذا الأمر ، فقال : السلام عليكم ورحمة الله [وبركاته] ، وقام ، فأمر المأمون علي بن صالح [الحاجب] بأز ينفذ في طلبه (١) مَنْ يعرف مقصده ، ففعل ذلك ، ثم رجع وقال : وَجَّهت يا أمير المؤمنين [من اتبع الرجل فمضى] إلى مسجد فيه خمسة عشر رجلاً [في هيئته وزيه] فقالوا له : لقيت الرجل ؟ فقال : نعم ! قالوا : فما قال لك ؟ قال : ما قال لي إلا خيراً ، ذكر أنه ضَبَطَ أمور المسلمين إلى أن تأمن سُبُلهم ، ويقوم بالحج والجهاد في سبيل الله ، ويأخذ للمظلوم من الظالم ، ولا يعطل الأحكام ، فإذا رضى المسلمون برجل سلم الأمر إليه وخرج إليه منه ، قالوا : ما نرى بهذا بأساً ، واقتربوا ، فأقبل المأمون على يحيى ، فقال : كفيينا مؤنة هؤلاء بأيسر الخطب ، فقلت : الحمد لله الذي أهلك يا أمير المؤمنين الصواب والسداد في القول [والفعل] .

قال المسعودي : وكان يحيى [بن أكرم] وقد ولي قضاء البصرة قبل تأكد الحال بينه وبين المأمون ، فرفع إلى المأمون أنه أفسد أولادهم بكثرة لواطه ، فقال المأمون : لو طعنوا عليه في أحكامه قبل ذلك منهم ، قالوا : يا أمير المؤمنين ، قد ظهرت منه الفواحش وارتكاب الكبائر ، واستفاض ذلك عنه ، وهو القائل يا أمير المؤمنين في صفة الغلمان وطبقاتهم ومراتبهم في أوصافهم [قوله المشهور] فقال المأمون : وما الذي قال ؟ فدفعت (٢) إليه القصة فيها جمل مما رمى به وحكى عنه في هذا المعنى ، وهو قوله :

أربعة تفتنُ الحاظهم فعين من يعشقه ساهره
فواحد دنياه في وجهه منافق ليست له آخره
وآخر دنياه مفتوحة من خلفه آخره وافرّه

(١) في ١ « أن يوجه من يتبعه حتى يعلم أين يقصد » وهي أوضح مما أثبتناه عن ب

(٢) في ١ « فرفعت القصيدة إليه وفيها جمل مما رمى به » .

وثالث قد حاز كليهما قد جمع الدنيا مع الآخرة
ورابع قد ضاع ما بينهم ليست له دنيا ولا آخرة^(١)
فأنكر المأمون ذلك في الوقت واستعظمه ، وقال : أيكم سمع هذا منه ؟
قالوا : هذا مستفاض من قوله فينا يا أمير المؤمنين ، فأمر بإخراجهم عنه ،
وعزّل يحيى عنهم .

وفي يحيى وما كان عليه بالبصرة يقول ابن أبي نعيم :
يا ليت يحيى لم يلد أ كثره ولم تطأ أرض العراق قدمه
ألوط قاض في العراق نعلمه أي دواة لم يلفها قلمه
* وأى شعب لم يبلغه أرقه *

وضرب الدهر ضربانه فاتصل يحيى بالمأمون وناداه ، ورخص له في
أمر كثيرة ، فقال له يوماً : يا أبا محمد ، من الذي يقول :

قاضي يرى الحد في الزناء ، ولا يرى على من يلوط من باس
قال : ذلك ابن أبي نعيم يا أمير المؤمنين ، وهو القائل :

أميرنا يرتشى ، وحاكنا يلوط ، والرأس شر ما راس
قاضي يرى الحد في الزناء ، ولا يرى على من يلوط من باس
ما أحسب الجور ينقضى وعلى أمة وآل من آل عباس

فأطرق المأمون خجلاً ساعة ، ثم رفع رأسه وقال : يُنفى ابن أبي نعيم
إلى السند .

وكان يحيى إذا ركب مع المأمون في سفر ركب معه بمنطقة وقباء وسيف
بمعاليق وساسية^(٢) ، وإذا كان الشتاء ركب في أقبية الخبز وقلانس
السّمور والسروج المكشوفة ، وبلغ من إذاعته ومجاهرته باللواط أن المأمون
أمره أن يفرض لنفسه فرضاً يركبون بركوبه ويتصرفون في أموره ، ففرض
أربعمائة غلام مُرداً اختارهم حسان الوجوه ، فافتضح بهم ، وقال في ذلك
راشد بن إسحاق يذكر ما كان من أمر يحيى في الفرض :

(١) عجز هذا البيت في « ليس بنى دنيا ولا آخرة » (٢) في « وشاشية » .

خيلِيَّ انظرا متعجبينِ لأظرف منظر مقلته عيني
لفرض ليس يقبل فيه إلا أسيل الخدِّ حلوُّ المقاتينِ
وإلا كلُّ أشقرٍ أكنمِيَّ قليلُ نباتِ شعرِ العارضينِ
يُقدِّمُ دونَ موقفِ صاحبيه بقدرِ جمالهِ وبقبحِ ذينِ
يقودهم إلى الهيجاءِ قاضٍ شديدِ الطعنِ بالرمحِ الرُّدِّيِّ
إذا شهد الوغى منهم شجاعٌ تجدلُ للجبينِ ولليدينِ (١)
يقودهم على علمٍ وحلمٍ ليومِ سلامة لا يومِ حينِ
وصار الشيخ منحنياً عليه بمدججه يجوزُ الركبتينِ (٢)
يفادهم إلى الأذقانِ صرعى وكاهم جريحُ الخصبتينِ
وفيه يقول راشد أيضاً :

وكنارجى أن ترى العدل ظاهراً فأعقبنا بعد الرجاء قنوطُ
متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها وقاضر قضاة المساهين يلوطن ؟

وكان يحيى بن أكنم بن عمرو بن أبي رباح من أهل خراسان من مدينة مرو، وكان رجلاً من بني تميم، وسخط عليه المأمون في سنة خمس عشرة ومائتين وذلك بمصر، وبعث به إلى العراق مغضوباً عليه، وكان قد كتب الحديث وتفقه للبصريين كعثمان البتي وغيره [وله مصنفات في الفقه وفي فروع وأصوله، وكتاب أفردته سماه بكتاب «التنبيه» يرد فيه على العراقيين (٣) وبينه وبين أبي سليمان أحمد بن أبي دؤاد بن علي مناظرات كثيرة .

وفي خلافة المأمون كانت وفاة أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس
ابن عثمان بن شافع بن السائب بن عبد الله بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب الإمام الشافعي
ابن عبد مناف الشافعي، في رجب ليلة الجمعة، وذلك سنة أربع ومائتين،
ودفن صبيحة الليلة، وهو ابن أربع وخمسين سنة، وصلى عليه السرمي بن

(١) يقع هذا البيت في اتاليا لما ذكر بعده هنا وفاقا لما في ب .

(٢) في ب « بمصرته يجوز الركبتين » .

(٣) في ب « وكتاب أوردته على العراقيين سماه بكتاب التنبيه » .

الحكم أمير مصر يومئذ ، كذلك ذكر عكرمة بن محمد بن بشر عن الربيع ابن سليمان المؤذن ، وذكر أيضاً محمد بن سفيان بن سعيد المؤذن وغيرها عن الربيع بن سليمان مثل ذلك ، ودفن الشافعي بمصر بحوطة^(١) قبور الشهداء في مقبرة بني عبد الحكم ، وبين قبورهم وعند رأسه عمود من الحجر كبير ، وكذلك عند رجليه ، وعلى العالى الذى عند رأسه حفر قد كتب فيه فى ذلك الحجر « هذا قبر محمد بن إدريس الشافعي أمين الله » وما ذكرنا فمشهور بمصر ، والشافعي يتفق نسبه مع بني هاشم وبني أمية فى عبد مناف ؛ لأنه من ولد المطالب بن عبد مناف ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « نحن وبنو المطلب كهاتين » وأشار بأصبعيه مضمومتين ، وقد كانت قريش حاصرت بني المطلب مع بني هاتم فى الشعب .

وحدثني فقير بن مسكين عن المزني بهذا ، وكان فقير يحدث عن المزني ، وكان سماعنا من فقير بن مسكين بمدينة أسوان بصعيد مصر ، قال : قال المزني : دخلت على الشافعي غداة وفاته ، فقلت له : كيف أصبحت يا أبا عبد الله ؟ قال : أصبحت من الدنيا راحلاً ، ولإخواني مفارقاً ، وبكأس المنية شارباً ، ولا أدري إلى الجنة تصير روحى فأهنيها أم إلى النار فأعزيها ، وأنشأ يقول :

ولما قسا قاي وضائق مذهبى جعلتُ الرجا منى لعفوك سُما
تعاظمني ذنبي ، فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظما

وفاة

أبي داود

الطيالسي

وابن الكلبي

وفى هذه السنه التى مات فيها الشافعي - وهى سنة أربع ومائتين - مات أبو داود سليمان بن داود الطيالسي ، وهو ابن إحدى وتسعين^(٢) سنة ، وفيها مات هشام بن محمد [بن السائب] الكلبي .

وَادَّعى رجل النبوة بالبصرة أيام المأمون ، فحمل إليه مَوْثِقاً بالحديد ، يدعى النبوة فمثل بين يديه ، فقال له : أنت نبي مرسل ؟ قال : أما الساعة فأنا مَوْثِقٌ ،

(١) فى ب « نحو قبور الشهداء » (٢) فى ا « وهو ابن إحدى وسبعين سنة »

قال : ويلك !! مَنْ غرّك ؟ قال : أبهَذَا تُخَاطَبُ الأنبياء ؛ أما والله لو لا أنى مُوثِقٌ لأمرت جبريل أن يَدْمِدِمَهَا عليكم ؛ قال له المأمون : والموثِقُ لا تجاب له دعوة ؟ قال : الأنبياء خاصة إذا قُيدت لا يرتفع دعاؤها ، فضحك المأمون ، وقال : من قيدك ؟ قال : هذا الذى بين يديك ، قال : فنحن نطلقك وتأمّر جبريل أن يدمدمها ، فإن أطاعك آمناً بك وصدقناك ، فقال : صدق الله إذ يقول : (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) إن شئت فافعل ، فأمر بإطلاقه ، فلما وجد راحة العافية قال : يا جبريل ، ومدّ بها صوته ، ابعثوا من شئتم فليس بينى وبينكم الآن عمل ، غيرى يملك لأموال وأنا لاشيء معى ، ما يذهب لكم فى حاجة إلا كَشْحَانٌ^(١) فأمر بإطلاقه والإحسان إليه .

وحدث ثُمَامَةُ بن أشرس قال : شهدت مجلساً للمأمون وقد أنى برجل المأمون ورجل ادعى أنه إبراهيم الخليل ، فتأله المأمون : ما سمعت بأجراً على الله من هذا ، يدعى أنه إبراهيم الخليل قلت : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى فى كلامه ، قال : شأنك وإياه ، قلت : يا هذا إن إبراهيم عليه السلام كانت له براهين ، قال : وما براهينه؟ قلت : أضرمّت له النار وألقى فيها فكانت عليه برداً وسلاماً ، فنحن نُضرمُ لك ناراً ونطرحك فيها فإن كانت عليك برداً وسلاماً كما كانت عليه آمناً بك وصدقناك ، قال : هات [ما هو] ألينُ على من هذا ، قلت : فبراهين موسى عليه السلام ، قال : وما هى ؟ قلت : ألقي المصا فإذا هى حية تسعى تَلْقَفُ ما يافكون ، وضرب بها البحر فانفلق ، وبياض يده من غير سوء ، قال : هذا أصعب ، ولكن هات ما هو ألين [على] من هذا قلت : فبراهين عيسى عليه السلام ، قال : وما براهينه ؟ قلت : إحياء الموتى ، فقطع الكلام فى براهين عيسى وقال : جئت بالطامة الكبرى ، دعنى من براهين هذا ، قلت : فلا بد من براهين ، قال : ما معى من هذا نىء ، [وقد] قلت لجبريل إنكم توجهوننى إلى شياطين فأعطونى حجة أذهب بها (١) فى ب « فليس بينى وبينكم الآن خير ، غيرى يملك الأموال وأنا لاشيء معى ، ما يذهب لكم الا السجنان » وهى عبارة قلقة كما ترى .

وإلا لم أذهب ، فغضب جبريل عليه السلام عليّ ، وقال : جئت بالشر من ساعة ، اذهب أولاً فانظر ما يقول لك القوم ، فضحك المأمون وقال : هذا من الأنبياء التي تصلح للمنادمة .

وفي سنة ثمان وتسعين ومائة خلَعَ المأمون أخاه القاسم ابن الرشيد من ولاية العهد .

وفي سنة تسع وتسعين ومائة خرج أبو السَّرَّايَا السري بن منصور الشيباني بالعراق ، واشتدَّ أمره ، ومعه محمد بن إبراهيم بن إسماعيل [بن إبراهيم] ^(١) بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وهو ابن طباطبا ، ووثب بالمدينة محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن علي رحمهم الله ، ووثب بالبصرة علي بن محمد بن جعفر بن [محمد بن] علي بن [الحسن بن علي] عليهم السلام ، وزيد بن موسى بن جعفر [بن محمد بن علي بن الحسين بن علي] ، فغلبوا على البصرة . وفي هذه السنة مات ابن طباطبا الذي كان يدعو إليه أبو السَّرَّايَا ، وأقام أبو السرايا مكانه محمد بن محمد بن يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي . وظهر في هذه السنة باليمن - وهي سنة تسع وتسعين ومائة - إبراهيم

خروج أبي السرايا وابن طباطبا وقوم من العلويين

ابن موسى بن جعفر بن محمد [بن علي بن الحسن بن علي] ، وظهر في أيام المأمون بمكة ونواحي الحجاز محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين رحمهم الله ، وذلك في سنة مائتين ، ودعا لنفسه ، وإليه دعت السبئية ^(٢) من فرق الشيعة وقالت بإمامته ، وقد افرقوا فرقا : فمنهم مَنْ غَلَا ، ومنهم من قصر ، وسلك طريق الإمامية ، وقد ذكرنا في كتاب « المقالات في أصول الديانات » وفي كتاب « أخبار الزمان » من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الدائرة ، في الفن الثلاثين من أخبار خلفاء بني العباس ومن ظهر في أيامهم من الطالبين ، وقيل : إن محمد بن جعفر هذا دعا في بدء أمره وعنفوان شبابه إلى محمد بن إبراهيم بن طباطبا صاحب أبي السرايا ، فلما مات ابن طباطبا - وهو محمد بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن -

(١) سقط هذا الاسم من ب (٢) في « ب السبئية » .

دعا لنفسه ، وَتَسَمَّى بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، [وليس في آل محمد ممن ظهر لإقامة الحق من سلف وخلف قبله وبعده مَنْ تَسَمَّى بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ] غير محمد بن جعفر هذا ، وكان يسمى بالديباجة ؛ لحسنه وبهائه ، وما كان عايمه من البهاء والسكال ، وكان له بمكة ونواحيها قصص حمل فيها إلى المأمون بخراسان ، والمأمون يومئذٍ بِمَرَوْ ، فأمنه المأمون ، وحمله معه إلى جرجان [فلما صار المأمون] مات محمد ابن جعفر ، فدفن بها ، وقد أتينا على كيفية وفاته وما كان من أمره وغيره من آل أبي طالب [ومقاتلهم ببقاع الأرض] في كتابنا « حدائق الأذهان » في أخبار آل أبي طالب ومقاتلهم في بقات الأرض .

ظهور
ابن الأفتس

وظهر في أيام المأمون أيضاً بالمدينة الحسين بن الحسن^(١) بن علي بن علي بن الحسين بن علي ، وهو المعروف بابن الأفتس ، وقيل : إنه دعا في بدء أمره إلى ابن طباطبأ ، فلما مات ابن طباطبأ دعا إلى نفسه والقول بإمامته وسار إلى مكة فأثى الناس وهم بِمِنَى ، وعلى الحاج داود بن عيسى بن موسى الهاشمي ، فهرب داود ، ومضى الناس إلى عرفة ، ودفعوا إلى مُزْدَلِفَةَ بغير إنسان عليهم من ولد العباس ، وقد كان ابن الأفتس وافي الموقف بالليل ، ثم صار إلى المزدلفة والناس بغير إمام ، فصلى بالناس ، ثم مضى إلى مِنَى ، فَنَجَرَ ودخل مكة ، وجرّد البيت مما عليه من الكسوة إلا القباطي البيض فقط .

الظفر
بأبي السرايا

وفي سنة مائتين ظفر حماد المعروف بالكندغوش بأبي السرايا^(٢) ، فأثى به الحسن بن سهل ، فقتله وصلبه على الجسر ببغداد ، وقد أتينا في كتابنا « أخبار الزمان » على خبر أبي السرايا وخروجه وما كان منه في خروجه وقتله عبدوس ابن [محمد بن] أبي خالد ومن كان معه من قواد الأبناء واستباحته عسكره .

قال المسعودي : وفي سنة مائتين بعث المأمون برّجاء بن أبي الضحاك وياسر الخادم إلى علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي^(٣) الرضا

(١) في ب « الحسن بن الحسين » (٢) في ب « ظهر حماد المعروف

بالكبدعوس بن السرايا » محرّفاً كما ترى (٣) في ب « بن علي بن الحسن الرضا » .

لإشخاصه ، فحمل إليه مكرماً ، وفيها أمر المأمون بإحصاء ولد العباس من رجالهم ونسائهم وصغيرهم وكبيرهم ، فكان عددهم ثلاثة وثلاثين ألفاً .
 ووصل إلى المأمون [أبو الحسن] علي بن موسى الرضا ، وهو بمدينة مرو ، فأنزله المأمون أحسن إنزال ، وأمر المأمون بجميع خواص الأولياء ، وأخبرهم أنه نظر في ولد العباس وولد علي رضي الله عنهم ، فلم يجد في وقته أحداً أفضل ولا أحق بالأمر من علي بن موسى الرضا ، فبايع له بولاية العهد ، وضرب اسمه على الدنانير والدرهم ، وزوج محمد بن علي بن موسى الرضا بابنته أم الفضل ، وأمر بإزالة السواد من اللباس والأعلام [وأظهر بدلا من ذلك الخضرة في اللباس والأعلام وغير ذلك] ونمى ذلك إلى من بالعراق من ولد العباس ، فأعظموه إذ علموا أن في ذلك خروج الأمر عنهم ، وحبج بالناس إبراهيم بن موسى بن جعفر أخو الرضا بأمر المأمون ، واجتمع من بمدينة السلام من ولد العباس [ومواليهم وشيعتهم] على خلع المأمون ومبايعة إبراهيم بن الهدي المعروف بابن شكلة ، فبويع له يوم الخميس لخمس إيال خلون من المحرم سنة اثنتين ومائتين ، وآيل : إن ذلك في سنة ثلاث ومائتين .

المأمون وعلي
ابن موسى
الرضا

وفي سنة اثنتين ومائتين قتل الفضل بن سهل ذو الرياستين في حمام غيلة ، وذلك بمدينة سرخس من بلاد خراسان ، وذلك في دار المأمون في مسيره إلى العراق [فاستعظم المأمون ذلك وقتل قتلته ، وسار المأمون إلى العراق] .
 وقبض علي بن موسى الرضا بطوس لعنب أكله وأكثر منه ، وقيل : إنه كان مسموماً ، وذلك في صفر سنة ثلاث ومائتين ، وصلى عليه المأمون ، وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ، وقيل : سبع^(١) وأربعين سنة وستة أشهر . وكان مولده بالمدينة سنة ثلاث وخمسين ومائة للهجرة ، وكان المأمون زوج ابنته أم حبيبة^(٢) لعلي بن موسى الرضا ، فكانت إحدى الأختين تحت محمد بن علي بن موسى ، والأخرى تحت أبيه علي بن موسى .

مقتل الفضل
ابن سهل

موت علي
ابن موسى
الرضا

(١) في « وقيل تسع وأربعين سنة وستة أشهر » (٢) في « ابنته أم حبيب »

واضطربت بغداد في أيام إبراهيم بن المهدي ، وثارَت الروبيضة^(١) ،
وسموا أنفسهم المطوعة^(٢) ، وهم رؤساء العامة والتوابع ، ولما قرب المأمون
من مدينة السلام صلى إبراهيم بن المهدي بالناس في يوم النحر ، واختفى
في يوم الثاني من النحر ، وذلك في سنة ثلاث ومائتين ، فخلعه أهل بغداد ،
وكان دخول المأمون بغداد سنة أربع ومائتين ، ولباسه الخضرة ، ثم غير ذلك ،
وعاد إلى لباس السواد ، وذلك حين قدم طاهر بن الحسين من الرقة إليه .

وفي سنة أربع^(٣) ومائتين كان القحط العظيم ببلاد المشرق والوباء بخراسان
وغيرها ، وفيها كان خروج بابك الخرمي ببلاد البدين في أصحاب جاويزان
ابن شهرك ، وقد قدّمنا ذكرنا بلاد بابك ، وهي البدين من أرض أذربيجان
والران والبيلقان فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا لجبل القبيخ
والباب والأبواب ونهر الراس وجريانه نحو^(٤) بلاد البدين .

وَبَثَّ المأمون عيونه في طلب إبراهيم بن المهدي ، وقد علم باختفائه فيها ،
فظفر به ليلة الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة سبع
ومائتين في زى امرأة ، ومعه امرأتان ، أخذه حارس بن أسود في الدرب
المعروف بالطويل ببغداد ، فأدخل إلى المأمون فقال : هيه يا إبراهيم ،
فقال : يا أمير المؤمنين ، وليُّ الثارِ مُحْكَمٌ في الفصاص ، والعفو أقرب
للتقوى ، ومن تناوله الزمان واستولى عليه الاغترار بما مُدَّ له من أسباب
الشقاء أمكن عادية الدهر من نفسه ، وقد جعلك الله فوق كل ذي عفو ،
كما جعل كل ذي ذنب دوني ، فإن تُعاقِبْ فبحقك ، وإن تُعْفُ
فبفضلك ، قال : بل العفو يا إبراهيم ، فكَبَّرَ ثم خرَّ ساجداً ، فأمر
المأمون فصيرت [المقنعة] التي كانت عليه على صدره ليرى الناس الحال
التي أخذ عليها ، ثم أمر به فصير في دار الحرس أياماً ينظر الناس إليه ،

(١) في ب « الروبيضة » (٢) في ب « المطوعة » .

(٣) في ب « وفي سنة إحدى ومائتين » وليس بشيء (٤) في ا « تحت بلاد البدين »

ثم حول إلى أحمد بن [أبي] خالد ، ثم رضى عنه من بعد أن كان وگَلَّ به ،
فقال إبراهيم في ذلك من كلمة له :

إن الذي قَسَمَ المكارم حازها من صُلْبِ آدم للإمام السابع
جمع القلوبَ عليك جامعُ أهائها وَحَوَى ودادك كل خير جامع
فبذاتَ أعظم ما يقوم بحمله وَسِعَ النفوس من الفعال البارِع
وَعَفَوْتَ عَمَّنْ لم يكن عن مثله عفو ، ولم يشفع إليك بشافع

زواج المأمون
بيوران بنت
الحسن بن
سهل

وانحدر المأمون إلى فم الصلح في شعبان سنة تسع ومائتين ، وأملك
بخطبة ابنة الحسن بن سهل التي تسمى پوران ، ونثر الحسن في ذلك الإملاك
من الأموال ما لم ينثره ولم يفعله ملك قط في جاهلية ولا في إسلام ، وذلك أنه
نثر على الهاشميين والقواد والكتّاب والوجوه بنادق مسكٍ فيها رِقَاعُ
بأسماء ضياعٍ وأسماء جوارٍ وصفات دوابٍ وغير ذلك ، فكانت البندقة
إذا وقعت في يد الرجل فتحها ، فقرأ ما فيها فيجد على قدر إقباله وسعوده
فيها ، فيمضي إلى الوكيل الذي نصب لذلك ، فيقول له : ضيعة يقال لها فلانة الفلانية
من طشوج كذا من رُستاق كذا ، وجارية يقال لها فلانة الفلانية ، ودابة
صفتها كذا ، ثم نثر بعد ذلك على سائر الناس الدنانير والدرهم ونوافج
المسك وبيض العنبر ، وأنفق على المأمون وقواده وعلى جميع أصحابه ومن كان
معه من جنوده أيام مقامه عنده حتى المكارين والجمالين والملاحين وكل من ضمّه
العسكر من تابع ومتبوع مرتزق وغيره ، فلم يكن أحد من الناس يشتري شيئاً
في عسكر المأمون مما يطعم ولا مما تعتلفه البهائم ، فلما أراد المأمون أن يصعد
في دجلة منصرفاً إلى مدينة السلام قال للحسن : حوِّأجِّك يا أبا محمد ، قال : نعم
يا أمير المؤمنين ، أسألك أن تحفظ عليّ مكانى من قلبك ، فإنه لا يتهيأ لي
حفظه إلا بك ، فأمر المأمون بحمل خراج فارس وكور الأهواز إليه سنة ،
فقال في ذلك الشعراء فأكثر ، وأطنبت الخطباء في ذلك وتكلمت ،
فما استظرف مما قيل في ذلك من الشعر قول [محمد] بن حازم الباهلي :

بارك الله للحسن ولبيوران في الختن

يا ابن هارون قد ظفرتَ ولكن بينت من
فلما نمت هذا الشعر إلى المأمون قال : والله ما ندرى خيراً أراد أم شراً .
ودخل إبراهيم بن المهدي يوماً على المأمون بعد مدة من الظفر به ،
فقال : إن هذين يحملانني على قتلك - يعني المعتصم أخاه والعباس بن
المأمون - فقال : ما أشارا عليك إلا بما يُشار به على مثلك ، ولكن تدعُ
ما تخاف لما نرجو ، وأنشد :

أهل المأمون
يحملونه على
قتل إبراهيم
ابن المهدي

رَدَدْتَ مَالِي وَلَمْ تَبْخَلْ عَلَيَّ بِهِ
وَقَبْلَ رَدِّكَ مَالِي قَدْ حَقَّقْتَ دُمِي
فبُوتَ مِنْهَا وَمَا كَافِيَتَهَا بِيَدِي
هُمَا الْحَيَاتَانِ مِنْ مَوْتٍ وَمِنْ عَدَمِ
الْبِرِّ وَطَأْ مَنكَ الْعَذْرُ عِنْدَكَ لِي
فِيمَا أَتَيْتَ ، وَلَمْ تَعْذَلْ ، وَلَمْ تَلْمِ
وَقَامَ عُدْرُكَ بِي فَاحْتَجَّ عِنْدَكَ لِي
مَقَامَ شَاهِدٍ عَدْلٍ غَيْرِ مُتَّهِمِ
وَلِإِبْرَاهِيمَ أَخْبَارَ حَسَانٍ ، وَأَشْعَارَ مَلَاحٍ ،
وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ فِي حَالِ
اِخْتِفَائِهِ فِي سُوَيْقَةِ غَالِبٍ بِبَغْدَادٍ ، وَتَنْقَلَهُ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ بِهَا ، وَخَبْرَهُ
فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي قَبِضَ عَلَيْهِ فِيهَا ، قَدْ أَتَيْنَا عَلَى جَمِيعِهَا فِيمَا سَمِينَا مِنْ كَتَبِنَا الَّتِي
كَتَابُنَا هَذَا نَالَ لَهَا [وَمِنْهُ عَلَيْهَا] .

وقد صنّف يوسف بن إبراهيم الكاتب صاحب إبراهيم بن المهدي كتاباً
منها كتابه في أخبار المتطهين مع الملوك في المآكل والمشرب والملابس ،
وغير ذلك ، وكتابه المعروف بكتاب إبراهيم بن المهدي في أنواع الأخبار ،
وغير ذلك من كتبه .

ومن أحسن ما اختير من أخبار إبراهيم في حال تنقله واختنائه ببغداد
خبره مع الزين ، وهو أن المأمون لما دخل بغداد على ما ذكرنا فيما سلف
من هذا الباب من بثه العيون طالباً^(١) لإبراهيم بن المهدي ، وجعل لمن
دلّ عليه جُغلاً خطيراً من المال ، قال إبراهيم : فخرجت في يوم صائف
في وقت الظهر لا أدري أين أتوجه ، فصرت إلى زقاق ولا منفذ له ،

من أخبار
إبراهيم
بن المهدي

(١) في ب « من هذا الكتاب من بثه العيون طلباً لإبراهيم - إلخ » .

فرايت أسوداً على باب دارٍ ، فصرت إليه وقلت له : أعندك موضع أقيم فيه ساعة من نهار ؟ فقال : نعم ، وفتح بابه ، فدخلت إلى بيت فيه حصير نظيف ووسادة^(١) جلد نظيفة ، ثم تركني وأغلق الباب في وجهي ومَضَى ، فتوهمت أنه قد سمع الجمالة فيَّ ، وأنه خرج ليدل عَلَيَّ ، فبينما أنا كذلك إذ أقبل ومعه طبق^(٢) عليه كل ما يحتاج إليه من خبز ولحم ، وقدر جديد وآلتها ، وَجَرَّةَ نظيفة ، وكيزان نظاف ، كل ذلك جديد ، وقال لي : جعلني الله فداك ، إني حجَّام ، وإني أعلم^(٣) أنك تَتَقَدَّرُ ما أتولاهُ ، فشأنك بما لم تقع عليه يدي ، وكانت بي حاجة شديدة إلى الطعام ، فقمت فطبخت لنفسي قدرًا ما أذكر أني أكلت أطيبَ منها ، ثم قال لي بعد ذلك : هل لك في النبيذ ؟ فقلت : ما أكره ذلك ، ففعل مثل فعله في الطعام ، وأتاني بكل شيء نظيف لم يَمَسَّ شيئاً منه بيده ، ثم قال لي بعد ذلك : أتأذن لي جعلني الله فداك أن أفعلَ ذلك ، فلما شرب ثلاثاً دخل خزانة له وأخرج منها عوداً وقال : يا سيدي ، ليس من قدرِي أن أسألك أن تغني ، ولكن قد وجبت عليك حرمتي ، فإن رأيت أن نشرف عبدك بأن تغنيه ، قال : فقلت : وكيف توهمت عَلَيَّ أني أحسن الغناء ؟ فقال متعجباً : يا سبحان الله !! أنت أشهر من أن لا أعرفك ، أنت إبراهيم بن المهدي الذي جعل المأمون لمن دلَّ عليك مائة ألف درهم ، قال : فلما قال لي ذلك تناولتُ العود ، فلما هممت بالغناء قال : يا سيدي أتجعل ما تغنيه ما أقترحه عليك ؟ قلت : هات ، فاقترح ثلاثة أصوات أتقدمُ فيها كلَّ مَنْ غَنَى ، قلت : هَبِّكَ عرفتنِي ، هذه الأصوات من أين لك بمعرفتها ؟ قال : أنا أخدم إسحاق بن إبراهيم^(٤) الموصلِي ، وكثيراً ما كنت أسمعه يذكر المحسنين وما يُجيدُونَهُ ، ولم أتوهم أني أسمع ذلك منك في منزلي ، فغنيته ، وأنست به ، واستظرفته . فلما كان

(١) في « ومسورة جلد » (٢) في « ومعه حمل عليه - إلخ » .

(٣) في « وأنا أعلم » (٤) في ب « إبراهيم بن إسحاق » .

الليلُ خرجت من عنده ، وقد كنت حملت معي خريطة فيها دنانير ، فقلت له : خذها فاصرفها في بعض مؤنتك ، ولك عندنا مزيد إن شاء الله تعالى . فقال : ما أعجب هذا !! والله عزمتم على أن أعرض عليك جملة ما عندي^(١) ، وأسألك أن تتفضل بقبولها ، ثم أجلتك عن ذلك ، وامتنع من قبول شيء ، ومضى حتى دَلَّني على الموضع الذي احتجت إليه ، وانصرف ، وكان آخر العهد به .

وفي سنة ست ومائتين - وذلك في خلافة المأمون - مات يزيد بن هارون بن زادان الواسطي ، وله تسع وثمانون سنة ، وكان مولده سنة سبع عشرة ومائة وهو مولى لبني سليم ، وكان أبوه يخدم في مطبخ زياد بن أبيه وعبيد الله بن زياد ومصعب بن الزبير والحجاج بن يوسف ، ويزيد هذا عند أهل الحديث من عليتهم^(٢) ، وعظيم من عظامهم ، وكانت وفاته بواسط العراق

وفيهما مات جرير بن خزيمة بن حازم ، وشيبة بن سوار المدني ، والحجاج ابن محمد الأعور الفقيه ، وعبد الله بن نافع الصائغ^(٣) المدني مولى لبني مخزوم ، ووهب بن جرير ، ومؤمل بن إسماعيل ، وروح بن عبادة ، وفيها مات الهيثم بن عدي وكان يغمز عليه نسبه ، وفيه يقول القائل :

إذا نَسَبْتَ عَدِيًّا فِي بَنِي تُعَلِّ فَقَدَّمِ الدَّالَ قَبْلَ الْعَيْنِ فِي النَّسَبِ

وفي سنة تسع ومائتين مات الواقدي ، وهو محمد بن عمرو بن واقد مولى لبني هاشم ، وهو صاحب السير والمغازي ، وقد ضعف في الحديث ، وذكر ابن أبي الأزر قال : حدثني أبو سهل الرازي^(٤) ، عن حديثه ، عن الواقدي قال : كان لي صديقان أحدهما هاشمي ، وكنا كنفس واحدة ، فنالتني ضيقة شديدة ، وحضر العيد ، فقالت امرأتي : أما نحن في أنفسنا فنصبر على البؤس والشدة ، وأما صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قباي رحمة لهم ؛

(١) في ب « عزمتم على أني أعرض عليك جملة عندي » .

(٢) في ب « وهذا عمدة أهل الحديث في علمهم » .

(٣) في ب « الصانع » . (٤) في ب « الداري » .

لأنهم يرون صبيان الجيران قد تزبنوا في عيدهم وأصلحوا ثيابهم ، وهم على هذه الحال من الثياب الرثة ، فلو احتلت بشيء تصرفه في كسوتهم ، قال : فكتبت إلى صديقي الهاشمي أسأله التوسعة على لما حضر ، فوجه إلى كيساً مختوماً ذكر أن فيه ألف درهم ، فما استقر قرارى حتى كتب ^(١) إلى الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت إلى صاحبي ، فوجهت إليه الكيس بحاله ، وخرجت إلى المسجد فأقمت فيه لبلى مستحياً من امرأتى ، فلما دخلت عليها استحسننت ما كان منى ولم تعنفني عليه ، فبينما أنا كذلك إذ وافى ^(٢) صديقي الهاشمي ومعه الكيس كهبيئته ، فقال لى : اصدقني عما فعلته فيما وجهت إليك ، فعرفته الخبر على جهته ، فقال : إنك وجهت إلى وما أملك على الأرض إلا ما بعثت به إليك ، وكتبت إلى صديقنا أسأله المواساة ، فوجه بكيسى بخاتمى ، قال : فتواسينا الألف ثلاثاً بعد أن ^(٣) أخرجنا إلى المرأة قبل ذلك مائة درهم ، ونمى الخبر إلى المأمون ، فدعانى ، فشرحت له الخبر ، فأمر لنا بسبعة آلاف دينار : لكل واحد ألفاً دينار ، وللرأة ألف دينار ، وقبض الواقدي وهو ابن سبع وسبعين سنة .

وفيهما كانت وفاة يحيى بن الحسين بن زيد بن على بن الحسين [بن على] ببغداد ، وصلى عليه المأمون ، وقد أتينا على خبره فيما سلف من كتبنا .

وفيهما مات أزهر السمان ، وكان صديقاً لأبى جعفر المنصور فى أيام بنى أمية وكانا قد سافرا جميعاً وسمعا الحديث ، وكان المنصور يألفه ، ويأنس إليه ، ويكبر عنده ، فلما أفضت الخلافة إليه أشخص إليه من البصرة ، فسأله المنصور عن زوجته وبناته ، وكان يعرفهن بأسمائهن ، وأظهر بره وإكرامه ، ووصله بأربعة آلاف درهم ، وأمره أن لا يقدم إليه مستميجاً ، فلما كان بعد حوّل صار إليه ، فقال له : ألم أمرك أن لا تسير إلى مستميجاً ، فقال له : ما صرت إليك إلا مسلماً ومجدداً بك عهداً ، قال :

بين أزهر
وأبى جعفر
المنصور

(١) فى ب « إذ كتب » (٢) فى ا « إذ وافانى » .

(٣) فى ب « ثم إنا أخرجنا » .

ما أرى الأمر^(١) كما ذكرت ، فأمر له بأربعة آلاف درهم ، وأمره أن لا يصير إليه مساهماً ولا مستميجاً ، فلما كان بعد سنة صار إليه ، فقال : إني لم أقدم عليك للأمرين اللذين نهيتني عنهما ، وإنما باغني أن علة عرضت لأمير المؤمنين فأتيته عائداً ، فقال : ما أظنك أنيت إلا مستوصلاً ، فأمر له بأربعة آلاف درهم ، فلما كان بعد^(٢) الحول ألح عليه بناته وزوجته ، وقان له : أمير المؤمنين صديقك فارجع إليه ، فقال : ويحك !! ماذا أقول له وقد قلت له أنتك مستميجاً ومساهماً وعائداً ؟ ماذا أقول في هذه المرة ؟ وبم أحتج ؟ فأبوا على الشيخ إلا الإلحاح ، فخرج فأتى المنصور وقال : لم آتتك مسترفداً ، ولا زائراً ، ولا عائداً ، وإنما جئت لسماع حديث كنا سمعناه جميعاً في بلد كذا من فلان عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه اسم من أسماء الله تعالى من سال الله به لم يرده ولم يخيب دعوته ، فقال له المنصور : لا تُردّه فإني قد جرّبتّه فليس هو بمستجاب ، وذلك أني مذ جئتني أسأل الله به أن لا يردك إلي ، وها أنت ترجع لاتنفك من قولك مساهماً أو عائداً أو زائراً ، ووصله بأربعة آلاف درهم ، وقال له : قد أعيتني فيك الحيلة فصر إلى متى شئت .

مقتل
ابن عائشة

وفي سنة تسع ومائتين ركب المأمون إلى المطبق بالليل حتى قتل ابن عائشة ، وهو رجل من ولد العباس بن عبد المطلب ، واسمه إبراهيم بن محمد بن عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام أخى أبي العباس والمنصور ، وقتل معه محمد بن إبراهيم الإفريقي وغيره ، وابن عائشة هذا أول عباسي صلب في الإسلام ، وتمثل المأمون حين قتله بقول الشاعر :

إذا النار في أحجارها مُسْتَكِنَةٌ متى ما يُرَجَّها قادح تتضرم .

وكان رجل من ولد العباس بن علي بن أبي طالب ذو مال وثروة وعز ومنعة وفهم وبلاغة ، وهو العباس بن العباس العلوي ، بمدينة السلام ، وكان المعتصم يَشْنُوهُ لِحَالِ كَانَتْ بَيْنَهُمَا ، فمكّن في نفس^(٣) المأمون أنه

(١) في « ما أرى الأمر إلا كما ذكرت » (٢) في « فلما مضت سنة » .

(٣) في « فمكّن في قلب المأمون » .

شأنىء [له و] لدولته ، ماقت لأيامه ، فلما كان فى تلك الليلة لحق العباس بالمأمون على الجسر فقال له المأمون : ما زلت تنتظرها حتى وقعت ، فقال : أعيذك بالله يا أمير المؤمنين ، ولا كنى ذكرت قول الله عز وجل (ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ، ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) فحسن موقع ذلك منه ، ولم يزل يسايره حتى بلغ المطبق ، فلما قتل ابن عائشة قال : يأذن أمير المؤمنين فى الكلام ؟ قال : تكلم ، قال : الله فى الدماء ، فإن الملك إذا ضرى بها لم يصبر عنها ، ولم يُبقِ على أحد ، قال : لو سمعت هذا الكلام منك قبل أن أركب ما ركبت ولا سفكت دمًا ، وأمر له بثلاثمائة ألف درهم . وقد أتينا على خبر ابن عائشة هذا ، وما أراد من الإيقاع بالمأمون ، وما كان من أمره فى كتابنا فى « أخبار الزمان » .

موت
أبى عبدة
معمربن المثنى

وفى سنة إحدى عشرة ومائتين مات أبو عبدة معمربن المثنى بالبصرة ، وكان يرى رأى الخوارج ، وبلغ نحواً من مائة سنة ، ولم يحضر جنازته أحد من الناس ، حتى اكرى لها من يحمدها ، ولم يكن يسلم عليه ^(١) شريف ولا وضع إلا تكلم فيه ، وله مصنفات حسنة فى أيام العرب وغيرها : منها كتاب المثالب ، ويذكر فيه [أنساب] العرب وفسادها ، ويرميهم بما يُسئ الناس ذكره ^(٢) ، ولا يحسن وصفه ، وكان أبو نؤاس الحسن بن هانىء كثير العبث به ، وكان أبو عبدة يقعد فى مسجد البصرة إلى سارية من سواريه ، فكتب أبو نؤاس عليها فى غيبته [عنها بهذين البيتين يعرضُ به] :
صلى الإله على لوطٍ وشيعته أبابعبدة قل بالله آمينا
[وأنت عندى بلا شك بقيتهم مذاحتمت ، وقد جاوزت تسعينا]

فلما جاء أبو عبدة ليجلس فى مجلسه ويستند على تلك السارية رأى ذلك ، فقال : هذا فملُّ الماجن اللواط أبى نؤاس ، حُكوه وإن كان فيه صلاة على نبي .

(١) فى ب « ولم يكن يسلم منه - إلخ » .
(٢) فى ا « ويرميهم بما ليس فى السياسة ذكره »

موت
أبي العتاهية
وشئ من
أخباره

وفي هذه السنة — وهي سنة إحدى عشرة ومائتين — مات أبو العتاهية إسماعيل بن القاسم ، الشاعر ، متنسكا لابسا للصوف ، وكان له مع الرشيد أخبار حسان : من ذلك ما قدمنا ذكره فيما سلف من هذا الكتاب ، ومنها أن الرشيد أمر ذات يوم بحمله إليه ، وأمر أن لا يكلم في طريقه ، ولا يعلم ما يراد منه ، فلما صار في بعض الطريق كتب له بعض من معه في الطريق^(١) : إنما يراد قتلك ، فقال أبو العتاهية من فوره :

ولعل ما تخشاه ليس بكائن ولعل ما ترجوه سوف يكون
ولعل ما هونت ليس بهين ولعل ما شددت سوف يهون
وحج في بعض الحجج مع الرشيد ، فنزل الرشيد يوماً عن راحلته ، ومشى ساعة ، ثم أعيا ، فقال : هل لك يا أبا العتاهية أن تستند إلى هذا الميل^(٢) ؟ فلما قعد الرشيد [أقبل على أبي العتاهية و] قال له : يا أبا العتاهية ، حر كفا ، فقال :

[هب الدنيا تواتيكا أليس الموت يأتيكا ؟]
ألا يا طالب الدنيا دع الدنيا لشانكا
وما تصنع بالدنيا وظل الميل يكفيكا

ولأبي العتاهية أخبار وأشعار كثيرة حسان ، قد قدمنا فيما سلف من كتبنا جملاً مما اختير من شعره وما انتخب من قوافيه ، وكذلك قدمنا من ذلك لمعاً فيما سلف من هذا الكتاب في أخبار خلفاء بني العباس ، ومما استحسن من ذلك قوله :

أحمدُ قال لي ولم يدْرِ ما بي : أحبُّ الغداة عتبه حقاً ؟
فتنفستُ ثم قلت : نعم حبُّها جرى في العروق عرقاً فغرقاً
ليتني مُتٌ فاسترحتُ ؛ فإني أبدأ ما حيت منها مُلتي
لا أراني أبقى ، ومن يلقَ مالا قيتُ من لوعة الجوى ليس يبق
فاحتسب صحبتي ، وقل : رحمة الله على صاحب لفامات عشقا
أنا عبْدُ لها وإن كنت لا أر زقُ منها والحمد لله عتقا

(١) في ١ « كتب له بعض من معه على الأرض » .

(٢) في ١ « أن نستريح إلى ظل هذا الميل » .

ومما استحسن من شعره أيضاً قوله :

يا عْتَبَ مالى ولكِ يا ليتني لم أركِ
ملكنتي فاتهكي ماشئت أن تنتهكي
أبيتُ ليلي ساهراً أرعى نجوم الفلكِ
مفترشا جمر الغضى ملتحفاً بالحسكِ

ومن قوافيه الغريبة وأشعاره المستحسنة قوله :

أخلاقى بي شجوى، وليس بكم شجوى
رأيت الهوى جمر الغضى، غير أنه
أذاب الهوى جسمى وعظمى وقوتى
وما من حبيب نال ممن يحبه
وإني لنأى الطرف من غير خلتي
لها دون إخوانى وأهل مودتى
وكل امرئ من شجوى صاحبه خلوى
على حره فى صدر صاحبه خلوى
فلم يبق إلا الروح والبدن النضوى
هوى صادقاً إلا يداخله زهوى
ومالى سواها من حديث ولاهوى
من الود منى فضلة، ولها العفو

ومما انتخب من شعره واستحسنه الناس من قوله قوله :

يا لهف نفسى على الذى اجتنبت
تبارك الله بئس ما صنعتُ
أتيتها زائراً فما انتجرتُ
كم من ديونٍ والله يعلمها
ما وهبت لي من فضلها عدة
فأى خيرٍ وأى منفعة
الله بينى وبين ظالمتى
ماذا عليها لو أنها بعثت
رغبت فى وصلها وقد زهدت
بأى جرم ترونها عتبت
بى فى هواها، وبئس ما ارتكبت^(١)
وعدى إذ جثتها وما احتسبت
لنا عليها لم تقض إذ وجبت
إلا استردت جميع ما وهبت
لذات دَلَّ تريق ما حلبت ؟
طلبت منها وصلها فأبت
منها رسولا إلى أو كتبت
عتبة فى وصلنا وما رغبت

(١) فى ا « بى من هواها »

وكان أبو العتاهية قبيح الوجه ، مليح الحركات ، حلو الإنشاد ، شديد
الطرب ، ومن مليح شعره أيضاً قوله :

من لم يذُقْ لَصَبَابَةَ طَعْمَا فلقد أَحَطْتُ بِطَعْمِهَا عِلْمَا
إني منحت مودتي سَكَنًا فرأيتَه قد عَدَّهَا جُرْمًا
ياعْتَبَ مَا أَبْقَيْتَ مِنْ جَسَدِي لِحْمًا ، وَلَا أَبْقَيْتَ لِي عِظْمَا
ياعْتَبَ مَا أَنَا مِنْ صَنِيعِكَ بِي أَعْمَى ، وَلَكِنَّ الْهُوَى أَعْمَى
إِن الَّذِي لَمْ يَدِرْ مَا كَلَّفَنِي لِيرَى عَلَى وَجْهِهِ بِهِ وَسَمَا

وله أشعار خرج فيها عن العرُوض مثل قوله :

هَمْ الْقَاضِي بَيْتَ يَطْرِبُ قَالَ الْقَاضِي لِمَا عَوْتَبُ
مَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا مَذْنَبُ هَذَا عِذْرُ الْقَاضِي وَأَقْلَبُ

وزنه فَعْلُنُ فَعْلَانُ أَرْبَعُ مِرَاتٍ ، وقد قال قوم : إن العرب لم تقل على
وزن هذا شعراً ، ولا ذَكَرَهُ الْخَلِيلُ وَلَا غَيْرُهُ مِنَ الْعَرُوضِيِّينَ (١) .

قال المسعودي : وقد زاد جماعة من الشعراء على الخليل بن أحمد في
العروض : من ذلك المديد ، وهو ثلاثة أعاريض وستة ضروب عند الخليل ، العروض على
الزيادة في الخليل
وفيه عروض رابع وضربان مُخَدَّتان ؛ فالضرب الأول من العروض الرابعة
المحدثة قول الشاعر :

مَنْ لَعِينٌ لَا تَنَامُ دَمْعُهَا سَحٌّ سَجَامُ (٢)

والضرب الثاني من العروض الرابعة المحدثة قول الشاعر :

يَا لِبَكْرٍ لَا تَنْوَا لَيْسَ ذَا حَيْنٍ وَنَا

وغير ذلك مما قد تكلموا فيه ، وذكره في هذا المعنى من الزيادات مما قد

أتينا على وصفه وقدمنا من ذكره في كتابنا في « أخبار الزمان » .

(١) هذا هو المتدارك الذي زاده الأخفش ، ونظيره قول الآخر :

دَارِكٌ قَلْبِي بَلَمَى ثَغْرِي فِي مَبْسَمِهِ نِظْمُ الْجَوْهَرِ

(٢) في « مالعيني لاتنام » .

أبو العباس
الناشيء

وقد صنف أبو العباس عبد الله بن محمد الناشيء الكاتب الأنباري [على الخليل بن أحمد في ذلك كتاباً ذكر فيه أنواعاً من هذا المعنى مما خرج فيه] الخليل بن أحمد عن تقليد العرب إلى باب التعسف والنظر ونصب العلل عن أوضاع الجدل ، كان ذلك له لازماً ، ولما أورده كاسراً ، وللناشيء أشعار كثيرة حسان : منها قصيدة واحدة نحو من أربعة آلاف بيت قافية واحدة نونية منصوبة يذكر فيها أهل الآراء والنحل والمذاهب والملل ، وأشعار كثيرة ومصنفات واسعة في أنواع من العلوم ، فمما جود فيه قوله حين سار من العراق إلى مصر ، وبها كانت وفاته ، وذلك في سنة ثلاث وتسعين ومائتين على حسب ما قدمنا ذكره :

ياديّار الأحاب هل من مجيب
عنك يشفي غليل نائي المزكّر ؟
ما أجابت ، وأكن الصمت منها
فيه للسائلين طول اعتبار
إن تكن أو حشّت فبعد أنيس
أو خلت منهم فبعد قرار
قد هونا بها زماناً وحيناً
ووصلنا الأسحار بالأسحار
واغتبقتنا على صبوح وهو
وحنين النيات والأوتار
بين وزد ورجس وخزامى
وبنفس وسوسن وبهّار
وأقاح وكل صنف من النور
ر الشهيّ الجنّي والجلنار
فرمتنا الأيام أحسن ما كنا على
حين غفلة واغترار
فافترقنا من بعد طول اجتماع
ونأينا بعد اقتراب الديار

نداء المأمون
وفي سنة اثنتي عشرة ومائتين نادى منادى المأمون : برئت الذمة من
في أمر معاوية أحد من الناس ذكر معاوية بخير أو قدمه [على أحد] من أصحاب رسول
وسببه
الله صلى الله عليه وسلم : وتكلم في أشياء من التلاوة أنها مخلوقة ، وغير
ذلك ، وتنازع الناس في السبب الذي من أجله أمر بالنداء في أمر معاوية ؛
فقليل في ذلك أقاويل : منها أن بعض سُمّاره حدّث بحديث عن مطرف بن
المغيرة بن شعبة الثقفي ، وقد ذكر هذا الخبر الزبير بن بكار في كتابه في

الأخبار المعروفة بالموقفيات التي صنفها^(١) للموفق ، وهو ابن الزبير ، قال : سمعت المدائني يقول : قال مطرف بن المغيرة بن شعبة : وَفَدْتُ مَعَ أَبِي الْمَغِيرَةَ إِلَى مَعَاوِيَةَ ، فَكَانَ أَبِي يَأْتِيهِ بِتَجَدُّثٍ عِنْدَهُ ثُمَّ يَنْصَرِفُ إِلَى فَيْذِكَرَ مَعَاوِيَةَ وَيَذْكُرُ عَقْلَهُ وَيَعْجَبُ مِمَّا يَرَى مِنْهُ ، إِذَا جَاءَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَأَمْسَكَ عَنِ الْعِشَاءِ ، فَرَأَيْتَهُ مَغْنَمًا ، فَانْتَظَرْتَهُ سَاعَةً ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُ لَشَيْءٍ حَدَثَ فِينَا أَوْ فِي عَمَلِنَا ، فَقُلْتُ لَهُ : مَا لِي أُرَاكَ مَغْنَمًا مِنْذُ اللَّيْلَةِ ؟ قَالَ : يَا بَنِي ، إِنِّي جِئْتُ مِنْ عِنْدِ أَخْبَثِ النَّاسِ ، قُلْتُ لَهُ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : قُلْتُ لَهُ وَقَدْ خَلَوْتُ بِهِ : إِنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ مِنَّا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَلَوْ أَظْهَرْتَ عَدْلًا وَبَسَطْتَ خَيْرًا فَإِنَّكَ قَدْ كَبُرْتَ ، وَلَوْ نَظَرْتَ إِلَى إِخْوَتِكَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فَوَصَلْتَ أَرْحَامَهُمْ فَوَاللَّهِ مَا عِنْدَهُمُ الْيَوْمَ شَيْءٌ تَخَافُهُ ، فَقَالَ لِي : هِيَاتِ هِيَاتِ !! مَلِكٌ أَخَوَاتِيْمُ فَعَدَلُ وَفَعَلَ مَا فَعَلَ ، فَوَاللَّهِ مَا عَدَا أَنْ هَلَكَ فَهَلْكَ ذَكَرَهُ ، إِلَّا أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ : أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ مَلِكٌ أَخُو عَدِيٍّ ، فَاجْتَهَدَ وَشَمَّرَ عَشْرَ سِنِينَ ، فَوَاللَّهِ مَا عَدَا أَنْ هَلَكَ فَهَلْكَ ذَكَرَهُ ، إِلَّا أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ : عَمْرٌ ، ثُمَّ مَلِكٌ أَخُونَا عَثْمَانَ فَمَلِكٌ رَجُلٌ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ فِي مِثْلِ نَسَبِهِ ، فَعَمِلَ مَا عَمِلَ [وَعَمِلَ بِهِ] فَوَاللَّهِ مَا عَدَا أَنْ هَلَكَ فَهَلْكَ ذَكَرَهُ ، وَذَكَرَ مَا فَعَلَ بِهِ ، وَإِنْ أَخَا هَاشِمٍ يُصْرَخُ بِهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ : أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، فَأَيُّ عَمَلٍ يَبْقَى مَعَهُ هَذَا ؟ لَا أُمَّ لَكَ ؛ وَاللَّهِ أَلَا دَفْنَا دَفْنَا ، وَإِنْ الْمَأْمُونُ لَمَّا سَمِعَ هَذَا الْخَبْرَ بَعَثَهُ ذَلِكَ عَلَى أَنْ أَمَرَ بِالنَّدَاءِ عَلَى حَسْبِ مَا وَصَفْنَا ، وَأَنْشَدَتْ الْكُتُبُ إِلَى الْآفَاقِ بِلَعْنِهِ عَلَى الْمَنَابِرِ ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ وَأَكْبَرُوهُ ، وَاضْطَرَبَتِ الْعَامَةُ [مِنْهُ] فَأَشِيرَ عَلَيْهِ بِتَرْكِ ذَلِكَ ، فَأَعْرَضَ عَمَّا كَانَ هَمُّ بِهِ .

وفي خلافة المأمون كانت وفاة أبي عاصم النبيل ، وهو الضحاک بن مخلد ابن سنان الشيباني ، وذلك في سنة اثنتي عشرة ومائتين ، وفيها مات محمد بن يوسف الفارابي .

وفاة أبي عاصم النبيل ، حياطة من أهل العلم

(١) في كتابه المترجم بكتاب الموقفيات التي ضمها للموفق .

وفى سنة خمس عشرة ومائتين - وذلك فى خلافة المأمون - مات
هوذة بن خليفة بن عبد الله بن أبى بكر ، ويكنى بأبى الأشهب ،
بيغداد ، وهو ابن سبعين سنة ، ودفن ببياب البردان ، فى الجانب الشرقى ،
وفىها مات محمد بن عبد الله بن المثنى بن عبد الله بن أنس بن مالك
الأنصارى ، وفىها مات إسحاق بن الطباع ، بأذنة من الثغر الشامى ،
ومعاوية بن عمرو ، ويكنى بأبى عمرو ، وقبيصة^(١) بن عقبة ، ويكنى
بأبى عامر ، من بنى عامر بن صعصعة .

غزو الروم

وفى سنة سبع عشرة ومائتين دخل المأمون مصر ، وقتل بها عبدوس ،
وكان قد تغلب عليها .

وفى سنة ثمان عشرة ومائتين غزا المأمون أرض الروم ، وقد كان شرع
فى بناء الطوانة ، مدينة من مدنها على قم الدرب ، مما يلى طرسوس ،
وعهد^(٢) إلى سائر حصون الروم ، ودعاهم إلى الإسلام ، وخيرهم بين
الإسلام والجزية والسيوف ، وذل النصرانية ، فأجابه خلق من الروم
إلى الجزية .

قال المسعودى : وأخبرنا القاضى أبو محمد عبد الله بن أحمد بن زيد
الدمشقى بدمشق ، قال : لما توجه المأمون غازيا ، ونزل البديدون ، جاءه
رسول ملك الروم فقال له : إن الملك يخيرك بين أن يرُدَّ عليك نفقتك
التي أنفقتها فى طريقك من بلدك إلى هذا الموضع ، وبين أن يخرج كل أسير
من المسلمين فى بلد الروم بغير فداء ولا درهم ولا دينار ، وبين أن يعمر لك
كل بلد للمسلمين مما خربت النصرانية ويرده كما كان ، وترجع عن غزائك ،
فقام المأمون ودخل^(٣) خيمة ، فصلى ركعتين ، واستخار الله عز وجل
وخرج ، فقال للرسول : قل له ، أما قولك ترُدُّ على نفقتى ، فإنى سمعت

(١) فى ب « وقبض ابن عقبة »

(٢) فى ا « وعهد إلى سائر حصون الروم » .

(٣) ا « فدخل إلى خيمته »

الله تعالى يقول في كتابه^(١) ، حاكياً عن بلقيس : (وإني مرسله إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون ، فلما جاء سليمان قال : أتمدونني بمال ؟ فما آتاني الله خيراً مما آتاكم ، بل أنتم يهديتكم تفرحون) وأما قولك : إنك تخرج كل أسير من المسلمين في بلد الروم ، فما في يدك إلا أحد رجلين : إما رجل طلب الله عزوجل والدار الآخرة ، فقد صار إلى ما أراد ، وإما رجل يطلب الدنيا ، فلا فكَّ الله أسره ، وأما قولك : إنك تعمر كل بلد للمسلمين قد خربته الروم ، فلو أني قلعت أقصى حجر في بلاد الروم ما اعتضت بامرأة عثرت عثرة في حال أسرها ، فقالت : وا محمداه وا محمداه ، عدُّ إلى صاحبك ، فليس بيني وبينه إلا السيف ، يا غلام اضرب الطبل ، فرحل ، فلم يفتن عن غزاته ، حتى فتح خمسة عشر حصناً^(٢) ، وانصرف من غزاته ، فنزل على عين البديدون ، المعروفة بالقشيرة على حسب ما قدمنا في هذا الكتاب ، فأقام هنالك حتى ترجع رُسله من الحصون ، فوقف على العين ومنبع الماء ، فأعجبه برؤمائها وصفائمه وبياضه وطيب [حسن] الموضع وكثرة الحضرة ، فأمر بقطع خشب طوال وأمر به فبسط على العين كالجسر ، وجعل فوقه كالأزج من الخشب وورق الشجر ، وجلس تحت الكنيسة التي قد عقدت له والماء تحته ، وطرح في الماء درهم صحيح فقرأ كتابته وهو في قرار الماء لصفاء الماء ، ولم يقدر أحد يدخل يده في الماء من شدة بروده ، فبينما هو كذلك إذ لاحت سمكة نحو الذراع كأنها سبيكة فضة ، فجعل لمن يخرجها سبباً ، فبدر بعض الفراشين فأخذها وصعد ، فلما صارت على حرف العين أو على الخشب الذي عليه المأمون اضطربت وأفلتت^(٣) من يد الفراش فوقعت في الماء كالحجر ، فنضح من الماء على صدر المأمون

(١) في « في كتابه العزيز » (٢) في « حتى فتح أربعة عشر حصناً »

(٣) في « وانملت من يد الفراش » .

ونحره وترقوته فبالت ثوبه ، ثم انحدر الفراش ثانية فأخذها ووضعها بين يدي المأمون في منديل تضطرب ، فقال المأمون : تُقَلِّي الساعة ، ثم أخذته رعدة من ساعته ، فلم يقدر يتحرك من مكانه ، فغطى باللحف والدواويج ، وهو يرتعد كالسفة ، ويصيح : البرد البرد ، ثم حول إلى المغرب^(١) ودثر وأوقدت^(٢) النيران حوله ، وهو يصيح : البرد البرد ، ثم أتى بالسمة وقد فرغ من قلبها فلم يقدر على الذوق منها ، وشغله ما هو فيه عن تناول شيء وموته

علة المأمون

وموته

منها ، ولما اشتد به الأمر سأل المعتصم بنخثيشوع وابن ماسويه في ذلك الوقت عن المأمون وهو في سكرات الموت ، وما الذي يدل عليه علم الطب من أمره ؟ وهل يمكن برؤه وشفائه ؟ فتقدم ابن ماسويه ، فأخذ إحدى يديه وبخثيشوع الأخرى ، وأخذا المجسة من كلتا يديه ، فوجدا نبضه خارجاً عن الاعتدال ، مُنْذِرًا بالفناء والانحلال ، والتزقت أيديهما ببشرته لِعَرَقٍ كان يظهر منه من سائر جسده ، كالزيت^(٣) ، أو كلعاب بعض الأفاعي ، فأخبر المعتصم بذلك ، فسألها عن ذلك ، فأنكرت معرفته ، وأنهما لم يجدا في شيء من الكتب ، وأنه دال على انحلال الجسد ، وأفاق المأمون من غشيته ، وفتح عينيه من رقدته ، فأمر بإحضار أناس من الروم ، فسألهم عن اسم الموضع والعين ، فأحضر له عدة من الأسارى والأدلة ، وقيل لهم : فسروا هذا الاسم القشيرة^(٤) ، فقيل له : تفسيره مُدَّ رجليك ، فلما سمعها اضطرب من هذا الفأل وتطير به ، وقال : سلوهم ما اسم الموضع بالعربية ، فقالوا : الرقة ، وكان فيما عمل من مولد المأمون أنه يموت بالموضع المعروف بالرقة ، وكان المأمون كثيراً ما يجيد عن المقام بمدينة الرقة فرقامن الموت ، فلما سمع هذا من الروم علم أنه الموضع الذي وُعد فيه فيما تقدم من

(١) في ب « إلى المغرب » (٢) في ب « وأوقد النيران حوله » .
 (٣) في أ « سائل كالرب » (٤) في أ « ما تفسير هذا الاسم وهو القشيرة »

مولده ، وأن فيه وفاته ، وقيل : إن اسم البديون تفسيره مُدَّرَجِيك ، والله أعلم بكيفية ذلك ، فأحضر المأمون^(١) الأطباء حوله يؤمل خلاصه مما هو فيه ، فلما ثقل قال : أخرجوني أشرف على عسكري ، وأنظر إلى رجالي ، وأتبين ملكي ، وذلك في الليل ، فأخرج فأشرف على الخيم والجيش وانتشاره وكثرته وما قد أوقد من النيران ، فقال : يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه ، ثم رُدَّ إلى مرقدہ وأجلس المعتصم رجلاً يشهده^(٢) لما ثقل ، فرفع الرجل صوته ليقولها ، فقال له ابن ماسويه : لا تصح فوالله ما يفرق بين ربه وبين ماني في هذا الوقت ، ففتح [المأمون] عينيه من ساعته ، وبهما من العظم والكبر والاحمرار ما لم ير مثله قط ، وأقبل يحاول البطش بيديه بابن ماسويه ، ورام مخاطبته ، فمجز عن ذلك ، فرمى بطرفه نحو السماء ، وقد امتلأت عيناه دموعاً ، فانطلق لسانه من ساعته ، وقال : يا من لا يموت ارحم من يموت ، وقضى من ساعته ، وذلك في يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين ، وحمل إلى طرسوس ، فدفن بها ، على حسب ما قدمنا في أول [أخباره من] هذا الكتاب .

قال المسعودي : وللمأمون أخبار حسان ومعانٍ وسير ومجالات وأشعار وأخلاق جميلة ، قد أتينا على مبسوطها فيما سلف من كتبنا ، فأغنى ذلك عن ذكرها .

وفي المأمون يقول أبو سعيد الخزومي :

هل رأيت النجوم أغنت عن المأمون شيئاً ومُلكه المأمون^(٣)
خلفوه بعرضتي طرسوس مثل ما خلفوا أباه بطوس
وكان المأمون كثيراً ما ينشد هذه الأبيات :

وَمَنْ لَا يَزَلْ غَرَضًا لِلْمَنُو نَ يَتْرُكُنَّهُ ذَاتَ بَوْمِ عَمِيدَا
فَإِنْ هُنَّ أَخْطَأَنَّهُ مَرَّةً فَيُوشِكُ مَخْطِئُهَا أَنْ يَعُودَا
فَبَيْنَا يَحِيدُ وَتَخْطِينَهُ قَصْدُنْ فَأَعْجَلْنَهُ أَنْ يَحِيدَا

(١) في ب « فأحضر المعتصم الأطباء » (٢) في ا « رجلا يلقنه الشهادة لما ثقل »
(٣) في ا « وملكه المأمون » .

ذكر خلافة المعتصم

وبويع المعتصم في اليوم الذي كانت فيه وفاة المأمون على عين البديدون، وهو يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين، واسمه محمد بن هارون، ويكنى أبا إسحاق^(١)، وكان بينه وبين العباس بن المأمون في ذلك الوقت تنازع في المجلس، ثم انقاد العباس إلى بيعته، والمعتصم يومئذ ابن ثمان وثلاثين سنة وثمانين، وأمه يقال لها ماردة^(٢) بنت شبيب، وقيل: إنه بويع سنة تسع عشر [ة ومائتين]، وتوفي بسرّ من رأى سنة سبع وعشرين، وهو ابن ست وأربعين سنة وعشرة أشهر، فكانت خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر، وقبره بالجوسق [بسرّ من رأى] على ما ذكرنا.

موجز

(١) في ا « ويكنى بأبي إسحاق » .

(٢) في ب « وأمه أساحية اسمها مارية بنت شبيب » .

ذكر جمل من أخباره وسيره ، ولمع مما كان في أيامه .

وَاسْتَوَزَرَ الْمُعْتَصِمُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى آخِرِ أَيَّامِهِ ، وَغَلِبَ عَلَيْهِ أَحْمَدُ ابْنُ الزِّيَّاتِ
ابْنُ أَبِي دُوَادَ ، وَلَمْ يَزَلْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي أَيَّامِ الْمُعْتَصِمِ وَالْوَائِقُ إِلَى أَنْ
وَأَحْمَدُ بْنُ
أَبِي دُوَادَ
وَلِيَ الْمُتَوَكَّلَ ، وَكَانَ فِي نَفْسِهِ عَلَيْهِ شَيْءٌ ، فَقَتَلَهُ ، وَسَنَدَكَرَ لِمَعَاذٍ مِنْ [خَيْر]
مَقْتَلَهُ فِيمَا يَرِدُ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ فِي أَخْبَارِ الْمُتَوَكَّلِ ، وَإِنْ كُنَّا قَدْ أَتَيْنَا عَلَى
ذَلِكَ مُلَخَّصًا فِي الْكِتَابِ الْأَوْسَطِ .

وَكَانَ الْمُعْتَصِمُ يَحِبُّ الْعِمَارَةَ ، وَيَقُولُ : إِنْ فِيهَا أُمُورًا مَحْمُودَةً ، فَأَوْلَاهَا عِمْرَانُ
الْأَرْضِ الَّتِي يَحْيَى بِهَا الْعَالَمَ ، وَعَلَيْهَا يَزْكُو الْخِرَاجُ ، وَتَكْثُرُ الْأَمْوَالُ ، وَتَعْمِشُ
الْبِهَائِمُ ، وَتُرَخَّصُ الْأَسْعَارُ ، وَيَكْثُرُ الْكَسْبُ ، وَيَتَسَّعُ الْمَعَاشُ ، وَكَانَ يَقُولُ
لَوْزِيرِهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : إِذَا وَجَدْتَ مَوْضِعًا مَتَى أَنْفَقْتَ فِيهِ عَشْرَةَ دِرَاهِمٍ
جَاءَنِي بَعْدَ سَنَةِ أَحَدِ عَشَرَ دِرْهَمًا فَلَا تُؤَامِرْنِي فِيهِ .

وَكَانَ الْمُعْتَصِمُ ذَا بَأْسٍ وَشِدَّةٍ [فِي جَسْمِهِ ، وَشَجَاعَةٍ] فِي قَلْبِهِ ، فَذَكَرَ
أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادَ - وَكَانَ بِهِ آنَسًا - قَالَ : لَمَّا أَنْكَرَ الْمُعْتَصِمُ نَفْسَهُ وَقُوَّتَهُ
دَخَلَتْ عَلَيْهِ يَوْمًا وَعِنْدَهُ ابْنُ مَاسُويَةَ ، فَقَامَ الْمُعْتَصِمُ فَقَالَ لِي : لَا تَبْرَحْ حَتَّى
أَخْرَجَ إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ لِيَحْيَى بْنِ مَاسُويَةَ : وَيْحَكَ ! إِنْ أَرَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
قَدْ حَالَ لُونُهُ ، وَنَقَصَتْ قُوَّتُهُ ، وَذَهَبَتْ سَوْرَتُهُ ، فَكَيْفَ تَرَاهُ أَنْتَ ؟
قَالَ : هُوَ وَاللَّهِ زُبْرَةٌ مِنْ زُبْرِ الْحَدِيدِ ، إِلَّا أَنْ فِي يَدَيْهِ فَأَسًا يَضْرِبُ بِهَا
تِلْكَ الزُّبْرَةَ ، فَقُلْتُ : وَكَيْفَ ذَاكَ ؟ قَالَ : كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ إِذَا أَكَلَ
السَّمَكَ اتَّخَذَ لَهُ صِبَاغًا مِنَ الْخَلِّ وَالْكَرَاوِيَا وَالْكَهْمُونَ وَالسَّدَابِ
وَالْكَرْفَسِ وَالْحَرْدَلِ [وَالْجُوزِ] فَأَكَلَهُ بِذَلِكَ الصَّبَاغِ ، يَدْفَعُ أَذَى السَّمَكِ
وَأَضْرَارَهُ بِالْعَصْبِ ، وَإِذَا أَكَلَ الرَّءُوسَ اتَّخَذَتْ لَهُ أَصْبَاغًا تَدْفَعُ أَذَاهَا
وَتَلَطِّفُهَا ، وَكَانَ فِي أَكْثَرِ أُمُورِهِ يَلَطِّفُ غِذَاءَهُ وَيَكْثُرُ مَشُورَتِي ، فَصَارَ
الْيَوْمَ إِذَا أَنْكَرْتُ عَلَيْهِ شَيْئًا خَالَفَنِي ، وَقَالَ : آكَلَ هَذَا عَلَى رَغْمِ أَنْفِ

ابن ماسويه [فما أقدر أن أصنع] ^(١)، قال : وهو خلف ^(٢) الستر يسمع ما نحن فيه ، فقلت : ويلك يا أبا يحيى ^(٣)!! أدخل أصبعك في عينيه ^(٤)، قال : جعلت فداك ، ما أقدر أرؤده ولا أجتريء عليه في خلاف ، فلما فرغ من كلامه خرج علينا المعتصم ، فقال لى : ما الذى كنت فيه مع ابن ماسويه ؟ قلت : ناظرته يا أمير المؤمنين فى لونك الذى أراه حائلا ، وفى قلة طعمك الذى قد هدّ جوارحى وأنحل ^(٥) جسمى ، قال : فما قال لك ؟ قلت : شكّا أنك كنت تقبل منه ما يشير به [عليك] وكنت ترى فى ذلك على ما يجب ، وأنت الآن تخالفه ، قال : فما قلت له أنت ؟ قال : فجعلت أصرف الكلام ، قال : فضحك وقال : هذا بعد ما دخل فى عينى أو قبل ذلك ؟ قال : فأرْفَضَضْتُ عَرَقًا ، وعاءت أنه قد سمع ما كنا فيه ، ورأى ما قد داخلنى ، فقال : يغفر الله لك يا أحمد ، لقد فرحت بما ظننت أنه أحزنك إذ سمعته وعلمت أنه نوع من أنواع الانبساط والآنس ^(٦) .

وكان المعتصم بآنس بعلى بن الجنيد الإسكافى ، وكان عجيب الصورة عجيب ^{المعتصم} وعلى بن الجنيد الحديث ، فيه سلامة أهل السواد ^(٧)، فقال المعتصم يوماً لمحمد بن حمّاد : اذهب بالغداة إلى [على] بن الجنيد ، فقل له يتهبأ حتى يزاملنى ، فأناه ، فقال : إن أمير المؤمنين يأمرك أن تزامله ، فتهبأ لشروط مراملة الخلفاء [ومعادلتهم] فقال على بن الجنيد : وكيف أتهبأ ؟ أهىء لى رأساً غير رأسى ؟ أأشترى لحية غير

- (١) زيادة فى ا وحدها .
 (٢) فى ا «والمعتصم خلف الستر»
 (٣) فى ب « ويحك يا يحيى »
 (٤) فى ا «أدخل أصبعك فى عينه»
 (٥) فى ب « وأحل جسمى »
 (٦) فى ا « الانبساط والبسط »
 (٧) فى ا « سلاسة أهل السواد » .

لحيتي ! أزيد في قامتي ! أنا متهيء وفضلة ، قال : لست تدري بعدُ
 ما شروط مزاملة الخلفاء ومعادلتهم ! فقال عليُّ بن الجنيد : وما هي ؟ هات
 يا من تدري^(١) ، قال له ابن حماد ، وكان أديباً ظريفاً ، وكان يرسم الحجابِ :
 شرط المعادلة الإمتاع^(٢) بالحدِيث والمذاكرة والمناولة ، وأن لا يبزق ،
 ولا يسعل ، ولا يتنحنجح ، ولا يمشط ، وألا يتقدم الرئيس في الركوب إشفاقاً
 عليه من الليل ، وأن يتقدمه في النزول ، فمتى لم يفعل المعادل هذا كان [هو]
 والمتفلة الرصاص التي تعدل بها القبة سَوَاءً ، وليس له أن ينام وإن نام
 الرئيس ، بل يأخذ نفسه بالتيقظ ، ومراعاة حال مَنْ هو معه وما هو راكبه ؛
 لأنهما إذا ناما جميعاً فمال جانب لا يشعر بميله كان في ذلك ما لا يخفاء به ،
 وعليُّ بن الجنيد ينظر إليه ، فلما أكثر عليه في هذا الوصف والشروط قطع
 عليه كلامه وقال كما يقول أهل السَّواد : آه حرها ، اذهب له فقل له :
 ما يُزَامِلُك إلا مَنْ أمه زانية وهو كَشْحَان^(٣) ، فرجع ابن حماد ، فقال
 للمعتصم ما قال ، فصحك المعتصم وقال : جئني به ، فجاءه ، فقال : يا عليُّ ،
 أبعث إليك تزامني فلا تفعل ؟ فقال : إن رسولك هذا الجاهل الأزعر^(٤)
 جاءني بشروط حَسَّان^(٥) الشائبي وخالويه المحاكي فقال : لا تبرزق ، ولا تفعل
 كذا ، وافعل كذا ، وجعل يمحطُّ في كلامه ، ويفرقع في صاداته^(٦) ،
 ويشير بيديه ، ولا تسعل ، ولا تعطس ، وهذا لا يقوم لي ، ولا أقدر عليه ،
 فإن رضيت أن أزاملك فإن جاءني الفُساء فسوتُ عليك وضرطتُ ، وإذا
 جاءك أنت فاده فافسُ واضرط ، وإلا فليس بيني وبينك عمل ، فضحك
 المعتصم حتى فحص برجليه ، وذهب به الضحك كل مذهب ، وقال : نعم
 زاملني على هذه الشريطة ، قال : نعم وكرامةً ، فزامله في قبة علي بغل ،
 فسارا ساعة ، وتوسَّطاً البر ، فقال علي : يا أمير المؤمنين حضر ذلك المتاعُ

(١) في ا هات ماتدري .

(٢) في ا « الامتناع » .

(٣) في ب « كشحان » بالمهمله .

(٤) في ا « الأرعن » .

(٥) في ا « جساس الشائبي » .

(٦) في ب « ويترفع من صاداته » .

فما ترى؟ قال: ذلك إليك إذا شئت، قال: تحضر ابن حماد، فأمر المعتصم بإحضاره، فقال له عليٌّ: تعال حتى أسارك، فلما دنا منه فسأ، وناوله كفه، وقال: أجد ديب شيء في كمي فانظر ما هو، فأدخل رأسه، فشم رائحة الكنيف، فقال: ما أرى شيئاً، ولكني لم أعلم أن في جوف ثيابك كنيفاً، والمعتصم قد غطى فيه بكمه، وقد ذهب به الضحك كل مذهب، ثم جعل يفسو فساً متصلاً، ثم قال لابن حماد: قلت لي لا تسعل ولا تبرق ولا تمخط، فلم أفعل ولكني أخرى عليك، قال: فانصل فساؤه والمعتصم يخرج رأسه من العمارية، ثم قال المعتصم: قد نضجت القدر، وأريد أخرى، فقال المعتصم ورفع صوته حين، كثر ذلك عليه: وَيْلَكَ! يا غلام الأرض، الساعة أموت.

ودخل عليُّ بن الجنيد الإسكافي يوماً على المعتصم فقال له بعد أن ضاحكه وهازله: يا عليُّ، مالي لا أراك وبلك!؟ أنسيت الصحبة وما حفظت المودة؟ فقال له حينئذٍ: بالغ الكلام الذي أريد أن أقوله قلته أنت، ما أنت إلا إبليس، فضحك، ثم قال: لم لا تجيئني؟ قال: آه، كم أجيء فلا أصل إليك، أنت اليوم نبيل، فكأنك من بني مارية^(١) وبنو مارية أناس من أهل السواد يضربُ بهم أهلُ السواد الأمثال لكبرهم في نفوسهم، فقال له المعتصم: هذا سندان التركي، وأشار إلى غلام على رأسه بيديه مذبةً، وقال له: يا سندان، إذا حضر عليٌّ فأعلمني وإن أعطاك رقعة فأوصلها إليّ، وإن حملك رسالة فأخبرني بها، قال: نعم يا سيدي، وانصرف [علي] فأقام أياماً ثم جاء يطلب سندان فقالوا: هو نائم، فانصرف ثم عاد، فقالوا: هو داخل، ولا تصل إليه، فانصرف وعاد، فقالوا: هو عند أمير المؤمنين، فاحتال حتى دخل عند المعتصم من جهة أخرى، فضاخكه ساعة وعاتبه، وقال له: يا عليّ، ألك حاجة؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين،

(١) في « من بني ماريه، وبنو مارية ».

إن رأيت سندان التركي فأقره مني السلام ، فضحك وقال : ما حاله ؟ قال : حاله أنك جعلت بيني وبينك إنساناً رأيتك قبل أن أراه ، وقد اشتقتُ إليه فأسألك أن تبلغه مني السلام ، فغلب المعتصم الضحك ، وجمع بينه وبين سندان [ثانية] وأكد عليه في مراعاة أمره ، فكان لا يمنع منه .

المعتصم
وشيوخ زلق
حمامه في الطين

وعبر المعتصم من سرٍّ من رأى من الجانب الغربي — وذلك في يوم مطيرٍ ، وقد تبع ذلك ليلة مطيرة — وانفرد من أصحابه ، وإذا حمام قد زلق ورمى بما عليه من الشوك ، وهو الشوك الذي توقد به التنانير بالعراق ، وصاحبه شيخٌ ضعيف واقف ينتظر إنساناً يمر فيعينه على حمله ، فوقف عليه ، وقال : مالك يا شيخ ؟ قال : فديتك ! حمارى وقع عنه هذا الحمل ، وقد بقيت أنظر إنساناً يعيننى على حمله ، فذهب المعتصم ليخرج الحمام من الطين ، فقال الشيخ : جعلت فداك تفسد ثيابك هذه وطيبك الذي أشمه من أجل حمارى هذا ؟ قال : لا عليك ، فنزل واحتمل الحمام بيد واحدة وأخرجه من الطين ، فبهت الشيخ وجعل ينظر إليه ويتعجب منه ، ويترك الشغل بحماره (١) ثم شدَّ عنان فرسه في وسطه وأهوى إلى الشوك وهو حزمٌ متانٍ فحملهما فوضعهما على الحمام ، ثم دنا من غدير ففسل يديه واستوى على فرسه ؛ فقال الشيخ السوادى : رضى الله عنك ، وقال بالنبطية : أشقل غرمى تاحوتكا (٢) ، وتفسير ذلك : فديتك يا شاب ، وأقبلت الخيول ، فقال لبعض خاصته : أعطِ هذا الشيخ أربعة آلاف درهم ، وكن معه حتى تجاوز به أصحاب المسالِح ، وتبلغ به قريته .

وفاة جماعة
من العلماء

وفي سنة تسع عشرة ومائتين كانت وفاة أبي نعيم الفضل بن دُكين مولى آل طلحة بن عبيد الله بالكوفة ، وبتر بن غيات المريسي ، وعبدالله ابن رجاء الغداني (٣) .

(١) في ١ « وقد ترك الشغل بحماره » .

(٢) هكذا في ١ ، وفي ب « اسعل فرمى بأجوافنا » .

(٣) في ب « العراق » .

محمد بن علي
ابن موسى
ابن جعفر

وفيها ضرب المعتصم أحمد بن حنبل ثمانية وثلاثين سوطاً ليقول بخلق القرآن. وفي هذه السنة - وهي سنة تسع عشرة ومائتين - قبض محمد بن علي ابن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وذلك لخمس خلون من ذي الحجة ، ودفن ببغداد في الجانب الغربي بمقابر قريش مع جده موسى بن جعفر ، وصلى عليه الواثق ، وقبض وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وقبض أبوه علي بن موسى الرضا ومحمد ابن سبع سنين وثمانية أشهر ، وقيل غير ذلك ، وقيل : إن أم الفضل بنت المأمون لما قدمت معه من المدينة إلى المعتصم سمته ، وإنما ذكرنا من أمره ما وصفنا لأن أهل الإمامة اختلفوا في مقدار سنه عند وفاة أبيه ، وقد أتينا على ما قيل في ذلك في رسالة «البيان ، في أسماء الأئمة» وما قالت في ذلك الشيعة من القطعية .

محمد بن القاسم ، العلوي

وفي هذه السنة - وهي سنة تسع عشرة ومائتين - أخاف المعتصم محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رحيم الله ، وكان بالكوفة من العبادة والزهد والورع في نهاية الوصف ، فلما خاف على نفسه هرب فصار إلى خراسان ، فتنقل من مواضع كثيرة من كورها كمر و سرخس والطاقان ونسا ، فكانت له هناك حروب وكوائن ، وانقاد إليه وإلى إمامته خلق كثير من الناس ، ثم حمله عبد الله ابن طاهر إلى المعتصم ، فحبسه في أزج اتخذه في بستان بسر من رأى ، وقد تنوزع في محمد بن القاسم ، فمن قائل يقول : إنه قتل بالسم ، ومنهم من يقول : إن ناساً من شيعته من الطالقان أتوا ذلك البستان فتأثروا^(١) للخدمة فيه من غرس وزراعة ، واتخذوا سلام من الحبال واللبود والطاقانية ونقبوا الأزج وأخرجوه فذهبوا به ، فلم يعرف له خبر إلى هذه الغاية ، وقد انقاد إلى إمامته خلق كثير من الزيدية إلى هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة - ومنهم خلق كثير يزعمون أن محمداً لم يمت ، وأنه حي يرزق ، وأنه يخرج فيملؤها عدلاً كما ملئت جوراً ، وأنه مهدي هذه الأمة ، وأكثر

(١) في ب « فتأثروا للخدمة فيه » .

هؤلاء بناحية الكوفة وجبال طبرستان والديلم وكثير من كور خراسان ،
وقول هؤلاء في محمد بن القاسم نحو قول رافضة الكيسانية في محمد بن
الحنفية ، ونحو من قول الواقفية في موسى [ابن موسى]^(١) بن جعفر ، وهم
المطورة ، بهذا تعرف هذه الطائفة من بين فرق الشيعة ، وقد أتينا على
وصف قولهم [في كتابنا] في «المقالات في أصول الديانات» ووصف قول
غلاتهم من المعنوية^(٢) وغيرهم من الحمديّة وسائر فرق أهل الباطل ممن قال
بتنقل الأرواح في أنواع الأشخاص من بهائم الحيوان وغيره في كتابنا
الترجم بكتاب سر الحياة .

جمع المعتصم
للأتراك

وكان المعتصم يحب جمع الأتراك وشراءهم من أيدي مواليهم ، فاجتمع له
منهم أربعة آلاف ، فألبسهم أنواع الديباج والمناطق المذهبة والحلية المذهبة ،
وأبانهم بالزى عن سائر جنوده ، وقد كان اصطنع قوما من حوف مصر ومن
حوف اليمن وحوف قيس ، فسماهم المغاربة ، واستعد^(٣) رجال خراسان من
الفراغنة وغيرهم من الأشروسية ، فكثرت جيشه ، وكانت الأتراك تؤذى العوام
بمدينة السلام بجريها الخيول في الأسواق وما ينال الضعفاء والصبيان من ذلك ،
فكان أهل بغداد ربما ثاروا ببعضهم فقتلوه عند صدّ مهلامرأة أو شيخ كبير أو
صبي أو ضرير ، فعزم المعتصم على النقلة منهم ، وأن ينزل في فضاء من الأرض ،
فنزّل البراذان^(٤) على أربعة فراسخ من بغداد ، فلم يستطع هواها ، ولا اتسع
له هواؤها ، فلم ينزل يتنقل ويتقرّى المواضع والأماكن إلى دجلة وغيرها حتى
انتهى إلى الموضع المعروف بالقاطول ، فاستطاب الموضع ، وكان هناك قرية
يسكنها خلق من الجرّامة وناس من النبط على النهر المعروف بالقاطول آخذاً من
دجلة ، فبنى هناك قصرأ وبنى الناس وانتقلوا من مدينة السلام ، وخلت من السكان

(١) هذا الاسم ساقط من ا . (٢) في ب «من العلوية» .

(٣) في ب «واستنقذ» ومعنى استعد : اتخذهم عدة له .

(٤) في ب «الراذان» .

إلا اليسير ، وكان فيما قاله بعض العيَّارين في ذلك معيراً للمعتصم بانتقاله عنهم :
أيا ساكن القاطول بين الجرّامقه تركت ببغداد الكباش البطارقة
ونالت من مع المعتصم شدة عظيمة لبرد الموضع وصلابة أرضه ، وتأذوا
بالبناء^(١) ؛ ففي ذلك يقول بعض من كان في الجيش :

قالوا لنا إن بالقاطول مشتانا فنحن نأمل صنع الله مولانا
الناس يأتمرون الرأي بينهم والله في كل يوم مُحَدِّثُ شانا

ولما تأذى المعتصم بالموضع وتعذر البناء فيه خرج يتقرّى الموضع ، فأنتهى
إلى موضع سامراً ، وكان هناك للنصارى دبرٌ عادي ، فسأل بعض أهل الدير
عن اسم الموضع ، فقال : يعرف بسامرا ، قال له المعتصم : وما معنى سامرا ؟
قال : نجدها في الكتب السالفة والأمم الماضية أنها مدينة سام بن نوح ،
قال له المعتصم : ومن أي بلاد هي ؟ وإلام تضاف ؟ قال : من بلاد طبرهان^(٢) ،
وإليها تضاف ، فنظر المعتصم إلى فضاء واسع تسافر فيه الأبصار ، وهواء
طيب ، وأرض صحيحة ، فاستمرأها واستطاب هواءها ، وأقام هنالك ثلاثاً
يتصيد في كل يوم ، فوجد نفسه تتوق إلى الغذاء ، وتطلب الزيادة على
العادة الجارية ، فعلم أن ذلك لتأثير الهواء والتربة [والماء] ، فلما استطاب
الموضع دعا بأهل الدير فاشترى منهم أرضهم بأربعة آلاف دينار ، وارتاد
لبناء قصره موضعاً فيها ، فأسس بنيانه ، وهو الموضع المعروف بالوزيرية
بسراً من رأى ، وإليها يضاف التين الوزيري ، وهو أعذب الأتيان وأرقها
قشراً ، وأصفرها حبا ، لا يبلغه تين الشام ، ولا يلحقه تين أرجان وحلوان^(٣) ،
فارتفع البنيان ، وأحضر له الفعلة والصناع وأهل المهن من سائر الأمصار ،
ونقل إليها من سائر البقاع أنواع الغروس والأشجار ، فجعل للأتراك قطائع
متحيزة ، وجاورهم بالفراغنة والأشروسية وغيرهم من مدن خراسان على

(١) في ب « وتأذوا ليالي » . (٢) في ب « طبرهات » .

(٣) في ب « ولاتين أهان وحلوان » .

قدر قريتهم منهم في بلادهم، وأقطع أشناس التركي وأصحابه من الأتراك الموضع المعروف بكرخ سامرا، ومن الفراغنة من أنزلهم الموضع المعروف بالعمري والجسر، واختطت الخطط، واقتطعت القطائع والشوارع والدروب، وأفرد أهل كل صنعة بسوق، وكذلك التجار، فبنى الناس، وارتفع البناء، وشيدت الدور والقصور، وكثرت العمارة، واستنبتت المياه، وجرت من دجلة وغيرها، وتسامع الناس أن دار ملك قد اتخذت، فقصدوها وأجهزوا إليها من أنواع الأمتعة وسائر ما ينتفع به الناس وغيرهم من الحيوان، وكثر العيش، واتسع الرزق، وشملهم الإحسان، وعمهم العدل [فاتسع الخصب، وأقبلت الأرض] وكان بدء ما وصفنا فيما فعله المعتصم سنة إحدى وعشرين ومائتين واشتد أمر بابك [الخرمي ببلاد الران والبيلقان، وكثرت غثرته في تلك البلاد] وسار عساكره نحو تلك الأمصار، ففرق الجيوش، وهزم العساكر، وقتل الولاة، وأفنى الناس، فسير إليه المعتصم الجيوش وعليها الأفشين، وكثرت حروبه واتصلت، وضاق بابك في بلاده حتى انفض جمع، وقتل^(١) رجاله، وامتنع بالجبل المعروف بالبدين^(٢) من أرض الران، وهي بلاد بابك، وبه يعرف هذا الموضع إلى هذا الوقت، فلما استشعر بابك منازل به وأشرف عليه هرب من موضعه، وزال عن مكانه، فتمكر هو وأخوه وولده وأهله ومن تبعه من خواصه، وقد تزيياً بزى السفر وأهل التجارة والقوافل، فنزل موضعاً من بلاد أرمينية [من أعمال سهل بن سنباط من بطارقة أرمينية] على بعض المياه، وبالقرب منهم راعي غنم، فابتاعوا منه شاة، وساموا شراء شيء من الزاد لهم، فمضى من فورِهِ إلى سهل بن سنباط الأرميني، فأخبره الخبر، وقال: هو بابك لاشك فيه، وقد كان الأفشين لما هرب بابك من موضعه وزال عن جبله خشي أن يعتصم ببعض الجبال المنيعة أو يتحصن ببعض القلاع، أو ينضاف إلى بعض الأمم القاطنة ببعض تلك الديار فيكثر جمعه وينضاف إليه فلأل عسكره، فيرجع إلى ما كان

خروج
بابك الحرمي

(١) في «وفل رجاله». (٢) في «بالبد» وفي شعر أبي تمام «البد».

من أمره ، فأخذه الطرق ، وكاتب البطارقة في الحصون والمواقع من بلاد
 أرمينية وأذربيجان والران والبيلقان ، وضمن في ذلك الرغائب ، فلما سمع
 سهل بن سنباط من الراعي ما أخبره به سار من فورِهِ فيمن حضره من عدده
 وأصحابه حتى أتى الموضع الذي فيه بابك ، فترجّل له ، ودنا منه ، وسلم عليه
 بالملك ، وقال له : أيها الملك ، قم إلى قصرك الذي فيه وليك وموضع يمنعك
 الله فيه من عدوك ، فسار معه إلى أن أتى قلعته ، وأجلسه على سريرهِ ،
 ورفع منزلته ، ووطأ له منزله ومن معه ، وقدمت المائدة ، وقعد سهل
 يأكل معه ، فقال له بابك - بحمائه^(١) وقلة معرفته بما هو فيه وما دفع إليه - :
 أمثلك يأكل معي ؟ ! فقام سهل عن المائدة ، وقال : أخطأت أيها الملك ،
 وأنت أحق من احتمل عبده ؛ إذ كانت منزلتي ليست بمنزلة من يأكل
 مع الملوك ، وجاءه بحداد ، وقال له : مدّرجلك أيها الملك ، وأوثقه بالحديد ،
 فقال له بابك : أغدراً يا سهل ؟ ! قال : يا ابن الخبيثة إنما أنت راعي غنم
 وبقر ، ما أنت والتدبير للملك ونظم السياسات وتدبير الجيوش ؟ ! وقيد
 من كان معه ، وأرسل إلى الأفشين يخبره الخبر ، وأن الرجل عنده^(٢) ،
 فسرح إليه الأفشين أربعة آلاف فارس عليهم الحديد ، وعليهم خليفة يقال له
 بوماده ، فتسلموا بابك ومن معه ، وأتى به إلى الأفشين ومعه سهل بن سنباط ،
 فرفع الأفشين منزلة سهل ، وخلع عليه ، وجمله ، وتوجه ، وقاد بين يديه ،
 وأسقط عنه الخراج ، فأطلقه ، وأطلقت الطيور إلى المعتصم ، وكتب إليه
 بالفتح ، فلما وصل إليه ذلك ضجّ الناس بالتكبير ، وعمّم الفرّح ، وأظهروا
 السرور ، وكتبت الكتب إلى الأمصار بالفتح ، وقد كان أفنى عساكر
 السلطان ، فسار الأفشين ببابك ، وتنقل بالعساكر ، حتى أتى سرّ من
 رأى ، وذلك سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، وتلقى الأفشين هرون بن المعتصم
 وأهل بيت الخلافة ورجال الدولة ، ونزل بالموضع المعروف بالقاطول على
 خمسة فراسخ من سامرا ، وبعث إليه بالفيل الأشهب ، وكان قد حمله بعض

(١) في « بعثوه وجبروته » .

(٢) في « وأن الرجل في يده ، فلما اتصل بالأفشين سرح إليه بأربعة آلاف » إلخ .

ملوك الهند إلى المأمون ، وكان فيلا عظيما قد جمل بالديباج الأحمر والأخضر وأنواع الحرر الملون ، ومعه ناقه عظيمة ^(١) بُحْتِيَّةٌ قد جلت بما وصفنا ، وحمل إلى الأفشين دُرَاعَةَ من الديباج الأحمر منسوجة بالذهب قد رُصِّعَ صدرها بأنواع الياقوت والجوهر ، ودراعة دونها ، وقلنسوة عظيمة كالبرنس ذات سفاسك بألوان مختلفة ، وقد نظم على القلنسوة كثير من اللؤلؤ والجوهر ، وألبس بابك الدراعة [الجليلة] ، وألبس أخوه الأخرى ، وجعلت القلنسوة على رأس بابك ، وعلى رأس أخيه نحوها ، وقُدِّمَ إليه الفيل ، وإلى أخيه الناقة ، فلما رأى صورة الفيل استعظمه وقال : ما هذه الدابة العظيمة ؟ واستحسن الدراعة ، وقال : هذه كرامة ملك عظيم جليل ، إلى أسير فقد العز ذليل ، أخطأته الأقدار ، وزالت عنه الجدود ، وتورَّطته المحن ^(٢) ، إنها لفرجة تقتضى ترحة ، وضرب له المصاف صفيين في الخيل والرجال والسلاح والحديد والرايات والبنود ، من القاطول إلى سامرًا ، مدد واحد متصل غير منفصل ، وبابك على الفيل وأخوه وراءه على الناقة ، والفيل يخطر بين الصفيين به ، وبابك ينظر إلى ذات اليمين وذات الشمال ، ويميز الرجال والعُدَدَ ، ويظهر الأسف والحنين على ما فانه من سفك دماءهم ، غير مستعظم لما يرى من كثرتهم ، وذلك يوم الخميس لليلتين خلتا من صفر سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، ولم ير الناس مثل ذلك اليوم ، ولا مثل تلك الزينة ، ودخل الأفشين على المعتصم فرفع منزلته ، وأعلى مكانه ، وأنى بيابك فطَوَّفَ به بين يديه ، فقال له المعتصم : أنت بابك ؟ فلم يجب ، وكررها عليه مراراً ، وبابك ساكت ، فقال إليه الأفشين وقال : الويل لك ! أمير المؤمنين يخاطبك وأنت ساكت ؟ فقال : نعم أنا بابك ، فسجد المعتصم عند ذلك ، وأمر بقطع يديه ورجليه .

قال المسعودي : ورأيت في كتاب أخبار بغداد أنه لما وقف بابك بين يديه لم يكلمه مَلِيًّا ، ثم قال له : أنت بابك ؟ قال : نعم ، أنا عبدك وغلأمك ،

(٢) في «أورطته المحن» .

(١) في ب «نجية»

وكان اسم بابك الحسن^(١) ، واسم أخيه عبد الله ، قال : جَرَّدُوهُ ، فسَلَبَهُ
الخدَّامُ ما عليه من الزينة ، وقطعت يمينه ، وضرب بها وجهه ، وفعل مثل
ذلك بيساره ، وثلث برجليه ، وهو يتمرغ في النطع في دمه ، وقد كان
تكلم بكلام كثير يرغب في أموال عزيمة قبله ، فلم يلتفت إلى قوله ،
وأقبل يضرب بما بقي من زنديه وجهه ، وأمر
سياف أن يدخل
السيف بين ضلعين من أضلاعه أسفل من القلب ليكون أطول لعذابه ،
ففعل ، ثم أمر بجز لسانه^(٢) وصلب أطرافه مع جسده [فصلب] ثم حمل
الرأس إلى مدينة السلام ، ونصب على الجسر ، وحمل إلى خراسان بعد
ذلك ، يطاف به كل مدينة من مدنها وكورها ، لما كان في نفوس الناس
من استفحال أمره ، وعظم شأنه ، وكثرة جنوده ، وإشرافه على إزالة
ملك وقلب ملة وتبديلها ، وحمل أخوه عبد الله مع الرأس إلى مدينة السلام ،
ففعل به إسحاق بن إبراهيم أميرها ما فعل بأخيه بابك بسامرا ، وصلبت
جثة بابك على خشبة طويلة في أقاصي سامرا ، وموضعه مشهور إلى هذه
الغاية يعرف بخشبة^(٣) بابك ، وإن كانت سامرا في هذا الوقت قد خلا
منها ساكنها ، وبأن عنها قاطناتها ، إلا يسيراً من الناس في بعض المواضع بها.
ولما قتل بابك وأخوه وكان من أمره ما تقدم ذكره قام في مجلس
المعتصم الخطباء فتكلموا ، وقالت الشعراء : فمن قام في ذلك اليوم إبراهيم
ابن المهدي فقال شعراً بدلاً من الخطبة ، وهو :

يا أمين الله ، إن الحمد لله كثيراً^(٤)
هكذا النصر فلا زال لك الله نصيراً
وعلى الأعداء أعطيت من الله ظهيراً
وهنيئاً هيأ الله لك الفتح الخطيراً
فهو فتح لم ير الناس له فتحاً نظيراً

(١) في ب « الحسين » .

(٢) في ا « ثم أمر بجز رأسه وضم أطرافه إلى جسده » .

(٣) في ب « بكنيسة بابك » . (٤) في ا « يا أمير المؤمنين الحمد لله كثيراً » .

وَجَزَى الْأَفْشِينَ عَبْدًا لَللَّهِ خَيْرًا وَحُبُورًا
فَلَمَّا لَاقَى بِهِ بَا بَكَ يَوْمًا قَمَطَرِيرًا
ذَاكَ مَوْلَاكَ الَّذِي الْأَفْيَئَةُ جَدًّا صَبُورًا
لَكَ حَتَّى ضَرَجَ السَّيْفَ لَهُ خَدًّا نَضِيرًا
ضَرْبَةً أَلْقَتْ عَلَى الدَّهْرِ لَهُ فِي الْوَجْهِ نُورًا

وتوج الأفشين بتاج من الذهب مرصع بالجوهر ، وإكليل ليس فيه من الجواهر إلا الياقوت الأحمر والزمرد الأخضر قد شبك بالذهب ، وألبس وشاحين ، وزوج المعتصم الحسن بن الأفشين بأترجة بنت أشناس ، وزفت إليه ، وأقيم لها عرسٌ يجاوز المقدار في البهاء والجمال ، وكانت توصف بالجمال والكمال ، ولما كان من ليلة الزفاف ما عم سروره خواص الناس وكثيراً من عوامهم ، قال المعتصم أبياناً يصف حسنهما وجمالهما واجتماعهما ، وهي :

زفت عروسٌ إلى عروسٍ بنت رئيس إلى رئيس
أيهما كان ليت شعري أجل في الصدر والنفوس
أصاحب المرهف المحلى أم ذو الوشاحين والشُموس^(١)

وفي هذه السنة - وهي سنة ثلاث وعشرين ومائتين - خرج توفيل^(٢) غزو الروم زبطرة ملك الروم في عساكره ومعه ملوك برجان والبرغر والصقالبة ، وغيرهم ممن جاورهم من ملوك الأمم ، حتى نزل على مدينة زبطرة من الثغر الخزري^(٣) ، فافتتحها بالسيف ، وقتل الصغير والكبير [وسجى] وأغار على بلاد ملطية ، فضج الناس في الأمصار ، واستغاثوا في المساجد والديار ، فدخل إبراهيم بن المهدي على المعتصم ، فأنشده [قائماً] قصيدةً طويلةً يذكر فيها ما نزل بمن وصفنا [ويحضه على الانتصار] ويحثه على الجهاد ، فمنها :

(١) في ب «أصاحب المذهب المحلى» . (٢) في ب «توفيل» .

(٣) في ب «من الثغر الجورى» .

يا غارة الله قد عاينت فاتهكي هتك النساء وما منهن يرتكب^(١)
 هب الرجال على أجزامها قتلت ما بال أطفالها بالذبح تنتهب
 وإبراهيم بن المهدي أول من قال في شعره « يا غارة الله^(١) » .
 فخرج المعتصم من فوره نافرأ عليه دراعة من الصوف بيضاء ، وقد تععم
 بعمامة الغزاة ، فمسكر في غربي دجلة ، وذلك يوم الاثنين ، لليلتين خلتا من
 جمادى الأولى من سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، ونصبت الأعلام على الجسر ،
 ونودي في الأمصار بالنفير والسير مع أمير المؤمنين ، فسارت إليه العساكر
 والمطوعة من سائر الإسلام ، وجعل على مقدمته أشناس التركي ، ويتلوه محمد
 ابن إبراهيم ، وعلى ميمنته إبتاخ التركي ، وعلى يسرته جعفر بن دينار [الخياط]
 وعلى ساقته بغا الكبير [ويتلوه دينار بن عبد الله] وعلى القلب عجيف ،
 وسار المعتصم من الثغور الشامية ، ودخل من درب السلامة ، ودخل الأفسين
 من درب الحدث^(٢) ، ودخل الناس من سائر الدروب ، فلم يكن يحصى الناس
 العدد ، ولا يضبطون كثرة ، فمن مكث ومقل ؛ فالكثير يقول : خمسمائة
 ألف ، والمقل يقول : مائتي ألف . ولقي ملك الروم الأفسين ، فجاربه
 فهزمه الأفسين ، وقتل أكثر بطارقه وأصحابه ، وحماه رجل من المتنصرة
 يقال له نصير في خلق من أصحابه ، وقد كان الأفسين قصر عن أخذ الملك
 في ذلك اليوم حين ولى ، وقال : هو ملك ، والملوك تبتقى بعضها على بعض ،
 وفتح المعتصم حصونا كثيرة ، ونزل على مدينة عمورية ، ففتحها الله على
 يديه ، وخرج إليه لاوى البطريق منها ، وسلهأ إليه ، وأسر البطريق
 الكبير منها ، وهو باطس ، وقتل منها ثلاثين ألفا ، وأقام المعتصم عليها
 أربعة أيام يهدم ويحرق ، وأراد المسير إلى القسطنطينية ، والنزول على
 خليجها ، والحيلة في فتحها برأ وبجرأ ، فأتاه ما أزعجه وأزاله عما كان عزم
 عليه من أمر العباس بن المأمون ، وأن ناسا قد بايعوه ، وأنه كاتب طاغية
 الروم ، فأعجل المعتصم في مسيره وحبس العباس وشيعته .

(٢) في ب « درب الحارث » .

(١) في ا « يا غيرة الله » .

وفي هذه السنة مات العباس بن المأمون .

وفي سنة خمس وعشرين ومائتين أدخل المازيار بن قارن^(١) بن بندار هرمس صاحب جبال طبرستان إلى سامرا [وقد كان اصطنعه المأمون ، فعصى في أيام المعتصم ، وكثرت عساكره ، واتسعت جيوشه ، وكتب المعتصم إليه بأمره بالحضور ، فأبى ، فكتب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر بأمره بحربه ، فسير إليه من نيسابور عمه الحسن بن الحسين بن مصعب ، فنزل مدينة السارية من بلاد طبرستان ، بعد حروب كثيرة كانت له مع المازيار ، وأنت الحسن ابن الحسين عيونهُ بركوب محمد بن قارن - وهو المازيار - إلى الصيد في نفر سير ، فبادره الحسن وناوشه الحرب ، فأمر وحمل إلى سامرا] فأقر على الأفشين : أنه بعثه على الخروج والعصيان ، لمذهب كانوا اجتمعوا عليه ، ودين اتفقوا عليه من مذاهب الثنوية والمجوس ، وقبض على الأفشين قبل قدوم المازيار [بسامرا] بيوم ، وأقر عليه كاتبه يقال له : سابور ، فضرب المازيار بسوط حتى مات ، بعد أن شهر وصلب إلى جانب بابك ، وقد كان المازيار رَغَبَ المعتصم في أموال كثيرة يحملها [إليه] إن هو منَّ عليه بالبقاء ، فأبى قبول ذلك ، وتمثل :

إنَّ الأسود أسود الغيل همتهما يوم الكريهة في المَسْلُوب لا السلب
ومالت خشبة مازيار إلى خشبة بابك ، فتدانَت أجسامهما ، وقد كان
صلب في ذلك الموضع باطس بطريق عمورية ، وقد انحنت نحوهما خشبته ،
ففي ذلك يقول أبو تمام حبيب بن أوس من كلمة له :

ولقد شفى الأحشاء من بُرْحَائِهَا إذ صار بَابُكَ جَارَ مَازِيَّارِ
ثانيه في كِبِدِ السَّمَاءِ ، ولم يكن لاثنين ثَانٍ إذ هُمَا في الغار
فكَأَنَّهَا أَنَحْنِيَا لَكَيْمَا يَطْوِيَا عن باطس خيراً من الأخبَارِ
ومات الأفشين في الحبس بعد أن جمع بينه وبين مازيار ، فأقر عليه ، وأخرج

الأفشين ميتا ، فصلب بباب العامة ، وأحضرت أصنام زعموا أنها كانت حملت إليه ، فألقيت عليه ، وأضرمت النار ، فأنت على الجميع .

وفي سنة ست وعشرين ومائتين مات أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي ، وكان سيد أهله ، ورئيس عشيرته ، من عجل وغيرها من ربيعة ، وكان شاعراً مجيداً ، وشجاعاً بطلاً ، وغنياً مصيباً ، وهو القائل :

يوماً ترانى على طمرٍ ترهبنى الأجل الرواسي

ويوم لهو أحت كاسا وخلف أذنى قضيب آس

وذكر أن أبا دلف طعن فارساً ، فنذت الطعنة إلى أن وصل السنان إلى فارس آخر كان من خلفه فقتلها ؛ ففي ذلك يقول بكر بن النطاح من كلمة له :

قالوا : وينظم فارسين بطعنة يوم الهياج ولا نراه كليلا

لا تعجبوا فلو أن طول قناته ميل إذا نظم الفوارس ميلا

وذكر عيسى بن أبي دلف أن أخاه دلف - وبه كان يكنى أبوه أبا دلف - كان ينتقص على بن أبي طالب ، ويضع منه ومن شيعته ، وينسبهم إلى الجهل ، وأنه قال يوماً - وهو في مجلس أبيه ، ولم يكن أبوه حاضراً - : إنهم يزعمون أن لا ينتقص علياً أحد إلا كان لغير رشدة ، وأنتم تعلمون غيرة الأمير ، يعني أباه ، وأنه لا يتهياً الطعن على أحد من حرمة ، وأنا أبغض علياً ، قال : فما كان بأوشك من أن خرج أبو دلف ، فلما رأيناه قمنا له ، فقال : قد سمعت ما قاله دلف ، والحديث لا يكذب ، والخبر الوارد في هذا المعنى لا يختلف ، هو وَاللَّهِ لَزَنِيَّةٍ وَحَيُّضَةٍ ، وذلك أني كنت عليلاً فبعثت إلى أختي جارية لها ، كنت بها معجباً ، فلم أتمالك أن وقعت عليها وكانت حائضاً فعلقت به ، فلما ظهر حملها وهبتها لي .

فبلغ من عداوة دلف هذا لأبيه ونصبه ومخالفته له لأن الغالب على أبيه التشيع

عداوة أبي دلف وابنه والميل إلى علي أن شنع عليه بعد وفاته ، وهو ما حدث به [محمد بن علي] القوهستاني (١)

(١) في ب « الفرهيستاني » محرفاً .

قال : حدثنا دُلفُ بن أبي دلف ، قال : رأيت في المنام آتياً أتاني بعد موت أبي ، فقال لي : أَجِبِ الأمير ، فقممت معه ، فأدخلني داراً وَحْشَةً وَعَرَّةً ، وأصعدني على درج منها ، ثم أدخلني غرفة في حيطانها أثر النار ، وفي أرضها أثر الرماد ، وإذا به عُرْيَانٌ واطع رأسه بين ركبتيه ، فقال كالمستفهم : دُلفُ ؟ قلت : دُلفُ ، فأنشأ يقول :

فلو أنا إذا مُتُّنَا تَرَكْنَا لكان الموت راحة كل حيٍّ

ولكننا إذا مُتُّنَا بُعِثْنَا ونُسأل بعده عن كل شيء

ثم قال : أفهمت ؟ قلت : نعم ، وانتهت .

موت جماعة
من العلماء

وفي خلافة المعتصم — وذلك في سنة أربع وعشرين ومائتين — مات جماعة من نَقَلَةِ الأخبار وَعِلْيَةِ أصحاب الحديث : منهم عمرو بن مرزوق الباهلي البصري ، وأبو النعمان حازم بن محمد بن الفضل السدوسي ، وأبو أيوب سليمان بن حرب الواشجي البصري من الأزدي ، وسعيد بن الحكم بن أبي مريم البصري ، وأحمد بن عبد الله الغداني ، وسليمان الشاذكوني ، وعلى المدني .

وفي سنة سبع^(١) وعشرين ومائتين مات بِشْرُ الخافي ببغداد ، وكان من بلاد مَرَوَ ، وأبو الوليد هشام بن عبد الملك الطيالسي بالبصرة ، وهو ابن ثلاث وتسعين سنة ، وعبد الله بن عبد الوهاب الجمحي ، وإبراهيم بن يسار الرمادي ، وقيل : إن فيها كانت وفاة محمد بن كثير العبدي ، والصحيح أن وفاته كانت في سنة ثلاث وعشرين ومائتين .

قال المسعودي : وفي سنة سبع وعشرين ومائتين كانت وفاة المعتصم ، على دجلة في قصره المعروف بالخاقاني ، يوم الخميس لثماني عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول ، وقيل : لساعتين من ليلة الخميس ، وهو ابن ثمان

(١) في ب « وفي سنة تسع وعشرين » وليس بشيء ؛ فإن وفاة بشر — على ما ذكره ابن خلكان — كانت سنة ٢٢٧ وقيل سنة ٢٢٦ .

وأربعين سنة ، وقيل : ست وأربعين سنة ، على ما قدّمنا في صدر هذا الباب ، وكان مولده بالخلد ببغداد سنة ثمانين^(١) ومائة في الشهر الثامن من السنة ، وهو ثامن الخلفاء ، والثامن من ولد العباس ، ومات عن ثمانية بنين ، وثمان بنات .

وللمعتصم أخبار حسان ، وما كان من أمره في فتح عمورية ، وما كان من حرّوبه قبل الخلافة في السفارة^(٢) نحو الشام ومصر ، وغير ذلك ، وما كان منه بعد الخلافة ، وما حكي عنه من حسن السيرة واستقامة الطريقة أحمد^(٣) بن أبي دُوَاد القاضى ، ويعقوب بن إسحاق^(٤) الكندى ، في لمع أوردها في رسالته المترجمة بسبيل الفضائل ، وقد أتينا على جميع ذلك في كتابنا في « أخبار الزمان » والكتاب الأوسط ، وقد ذكرنا في هذا لمعاً منبهة على ما سلف ، وباعثة على درس ما تقدم .

(١) في ب « في سنة ثمان وسبعين ومائة ، ولا يتفق مع ما ذكره في صدر هذا الباب ، وما أثبتناه عن ايواقه ، فقد ذكر هناك أنه بوجع في سنة ٢١٨ وهو ابن ثمان وثلاثين سنة

(٢) في ب « في أسفاره » .

(٣) في ب « ابن دواد القاضى » ولم يذكر فيها اسمه

(٤) في ب « ويعقوب بن الليث الكندى » .

ذكر خلافة الواثق بالله

وبوبع هارون بن محمد بن هارون الواثق بالله ، ويكنى بأبي جعفر ،
وأمه أم ولد رومية ، وتسمى قرطيس ، وذلك في اليوم الذي كانت فيه
وفاة المعتصم ، وهو يوم الخميس لثماني عشرة ليلة خلت من ربيع الأول
سنة سبع وعشرين ومائتين ، وبوبع وهو ابن إحدى وثلاثين سنة وتسعة
أشهر [وتوفي بسامرا وهو ابن سبع وثلاثين سنة وستة أشهر] ، وكانت
خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً ، وقيل : إنه توفي
في يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ،
وهو ابن أربع وثلاثين سنة ، ووزيره محمد^(١) بن عبد الملك ، على حسب
ما قدمنا في أيام المعتصم من هذا الكتاب ، والتواريخ متباينة في مقادير
أعمارهم وأيامهم في الزيادة والنقصان .

(١) في « ولى وزارته محمد بن عبد الملك » .

ذكر لمع من أخباره وسيره ، ولمع مما كان في أيامه

صفات الواثق كان الواثق كثير الأكل والشرب ، واسع المعروف ، متعظفاً على أهل بيته ، متفقداً لرعيته ، وسلك في المذهب مذهب^(١) أبيه وعمه من القول بالعدل .

غلب عليه اثنان
وغلب عليه أحمد بن أبي دؤاد^(٢) ، ومحمد بن عبد الملك الزيات ، فكان لا يصدُر إلا عن رأيهما ، ولا يعتب^(٣) عليهما فيما رأياه ، وقلدهما الأمر^(٤) وفوض إليهما ملكه .

أعرابي يصف الواثق وأعوانه
وذكر أبو تمام حبيب بن أوس الطائي الجاسمي ، نسبة إلى جاسم - وهي قرية من أعمال دمشق بين بلاد الأردن ودمشق بموضع يعرف بالجولان ، ويعرف بجاسم على أميال من الجابية وبلاد نوى ، وهي من مراعي أيوب عليه السلام - قال : خرجت في [أول] أيام الواثق إلى سُرٍّ من رأي ، فلما قربت منها لقيني أعرابي ، فأردت أن أعلم خبر العسكر منه ، فقلت : يا أعرابي ، ممن أنت ؟ قال : من بني عامر ، قلت : وكيف علمك بعسكر أمير المؤمنين قال : قتل أرضاً عالمها ، قلت : ما تقول في أمير المؤمنين ؟ قال : وثق بالله فكفاه ، أشجى العاصية ، وقصم العادية ، وعدل في الرعية ، ورغب عن كل ذي جناية ، قلت : فما تقول في أحمد بن أبي دؤاد^(٢) ؟ قال : هَضْبَةٌ لا تُرام ، وجبل لا يضام ، تشخذ له المدى ، وتنصب له الجبائل ، حتى إذا قيل قد هلك وئب وئبة الذئب ، وختل ختلة الضب ، قلت : فما تقول في محمد بن عبد الملك الزيات ؟ قال : وسع الداني شره ، ووصل إلى البعيد ضره ، له في كل يوم صريع لا يرى فيه أثر نابٍ ولا مخلب ، قلت : فما تقول في عمرو بن فرج ؟ قال : ضخم نهم ، استعذب الدم ، ينصبه القوم تروساً للوغى ، قلت : فما تقول في الفضل بن مروان ؟ قال : رجل نبشَ بعد ما قبر ، ليس تعدُّ له حياة

(١) في « طريقة أبيه » (٢) في ب « أحمد بن أبي داود » محرفاً .

(٣) ب في « ولا يعاب عليهما » (٤) في ا « وقلدهما أمره » .

في الأحياء ، وعاليه خَفْتَمَةُ الموتى ، قلت : فما تقول في أبي الوزير ؟ قال : تخاله
كبش الزنادقة ، أما تراه إذا أخمله^(١) الخليفة سَمِين وَرَتَعَ ، وإذا هزّه أمطر
فأمرَع ، قلت : فما تقول في أحمد بن الحصيب ؟ قال : ذاك أكل أكلة نهم ،
فزرَق زرقه بشم ، قلت : فما تقول في إبراهيم أخيه ؟ قال : أموات غير أحياء
وما يشعرون أيَّانَ يبعثون ، قلت : فما تقول في أحمد بن إبراهيم^(٢) ؟ قال :
لله دره ! أى فاعل هو ؟ وأى صابر هو ؟ اتخذ الصبر دثاراً ، والجود شعاراً ،
[وأهون عليه بهم] ، قلت : فما تقول في المعلى^(٣) بن أيوب ؟ قال : ذاك رجل
خير ، نصيح السلطان ، عفيف اللسان ، سلم من القوم وسلموا منه ، قلت :
فما تقول في إبراهيم بن ربّاح ؟ قال : ذاك رجل أوثقه كرمه ، وأسلمه فضله ،
وله دعاء لا يسلمه ، ورب لا يخذله ، وفوقه خليفة لا يظلمه ، قلت : فما تقول
في الحسن ابنه ؟ قال : ذاك عود نُضَار ، غُرس في منابت الكرم ، [حتى إذا
اهتزَّ حصدوه]^(٤) ، قلت : فما تقول في نجاح بن سادة ؟ قال : لله دره !
أى طالب وتر ، ومدرك ثار ؟ يلتهب كأنه شعلة نار ، له من الخليفة
في الأحيان جلسة تزيل نعماً ، وتُحِلُّ نعماً ، قلت : يا أعرابي ، أين منزلك
حتى آتيتك ؟ قال : اللهم غفراً مالى منزل ، أنا أشتغل النهار ، وألتحف
الليل ، فحيثما أدركنى الرقاد رقدتُ ، قلت : فكيف رضاك عن أهل
العسكر ؟ قال : لا أخلق وجهى بمسألتهم ، إن أعطوني لم أحمدهم ، وإن
منعوني لم أذمهم ، وإني كما قال هذا الغلام الطائى :
وما أبالى وخَيْرُ القول أصدقه حَقَنْتَ لى ماء وجهى أوحقنت دمي

(١) في « أهمله الخليفة » (٢) في ب « أحمد بن إسرائيل » .
(٣) في مكان ذكر المعلى بن أيوب في ا وقع ما بلى « قلت : فما تقول في سلمان
بن وهب ؟ قال : ذلك رجل السلطان ، وبهاء الديوان ، قلت : فما تقول في أخيه
الحسن ؟ قال : عود نضير ، غرس في منابت الكرم ، حتى إذا اهتز لهم حصدوه » ثم
يليه السؤال عن إبراهيم بن ربّاح كما هنا عن ب (٤) وقع ما بين الحاصرتين
سؤالاً عن الحسن بن وهب كما سمعت فيما ذكرناه ، وتقدم على إبراهيم بن ربّاح .

قلت : فأنا قائل هذا الشعر ، قال : أئنك أنت الطائي ؟ قلت : نعم ،
قال : لله أبوك ، وأنت القائل :

ما جودُ كَفِّكَ إن جادت وإن بخلت من ماء وجهي وقد أخلقتَه عِوَضُ

قلت : نعم ، قال : أنت أشعر أهل زمانك .

[وفي رواية أخرى ليست في الكتاب : قلت : أنشدني شيئاً من

شعرك ، فأنشدني :

أقول وجنح الدجا مُلبِّدُ وَلَلَّيْلِ فِي كُلِّ فَجٍّ يَدُ

ونحن ضجيعان في مُجَسَّدُ فَالله ما ضَمَّنَ المَجَسَّدُ

فيا غَدُ إن كُنْتَ بي مُحْسِنًا فلا تَدُنْ من ليلتي يا غَدُ

ويا ليلة الوصل لا تنفدى كما ليلة الهجر لا تنفدُ

فقلت : لله أبوك !! [(١)] ورددته معي حتى لقيت ابن أبي دُوَادٍ وحدثته

بخبيره ، فأوصله إلى الواثق ، فأمر له بألف دينار ، وأخذ له من سائر
الكتاب وأهل الدولة ما أغناه به ، وأغنى عقبه بعده .

وهذا الخبر فخرجه عن أبي تمام ، فإن كان صادقاً فيما قال ، ولا أراه ،
فقد أحسن الأعرابي في الوصف ، وإن كان أبو تمام هو الذي صنعه وَعَزَّاهُ
إلى هذا الأعرابي فقد قَصَّرَ في نظمه ، إذ كانت منزلته أكبر من هذا .

وكانت وفاة أبي تمام بالموصل سنة ثمان وعشرين ومائتين ، وكان
أبو تمام الطائي خليعاً ماجناً [في بعض أحواله] ، وربما أداه ذلك إلى ترك موجبات
فرضه ، تماجناً لا اعتقاداً .

وحدث محمد بن يزيد المبرد ، عن الحسن بن رجاء ، قال : صار إلى
أبو تمام وأنا بفارس ، فأقام عندي مقاماً طويلاً ، ونمى إلى من غير وجه
أنه لا يصلي ، فوكلت به مَنْ يراعيه ، ويتفقده في أوقات الصلاة ، فوجدت
الأمر على ما اتصل بي عنه ، فعاتبته على فعله ذلك ، فكان من جوابه أن
قال : أتراني أنشط للشخوص إليك من مدينة السلام وأتجشم هذه الطرقات

(١) سقط ما بين الحاصرتين من ا .

الشاقة ، وأكسل عن ركعات لا مثنونة على فيها ، لو كنت أعلم أن لمن صلاها ثواباً أو على من تركها عقاباً ، قال : فهمت والله بقتله ، ثم تخوفت أن يصرف الأمر إلى غير جهته ، وهو القائل :

وأحق الأنام أن يقضي الدين امرؤ كان للإله غريباً

وهذا قول مباين لهذا الفعل ، والناس في أبي تمام في طرفي نقيض : متعصب له يعطيه أكثر من حقه ، ويتجاوز به في الوصف قدره ، ويرى أن شعره فوق كل شعر ، أو منحرف له معاند ، فهو ينفى عنه حسنه ، ويعيب مختاره ، ويستقبح المعاني الظريفة التي سبق إليها وتفرد بها .

وذكر عبد الله بن الحسن بن سعد^(١) ، أن المبرد قال : كنت في مجلس القاضي أبي إسحاق إسماعيل بن إسحاق ، وحضر جماعة سَمَّاهم منهم الحارثي الذي قال فيه علي بن الجهم الشامي :

لم يَطْلُعْ إِلَّا لِآبِدَةِ الْحَارِثِيِّ وَكَوْكَبِ الذَّنْبِ

فجرى ذلك الشعر وإن كان الكلام تسلسل إلى ذكر أبي تمام وشعره ، وأن الحارثي أنشد لأبي تمام معاتبة أحسن فيها ، وأن المبرد استحيا أن يستعيد الحارثي الشعر ، أو يكتبه منه لأجل القاضي ، قال ابن سعد^(١) : فأعلت المبرد أني أحفظ الشعر ، فأنشدته إياه ، فاستحسنه واستعاده مني مراراً حتى حفظه مني ، وهو :

جعلت فداك ! عبدُ الله عندي بعقب النأي عنه والبعد

له لُعة من الفتيات بيض قَضَوْا حق الصداقة والوداد

دعوتهمُ عليك وَكُنْتُ ممن أَنَادِيهِ على الثوبِ الشداد^(٢)

قال : وسألته عن أبي تمام والبحثري أيهما أشعر ؟ قال : لأبي تمام

(١) في ب « الحسن بن سعدان عن المبرد » .

(٢) كذا في ديوان أبي تمام ، وفي الأصول * يعينه على الفقر الجياد * .

استخراجات لطيفة ، ومعان ظريفة ، وجيده أجود من شعر البحتری ،
ومن [شعر مَنْ] تَقَدَّمَهُ من المحدثين ، وشعر البحتری أحسن استواء من
شعر أبي تمام ؛ لأن البحتری يقول القصيدة كلها ، فتكون سليمة من طعن
طاعن أو عيب عائب ، وأبو تمام يقول البيت النادر ويتبعه البيت
السخيف ، وما أشبهه إلا بغائص البحر يخرج الدرّة والمخشَلبة فيجعلهما
في نظام واحد ، وإنما يؤتى هو وكثير من الشعراء من البخل بأشعارهم ،
وإلا فلو أسقط من شعره على كثرة عدده ما أنكر منه - كان أشعر
نظرائه ، فدعاني هذا القول منه إلى أن قرأت عليه شعر أبي تمام ،
وأسقطت خواطئه وكل ما ذمّ من شعره ، وأفردت جيده ، فوجدت
ما يتمثل به ويجري على السنة العامة وكثير من الخاصة مائة وخمسين بيتاً ،
ولا أعرف شاعراً جاهلياً ولا إسلامياً يتمثل له بهذا المقدار من الشعر ،
ثم قال المبرد : وبالبحتری يُخْتَمُ الشعر ، وأنشدني له بيتين زعم المبرد أنهما
لو أضيفا إلى شعر زهير لجازا فيه ، وهما :

وما سَفَهُ السفيه وإن تَعَدَّى بأنْجَعَ فيك من حلم الحليم
متى أَحْفَظْتَ ذا كرم تَخَطَّى إليك ببيعض أفعال اللثيم

قال : وكان مما ذكرناه من شعر البحتری في هذا المجلس وَقَدَّمَهُ محمد

ابن يزيد على نظرائه قوله في ابني صاعد بن مخلد :

وإذا رأيت مخايل ابني صاعِدٍ أدتُ إليك مخايل ابني مَخْلَدِ
كالفرقدين إذا تأمل ناظر لم يفعلُ موضع فرقَد من فرقَد

وقوله :

مَنْ شَاكِرٌ عَنِ الْخَلِيفَةِ لِلَّذِي أولاهُ مِنْ بَرٍّ وَمِنْ إِحْسَانِ ؟
حتى لقد أَفْضَلْتُ مِنْ إِفْضَالِهِ وأرِيتُ نَهْجَ الْجُودِ حَيْثُ أَرَانِي
أَغْنَتْ يَدَاهُ يَدِي ، وَشَرَّدَ جُودَهُ بَخْلِي ، فَأَفْقَرَنِي كَمَا أَغْنَانِ
ووثقت بالخلق الجميل معجلاً منه ، وَأَعْطَيْتُ الَّذِي أَعْطَانِي

وقوله :

وددتُ بياضُ السيفِ يومَ لقينني مكانَ بياضِ الشيبِ كانَ بيمفرقي

وقوله :

ذنوتَ تواضعاً وعلوتَ قدراً فشانَاكَ انحِدارَ وارتفاعِ
كذاكَ الشمسِ تبعدُ أن تَسامى ويدنو الضوءُ منها والشعاعِ

وقوله في الفتح بن خاقان ، وقد نزل إلى أسد فقتله :

حملت عليه السيف ، لا عزمك انثني ولا يدك ارتدَّت ، ولا حدُّه نبأ

فأحجم لما لم يجد فيك مطمعاً وصمم لما لم يجد منك مهرباً

وكنت متى تجمع يمينك والعلالدى ضيفم لم تبق للسيف مضرِباً^(١)

وقوله :

ما زال صرف الدهر يويس صفقتي حتى رهنتُ على المشيب شبابي

وقوله في المنتصر :

وإن علياً لأولى بكم وأزكى بدأ عندكم من عمر

وكلُّ له فضلُه ، والحجو لُ بوم البراذين دون الغرر^(٢)

وقوله :

تعيب الغانيات على شيبى ومن لى أن أمتع بالمشيب

ثم ذكر انتقاض الصلح بين عشيرته فقال :

إذا ما الجرح زم على فساد تبين فيه تفريطُ الطيبِ

وقوله :

وللَّسهمُ الشريدُ أخفُّ عنباً على الرامى من السهمِ المصيبِ

وقوله :

(١) في « اضرِبته لم تبق للسيف مضرِباً » (٢) روى هذا البيت في ب هكذا:

وكان له فضلُه ، والحجو ل بوم البراذين قبل الغرر

وسيد كر البيتين في ص ١٣٥ وهناك « يوم التراهن » .

وما منع الفتحُ بن خاقان نيلهُ
سحابِ خطّاني جوده وهو مُسبِلُ
[وبدراضاء الأرض شرقاً ومغرباً
أشكونداهُ بعد أن وسّع الوري
ولكنها الأيام تتعطي وتحرم
وبحر عدّاني فيضه وهو مُنعمُ
وموضِعُ رجلى منه أسود مظلمُ
ومن ذا يذم الغيث إلا مذمّمُ ؟
وذكر محمد بن أبي الأزهر قال : كان إبراهيم بن المدبر - مع محله في
العلم والأدب والمعرفة - يُسيء الرأي في أبي تمام ، ويحلف أنه لا يحسن
شيئاً قط ، فقلت له يوماً : ما تقول في قول مَنْ يقول :

غدا الشيب مختطابفودى خطة
هو الزور يجفوق، والمعاشر يجتوى،
له منظر في العين أبيض ناصع
ونحن نرجّيه على الكره والرضا
سبيل الردى منها إلى النفس مهتبعُ
وذو الإلف يُقلّي، والجديد يرقعُ
ولكنه في القلب أسودُ أسفَعُ
وأنف الفتى من وجهه وهو أجدعُ

وفيمن يقول :

فإن ترم عن عمرو تداعى به المدى
فما كنت إلا السيف لاقى ضريبة
نحانك حتى لم تجد فيه مترعا
فقطّعها ثم انثنى فقطعها

وفيمن يقول :

شرف على أول الزمان وإنما ال
شرف المناسب ما يكون كريما

وفيمن يقول :

إذا أحسن الأقسام أن يتطاولوا
بلا نعمة أحسنت أن تتطاولا

وفيمن يقول :

مطر لي الحياة والمال لألـقـاك إلامستوهباً أو وهوباً
وإذا ما أردت كنت رشاءً وإذا ما أردت كنت قلبياً

وفي القائل :

خشعوا لصولتك التي عوّذتهم
كالموت يأتي ليس فيه عثار

فالمشي مس ، والنداء إشارة ، خوف انتقامك والحديث سِرَّارُ
أيامنا معقودة أطرافها بك ، والليالي كلها أسجار
تندى عفاتك للعفاة ، ويفتدى رفقا إلى زوارك الزوار
وفيمن يقول :

إذا أوهدت أرضاً كان فيها رضاك فلا نحن إلى ربها^(١)

قال ابن أبي الأزر : فوالله لكأني أغريت ابن المدبر بأبي تمام ، حتى
سبّه ولعنه ، فقلت : إذا فعلت ذلك لقد حدثني المعروف بأبي عمرو بن
الحسن^(٢) [الطومى] الراوية أن أباه وجّه به إلى ابن الأعرابي يقرأ عليه
أشعار هذيل ، قال : فمرت بنا أراجيز ، فأنشدته أرجوزة لأبي تمام ،
لم أنسبها إليه ، وهي :

وعاذلٍ عدلته في عدله فظن أني جاهل من جهله
ما غبن المغبون مثل عتله من لك يوماً بأخيك كله
لبست ريعاني فدعني أبله وملك في كبره ونبله
وسوقة في قوله وفعله بذلت مدحى فيه باغى بذله
فجزّ حبل أملى من وصله من بعد ما استعبدنى بمطله
ثم اغتدى معتذراً بجهله ذا عنق في الجهل لم يخله
تلحظني في جده وهزله [يعجب من تعجبي من بخله]
لحظ الأسير حلقات كبله حتى كأنى جئته بعدله
يا واحداً منفرداً بعدله أ كسبتك المال فلا تمله
ما يصنع الغمدُ بغير نصله والمدح إن لم يك عند أهله

(١) في ا « فلا نحل إلى رباها » .

(٢) في ب « حدثني عمر بن أبي الحسين »

فقال لابنه : اكتبها ، فكتبها على ظهر كتاب من كتبه ، فقال له : جعلت فداك ! إنها لأبي تمام ، فقال : خرق خرق .

وهذا من ابن المدبر قبيح مع علمه ، لأن الواجب أن لا يُدْفَع إِحْسَانٌ مُحْسَنٌ عَدُوًّا كَانَ أَوْ صَدِيقًا ، وأن تؤخذ الفائدة من الوضيع والرفيع ، فقد روى عن أمير المؤمنين على أنه قال : الحكمة ضالة المؤمن ؛ فخذ ضالتك ولو من أهل الشرك . وقد ذكر عن بزرجهر بن البختكان — وكان من حكماء الفرس ، وقد قدمنا ذكره فيما سلف من هذا الكتاب في أخبار ملوك ساسان وهم الفرس الثانية — أنه قال : أخذت من كل شيء أحسن ما فيه ، حتى من الكلب والهرة والخنزير والغراب ، قيل له : ما أخذت من الكلب ؟ قال : إلفه لأهله ، وذبه عن صاحبه ، قيل : فما أخذت من الغراب ؟ قال : شدة حذره ، قيل : فمن الخنزير ؟ قال : بكوره في حوائجه ، قيل : فمن الهرة ؟ قال : حسن نعمتها وتملقها لأهلها عند المسألة .

ومن عاب مثل هذه الأشعار التي ترتاح لها القلوب ، وتحرك بها النفوس ، وتصغى إليها الأسماع ، وتشجذبها الأذهان ، ويعلم كل من له قريحة وفضل ومعرفة أن قائلها قد بلغ في الإجابة أبعاد غاية وأقصى نهاية ، فإنما غصَّ من نفسه ، وطعن على معرفته واختياره

وقد روى عن ابن عباس أنه قال : الهوى إلهٌ معبود ، واحتج بقوله تعالى : (أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) .

ولأبي تمام أشعار حسان ، ومعانٍ لطاف ، واستخراجات بديعة .

وحكى عن بعض العلماء بالشعر أنه سئل عن أبي تمام ، فقال : كأنه جمع شعر العالم ، فانتخب جوهره ، وقد كان أبو تمام ألف كتاباً وسماه : « الحماسة » وفي الناس من يسميه « كتاب الخبية » انتخب فيه شعر الناس ، ظهر بعد وفاته .

وقد صنف أبو بكر الصولي كتاباً جمع فيه أخبار أبي تمام وشعره
وتصرفه في أنواع علومه ومذاهبه ، واستدل الصولي على ما وصف عن
أبي تمام بما يوجد من شعره ، من ذلك قوله في صفة الخمر :

جَهْمِيَّةُ الْأَوْصَافِ ، إِلَّا أَنَّهُمْ قَدْ أَتَقَبَوْهَا جَوْهَرُ الْأَشْيَاءِ

وقد رثته الشعراء بعد وفاته ، والأدباء من إخوانه : منهم الحسن بن
وهب الكاتب ، وكان شاعراً ظريفاً له حظ في المنثور والمنظوم ، فقال :

سَقَى بِالْمَوْصِلِ الْجَدَثَ الْغَرِيبَا . سَحَابٌ يَنْتَحِبُنْ لَهُ نَحِيْبَا

إِذَا أَطْلَنَهُ أَطْلَانٌ فِيهِ شَعِيبُ الْمَزْنِ يَتَّبِعُهَا شَعِيبَا

وَلَطَّامَتِ الْبُرُوقُ لَهُ خُدُودَا وَشَقَّقَتِ الرَّعُودُ لَهُ جِيُوبَا

فَإِنَّ تَرَابَ ذَاكَ الْقَبْرِ يَحْوِي حَبِيبَا كَانَ يَدْعَى لِي حَبِيبَا

لَبِيبَا شَاعِرًا فَطَنًا أَدِيبَا أَصِيلُ الرَّأْيِ فِي الْجُلَى أَرِيبَا

إِذَا شَاهَدْتَهُ رَوَاكُ فِيمَا يَسْرُكُ رِقَّةً مِنْهُ وَطَيْبَا

أَبَا تَمَامِ الطَّائِي ، إِنَّا لَقَيْنَا بِمَدَكِ الْعَجَبِ الْعَجِيبَا

فَقَدْنَا مِنْكَ عُلُقَا لَا تَرَانَا نَصِيبُ لَهُ مَدَى الدُّنْيَا ضَرِيبَا

وَكَنتَ أَخَا لَنَا أَبَدِي إِلَيْنَا ضَمِيرَ الْوَدِّ وَالنَّسَبِ الْقَرِيبَا

فَلَمَّا بِنْتَ كَدَرْتَ اللَّيَالِي قَرِيبَ الدَّارِ وَالْأَقْصَى الْغَرِيبَا

وَأَبَدِي الدَّهْرُ أَقْبَحُ صَفْحَتَيْهِ وَوَجْهًا كَالْحَا جَهْمَا قَطُوبَا

فَأَخْرِبَانِ يَطِيبُ الْمَوْتَ فِيهِ وَأَحْرَ بَعِيشْنَا أَنْ لَا يَطِيبَا

ولاحسن أشعار حسان ومعان جيد ، منها قوله :

أَبَتْ مَقْلَتَاكَ لِفِرْطِ الْحَزَنِ عَلَيْكَ الرَّقَادَ وَبَرْدَ الْوَسَنِ

وَحَقُّ لَعِينِكَ أَنْ لَا تَنَامَا وَقَلْبِكَ مَخْتَلِسُ مَرْتَهِنِ

وَبَيْنَ الْجَوَانِحِ دَاءُ دَفِينِ لِعَمْرِكَ مُسْتَتِرٌ قَدْ كَمَّنْ

[نَجَى الْهَمُومِ ، وَقَرْنَ الْكَلُومِ وَوَهَى الْحُلُومِ ، وَبَعْدَ الْوَطَنِ] (١)

(١) سقط هذا البيت من ا .

[شديد النفار ، كثير العثار ، خليع العذار ، يجرُّ الرِّسَنُ]^(١)
 أفي كل يوم تطيلُ الوقوف تناجي الديار وتبكي الدَّعْنَ ؟
 وتستخبر الدار عن أهلها وتذري الدموع على من ظعنُ
 كأنك لم تر فيما مضى من الدهر ذا صبوة مفتن
 عذرتك أيام شرح الشباب وفرعك فرع نصير الغصن
 فأما وقد زال ظل الشبَّابِ ب عنك وولَّى كأن لم يكن
 وألبسك الشيب بعد الشبَّابِ قناع بياض كلون القطن
 وصرت قذى في عيون الحسان يخنك عهداً وإن لم تخن
 ويصدفن عنك إذا رمتهنَّ وكننتَ لهن زماناً سكن
 فما لك عذر وأنت امرؤ بما فيه رشك طبُّ فطن

على بن الجعد وفي خلافة الواثق مات على بن الجعد مولى بني مخزوم ، وكان من عليه
 أصحاب الحديث وأهل النقل ، وذلك في سنة ثلاثين ومائتين .
 قتيل في المحنة وفي سنة إحدى وثلاثين ومائتين قتل الواثق أحمد بن نصر الخزاعي
 في المحنة على القرآن .

قال المسعودي : وكان يحضر مجلس الواثق فتى برسم الندماء [وكان]
 يقوم قائماً لصفر سنه ، ولم يكن لذلك يلحق في الجلوس بمراتب ذوى الأسنان
 وكان ذكياً مأذوناً له في الإفاضة مع الجلساء^(٢) في كل ما يعرض لهم
 الكلام فيه ، والتكلم بما يسبح ويختلج في صدره : من مثل سائر ،
 وبيت نادر ، وحديث ممتع ، وجواب مُسرِع ، قال : وكان الواثق من
 شدة الشهوة للطعام والنهمة فيه على الحالة المشهورة المتعالة ، فقال لهم الواثق
 يوماً : ما تختارون من النَّقْلِ ؟ فبعض قال : نبات السكر ، وبعض قال :
 رمان ، وبعض قال : تفاح ، وبعض قال : قصب السكر^(٣) ينضح بماء

(١) سقط هذا البيت من (٢) في « مع الندماء » .

(٣) في « نبات السكر ينضح بماء الورد » .

الورد ، وبعض أخرجه الفيلسفة إلى النقيض ، فقال : مالح يغلى ، وبعض قال : صبر يمحي بمذاب النبيد^(١) ، ويجلى على سوزة الشراب ومسارة النقل ، قال : ما صنعتُم شيئاً ، ولكن ما تقول أنت يا غلام ؟ قال : خشكناج مسير ، فوافق ذلك مراد الواثق [وقرع به ما في نفسه] ، وقال : أصبت وأحسنت برك الله لك ، وكان ذلك أول جلوسه .

وقيل : إن أبا جعفر محمد بن علي بن موسى الرضا عليهم الرضوان توفي في خلافة الواثق ، وقد بلغ من السن ما قدّمناه في خلافة المعتصم من هذا الكتاب ، وقيل : إنه كتب إلى الواثق : يا أمير المؤمنين ! ليس من أحد وإن ساعدته المقادير بمستخلص غضارة عيش إلا من خلال مكروه ، ومن ترك معاجلة الدرك انتظار مؤاجلة الأشياء سلبته الأيام فرصته ، فإن شرط الزمان الآفات ، وحكم الدهر السلب .

وفي سنة ثلاثين ومائتين - وذلك في خلافة الواثق - توفي [أبو العباس] عبد الله بن طاهر [بن الحسين] في ربيع الأول من هذه السنة ، وفيه يقول الشاعر ، وقت كون عبد الله بن طاهر بمصر :

يقول أناس : إن مصر بعيدة وما بعدت مصر وفيها ابن طاهر
وأبعد من مصر رجال ترأهم بحضرتنا معروفهم غير حاضر
عن الخير موتى ، ماتبالي أزرتهم على طمع أم زرت أهل المقابر

وكان الواثق [بالله] محباً للنظر ، مكرماً لأهله ، مبنغضاً للتقليد وأهله ، محباً للإشراف على علوم الناس وآرائهم ، ممن تقدم وتأخر من الفلاسفة [وغيرهم من الشرعيين ، فحضرهم ذات يوم جماعة من الفلاسفة] والمتطبيين ، فجرى بحضرته أنواع من علومهم في الطبيعيات وما بعد ذلك من الإلهيات ، فقال لهم الواثق : قد أحببت أن أعلم كيفية إدراك معرفة الطب وماخذ أصوله أذلك من الحس أم من القياس والسنة ؟ أم يدرك بأوائل العقل ؟ أم علم ذلك وطريقه يعلم عندكم من جهة السمع ، كما يذهب إليه جماعة من أهل الشريعة ؟ وقد كان

(١) في « صبر مجنفاً كذهب النبيذيين وتجداء على سورة الشراب ومسارة لنقل »

ابن بختيشوع وابن ماسويه وميخائيل فيمن حضر ، وقيل : إن حنين بن إسحاق وسلمويه فيمن حضر في هذا المجلس [أيضاً] .

فقال منهم قائل : زعم طوائف من الأطباء وكثير من متقدميهم أن الطريق الذي يدرك به الطب هو التجربة فقط ، وحدّوه بأنه علم يتكرر الحس على محسوس واحد في أحوال متغايرة ، فيوجد بالحس في آخر الأحوال كما يوجد في أولها ، والحافظ لذلك هو المجرّب ، وزعموا أن التجربة ترجع إلى مبادئ أربعة هن لها أوائل ومقدمات ، وبها علت وصحت ، وإليها تنقسم التجربة ، فصارت بذلك أجزاء لها ، فزعموا أن قسماً من تلك الأقسام طبيعي ، وهو ما تفعله الطبيعة في الصحيح والمريض : من الرعاف ، والعرق ، والإسهال ، والقيء التي تُعقبُ في المشاهدة منفعة أو ضرراً . [وقسماً عرضياً ، وهو ما يعرض للحيوان من الحوادث والنوازل ، وذلك كما يعرض للإنسان أن يجرّح أو يسقط فيخرج منه دم قليل أو كثير ، أو يشرب في مرضه أو صحته ماء بارداً أو شراباً ، فيعقب في المشاهدة منفعة أو ضرراً]^(١) ،

وقسماً إرادياً ، وهو ما يقع من قبل النفس الناطقة ، وذلك كمثل منام يراه الإنسان ، وهو أن يرى كأنه عالج مريضاً به علة مشاهدة معقولة بشيء من الأشياء معروف فيبرأ ذلك المريض من مرضه ، أو يخطر مثل ذلك بباله في حال فكره ، فيتردد ويعطب ظنه بعطبه^(٢) فيجرّبه بأن يفعله كما يرى في منامه ، فيجده كما يرى أو يخالف ذلك ، ويفعله مراراً ، فيجده كذلك .

وقسماً هو نقل ، وهو على ثلاثة أقسام : إما أن ينقل الدواء الواحد من مرض إلى مرض يشبهه ، وذلك كالنقلة من ورم الحمرة إلى الورم المعروف بالنملة ، وإما من عضو إلى عضو يشبهه ، وذلك كالنقلة من [العضد إلى الفخذ ، وإما من دواء إلى دواء يشبهه ، كالنقلة من [السفرجل إلى الزعرور في علاج انطلاق البطن]^(٣) ، وكل ذلك لا يعمل به عندهم إلا بالتجربة .

(١) لم يذكر هذا القسم الثاني من التجريبات في ب (٢) في « بفتنة » .

(٣) لم يذكر القسم الثاني من النقل في ب .

وذهبت طائفة أخرى منهم إلى أن الحيلة في تقريب أمر صناعة الطب وتسهيلها أن تُردَّ أشخاص من العلل وموَلداتها إلى الأصول الحاضرة الجامعة لها ، إذ كان لا غاية لتولدها ، وأن يستدل على الدواء من نفس الطبيعة والمرض الحاضر الموجود في الحال والوقت ، دون الأسباب المؤثرة الفاعلة التي عدت ، ودون الأزمان والأوقات والأسباب^(١) والعادات ، ومعرفة طبائع الأعضاء وحدودها ، والرصد والتحفظ لكل ما يكون في كل علة وجدت أو لم توجد ، وَبَرَّهْنُوا بأن زعموا أن من المعلومات الظاهرة التي لا ريب فيها أن الضدين لا يجوز اجتماعهما في حال ، وأن وجود أحدهما ينفي وجود الآخر في الحال لا محالة ، قالوا : وليس هذا كشيء ظاهر يستدل به على كل شيء خفي ، والشيء الظاهر يحتمل الوجود ، فيختلف في الاستدلال ؛ فيكون القطع على ما يوجبه غير^(٢) بين ، وهذا قول جماعة من حذاق المتطببين وأهل التقدم في اليونانيين مثل نامونيس^(٣) وساساليس وغيرها ، وهم قوم يعرفون بأصحاب الطب الجبلي^(٤) .

قال الواثق لهم جميعاً : فأخبروني عن جمهورهم الأعظم إلامَ يذهبون في ذلك ؟ فقالوا : إلى القياس ، قال : وكيف ذلك ؟ قالوا جميعاً : زعمت هذه الطائفة أن الطريق والقانون إلى معرفة الطب مأخوذ من مُقَدَّمات أولية ، فمنها معرفة طبائع الأبدان والأعضاء وأفعالها ، ومنها معرفة الأبدان في الصحة والمرض ، ومعرفة الأهوية واختلافها ، والأعمال والصنائع ، والعادات والأطعمة والأشربة والأسفار^(١) ، ومعرفة قوى الأمراض ، وقالوا : ثبت في الشاهد أن الحيوان يختلف في صورته وطباعه ، وكذلك أعضاؤه مختلفة في طباعها وصورها ، وأن الأجساد الحيوانية تتغير بالأهوية المحيطة بها وبالحركة والسكون والأغذية من المأكول والمشروب والنوم واليقظة واستفراغ ما يخرج من الجسد واحتباسه والأعراض النفسانية من

(١) في « الأسنان »

(٢) في « غير متيقن » .

(٣) في ب « ماموس »

(٤) في « الطب الجبلي » .

الغم والحزن^(١) والغضب والهم ، قالوا : والغرض بالطب في تدبير الأجسام حفظ الصحة الموجودة في البدن الصحيح ، واجتلابها للعليل ، فالواجب أن يكون حفظ الصحة إنما هو بمعرفة الأسباب المصححة ، فالواجب على الطبيب لا محالة من هذه المقدمات التي قد صحت إذا أراد علاج المريض النظر في طبائع الأمراض والأبدان والأغذية والعادات والأزمان والأوقات الحاضرة والأسباب ليستدل بجميع ذلك ، وهذا يا أمير المؤمنين قول أبقراط وجالينوس فيمن تقدم وتأخر عنهم ، قالوا : وقد اختلفت هذه الطائفة في كثير من الأغذية والأدوية ، مع اتفاقهم على ما وصفنا ، وذلك لاختلافهم في كيفية الاستدلال ؛ فمنهم من زعم أنه يستدل على طبيعة الشيء من الأغذية والأدوية بطعمه أو ريحه أو لونه أو قوامه أو فعله أو تأثيره في الجسد ، وزعموا أن الوثيقة في الاستدلال بالأجزاء إذا كانت الألوان والأرايح^(٢) وسائر ما ذكرنا من أفعال الطبائع الأربع ، كما أن الإسخان والتبريد والتلين^(٣) فعل لها ، وزعمت طائفة أخرى منهم أن أصح الشهادات وأثبت القضايا في الحكم على طبيعة الدواء والغذاء بما أخذ من فعله في الجسد دون الطعم والرائحة ، وما سوى ذلك ، فإن الاستدلال بما سوى الفعل والتأثير لا يقطع به ، ولا يعول [في الحكم] على طبيعة الدواء المفرد والمركب .

قال الوثائق لحنين من بين الجماعة : ما أول آلات الغذاء من الإنسان ؟ قال : أول آلات الغذاء [من الإنسان] الفم ، وفيه الأسنان ، والأسنان اثنتان وثلاثون سناً ، منها في اللحي الأعلى ستة عشر سناً ، وفي اللحي الأسفل كذلك ، ومن ذلك أربعة في كل واحد من اللحين عراض^٤ محددة الأطراف تسميها الأطباء من اليونانيين القواطع وذلك أن بها يقطع ما يحتاج إلى قطعه من الأطعمة اللينة ، كما يقطع هذا النوع من المأكول بالسكين ، وهي الثنايا والرَبَاعِيَّاتُ ، وعن جنبي هذه الأربعة في كل واحد من اللحين سِنَانِ

(١) في « والفزع » (٢) في « والروائح » (٣) في « والتبييس » .

رؤوسهما حادّةٌ وأصولهما عريضة ، وهي الأنياب ، وبها يكسر كل ما يحتاج إلى تكسيره من الأشياء الصلبة مما يؤكل ، وعن جنبي النابين في كل واحد من اللّحيين خمس أسنان أخر عوارض خشن ، وهي الأضراس ، ويسمها اليونانيون الطواحن ؛ لأنها تطحن ما يحتاج إلى طحنه مما يؤكل ، وكل واحد من الثنايا والرّبّاعياتِ والأنياب له أصل واحد ، وأما الأضراس فما كان منها في اللّحى الأعلى فله ثلاثة أصول ، خلا الضرسين الأقصيين ، فإنه ربما كان لكل واحد منهما أصول أربعة ، وما كان من الأضراس في اللّحى الأسفل فلكل واحد منها أصلان ، خلا الضرسين الأقصيين ؛ فإنه ربما كان لكل واحد منهما أصول ثلاثة ، وإنما احتيج إلى كثرة أصول الأضراس دون سائر الأسنان لشدة قوة العمل بها ، وخصت العليا منها بالزيادة في الأصول لتعلقها بأعلى الفم .

قال الواثق : أحسنت فيما ذكرت من هذه الآلات ، فصنفت لي كتاباً تذكر فيه جميع ما يحتاج إلى معرفته من ذلك ، فصنفت له كتاباً جملة ثلاث مقالات ، يذكر فيه الفرق بين الغذاء والدواء والمسهل^(١) وآلات الجسد .

الواثق وحنين
ابن إسحاق
أيضاً

وقد ذكر أن الواثق سأل حنيناً في هذا المجلس وفي غيره عن مسائل كثيرة ، وأن حنيناً أجاب عن ذلك ، وصنف في كل ذلك كتاباً ترجمه بكتاب « المسائل الطبيعية » يذكر فيه أنواعاً من العلوم ، فكان مما سأل الواثق حنيناً من المسائل ، وقيل : بل أحضر له [الواثق] نديماً من ندمائه فكان يسأله بحضرتة والواثق يسمع ويتعجب مما يورده السائل [والجيب] ، إلى أن قال : فما الأشياء^(٢) المغيرة للهواء ؟ قال حنين : خمس ، وهي أوقات السنة ، وطلوع الكواكب وغروبها ، والرياح ، والبلدان ، والبحار .

(١) في « والدواء للمسهل » .

(٢) في « كم الأسباب المغيرة للهواء » .

أوقات السنة قال السائل : فكيف هي أوقات السنة ؟ قال [حنين] : أربع : الربيع ، والصيف ، والخريف ، والشتاء ؛ فمزاج الربيع معتدل في الحرارة والرطوبة ، ومزاج الصيف حار يابس ، ومزاج الخريف بارد يابس ، ومزاج الشتاء بارد رطب .

الكواكب قال السائل : أخبرني عن كيفية تغير الكواكب للهواء ، قال [حنين] : إن الشمس متى قربت منها أو قربت هي من الشمس كان الهواء أزيد سخونةً ، وخاصة كلما كانت أعظم ، ومتى بعدت الشمس أو بعدت هي من الشمس كان الهواء أزيد برداً .

الرياح قال [السائل] : أخبرني عن كيفية أعداد الرياح ، قال [حنين] : أربع : الشمال ، والجنوب ، والصبأ ، والدبور ؛ فأما قوة الشمال فباردة يابسة ، وأما الجنوب فحارة رطبة ، وأما الصبأ والدبور فمعتدلان ، غير أن الصبأ أميل إلى الحرارة واليبس ، والدبور أميل إلى البرودة والرطوبة من الصبأ .

البلدان قال : فأخبرني عن أحوال البلدان في ذلك ، قال : هي أربع ؛ الأول الارتفاع ، والثاني الانخفاض ، والثالث مجاورة الجبال والبحار ، والرابع طبيعة تربة الأرض ، والنواحي أربع ، وهي : الجنوب ، والشمال ، والمشرق ، والمغرب ؛ فناحية الجنوب أسخن ، وناحية الشمال أبرد ، وأما ناحيتا المشرق والمغرب فمعتدلتان ، واختلاف البلدان بارتفاعها [وانخفاضها ؛ لأن ارتفاعها] يجعلها أبرد ، وانخفاضها يجعلها أسخن ، والبلدان تختلف بحسب مجاورة الجبال لها ؛ لأن الجبل متى كان من البلد في ناحية الجنوب جعل ذلك البلد أزيد برداً لأنه يستتره من الرياح الجنوبية ، وإنما تهب فيه الرياح الشمالية فقط ، ومتى كان الجبل من البلد في ناحية الشمال جعل ذلك البلد أسخن .

تأثير البحار في البلدان قال : فأخبرني عن اختلاف البلدان عند مجاورتها البحار كيف اختلفت ؟ قال حنين : إن كان البحر من البلد في ناحية الجنوب ، فإن ذلك البلد يسخن ويرطب ، وإن كان في ناحية الشمال كان ذلك البلد أبرد .

قال السائل : فأخبرني عن البلدان كيف اختلفت بحسب طبيعة تربتها^(١) ،
قال : إن كانت أرضها حَجَرِيَّةً^(٢) جعلت ذلك البلد أبرد وأخف [وإن
كانت تربة البلد حصبانية جعلت ذلك البلد أخف وأسخن] وإن كانت
طيناً جعلته أبرد وأرطب .

قال : فَلِمَ اختلف الهواء من قبل البحار ؟ قال : إذا جاورت^(٣) نقائع ماء
أو جيفاً أو بُقُولاً عَفِنَةً أو غير ذلك مما يتعفن تغير هواؤها .

فلما كثرت هذا الكلام من السائل والمجيب أضجر ذلك الواثق ، فقطع
ذلك ، وأجاز كل^(٤) واحد ممن حضر ، ثم أمرهم أن يخبر كل واحد منهم
عما حضره في الزهد في هذا العالم الذي هو عالم الدُّثُورِ والفناء [والغرور]
فذكر كل واحد منهم ما سَمَّحَ له من الأخبار عن زهد الفلاسفة من
اليونانيين والحكماء المتقدمين كسقراط وديوجانس .

قال الواثق : قد أكثرتم فيما وصفتم ، وقد أحسنتم الحكاية فيما ذكرتم ،
فليخبرني كل واحد عن أحسن ما سمع من نطق الحكماء الذين حضروا
وفاة الإسكندر ، وقد جعل في التابوت^(٥) الأحمر .

فقال بعضهم : يا أمير المؤمنين ، كل ما ذكروه حسنٌ ، وأحسنُ
ما نطق به مَنْ حضر ذلك المشهد من الحكماء ديوجانس ، وقد قيل : إنه
لبعض حكماء الهند ، فقال : إن الإسكندر أمس أنطقُ منه اليوم ، وهو
اليومَ أَوْعَظُ منه أمس .

و [قد] أخذ هذا المعنى من قول الحكيم أبو العتاهية حيث قال :

كفَى حَزَنًا بَدْفَنِكَ ثُمَّ إِنِّي نَفَضْتُ تَرَابَ قَبْرِكَ مِنْ يَدَيَا

(١) في ١ « طبيعة تربة أرضها » . (٢) في ١ « صخرية » .

(٣) في ١ « إذا جاورته أنقع ماء أوجيف أو بقول عفنة - إلخ » .

(٤) في ١ « فقطع عليهم كلامهم ، وأجاز ذلك اليوم سائر من حضره منهم » .

(٥) في ١ « في تابوت الذهب الأحمر » .

وكانت في حياتك لي عظات وأنت اليوم أو عَظُّ منك حَيًّا
فاشتمد بكاء الواثق ، وعلا نحيبه ، وبكى معه كل من حضر من الناس ،
ثم قام من فورِهِ ذلك وهو يقول :

وَصُرُوفُ الدَّهْرِ فِي تَقْدِيرِهِ خُلِقَتْ فِيهَا انْخِفاضٌ وَانْحِدَارٌ
بَيْنَا الْمَرَّةَ عَلَى إِعْـالِهَا إِذْ هَوَى فِي هُوَّةٍ مِنْهَا فَحَارٌ
إِنَّمَا مُتَمَعُّهُ قَوْمُ سَاعَةِ وَحَيَاةَ الْمَرَّةِ ثَوْبٌ مُسْتَعَارٌ

قال المسعودي : وللواثق أخبار حَسَنٌ مما كان في أيامه من الأحداث
وما كان يجري من المباحثة في مجلسه الذي عَقَدَهُ للنظر بين الفقهاء والمتكلمين
في أنواع العلوم من العقلية والسمعية في جميع الفروع والأصول ،
وقد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا ، وسنورد فيما يرد من هذا
الكتاب في باب خلافة القاهر بالله بن المعتضد بالله جَمَلًا من الأخبار في أخلاق
الخلفاء من بني العباس لمعنى أَوْجَبَ إيرادها في باب خلافة القاهر .

واعتلَّ الواثق فصلَّى بالناس يوم النحر أحمد بن أبي دُوَاد ، وكان قاضي
القُضَاة ، فدعا في خطبته للواثق ، فقال : اللهم اشفه مما ابتليته ، وقد قدَّمنا
[ذكر وقت وفاته] فيما سلف من أخباره في هذا الباب ، فأغنى ذلك
عن إعادته .

ذكر خلافة المتوكل على الله

وبويع جعفر بن محمد بن هارون ، ولقب المنتصر بالله ، فلما كان في اليوم
الثاني لقبه أحمد بن أبي دؤاد « المتوكل على الله » وذلك في اليوم الذي مات
فيه الواثق أخوه ، وهو يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة اثنتين
وثلاثين ومائتين ، ويكنى بأبي الفضل ، وبويع له وهو ابن سبع وعشرين
سنة وأشهر ، وقتل وهو ابن إحدى وأربعين سنة [فكانت خلافته
أربع عشرة سنة] وتسعة أشهر وتسع ليالٍ ، وأمه أم ولد خوآرزمية
يقال لها شجاع ، وقتل ليلة الأربعاء لثلاث خلون من شوال سنة سبع
وأربعين ومائتين .

ذكر رجل من أخباره وسيره ، ولمح مما كان في أيامه

ولما أفضت الخلافة إلى المتوكل أمر بترك النظر والمباحثة في الجدل ،
والتَّرك لما كان عليه الناس في أيام المعتصم والواثق [والمأمون] وأمر الناس
بالتسليم والتقليد ، وأمر شيوخ^(١) المحدثين بالتحديث وإظهار السنة والجماعة ،
وأظهر لباس ثياب الملحمة^(٢) ، وفضل ذلك على سائر الثياب ، وأتبعه من
في داره على لبس ذلك ، وشمل الناس إلبسه ، وبالغوا في ثمنه اهتماماً بعمله ،
واصطنع^(٣) الجيد منها ؛ لمبالغة الناس فيها ، وميل الراعي والرعية إليها ،
فالباقى في أيدي الناس إلى هذه الغاية من تلك الثياب يعرف بالمتوكلية ،
وهي نوع من ثياب الملحم^(٤) نهاية في الحسن والصبغ وجودة الصنع .

أمره
بترك الجدل
وإظهار السنة

وكانت أيام المتوكل أحسن أيامه وأأنضرها ، من استقامة الملك ، وشمول
الناس بالأمن والعدل ، ولم يكن المتوكل ممن يوصف في عطائه وبذله بالجود ،
ولا بتركه وإمساكه بالبخل ، ولم يكن أحد من سلف من خلفاء بني العباس
ظهر في مجلسه اللعب^(٥) والمضاحك والهزل مما قد استفاض في الناس تركه
إلا المتوكل ؛ فإنه السابق إلى ذلك والمحدث له ، وأحدث أشياء من نوع
ما ذكر [نا] فاتبعه فيها الأغلب من خواصه وأكثر رعيته ، فلم يكن
في وزرائه والمتقدمين من كتابه وقواده من يوصف بجود ولا إفضال ،
أو يتعالى عن مجون وطرب .

أحدث اللعب
والمضاحك

وكان الفتح بن خاقان التركي مولاه أغلب الناس عليه ، وأقربهم^(٦) منه ،

علب عليه
الفتح بن خاقان

- (١) في ب « الشيوخ المحدثين » . (٢) في ب « ثياب الملحم » .
(٣) في ب « واصطناع » . (٤) في ا « من الثياب الملحمة » .
(٥) في ا « في العبث والهزل والمضاحك » . (٦) في ا « وأقربهم إليه » .

وأكثرهم تقدماً عنده ، ولم يكن الفتح - مع هذه المنزلة من الخلافة - ممن يُرَجَى فضله ويخاف شره ، وكان له نصيب من العلم ، ومنزلة من الأدب ، وألف كتاباً في [أنواع من] الأدب ترجمه بكتاب « البستان » .

وأحدث المتوكل في أيامه بناء لم يكن الناس يعرفونه ، وهو المعروف بالحيري والحيري

أحدث البناء الحيري

بالحيري والكمين والأروقة ، وذلك أن بعض سُمَّارِه حَدَّثَه في بعض الايام الى أن بعض ملوك الحيرة من النعمانية من بني نصر أحدث بنياناً في دار قراره ، وهي الحيرة ، على صورة الحرب وهيئتها للهجه^(١) بها وميله نحوها^(٢) لئلا يغيب عنه ذكرها في سائر أحواله ، فكان الرواق فيه مجلس الملك وهو الصدر ، والكمين ميمنة وميسرة ، ويكون في البيتين اللذين هما الكمان من يقرب منه من خواصه ، وفي اليمين منهما خزانة الكسوة ، وفي الشمال ما احتيج إليه من الشراب ، والرواق قدعم فضاؤه الصدر والكمين والأبواب الثلاثة على الرواق ، فسمى هذا البنيان إلى هذا الوقت بالحيري والكمين ، إضافة إلى الحيرة ، واتبع الناس المتوكل في ذلك ائتماً بفعله ، واشتهر إلى هذه الغاية .

وباب [المتوكل] لبنيه الثلاثة : محمد المنتصر بالله ، وأبي عبد الله المعتز بالله ، والمستعين بالله ، وفي ذلك يقول ابن المدبر في ذكره لهذه البيعة : أخذ البيعة لأولاده الثلاثة

يا بيعة مثل بيعة الشجرة

أكدها جعفر وصيرها

وفي ذلك يقول علي بن الجهم :

قل للخليفة جعفر : يا ذا الندى

لما أردت صلاح دين محمد

وثبتت بالمعتز بعد محمد

وإبن الخلائف والأئمة والهدى

وليت عهد المسلمين محمداً

وجعلت ثالثهم أعز مؤيدا

(١) في ب « صورة الحرب وهيئته للهجته بها » . (٢) في ا « وميله إليها » .

وكان استخلاف المتوكل على الله بعد أن استخلف أبو العباس السفاح
بمائة سنة ، وبعد موت العباس بن عبد المطلب بمائتي سنة ، وقد قيل غير
ذلك ، والله أعلم ، على تفاوت التواريخ في كمية^(١) أوقاتهم وعداد سنينهم
والزيادة في الأيام والشهور ونقصانها^(٢) من مدة ملكهم .

وقد كان سخط المتوكل على محمد بن عبد الملك الزيات بعد خلافته بأشهر ،
فقبض أمواله وجميع ما كان له ، وقلد مكانه أبا الوزير ، وقد كان ابن الزيات
أخذ للمصادر بن والمغضوب عليهم تنوراً من الحديد رؤوس مساميره إلى
داخل قائمة مثل رؤوس المسال في أيام وزارته للمعتصم والواثق ، فكان
يعذب الناس فيه ، فأمر المتوكل بإدخاله في ذلك التنور ، فقال محمد بن عبد
الملك الزيات للموكل به أن يأذن له في دواة وبطاقة ليكتب فيها ما يريد ،
فاستأذن المتوكل في ذلك ، فأذن له ، فكتب :

سخطة على
ابن الزيات

هي السبيل فمن يوم إلى يوم كأنه ما تُرِيكَ العين في النوم
لا تجزعَنَّ رويداً إنها دُول دنيا تنقل من قوم إلى قوم
قال : وتشاغل المتوكل في ذلك اليوم فلم تصل الرقعة إليه ، فلما كان
الغد قرأها فأمر بإخراجه فوجده ميتاً ، وكان حبسه في ذلك التنور إلى أن
مات أربعين يوماً ، وكان كاتباً بليغاً ، وشاعراً مجيداً ، وهو القائل في تحريض
المأمون على إبراهيم بن المهدي [عمه] حين خرج عليه :

ألم تر أن الشيء للشيء علة تكون له كالنار تقدح بالزند
كذلك جرت بنا الأمور ، وإنما يدلُّك ما قد كان قبل على البعد
وظني بإبراهيم أن فكاكه سيبعث يوماً مثل أيامه النكد^(٣)
تذكر أمير المؤمنين قيامه وأيامه في الهزل منه وفي الجد

(١) في ١ « كيفية أوقانهم » . (٢) في ب « والنقصان عن » .

(٣) في ١ « وظني بإبراهيم أن مكانه » .

إذا هزَّ أعواد المنابر باسمه تغنى بليلي أو بميمية أو هند^(١)
في شعر طويل جداً .

ومن شعره قوله في مرثية للمعتصم بالله :

وظل له سيف النبي كأنما مدامعه من شدة الحزن تذرِفُ
حمائله والبُرْدُ تشهد أنه هو الطيب الأولي الذي كان يعرف
أقول ومن حق الذي قلت، أنتي أقول وأثنى بعد ذلك وأحلف
لما هاب أهل الظلم مثلك سائسا ولا أنصف المظلوم مثلك منصف

وقد أتينا على أخباره وما استحسن من أشعاره في الكتاب الأوسط .

فكانت أيام أبي الوزير في الوزارة يسيرة ، وقد كان آخذ للوزارة محمد

ابن الفضل الجرجاني^(٢) ، ثم صرفه فاستكتب عبيد الله بن يحيى سنة
ثلاث^(٣) وثلاثين ومائتين إلى أن قتل ، وقد أتينا في الكتاب الأوسط
على أخباره واتصاله بالمتوكل وأخبار الفتح بن خاقان .

المبرد ومجنون
بدير هرقل

وذكر محمد بن يزيد المبرد قال : ذكرت للمتوكل لمنازعة^(٤) جرت بينه
وبين الفتح بن خاقان في تأويل آية وتنازع الناس في قراءتها ، فبعث إلى
محمد بن القاسم بن محمد بن سليمان الهاشمي ، وكانت إليه البصرة ، فحملني إليه
مكرما ، فلما اجتزت بناحية النعمان بين واسط وبغداد ذكر لي أن بدير
هرقل جماعة من المجانين يُعالجون ، فلما حاذيته دعته نفسي إلى دخوله ،
فدخلته ومعى شابٌ ممن يرجع إلى دين وأدب ، فإذا أنا بمجنون من
المجانين قد دنا إلي ، فقلت : ما يقعدك بينهم وأنت بأبن عنهم ؟ فكسر
جفنه ورفع عقيرته ، وأنشأ يقول :

إن وصفوني فنأجلُ الجسدِ أو فتشوني فأبيض الكبد
أضعفَ وجدى وزاد في سقمي أن لست أشكو الهوى إلى أحد^(٥)

(١) في « إذا هز أعواد المنابر باسمه » . (٢) في ب « الجرجاني »

(٣) في ب « سنة ست وثلاثين ومائتين » .

(٤) في ب « ذكرت للمتوكل منازعة - إلخ » . (٥) في « أضعف حالي وزادني سقما » .

وضعت كفي على فؤادي من حرّ الأسي وانطويت فوق يدي
آه من الحب آه من كبدى إن لم أمت فى غد فبعد غد
كان قلبى إذا ذكرتهم فريسة بين ساعدى أسد

فقلت : أحسنت لله درك^(١) ! زدنى ، فأنشأ يقول :

ما أقتلَ البين للنفوس ! وما أو جمعَ فقد الحبيب للكبد !!
عرّضتُ نفسى من البلاء لما أسرف فى مهجتي وفى جلدى
يا حسرتى أن أموت معتقلا بين اعتلاج الهموم والكمد
فى كل يوم تفيض معـولة عيني لعضو يموت فى جسدى

فقلت : أحست [لله درك ! و] لافض فوك ! زدنى ، فأنشأ يقول :

الله يعلم أننى كمدُ لا أستطيع أبثُ ما أجد
نفسان لى نفس تضمنها بلد ، وأخرى حازها بلد
وأرى المقيمة ليس ينفعها صبر ، وليس يُعينها جلدُ
وأظن غائبتى كشاهدتى بمكانها تجمد الذى أجد

فقلت : والله أحسنت ، فاستزدته ، فقال : أراك كلما أنشدتك استزدتنى ،
وما ذاك إلا لفرط أدب أو فراق شجن ، فأنشيدنى أنت أيضاً ، فقلت
للذى معى : أنشده ، فأنشأ يقول :

عذلٌ و بينٌ وتوديع ومرتحل أى العيون على ذا ليس تنهملُ ؟
تالله ما جلدى من بعدهم جلد ولا اختزان دموعى عنهم بخلُ
بلى ، وحرمة ما ألقين من خبل قلبى إليهنّ مشتاق وقد رحلوا^(٢)
وددت أن البحار السبعلى مدد وأن جسمى دموع كلها همل

(١) فى « أحسنت ، لله أبوك » .

(٢) فى ب « وما رحلوا » .

وَأَنَّ لِي بَدَلًا مِنْ كُلِّ جَانِحَةٍ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ يَوْمَ النَّوَى مُقَلُّ
لَا دَرَّ دَرُّ النَّوَى لَوْ صَادَفَتْ جَبَلًا لَا نَهْدَ مِنْهَا وَشَيْكََا ذَلِكَ الْجَبَلِ
الهِجْرَ وَالْبَيْنَ وَالْوَأَشُونَ وَالْإِبِلَ طَلَّاعٌ يَتَرَاءَى أَنَّهَا الْأَجَلُ
فَقَالَ الْمَجْنُونُ : أَحْسَنْتَ ، وَقَدْ حَضَرَنِي فِي مَعْنَى مَا أَنْشَدْتَ إِلَى « شَعْرٌ » ،
أَفَأَنْشَدَهُ ؟ قُلْتُ : هَاتِ ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

تَرَحَّلُوا نَمَّ نَيْطَتْ دُونَهُمْ سُجُفٌ لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُهُمْ يَوْمًا لَمَّا رَحَلُوا
يَا حَادِي الْعَيْسِ مَهْلًا كِي نُوَدِّعُهَا رَفَقًا قَلِيلًا فَنِي تُوَدِّعُهَا الْأَجَلُ (١)
مَا رَاعَنِي الْيَوْمَ شَيْءٌ غَيْرَ فَقَدْتُهُمْ لَمَّا اسْتَقَلَّتْ وَسَارَتْ بِالذَّمَى الْإِبِلُ (٢)
إِنِّي عَلَى الْعَهْدِ لَمْ أَنْقُضْ مَوَدَّتَهُمْ فَلَيْتَ شَعْرِي وَطَالَ الدَّهْرُ مَا فَعَلُوا

قال المبرد : فقال الفتي الذي معي : ماتوا ، فقال المجنون : آه آه ، إن ماتوا
فسوف أموت ، وسقط ميتاً ، فمابرحت حتى غسل وكفن وصليت عليه ودفنته .

ووردتُ سر من رأى ، فأدخلت على المتوكل وقد عمل فيه الشراب ، البحتری
فسئلت عن بعض ما وردت له ، فأجبت ، وبين يدي المتوكل البحتری ينشد التوكل
الشاعر ، فابتدأ ينشده قصيدة يمدح بها المتوكل ، وفي المجلس أبو العنابس (٣)
الصيمري ، فأنشد البحتری قصيدته التي أولها :

عن أي ثغر تبتسم ؟ وبأي طرف تحتمكم ؟
حسن يضيء بحسنه والحسن أشبه بالكرم
قل للخليفة جعفر الـ متوكل ابن المعتصم
المرتضى ابن المحببي والمنعم ابن المنتقم
أما الرعية فهي من أممات عدلك في حرم
ياباني المجد الذي قد كان قوض فانهدم

(١) يقع هذا في متأخر أعماليه هنا .

(٢) في ب « حق استقلت وسارت بالذمي الإبل » .

(٣) في ب « أبو الغتاهية الصيمري » محرفاً ، وانفقت مع أبي يابلي على ذكره مصححاً .

أَسْلَمَ لَدِينِ مُحَمَّدٍ فَإِذَا سَلِمْتَ فَقَدْ سَلِمَ
نَلْنَا الْهَدَى بِعَدَالَعَمَى بِكَ، وَالْغَنَى بِعَدَالَعَدَمٍ

فلما انتهى [إلى ذلك] مشى القهقري للانصراف ، فوثب أبو العنيس
فقال : يا أمير المؤمنين ، تأمر برده ، فقد والله عارضته في قصيدته هذه ، فأمر
برده ، فأخذ أبو العنيس ينشد شيئاً لولا أن في تركه بتراً للخبر لما ذكرناه ، وهو :

مَنْ أَى سَلَحَ تَلْتَقِمُ وَبَأَى كَفَ تَلْتَقِمُ
أَدَخَلْتَ رَأْسَ الْبَحْتَرِ أَى أَبِي عُبَادَةَ فِي الرَّحِمِ

ووصل ذلك بما أشبهه من الشتم ، فضحك المتوكل حتى استلقى على قفاه ،
وفحص برجله اليسرى ، وقال : يُدْفَعُ إِلَى أَبِي الْعَنِيسِ عَشْرَةُ آلَافِ دَرَاهِمٍ ،
فقال الفتح : يا سيدي البحتري الذي هجى وأسمع المكروه ينصرف خائباً ؟
قال : ويدفع للبحتري عشرة آلاف درهم ، قال : يا سيدي ، وهذا البصريُّ
الذي أشخصناه من بلده ، لا يشرّكهم فيما حصلوه ؟ قال : ويدفع إليه عشرة
آلاف درهم ، فانصرفنا كلنا في شفاعة الهزل ، ولم ينفع البحتريَّ جده
واجتهاده وحزمه .

ثم قال المتوكل لأبي العنيس : أخبرني عن حمارك ووفاته وما كان من
شعره في الرؤيا التي أريتها ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ، كان أعقل من القضاة ،
ولم يكن له جريرة^(١) ولا زلة ، فاعتلّ [علة] على غفلة ، فمات منها ، فرأيت
فيما يرى النائم ، فقلت له : يا حماري ، ألم أبرد لك الماء ، وأنق لك الشعير ،
وأحسن إليك جهدي ؟ فلم تُتَّ على غفلة ؟ وما خبرك ؟ قال : نعم ، لما كان
في اليوم الذي وقفت على فلان الصيدلاني تكلمه في كذا وكذا مرتبتي أتان
حسناً ، فرأيتها فأخذت بمجامع قلبي ، فعشقتها واشتد وجدى بها ، فمتُّ
كداً متأسفاً ، فقلت له : يا حماري ، فهل قلت في ذلك شعراً ؟ قال :
نعم ، وأنشدني :

هَامَ قَلْبِي بِأَتَانٍ عِنْدَ بَابِ الصَّيْدَلَانِي

(١) في « جرية ولازلة » وليست بذلك .

تيمتني يوم رُحناً بثناياها الحسان^(١)

وبمخدّين أسيلين كلون الشنقراني^(٢)

فبها مُتٌ ولو عشت إذا طالَ هواني

قال : قلت : يا حماري ، فما الشنقراني^(٣) ؟ فقال : هذا من غريب الحمير ،

فطرب المتوكل وأمر الملهين والمغنين أن يغنوا ذلك اليوم بشعر الحمار ، وفرح في ذلك اليوم فرحاً شديداً ، وسُرَّ سروراً لم يُر مثله ، وزاد في تكرمة أبي العنابس وجأزته .

المتوكل
وعلى بن محمد
الملوي

وحدث أبو عبد الله محمد بن عرفة النحوي قال : حدثنا محمد بن يزيد

المبرد قال : قال المتوكل لأبي الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى بن

جعفر بن محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم : ما يقول ولد أبيك

في العباس بن عبد المطلب ؟ قال : وما يقول ولد أبي يا أمير المؤمنين في رجل

افترض الله طاعة بنيه على خلقه وافترض طاعته على بنيه ؟ فأمر له بمائة

ألف درهم ، وإنما أراد أبو الحسن طاعة الله على بنيه ، فعرض .

وقد كان سعى بأبي الحسن علي بن محمد إلى المتوكل ، وقيل له : إن في

منزله سلاحاً وكتباً وغيرها من شيعته ، فوجه إليه ليلا من الأتراك وغيرهم

من هجم عليه في منزله على غفلة ممن في داره ، فوجده في بيت وحده مفاق

عليه وعليه مدرعة من شعر ، ولا بساط في البيت إلا الرمل والحصى ،

وعلى رأسه ملحفة من الصوف متوجهاً إلى ربه يترنم بآيات من القرآن في

الوعد والوعيد ، فأخذ على ما وجد عليه ، وحمل إلى المتوكل في جوف

الليل ، فمثل بين يديه والمتوكل يشرب وفي يده كأس ، فلما رآه أعظمه

وأجلسه إلى جنبه ، ولم يكن في منزله شيء مما قيل فيه ، ولا حالة يتعال

عليه بها ، فناوله المتوكل الكأس الذي في يده ، فقال : يا أمير المؤمنين ،

(١) في « تيمتني بدلال » .

(٢) في ب * وبمخدّى ذلال * مثل خد الشنقراني * .

(٣) في ب « فما الشنقراني » .

ما خامر لحمي ودمي قط ، فأعفني منه ، فعافاه ، وقال : أنشدني [شعراً
أستحسنه ، فقال : إني لقليل الرواية للأشعار ، فقال : لا بد أن تنشدني]^(١)
فأنشده :

باتوا على قُللِ الأُجبالِ تحرسهم	غلبُ الرجالِ فما أغنتهمُ القُللُ
واستنزلوا بعدَ عزٍّ عن معاقلمهم	فأودعوا حُفراً ، يابئس ما نزلوا
ناداهمُ صارخٌ من بعد ما قبروا	أين الأُسرةُ والتيجانُ والحللُ ؟
أين الوجوه التي كانت مُنعمَةً	من دونها تضرب الأستار والكِلالُ ؟
فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم	تلك الوجوه عليها الدود يقتتلُ
قد طالم الأكلوا دهرًا وما شربوا	فأصبحوا بعد طول الأكل قدأكلوا
وطالموا عمروا دوراً لتحصنهم	ففارقوا الدور والأهلين وانتقلوا
وطالموا كنزوا الأموال وادّخروا	نخلفوها على الأعداء وارتحلوا
أضحت مَنازلهم قفراً مُعطلة	وساكنوها إلى الأجداث قدر حلوا

قال : فأشفق كل من حضر على عليّ ، وظن أن بادرة تبدر منه إليه ،
قال : والله لقد بكى المتوكل بكاءً طويلاً حتى بليت دموعه لحيته ، وبكى
من حضره ، ثم أمر برفع الشراب ، ثم قال له : يا أبا الحسن ، أعليك دينٌ ؟
قال : نعم أربعة آلاف دينار ، فأمر بدفعها إليه ، وردّه إلى منزله من
ساعته مكرماً .

وفاة ابن سماعه قال : وكانت وفاة محمد بن سماعه القاضي صاحب محمد بن الحسن وصاحب
القاضي الحنفي أبي حنيفة في خلافة المتوكل ، وذلك في سنة [ثلاث و] ثلاثين ومائتين ،

وهو ابن مائة سنة ، صحيح الجسم والعقل والحواس ، يفتض الأبيكار ، ويركب
الخيال التي تقطف وتعنق ، لم يفكر من نفسه شيئاً .

وحكى ابنه سماعه بن محمد قال : قال لي أبي محمد بن سماعه : وجدت في

حياة سوار بن عبد الله قاضي المنصور كتاباً له بخطه أراه من شعره أو

أبيات استحسنها ، وهي :

(١) هذه الزيادة في ب وحدها .

سَلَبَتْ عِظَامِي لِحَمِيهَا فَتَرَكْتَهَا عَوَارِي فِي أَجْلَادِهَا تَتَكَسَّرُ
وَأَخْلَيْتِ مِنْهُمَا مَحْجَاهَا فَكَأَنَّهَا قَوَارِيرٌ فِي أَجْوَاهَا الرِّيحُ تَصْفِرُ
[إذا سمعت ذكر الفراق ترعدت فرائصها من خوف ما تتحذر]^(١)
خذي بيدي، ثم ارفعي الثوب وانظري ضنني جسدي لكنني أستر

ولمحمد بن سماعة تصنيفات حسان في الفقه ، وروايات عن محمد بن الحسن وغيره ، منها كتاب نوادر المسائل عن محمد بن الحسن في ألوف أوراق .

وفي هذه السنة - وهي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين - مات يحيى بن معين ، وفي سنة خمس وثلاثين ومائتين مات أبو بكر بن أبي شيبة والقواريري ، وكانا من عليّة أصحاب الحديث وحُفَظَهم ، وفيها مات إسحاق ابن إبراهيم بن مصعب وكان على بغداد ، وولي [ابنه] مكانه ، وله أخبار حسان قد أتينا على غرورها في كتابنا « أخبار الزمان » .

ومن ظريف^(٢) أخباره والمستحسن مما كان في أيامه وسيره ببغداد ما حدث به عنه موسى بن صالح بن شيخ^(٣) بن عميرة الأسدي أنه رأى في منامه كأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول له : أطلق القاتل ، فارتاع لذلك رَوْعاً عظيماً ، ونظر في الكتب الواردة لأصحاب الجبوس^(٤) فلم يجد فيها ذكر قاتل ، فأمر بإحضار السندي وعباس ، فسألها : هل رفع إليهما أحد ادعى عليه بالقتل ؟ فقال له العباس : نعم ، وقد كتبنا بخبره ، فأعاد النظر ، فوجد الكتاب في أضعاف القراطيس ، وإذا الرجل قد شهد عليه بالقتل وأقرّ به ، فأمر إسحاق بإحضاره ، فلما دخل عليه ورأى ما به من الارتياح قال له : إن صدقتني أطلقتك ، فابتدأ يخبره بخبره ، وذكر أنه كان هو وعدة من أصحابه يرتكبون كل عزيمة ، ويستحلون كل محرّم ، وأنه كان اجتماعهم في منزل بمدينة أبي جعفر المنصور يمتسكون فيه على كبل بلية ،

(١) سقط هذا البيت من ١ . (٢) في ١ « ومن ظرائف أخباره » .

(٣) ب « بن سيج » . (٤) في ١ « لأصحاب السجون » .

فلما كان في هذا اليوم جاءتهم عجوز كانت تختلف إليهم للفساد ، ومعها
جارية بارعة الجمال ، فلما توسطت الجارية الدار صرخت صرخة ، فبادرتُ
إليها من بين أصحابي ، فأدخلتها بيتاً وسكَّنتُ روعها ، وسألتها عن قصتها ،
فقلت : الله الله فيَّ ، فإن هذه العجوز خدعتني وأعلمتني أن في خزانها
حقاً لم ير مثله ، فشوقتني إلى النظر إلى ما فيه ، فخرجت معها واثقة بقولها ،
فهجمت بي عليكم ، وجددي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وأمى فاطمة ،
وأبي الحسن بن علي ، فاحفظوهم فيَّ ، قال الرجل : فضمنت خلاصها ،
وخرجت إلى أصحابي فعرفتهم [بذلك] فكأنني أغريتهم بها ، وقالوا : لَمَّا
قضيت حاجتك منها أردت صرفنا عنها ، وبادروا إليها ، وقت دونها أمتع
عنها ، فتفاهم الأمر بيننا إلى أن نالتني جراح ، فعمدت إلى أشدهم كان في
أمرها وأكلهم على هتكها فقتلته ، ولم أزل أمتع عنها إلى أن خلصتها
سائلة ، وتخلصت الجارية آمنة مما خافته على نفسها ، فأخرجتها من الدار ،
فسمعتها تقول : سترك الله كما سترتني ، وكان لك كما كنت لي ، وسمع
الجيران الضجة فتبادروا إلينا والسكين في يدي والرجل يتشجط في دمه ،
فرفعتُ على هذه الحالة ، فقال له إسحاق : قد عرفت لك ما كان من
حفظك للمرأة ، ووهبتك لله ورسوله ، قال : فوحي من وهبني له لا عاودت
معصية ولا دخلت في ريبة حتى ألقى الله ، فأخبره إسحاق بالرؤيا التي رآها ،
وأن الله لم يضيع له ذلك ، وعرض عليه براً واسعاً ، فأبى قبول شيء من ذلك .

رضاه عن يحيى
ابن أكرم

وفي سنة تسع^(١) وثلاثين ومائتين رضى المتوكل عن أبي محمد يحيى
ابن أكرم الصيفي ، فأشخص إلى سر من رأى ، وولى قضاء القضاة ،
وسخط على أحمد بن أبي دُواد وولده أبي الوليد محمد بن أحمد ، وكان
على القضاء ، وأخذ من أبي الوليد مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار
وجوهرأ بأربعين ألف دينار ، وأحضر إلى بغداد ، وقد كان أبو عبد الله

(١) في « سبع وثلاثين ومائتين » وذكر ابن خلكان أن المتوكل عزل

القاضي يحيى سنة أربعين ومائتين ، وأخذ أمواله .

أحمد بن أبي دؤاد فليج بعد موت عدوه ابن الزيات بسبعة وأربعين يوماً ،
وذلك في سنة ثلاث وثلاثين [ومائتين] .

وفي سنة أربعين ومائتين كانت وفاة أبي عبد الله أحمد بن أبي دؤاد بعد
وفاة [ولده] أبي الوليد محمد بن أحمد بعشرين يوماً ، وكان ممن أجرى الله الخير
على يديه على ما اشتهر من أسره ، وسهل الله سبيله إليه ، وحبب إليه المعروف وفعله .
وذكر أن المعتصم كان بالجوسق يوماً مع ندمائه — وقد عزم على
الإصطباح ، وأمر كل واحد منهم أن يطبخ قِدرًا — إذ بصر بسلامة غلام
ابن أبي دؤاد ، فقال : هذا غلام ابن أبي دؤاد يتعرف خبرنا ، والساعة
يأني فيقول : فلان الهاشمي ، وفلان القرشي ، وفلان الأنصاري ، وفلان العربي ،
فيعطلنا بجوانجهم عما عزمنا عليه ، وأنا أشهدكم أني لا أقضي اليوم له حاجة ،
فلم يكن بين قوله وبين استئذان الأتباع^(١) لأبي عبد الله إلا هنيهة ، فقال
لجلسائه : كيف ترون قولي ؟ قالوا : فلا تاذن له ، قال : سوءاً لكم ، حتى
سنة أهون عليّ من ذلك ، ودخل ، فما هو إلا أن سلم وجلس وتكلم حتى
أسفر وجه المعتصم وضحكت إليه جوارحه ، ثم قال له : يا أبا عبد الله قد
طبخ كل واحد من هؤلاء قِدرًا ، وقد جعلناك حكاماً في طبخها ، قال : فلتحضر
ثم آكل ثم أحكم [بحكم] بعلم ، فحملت إليه القُدورُ ووضعت بين يديه ،
فجعل يأكل من أول قدرٍ أكلًا تامًا ، فقال له المعتصم : هذا ظلم ، قال :
وكيف ذلك ؟ قال : لأنني أراك قد أمعنت في هذا اللون ، وستحكم لصاحبه ،
قال : يا أمير المؤمنين عليّ أن آكل من هذه القُدور كلها كما أكلت من
هذا القدر ، فتبسم له المعتصم وقال له : شألك إذا ، فأكل كما قال ، ثم قال :
أما هذه فقد أحسنَ طبخها إذا أكثر فلفلها وأقل كمنها ، وأما هذه فقد
أجاد طبخها إذا أكثر خلتها وأقل زينها ، وأما هذه فقد طيبها بطبخها باعتدال
توابلها ، وأما هذه فقد حذق من عملها بقلة ماؤها وكثرة مرقها ، حتى وصف

(١) في « استئذان الإيتاخ » .

القدور [كلها] بصفات سُرَّ أهلها بها^(١) ، ثم أكل مع القوم كما أكلوا
 أنظفَ أكلٍ وأحسنه ، مرة يحدّثهم بأخبار الأكلِ في صدر الإسلام :
 معاوية بن أبي سفيان ، وعبيد الله بن زياد ، والحجاج بن يوسف ، وسلمان
 ابن عبد الملك ؛ ومرة يحدّثهم عن أكلة دهره مثل ميسرة التَّمَّار^(٢) ،
 ودورق القصاب ، وحاتم الكيال ، وإسحاق الحمّامى ، فلما رفعت الموائد
 قال له المعتصم : ألك حاجة يا أبا عبد الله ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ،
 قال : اذكرها فإن أصحابنا يريدون أن يتشاغلوا ، قال : نعم يا أمير المؤمنين
 رجل من أهلِكَ وَطِئَهُ الدهر فغَيَّرَ حاله وخسَنَ معيشته^(٣) ، قال : وَمَنْ هُوَ ؟
 قال : سليمان بن عبد الله النوفلى ، قال : قدر له ما يصلحه ، قال : خمسين
 ألف درهم ، قال : أنفدت ذلك له ، قال : وحاجة أخرى ، قال : وما هي ؟
 قال : ضِيَاعُ إبراهيم بن المعتمر تردُّها له ، قال : قد فعلت ، قال : وحاجة
 أخرى ، قال : قد فعلت ، قال : فوالله ما خرج حتى سألت ثلاث عشرة
 حاجة لا يرده عن شيء منها ، حتى قام خطيباً فقال [في خطبته] : يا أمير
 المؤمنين ، عمرك الله طويلاً ، فبعمرك تُخَصِّبُ جنات رعيّتك ، ويلين
 عيشهم ، وتثمر أموالهم ، ولا زلت ممتعاً بالسلامة ، محببوا بالكرامة ،
 مرفوعاً عنك حوادث الأيام وغيرها ، ثم انصرف ؛ فقال المعتصم : هذا
 والله يتزين بمثله ، ويبتهج بقربه ، ويعدل أوفاً من جنسه ، أما رأيتم
 كيف دخل ؟ وكيف سلم ؟ وكيف تكلم ؟ وكيف أكل ؟ وكيف وصف
 القدور ثم انبسط في الحديث ؟ وكيف طاب به أكلنا ؟ ما يرده هذا عن
 حاجة إلا لثيم الأصل خبيث الفرع ، والله لو سألتني في مجلسي هذا ما قيمته
 عشرة آلاف ألف درهم ما ردّدتها عنها ، وأنا أعلم أنه يكسبني بها في الدنيا
 حمداً وفي الآخرة ثواباً .

وفي أحمد بن أبي دواد يقول الطائي :

لقد أنست مساوى كلِّ دهرٍ محاسنُ أحمد بن أبي دواد

(١) في ١ « سربها أصحابها » . (٢) في ب « سرده الثمار » .

(٣) في ١ « فعز حاله وخس معيشته » .

فما سافرتُ في الآفاق إلا ومن جدّواه راحلتى وزادى
مقيم الظنّ عندك والأمان وإن قَلِقَتْ رِكَابِي فِي الْبِلَادِ

وحكى عن الفتح بن خاقان قال : كنت عند المتوكل وقد عزم على المتوكل يشتهى
الصبّوح بالجعفرى ، وقد وجّه خلف الندماء والمغنين ، قال : فجعلنا نظوف قدرا طبخها
وهو متكئ على وأنا أحادثه ، حتى وصلنا إلى موضع يشرف منه على الملاحون
الخليج ، فدعا بكرسى فقعده عليه ، وأقبل يحادثنى ، إذ بصر بسفينة مشدودة
بالقرب من شاطئ الخليج ، وملاح بين يديه قدر كبيرة يطبخ فيها سكباج
من لحم بقر ، وقد فاحت روائحها ، فقال : يا فتاح راحة قدر سكباج والله ،
ويحك ، أما ترى ما أطيب رائحتها ، علىّ بها على حالها ، فبادر الفراشون
فانزعوها من بين يدى الملاحين ، فلما عاين الملاحون أصحاب السفينة ما فعل
بهم ذهب نفوسهم فرقا وخوفاً ، وجاءوا المتوكل بالقدر تفور كهيئتها ،
فوضعت بين أيدينا ، فاستطاب ريحها واستحسن لونها ، ودعا برغيف
فكسر منه كسرة ودفعها إلىّ ، وأخذ هو منه مثلها ، وأكل كل واحد
منا ثلاث لقم ، وأقبل الندماء والمغنون ، فجعل يلقم كل واحد منهم لقمة
من القدر ، وأقبل الطعام ووضعت الموائد ، فلما فرغ من أكله أمر بتلك
القدر ففرغت وغسلت بين يديه ، وأمر أن تملأ دراهم ، فجىء ببذرة
ففرغت فيها ، ففضل من الدراهم مقدار ألفى درهم ، فقال لخادم كان بين
يديه : خذ هذه القدر فامض بها حتى تدفعها [لأصحاب السفينة ، وقل لهم :
هذا ثمن ما أكلنا من قدركم ، وادفع] إلى من طبخها ما فضل من هذه
البذرة من الدراهم هبة له على تجويده طبخها ، قال الفتح : فكان
المتوكل كثيراً ما يقول إذا ذكر قدر الملاح : ما أكلت أحسن من سكباج
أصحاب السفينة في ذلك اليوم .

وأخبرنا أبو القاسم جعفر بن محمد^(١) بن حمدان الموصلى الفقيه بجهينة ، وكان

(١) في ب « وأخبرنا القاسم بن جعفر بن محمد » .

الجاحظ من حديثه الموصل ، قال : حدثنا أبو الحسن الصالحی ، قال : قال الجاحظ :
 ذُكرتُ لأمیر المؤمنین المتوكل لتأديب بعض ولده ، فلما رأني استبشع
 مَنظَرِي ، فأمر لي بعشرة آلاف درهم وصَرَفَنِي ، وخرجت من عنده ،
 فلقيت محمد بن إبراهيم وهو يريد الانصراف إلى مدينة السلام ، فعرض
 على الخروج معه والانحدار في حرّاقته ، فركبنا فيها ، فلما أتينا فم نهر
 القاطول وخرجنا من سامرا نصب ستارته وأمر بالغناء ، فاندفعت عَوَادَة
 فغنت :

كلّ يوم قطيعةٌ وعتاب ينقضي دهرنا ونحن غِضَابُ
 ليت شعري أنا خُصِصْتُ بهذا دون ذا الخلق أم كذا الأحاب؟
 وسكتت ، فأمر الطنبُورية فغنت :

وارحمة ————— للعاشقين ما إن أرى لهم مُعِينَا
 كم يُهَجَّرُونَ ويصرمون ويقطعون فيصبرونا ؟

قال : فقالت لها العَوَادَة : فيصنعون ماذا ؟ قالت : هكذا يصنعون ،
 وضربت بيدها إلى الستارة فهتكتها وبرزت كأنها فلقة قمر فزجتُ
 بنفسها إلى الماء ، وعلى رأس محمد غلامٌ يضاهاها في الجمال وبيده مِدْبَة ،
 فلما رأى ما صنعت ألقى المِدْبَة من يده وأتى الموضع ونظر إليها وهي تمر
 بين الماء فأنشأ يقول :

وأنا الذي غرقتني بعد القضا لو تعلمينا

فزج بنفسه في أثرها ، فأدار الملاح الحراقة فإذا هما معتنقان ، ثم غاصا
 فلم يُرَيَا ، فهال ذلك محمداً واستعظمه ، وقال : يا عمرو لتحدثني حديثاً
 يساينني عن فقد هذين وإلا ألحقتك بهما ، قال : فحضرني حديث يزيد بن
 عبد الملك ، وقد قعد للمظالم وعرضت عليه القصص ، فمرت به قصة فيها :
 إن رأى أمير المؤمنين أعزّه الله أن يخرج جاريتته فلانة حتى تغنيني ثلاثة
 أصوات فعل ، فاغتاز يريد ، وأمر من يخرج إليه وبأبيه برأسه ، ثم أمر

بأن يتبع الرسول برسول آخر يأمره أن يُدْخِلَ إِيَّاهِ الرَّجُلَ ، فلما وقف بين يديه قال له : ما الذى حملك على ما صنعت ؟ قال : الثقة بحملك والاتكال على عنقك ، فأمره بالجلوس حتى لم يبق أحد من بنى أمية إلا خرج ، ثم أمر فأخرجت الجارية ومعها عودها ، فقال لها الفتى : غنى :

أفاطم مَهْلًا بعض هذا التذال وإن كنت قد أزمعت صرعى فأجمل
فغنته ، فقال له يزيد : قل ، قال : غنى :

تَأَلَّقَ الْبَرْقُ بُجْدِيًّا ، فقلت له : يا أيها البرق إني عنك مشغول
يكفيك عنى عدو نأثر حنق فى كفه صارم كالملح مسلول^(١)
فغنته ، فقال : قل ، قال : تأمر لى برطل خمر ، فما استتم شرابه حتى
وثب وصعد على أعلى قبة ليزيد فرمى بنفسه على دماغه ، فمات ، فقال يزيد :
إنا لله وإنا إليه راجعون ، أتراه الأحق الجاهل ظن أنى أخرج إليه جاريتى
وأردها إلى مالى^(٢) ، يا غلمان ، خذوا بيدها واحملوها إلى أهله إن كان له
أهل ، وإلا فبيعوها وتصدقوا بثمنها عنه ، فانطلقوا بها إلى أهله ، فلما
توسطت^(٣) الدار نظرت إلى حفرة فى دار يزيد قد أعدت للمطر ، فنجذبت
نفسها من أيديهم وأنشأت تقول :

من مات عشقاً فأيمت هكذا لا خير فى عشق بلا موت
فزجت بنفسها على دماغها فماتت ، فسرى عن محمد وأحسن صلتى ،
وقيل : إن هذا الخبر إنما كان مع سليمان بن عبد الملك [وليس هذا عن
يزيد بن عبد الملك] قال : فذكرت هذا الحديث لأبى عبد الله محمد بن
جعفر الأنبارى^(٤) بالبصرة فقال : أنا أخبرك بنحو من هذا الحديث الذى
حدثتني به ، حدثني فائق^(٥) الخادم ، وكان مولى لمحمد بن حميد الطوسى ،
أن محمد بن حميد كان جالساً مع ندمائه يوماً ، فغنت جارية من وراء الستارة :

(١) فى ١ « كالرمح مسلول » وما هنا عن ب هو الصواب .
(٢) فى ١ « وأردها إلى ملكى » . (٣) فى ١ « توسطت قاعة الدار » .
(٤) فى ب « الأخبارى » . (٥) فى ب « وائق الخادم » .

يا قمرَ القصر متى تطلع أشقى وغيرى بك يستمتع؟^(۱)
 إن كان ربِّي قد قضى مارأى منك على رأسى فما أصنع
 وعلى رأس محمد غلام بيده قدحٌ يسقيه ، فرمى بالقدح عن يده وقال :
 تصنعين هكذا ، ورمى بنفسه من الدار إلى دجلة ، فهتكت الجارية الستارة ،
 ثم رمت بنفسها على إثره ، فنزات الغلطة خلفهما ، فلم يجدوا أحداً منهما ،
 فقطع محمد الشراب ، وقام عن مجلسه .

قال المسعودی : وفي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين سخط المتوكل على عمر
 ابن الفرّج الرخجی^(۲) ، وكان من عليّة الكتاب ، وأخذ منه مالا وجوهرأ
 نحو مائة ألف وعشرين ألف دينار ، وأخذ من أخيه نحواً من مائة ألف
 وخمسين ألف دينار ، ثم صولح محمد على أحد وعشرين ألف درهم على
 أن يرد إليه ضياعه ، ثم غضب عليه غضبة ثانية ، وأمر أن يُصَفَّعَ في كل يوم ،
 فأحصى ما صنع فكان ستة آلاف مفعمة ، وألبسه جبة صوف ، ثم رضى عنه ،
 وسخط عليه ثلاثة ، وأحدر إلى بغداد ، وأقام بها حتى مات .

وأهدى الموبدان^(۳) إلى المتوكل قارورة دهن ، وكتب إليه : إن الهدية
 إذا كانت من الصغير إلى الكبير فلطفت ودقت كان أبهى لها وأحسن ،
 وإن كانت من الكبير إلى الصغير فعظمت كان أرفع لها وأنفع .

قال المسعودی : وكانت وفاة أحمد بن حنبل في خلافة المتوكل بمدينة
 السلام ، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين ومائتين ، ودُفِنَ
 بباب حرب في الجانب الغربي ، وصلى عليه محمد بن طاهر ، وحضر جنازته
 خلق من الناس لم ير مثل ذلك اليوم والاجتماع في جنازة من سلف قبله ،
 وكان للعامّة فيه كلام كثير جرى بينهم بالعكس والضد في الأمور : منها
 أن رجلاً منهم كان ينادى : العنوا الواقف عند الشبهات ، وهذا بالضد عما جاء

(۱) في ب «يا قمر الغصن» . (۲) في ب «عمر بن مصرح الرخجی» .

(۳) في ب «وأهدى المؤيد» .

عن صاحب الشريعة عليه السلام في ذلك ، وكان عظيم من عظمائهم ومقدم
فيهم يقف موقفاً بعد موقف أمام الجنازة وينادى بأعلى صوته :

وأظلمت الدنيا لفقد محمد وأظلمت الدنيا لفقد ابن حنبل
يريد بذلك أن الدنيا أظلمت عند وفاة محمد عليه الصلاة والسلام، وأنها أظلمت
عند موت ابن حنبل ، كظلمتها عند موت الرسول صلى الله عليه وسلم .

وفي هذه السنة انقضت الكواكب الانقضا الذي لم ير مثله قط ،
وذلك في ليلة الخميس لست خلون من جمادى الآخرة ، وقد كان في سنة
ثلاث وعشرين وثلثمائة انقضا لكواكب عظيم هائل ، وهي الليلة التي
وقعت فيها القرامطة بحاج العراق من طريق الكوفة ، وذلك في ذى القعدة
من سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة .

وفي السنة التي مات فيها ابن حنبل كانت وفاة محمد بن عبد الله بن محمد
الإسكافي ، وكان من أهل النظر والبحث ومن علية^(١) أهل العدل ،
وكانت وفاة جعفر بن المبرور سنة أربع وثلثين ومائتين ، وكان من كبار
أهل العدالة وأهل الديانة من البغداديين ، ومات جعفر بن حرب سنة ست
وثلثين ومائتين ، وهو رجل من همدان ووجوه قحطان ، وإلى أبيه يضاف
شارع باب حرب في الجانب الغربي من مدينة السلام ، وهو شيخ البغداديين
من المتكلمين [ومات عيسى بن طفج سنة خمس وأربعين ومائتين ، وكان
من حذاقهم وأهل الديانات منهم]^(٢) ، وذكر أبو الحسن الخياط أن أبا الهذيل

محمد بن الهذيل كانت وفاته سنة سبع وعشرين ومائتين ، ثم تنازع أصحابه في
مولده ؛ فقال قوم : سنة إحدى وثلثين ومائة [وقال قوم : سنة أربع وثلثين
ومائة ، وقد كان أبو الهذيل هذا اجتمع مع هشام بن الحكم الكوفي الحراري ، وكان
هشام شيخ المجسمة والرافضة في وقته ممن وافقه على مذهبه ، وكان أبو الهذيل
يذهب إلى نفي التجسيم ورفع التشبيه ، وإلى ضد قول هشام في التوحيد

(١) في ب « وما عليه أهل العدل » . (٢) هذه الزيادة لا توجد في ا .

بين هشام
وأبي الهذيل

والإمامة ، فقال هشام لأبي الهذيل : إذا زعمت أن الحركة ترى فليَمَ لا زعمت أنها تلمس ؟ قال : لأنها ليست بجسم فيلمس ؛ لأن اللمس إنما يقع على الأجسام ، فقال له هشام : فقل أيضاً إنها لا ترى ؛ لأن الرؤية إنما تقع على الأجسام^(١) ، فرجع أبو الهذيل سائلاً فقال له : من أين قلت إن الصفة ليست الموصوفَ ولا غيره ؟ قال هشام : من قبل أنه يستحيل أن يكون فعلى أنا ويستحيل أن يكون غيري ؛ لأن التغاير إنما أوقعه على الأجسام والأعيان القائمة بأنفسها ، فلما لم يكن فعلى قائماً بنفسه ، ولم يجز أن يكون فعلى أنا وجب أنه لا أنا ولا غيري ، وعلة أخرى أنت قائل بها : زعمت يا أبا الهذيل أن الحركة ليست مماسة ولا مباينة ؛ لأنها عندك مما لا يجوز عليه المماسه ولا المباينة ، فذلك قلت أنا : إن الصفة ليست أنا ولا غيري ، وعلتي في أنها ليست أنا ولا غيري عاتك في أنها لا تلمس ولا تباين ، فانقطع أبو الهذيل ولم يردَّ جواباً .

وكانت وفاة جماعة من المعتزلة
وفاة جماعة من المعتزلة
وكانت وفاة أبي موسى البراء سنة ست وعشرين ومائتين ، وكان من شيوخ العدلية وكبار المتكلمين من البغداديين ، ومات واصل بن عطاء - ويكنى بأبي حذيفة^(٢) - في سنة إحدى وثلاثين ومائة^(٣) ، وهو شيخ المعتزلة وقديمها ، وأول من أظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين ، وهو أن الفاسق من أهل الملة ليس بمؤمن ولا كافر ، وبه سميت المعتزلة ، وهو الاعتزال ، وقد قدّمنا فيما سلف من هذا الكتاب في أخبار بني أمية قول المعتزلة في الأصول الخمسة ، فأغنى ذلك عن إعادته ، وكذلك فيما سلف من كتبنا على الشرح والإيضاح ، وقد بينا فيما سلف من هذا الكتاب خبر عمرو بن عبّيد ووفاته ، وكان شيخ المعتزلة والمقدّم فيها ، وأن وفاته كانت سنة أربع وأربعين

(١) في ب « لأن الرؤية لا تقع على الأجسام » .

(٢) في ب « يكنى بأبي حذيفة » وما أثبتناه عن موافق لما في ان خلكان .

(٣) كذا في ا ، وفي ب « بمائتين » وكلاهما غير مستقيم ، فان خلكان

يذكر أنه توفي سنة إحدى وثمانين ومائة . ولعل ما في ا محرف عن ذلك .

بين هشام
وعمر
ابن عبيد

ومائة ، وقد كان عمرو بن عبيد اجتمع مع هشام بن الحكم ، وهشام يذهب إلى القول بأن لإمامة نص من الله ورسوله على علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، وعلى من يلي عصره من ولده الطاهرين كالحسن والحسين ، ومن يلي أيامهم ، وعمرو يذهب إلى أن الإمامة اختيار من الأمة في سائر الأعصار فقال هشام لعمرو بن عبيد : لم خلق الله لك عينين ؟ قال : لأنظر بهما إلى ما خلق الله من السموات والأرض وغير ذلك فيكون ذلك دليلاً على عليه ، فقال هشام : فلم خلق الله لك سمعاً ؟ قال : لأسمع به التحليل والتحرير والأمر والنهي ، فقال له هشام : [لم خلق الله لك لساناً ؟ فقال عمرو : لأعبر به عما في قلبي وأخاطب به من افترض على أمره ونهيه ، قال هشام] : فلم خلق الله لك قلباً ؟ قال عمرو : لتكون هذه الحواس مؤدية إليه فيكون مميزاً بين منافعها ومضارها ، قال هشام : فكان يجوز أن يخلق الله سائر حواسك ولا يخلق لك قلباً تؤدي هذه الحواس إليه ؟ قال عمرو : لا ، فقال هشام : ولم ؟ قال : لأن القلب باعث لهذه الحواس على ما يصاح له ، فلو لم يخلق الله فيها انبعاثاً من نفسها استحال أن لا يخلق لها باعثاً يبعثها على ما حلقت له إلا بخلق القلب ، فيكون هو الباعث لها على ما تفعله ، والمميز لها بين مضارها ومنافعها ، ويكون الإمام من الخلق بمنزلة القلب من سائر الحواس^(١) إذ كانت الحواس راجعة إلى القلب لا إلى غيره ، ويكون سائر الخلق راجعين إلى الإمام لا إلى غيره ، فلم يأت عمرو بفرق يعرف .

وهذا الذي حكيناه ذكره أبو عيسى محمد بن هارون الوراق ببغداد في كتابة المعروف بكتاب المجالس ، وكانت وفاة أبي عيسى [ببغداد في الجانب الغربي في الموضع المعروف] بالرملة سنة سبع وأربعين ومائتين ، وله تصنيفات حسان كثيرة منها كتابه في المقالات في الإمامة وغيرها من النظار .

وكانت وفاة أبي الحسين أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندي برحبة مالك بن طوق ، وقيل : ببغداد سنة خمس^(٢) ومائتين ، وله نحو من (١) في « من سائر الحيوان » (٢) في « خمس وأربعين ومائتين » .

أربعين سنة ، وله كتب مصنفة مائة كتاب وأربعة عشر كتاباً :
وقد ذكرنا في كتابنا في « أخبار الزمان » وفاة أرباب المقالات وأهل
المذاهب والجدل والآراء والنحل ، وأخبارهم ومناظراتهم وتباينهم في مذاهبهم
وكذلك في الكتاب الأوسط ، إلى سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، وإنما
يسنح لنا ذكر بعضهم في هذا الكتاب فنذكر لهم لمعاً ، وكذلك غيرهم من
الفقهاء وأصحاب الحديث .

وفاة الصولي
الكاتب

وفيه مات إبراهيم بن العباس الصولي ، الكاتب ، وكان كاتباً بليغاً ،
وشاعراً مجيداً ، لا يعلم فيمن تقدم وتأخر من الكتاب أشعر منه ، وكان
يكتسب في حدائنه بشعره ، ورحل إلى الملوك والأمراء ومدحهم طلباً لجدواهم .
وذكر رجل من الكتاب أن إسحاق بن إبراهيم أخا زيد بن إبراهيم
حدثه أنه كان يتقلد الصيمرة والسيروان ، وأن إبراهيم بن العباس اجتاز
به يريد خراسان ، وإنما مون بها ، وقد بايع بالعهد لعل بن موسى الرضا ، وقد
امتدحه بشعر يذكر فيه فضل آل علي وأنهم أحق بالخلافة من غيرهم ، قال :
فاستحسنت القصيدة وسأله أن ينسخها لي ، ففعل ، ووهبت له ألف درهم ،
وحملته على دابة ، وضرب الدهر من ضربه إلى أن ولي ديوان الضياع مكان
موسى بن عبد الملك ، وكنت أحد عمال موسى ، وكان يجب أن يكشف
أسباب موسى ، فعزاني ، وأمر أن تعمل مؤامرة فعملت ، وكثر علي فيها ،
وحضرت للمناظرة عنها ، فجعلت أحتج بما لا يدفع ، فلا يقيله ، وبحكم لي
الكتابُ فلا يلتفت إلى حكمهم ، ويُسمعني في خلال ذلك قدعاً من الكلام^(١)
إلى أن أوجب علي الكتاب اليمين على باب من الأبواب فحلفت عليه فقال :
ليست يمين السلطان عندك يميناً لأنك رافضي ، فقلت له : تأذن لي في
الدنو منك ؟ فأذن لي ، فقلت له : ليس مع تعريضك بهجتي للقتل صبر ،
وها هو المتوكل إن كتبت إليه بما أسمع منك لم آمنه على نفسي ، وقد احتملت

(١) في ب « بدعا من الكلام » .

كل شيء إلا الرفض^(١)، والرافضى : من زعم أن علي بن أبي طالب أفضل من العباس ، وأن ولده أحق من ولد العباس بالخلافة، قال : ومن قال ذلك؟ قلت : أنت وخطك عندي به ، وأخبرته بالشعر ، فوالله ما هو إلا أن قلت ذلك له حتى سقط في يده ، ثم قال : أحضر الدفتر الذي بخطي ، فقلت له : هيهات ! لا والله أو توثق لي بما أسكنُ إليه أنك لا تطالبني بشيء مما جرى على يدي ، وتخرق هذه المؤامرة ، ولا تنظر لي في حساب ، فحلف لي على ذلك بما سكنتُ إليه ، وخرق العمل المعمول ، وأحضرتة الدفتر ، فوضعه في خفه ، وانصرفت وقد زالت عنى المطالبة .

ولإبراهيم بن العباس مكاتبات قد دونت ، وفصول حسان من كلامه قد جمعت ، وقد أتينا على كثير منها في الكتاب الأوسط ، فما استحسنت من فصوله وإن كانت كلها في نهاية الجودة وانتخبناه من كلامه : وقديماً غذت المعصبة أبناءها فخلبت عاينهم من درها مرضعة ، وبسطت لهم من أمانها مطمعة ، وركبت فيهم مخاطرهما موضعة ، حتى إذا رتعوا فأمنوا ، وركبوا فاطمأنوا ، وانقضى رضاع وآن فطام ، سقتهم سما ، ففجرت مجارى ألبانها منها دماً ، وأعقبتهم من غذائها مرأ ، وحطت بهم من معقل إلى عقال ، ومن عز إلى حسرة ، قتلاً وأسراً ، وإباحة وقسراً ، وقل من أوضع في الفتنة مرجحاً في لهبها ومقتحمًا عند ضلالها إلا استقحمته آخذة بمخنقه ، وموهنة بالحق كيده ، حتى تجعله لعاجله جزراً ، ولآجله حطياً ، وللحق موعظة ، وللباطل حجة ، ذلك لهم جزاء في الدنيا ، ولعذاب الآخرة أكبر وما ربك بظلام للعبيد .

وله أشعار حسان ، فما استحسنت من شعره الذي لم يسبقه عند جماعة أهل الأدب أحد من زمانه قوله :

لنا إبلٌ كُومٌ يضيقُ بها الفضاٌ وَيَفْتَرُّ عنها أرضها وسماءها

(١) في « كل ما جرى إلا الرفض » .

فمن دونها أن تُسْتَبَاح دماؤنا ومن دوننا أن يستدم دماؤها
جَمِّي وَقِرِّي فالموت دون مرامها وأهُورُ خُطْبِ فِي الْحَقُوقِ فَنَاوِهَا (١)

وقوله :

ولكنَّ الجواد أباهشام وفي الغيب مأمون المغيب
[غنيُّ عنك ما استغنيت عنه وطالَّعَ عَلَيْكَ مَعَ الْخَطُوبِ]

وقوله :

هب الزمان رماني الشان في الخلان
فيمن رماني لما رأى الزمان زماني
ومن ذخرت زماني شنات في الخلان
ومن ذخرت لِنَفْسِي فعاد ذخرَ الزمان
لو قيل لي خذ أماناً من أعظم الحدان
لما أخذت أماناً إلا من الإخوان

وقوله :

وإذا جرى الله امرأ بفعاله فجزى أخالك ماجداً سمحاً
نبيته من كذبه فكأنما نبت إذ نبيته صبحاً

ومما يجب على الرؤساء أن يحفظوه قوله :

تزيده الأيام إن أقبلت حزمًا وعلماً بتصاريفها
كانها في وقت إسعافها تسمعه صوت تخاريفها

ومما أحسن فيه وبرز عن نظرائه قوله :

سقيًا ورغياً — ياً لأيام اناسلفت بكبت منها فصرت اليوم أبكيها
كذلك أيا من لا شك نندبها إذا تقصت ونحن اليوم نشكوها

وقوله :

(١) في « وأيسر خطب يوم حق فناؤها » .

أولى البرية طراً أن تواسيه عند السرور لمن واساك في الحزن
إن الكرام إذا ما [أيسروا] ذكروا من كان يألفهم في المنزل الخشن^(١)
وقوله :

لا تُلْمِنِي فَإِنَّ مَكَّ أَنْ تُشْرِي وَهَمِّي مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ
كَيْفَ يَسْطِيعُ حَفِظَ مَا جَمَعْتَ كَفَاهُ مَنْ ذَاقَ لَذَّةَ الْإِنْفَاقِ
وقوله :

أَسَدٌ ضَارٍ إِذَا مَا هِجَّتْهُ وَأَبٌ بَرٌّ إِذَا مَا قَدَّرَا
يَعْلَمُ الْأَقْصَى إِذَا أَثْرَى ، وَلَا يَعْلَمُ الْأَدْنَى إِذَا مَا افْتَقَرَا
وكان إبراهيم بن العباس يقول : مثل أصحاب الساطان مثل قوم علوا
جبلا ثم وقعوا منه ، فكان أقربهم إلى التلف أبعدهم من الارتقاء ، وكان
إبراهيم يدعى خؤولة العباس بن الأحنف الشاعر .

العباس
ابن الأحنف

وحكى أبو العباس أحمد بن جعفر بن حمدان القاضي ، عن سليمان بن
الحسن بن مخلد ، عن أبيه الحسن ، قال : أنشد إبراهيم بن العباس قول
العباس بن الأحنف :

إِنْ قَالَ لَمْ يَفْعَلْ ، وَإِنْ سِيلَ لَمْ يَبْذُلْ ، وَإِنْ عَوْتَبَ لَمْ يُعْتَبِ
صَبٌّ بِهَجْرَانِي ، وَلَوْ قَالَ لِي : « لَا تَشْرَبِ الْبَارِدَ » لَمْ أَشْرَبِ
فقال : هذا والله الشعر الحسن المعنى ، السهل اللفظ ، العذب المستمع ،
القليل النظير ، ما سمعت كلاماً أجزل منه في رقة ، ولا أسهل في صعوبة ،
ولا أبلغ في إنصاف ، من هذا ، فقال له الحسن : كلامك والله أحسن
من شعره :

ومما استحسن من شعر العباس بن الأحنف قوله :

تَحْمَلُ عَظِيمَ الذَّنْبِ مِمَّنْ تَحِبُّهُ وَإِنْ كُنْتَ مَظْلُومًا فَقُلْ : أَنَا ظَالِمٌ
فَطُوبَى لِمَنْ أَغْنَى مِنَ اللَّيْلِ سَاعَةٌ وَذَاقَ اغْتِمَاضًا ؛ إِنْ ذَاكَ لِنَاعِمٌ

(١) في « إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا » .

وقوله :

اصرف فؤادك يا عباس معتمداً عنها ، وَإِلَّا تَمَّتْ فِي حَبِّهَا كَمَا
لو أنها من وراء الروم في بلد ما كنت أسكن إلا ذلك البلدا
يا من شكك شوقه من هول غيبته اصبر لعلك تلقى ما تحب غداً^(١)

وقوله :

أَغَبَّ الزَّيَارَةَ لِمَا بَدَأَ لَهُ الْمَجْرُ أَوْ بَعْضَ أَسْبَابِهِ
وما صدَّ عَنَّا ، وَلَكِنَّهُ طَرِيدٌ مَلَالَةٌ أَحْبَبَ أَسْبَابِهِ

حدثنا أبو خليفة القضاة بن الحباب الجمحي قال : حدثنا الرياشي ، قال :
ذكر جماعة من أهل البصرة قالوا : خرجنا يريد الحج ، فلما كنا ببعض
الطريق إذا غلام واقف على المحجَّة وهو ينادي : يا أيها الناس ، هل فيكم
أحد من أهل البصرة ؟ قال : فملنا إليه^(٢) وقالنا له : ما تريد ؟ قال : إن
مولاي لما به يريد أن يوصيكم ، فلما معه . فإذا بشخص ملقى على بعد من
الطريق تحت شجرة لا يُحِيرُ جواباً ، فجلسنا حوله ، فأحس بنا ، ورفع طرفه ،
وهو لا يكاد يرفعه ضعفاً ، وأنشأ يقول :

وفاة العباس
ابن الأصف

يا غريب الدار عن وطنه مفرداً يبكي على شجنته

كَلِمًا جَدَّ الْبُكَاءَ بِهِ دَبَّتِ الْأَسْقَامُ فِي بَدَنِهِ^(٣)

ثم أغمى عليه طويلاً ، وإنا جلوس حوله إذ أقبل طائر فوق على أعلى
الشجرة ، وجعل يغرد ، ففتح الفتى عينيه وجعل يسمع تغريد الطائر ،
ثم قال :

ولقد زاد الفؤاد شجتي طائر يبكي على فننه

شفه ما شقني فبكي كلنا يبكي على سكنه

قال : ثم تنفس تنفساً فاضت نفسه منه ، فلم نبرح من عنده حتى

(١) في اصبراً لعلك تلقى ما تحب غداً .

(٢) في « فعدلنا إليه » . (٣) في « زادت الأسقام » .

غسلناه وكفنناه وتولينا الصلاة عليه ، فلما فرغنا من دفنه سألتنا الغلام عنه ، فقال : هذا العباس بن الأحنف .

وقد أخبرنا بهذا الخبر أبو إسحاق الزجاجي النحوي ، عن أبي العباس المبرد ، عن المازني ، قال : حدثنا جماعة من أهل البصرة بما ذكرناه .

وكانت وفاة أبي ثور إبراهيم بن خالد^(١) الكلابي سنة أربعين ومائتين .

نفي المتوكل
على بن الجهم

وفي سنة اثنتين وثلاثين ومائتين نفي المتوكل على بن الجهم الشاعر إلى خراسان ، وقيل : في سنة تسع وثلاثين ومائتين ، وقد أتينا على خبره وما كان من أمره ورجوعه بعد ذلك إلى العراق ، وخروجه يريد السفر ، وذلك في سنة تسع وأربعين ومائتين ، فلما صار بالقرب من حلب من بلاد قدسرين والعواصم بالموضع المعروف بنخشبات^(٢) اقيته خيل الكلابيين فقتلته ، فقال في ذلك وهو في الشرق :

أزِيدَ في الليل ليلُ أم سال بالصبح سَيْلُ ؟

ذَكَرْتَ أهل دُجَيْلٍ وأين مني دُجَيْلُ - ل ؟

وكان على بن الجهم السامي هذا - مع انحرافه عن أمير المؤمنين على ابن أبي طالب رضي الله عنه وإظهاره التسنن - مطبوعا مقتدرا على الشعر ، عذب الألفاظ ، غزير الكلام ، وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب طعن من طعن على نسبه ، وما قال الناس في عقب سامة بن لؤي بن غالب ، وقول على بن محمد بن جعفر العلوي الشاعر :

وسامةٌ منّا فأما بنوه فأصرهمُ عنـدنا مُظلمُ

أناس أتونا بأنسابهم خرافة مضطجع يحلم

وقلت لهم مثل قول النبي وكل أقاويله محكم

إذا ما سئلت ولم تدر ما تقول فقل ربنا أعلم

(١) في ب « إبراهيم بن خالد » . (٢) في ب « بنخشاف » .

وقول العلوي فيه أيضاً :

لو اکتفت النَّضْرَ أو مَعَدًّا أو آتخذت البيت كهفا مَهْدًا
وزمزمًا شريعة ووردا والأخشبين محضرا ومَبْدًا
ما ازددت إلا من قريش بعدا أو كنت إلا مصقليا وِغْدًا
وإنما أعدنا ذكر هذا الشعر في هذا الموضع - وإن كنا قد قدمنا فيما
سلف من هذا الكتاب - لما سنع لنا من ذكر علي بن الجهم في أيام
المتوكل ، ولما احتجنا إليه عند ذكرنا لشعر علي بن الجهم وإجابته
العلوي على هذا الشعر ، فكان ما أجاب به علي الجهم لعلي بن محمد بن
جعفر العلوي :

لم تُدِقْني حلاوة الإِنصاف وتَعَسَّفَتني أشدَّ اعتساف
وتركت الوفاء علما بما فية وأمرفت غاية الإسراف
غير أني إذا رجعت إلى حـق بنى هاشم بن عبد مناف
لم أجد لي إلى التَشَفِّي سبيلا بقواف ولا بغير قواف
لي نفس تآبي الدنية والإيشـراف لاتعتدي على الأشراف

وله في الحبس شعر معروف لم يسبقه إلى معناه أحد ، وهو قوله :

قالوا: حبست، فقلت: ايس بضأرى حبسى ، وأى مهند لا يُغَمَدُ؟
أو ما رأيت الليث يألف غيـلَهُ كبرا ، وأوباش السباع تردد
والشمس لولا أنها محجوبة عن ناظريك لما أضاء الفرفدُ
والنـار في أحجارها مخبوءة لاتصطلي إن لم تُثِرْها الأزندُ
والحبس ما لم تغشيه لدنية شنعاء نعيم المنزل المستورد^(١)
بيت يـجـدد للكريم كرامة ويزار فيه ولا يزور ويحفد
لوم يكن في الحبس إلا أنه لا يستذلُّك بالحجاب الأعبدُ

(١) في ا « نعم المنزل المتورد » وهو أظهر .

ومما أحسن فيه قوله :

خليلي ما أحلى الهوى وأمره
وأعلمني بالحلو منه وبالمر
بما بيننا من حرمة هل رأيتما
أرق من الشكوى وأقسى من الهجر؟
وأفصح من عين المحب لسره
ولاسيما إن أطلقت عبيرة تجرى^(١)

ومما اختير من قوله :

حسرت عني القناع ظلوم
وتولت ودمعها مسجوم
شر ما أنكرت تصرم عهد
لم يدم لي ، وأى عهد يدوم ؟
أنكرت مارأت برأسي وقالت :
أمشيب أم لؤاؤ منظوم

[قلت : أولاهما علمت ، فقالت : آية يستثيرها المهموم^(٢)

ليس همي من المهموم التي يحسن فيها العزاء والتسليم^(٣)

إن امرأ أخني على بشيب الرأس في ليلة لأمر عظيم

ليس عندي وإن تعزيت إلا طاعة حرة وقلب سليم^(٤)

ومن جيد شعره :

هي النفس ما حمتها تتحمل
وللدهر أيام تجور وتعادل
وعاقبة الصبر الجميل جميلة
وأكمل أخلاق الرجال التفضل
ولا عار إن زالت عن المرء نعمة
ولكن عاراً أن يزول التجمل
وما المال إلا حسرة إن تركته
وغنم إذا قدمته متعجل

ومما اعتذر فيه فأحسن قوله في المتوكل :

إن ذل السؤال والاعتذار
خطة صعبة على الأحرار

ليس من باطل يوردها المرء
ولكن سوابق الأقدار

فأرض للسائل الخضوع وللقا
رف ذنباً بذلة الاعتذار

(١) كذا في ا، ب، وأحسب أنه محرف عن «وأفصح من عين المحب» بالضاد المعجمة

(٢) سقط هذا البيت من ا (٣) في ب « هي عندي من المهموم - إلخ »

(٤) في ا « ليس عندي وإن تقربت » .

إِنْ تَجَافَيْتَ مُنْعِمًا كُنْتَ أَوْلَىٰ مَنْ تَجَافَىٰ عَنِ الذُّنُوبِ الْكِبَارِ
أَوْ تُعَاقِبُ فَأَنْتَ أَعْرَفٌ بِاللَّهِ ، وَلَيْسَ الْعُقَابُ مِنْكَ بَعَارٌ

وَمَا جُودٌ فِيهِ قَوْلُهُ لِمَا قَيْدٌ :

فَعَلْتَ لَهَا وَالِدَمْعَ شَتَّى طَرِيقَهُ وَنَارَ الْهَوَىٰ بِالْقَلْبِ يَذُكُو وَقُودَهَا
فَلَا تَجْزَعِي إِمًّا رَأَيْتَ قَيْودَهُ فَإِنْ خَلَاخِيلَ الرِّجَالِ قَيْودَهَا
وَكَانَ فِي لِسَانِهِ فَضْلٌ قَلٌّ مَنْ سَلِمَ مَعَهُ مِنْهُ ، وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَنْحَرَفًا
عَنْهُ ، فَاسْتَشْفَعَ عَلَيْهِ بِوَصِيفِ التُّرْكِيِّ حَتَّى أَصْلَحَ لَهُ نَاحِيَتَهُ ، ثُمَّ فَسَدَ عَلَيْهِ
وَصِيفٌ ، فَاسْتَشْفَعَ عَلَيْهِ بِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ شُكْرًا قَلُوبِنَا فِي يَدَيْهِ
صَارَ الْأَمِيرُ شَفِيعًا إِلَى شَفِيعِي إِلَيْهِ (١)

وَلَهُ أَشْعَارٌ نَادِرَةٌ ، وَأَمْثَالُ سَائِرَةٍ ، اخْتَرْنَا مِنْهَا مَا قَدِمْنَا ذِكْرَهُ وَاقْتَصَرْنَا
بِذَلِكَ عَنْ غَيْرِهِ ، وَقَدْ رثاه جماعة من الشعراء بعد قتله ، منهم أبو صاعد ، فقال :

أُرْبِقِي الدَّمْعَ وَاجْتَنِبِي الْهَجْوَعَا وَصُورِي شَمْلٌ وَجَدِّكَ أَنْ يَضِيْعَا
وَقَوْلِي : إِنْ كَهْفُ بَنِي لَوْيَ غَدَاً بِالشَّامِ مَنْجَدَلَا صَرِيْعَا
عِزَاءَ يَا بَنِي جَهْمِ بْنِ بَدْرِ فَقَدْ لَاقَيْتُمْ خَطْبًا فَظِيْعَا
أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ تَدْرِي الْمَنَآيَا بِمَا لَاقَيْتُمْ لَبَكَّتْ نَجِيْعَا
ثَوِي كَهْفِ الْأَرَامِلِ وَالْيَتَامَى وَمَنْ كَانَ الزَّمَانُ بِهِ رَبِيْعَا
فَتَّى كَانَ السَّهَامُ عَلَى الْأَعَادَى وَلِيثًا دُونَ حَادِثَةٍ مَنِيْعَا (٢)

قَالَ : وَفِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ كَانَ خُرُوجُ الْمُتَوَكَّلِ مِنْ دِمَشْقَ
إِلَى سُرٍّ مِنْ رَأْيٍ ، فَكَانَ بَيْنَ خُرُوجِهِ مِنْهَا وَرَجُوعِهِ إِلَيْهَا ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ
وَسَبْعَةَ أَيَّامٍ ، وَفِي خُرُوجِهِ يَقُولُ [يَزِيدُ] الْمَهْلَبِيُّ شِعْرًا طَوِيلًا اخْتَرْنَا مِنْهُ قَوْلَهُ :

أَظُنُّ الشَّامَ يَشْمَتُ بِالْعِرَاقِ إِذَا عَزَمَ الْإِمَامُ عَلَى انْتِقَالِ
فَإِنْ تَدَاعَى الْعِرَاقُ وَسَا كُنِيْهَا فَقَدْ تُبَلَّى الْمَلِيْحَةُ بِالطَّلَاقِ
وَلَمَّا نَزَلَ دِمَشْقَ أَبِي أَنْ يَنْزِلَ الْمَدِيْنَةَ لِتُكَائِفَ هَوَاءَ الْغُوطَةِ [عَلَيْهَا]

(١) فِي «صَارَ الْأَمِيرُ شَفِيعًا» (٢) كَذَا، وَلَعَلَّهُ «كَانَ السَّهَامُ عَلَى الْأَعَادَى»

وما يرتفع من بخار مياهها ، فنزل قصر المأمون ، وذلك بين دارياً ودمشق ، على ساعة من المدينة ، في أعلى الأرض ، وهذا الموضع بدمشق يُشرف على المدينة وأكثر الغوطة ويعرف بقصر المأمون إلى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة .

وذكر سعيد بن نكيس قال : كنت واقفاً بين يدي المتوكل في مَضْرِبِهِ
بدمشق إذ شَغَبَ^(١) الجند واجتمعوا وضجُّوا يطلبون الأعطية ، ثم خرجوا
إلى تجريد السلاح والرمي بالنشاب ، وأقبلت أرى السهام ترتفع في الرواق ،
فقال لي : يا أبا سعيد ، ادع لي رجاء الخضاري ، فدعوته ، فقال له : يار جاء ،
أما ترى ما خرج إليه هؤلاء ؟ فما الرأي عندك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ،
قد كنت مُشَفِّقاً في هذا السفر من مثل هذا ، فأشرت بما أشرت من تأخيره ،
فقال أمير المؤمنين إليه ، وقال : دَعُ ما مضى وقل الآن مما حضر برأيك ،
فقال : يا أمير المؤمنين ، توضع الأعطية ، فقال له : فهذا ما أرادوا ، وفيه
مع ما خرجوا إليه ما يعلم ، قال : يا أمير المؤمنين ، مُرُّ بهذا فإن الرأي
بعده ، فأمر عبيد^(٢) الله بن يحيى بوضع الأعطية فبهم ، فلما خرج المال
وبدى بإنفاقه دخل رجاء فقال : مُرِّ الآن يا أمير المؤمنين بضرب الطبل
للرحيل إلى العراق ، فإنهم لا يأخذون مما أخرج إليهم شيئاً ، ففعل ذلك ،
فترك الناس الأعطية [فرجعوا] حتى إن المُعْطَى لیتعلق بالرجل ليعطيه
رزقه فلا يأخذه .

قال سعيد : وقد كان الأتراك قد رأوا أنهم يقتلون المتوكل بدمشق ، الأتراك
فلم يمكنهم فيه حيلة بسبب بُغَا الكبير ، فإنهم دَبَّرُوا في إبعاده عنه ، يدبرون وقية
فطرحوا في مضرب المتوكل الرقاع يقولون فيها : إن بُغَادِرُ أن يقتل أمير
المؤمنين ، والعلامة في ذلك أن يركب في يوم كذا في خيله ورجله ، فيأخذ

(١) في ب « إذ سعت الجند » . (٢) في ب « عبد الله بن يحيى » .

عليه أطراف عسكره ، ثم يأخذ جماعة من الغلمان العجم يدخلون عليه فيفتكون به ، فقرأ المتوكل الرقاع فبهت مما تضمنته ، ودخل في قلبه من بُغاً كل مدخل ، وشكاً إلى الفتح ذلك ، وقال له في أمر بُغاً والإقدام عليه ، وشاوره في ذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الذي كتب الرقاع قد جعل للأمر دلائل في وقت بعينه [سماهله] من ركوب الرجل بالأطراف من العسكر وتوكيله بنواحيه ، وبعد ذلك يتبين الأمر ، وأنا أرى أن تمك ، فإن صح هذا الدليل نظرنا كيف نفعل ، وإن بطل ما كتب به فالحمد لله ، وأقبلت الرقاع تطرح في كل وقت على جهة [التنصح ، وأن في أعناق من كتبها بيعة لم يجد معها بدأ من [النصح والصدق ، فلما علموا بما علم به الخليفة وتمكن به ما عندهم من الأمر كتبوا رقاعاً فطرحوها في مضرب بُغاً يقولون فيها : إن جماعة من الغلمان والأتراك قد عزموا على الفتك بالخليفة في عسكره ، ودبروا ذلك ، واتفقوا عليه ، وتعاهدوا على أن يأتوه من نواحي كذا ، ونواحي كذا ، فالله الله إلا ما احترست لأمر المؤمنين ، وحرصته في هذه الليلة من هذه المواضع ، وحصنتها بنفسك ومن تثق به ، فإننا قد نصحتنا وصدقنا ، وأكثروا طرح الرقاع بهذا المعنى والتوكيد في حراسة الخليفة ، فلما وقف بُغاً عليها وتتابعت عليه لم يأمن أن يكون ما كتب إليه فيها حقاً ، مع ما كان وقع عليه من الأمر قبل ذلك ، فلما كانت الليلة التي ذكروها جمع جيوشه وأمرهم بالركوب بالسلاح وركب بهم إلى المواضع التي ذكرت ، فأخذها على المتوكل وحرصها ، واتصل الخبر بالمتوكل فلم يشك أن ما كتب له حق ، فأقبل يتوقع من يوافيه فيفتك به ، وسهر ليلته ، وامتنع من الأكل والشرب ، فلم يزل على تلك الحال إلى الغداة ، وُبغاً يجرسه ، والأمر عند المتوكل على خلاف ذلك ، وقد اتهم بُغاً ، واستوحش من فعله ، فلما عزم المتوكل على الانصراف قال له : يا بُغاً ، قد أبت نفسي مكانك مني ، ورأيت أن أقلدك هذا الصقع وأقر عليك ما كان لك

من رزق وحباء ونزل ومعونة وكل سبب ، فقال : أنا عبدك يا أمير المؤمنين فافعل ما شئت وأمرني بما أحببت ، فخلفه بالشام وانصرف ، فأحدث الموالى عليه ما أحدثوا ، فلم يعلم المتوكل وجه الحيلة ، ولم يعلم كل واحد منهما الحيلة في ذلك إلى أن تمت الحيلة .

قال : ولما عزم بغاً الصغير على قتل المتوكل دعا بباغر التركي ، وكان قد اصطنعه واتخذته وملاً عينه من الصلّات ، وكان مقداما أهوج ، فقال له : يا باغر أنت تعلم محبتي لك وتقديمي إياك وإيثاري لك وإحساني إليك ، وإني قد صرت عندك في حد من لا يُعصى له أمر ولا يخرج عن محبته^(١) ، وأريد أن أمرك بشيء فعرّفني كيف قلبك فيه ، فقال : أنت تعلم كيف أفعل^(٢) فقل لي ما شئت حتى أفعله ، قال : إن ابني فارس قد أفسد على عملي وعزم على قتلي وسفك دمي ، وقد صح عندي ذلك منه ، قال : فتريد مني ماذا ؟ قال : أريد أن يدخل على غداً فالعلامة بيننا أن أضع قلنسوتي في الأرض ، فإذا أنا وضعتها [في الأرض] فاقتله ، قال : نعم ، ولكن أخاف أن يبدو لك أو تجد في نفسك على ، قال : قد آمنك الله من ذلك . فلما دخل فارس حضر باغر ووقف موقف الضارب ، فلم يزل يراعي بغاً أن يضع قلنسوته ، فلم يفعل ، وظن أنه نسي ، فغمزه بعينه أن أفعل^(٣) ؟ قال : لا ، فلما لم ير العلامة وانصرف فارس قال له بغا : أعلم أني فكرت في أنه حدث وأنه ولدي ، وقد رمت أن أستخلصه هذه المرة ، فقال له باغر : أنا قد سمعت وأطعت وأنت أعلم وما دبرت وقدرت عليه فيه صلاحه ؛ ثم قال له : وهبنا أمر أكبر من ذلك وأهم فعرّفني كيف تريد أن تكون فيه ، قال له : قل ما شئت حتى أفعله ، قال : أخي وصيف قد صح عندي أنه يدبر على وعلى رفقائي ، وأن مكاننا قد ثقل عليه ، وأنه عوّب على أن يقتلنا ويفيننا وينفرد بالأمور^(٤) ؛ قال : فماذا تريد أن يصنع ؟ قال : افعل هذا فإنه يصير إلى

(١) في ب « ولا يخرج عن محبته » (٢) في ا « أنت تعلم كيف هو »

(٣) في ب « أي افعل » (٤) في ب « ويتفرد بالأمور »

غداً فالعلامة أن أنزل عن المصلي الذي يكون معي قاعداً عليه ، فإذا رأيتني نزلت عنه فضع سيفك عليه واقتله ؛ قال : نعم ، فلما صار وصيف إلى بُغا حضر باغز و قام مقام المستعد ، فلم ير العلامة حتى قام وصيف وانصرف ، قال : فقال له بُغا: يا باغز إني فكرت في أنه أحي وأني قد عاقدته وحلفت له ، فلم أستجز أن أفعل ما دبرته ، ووصله وأعطاه . ثم إنه أمسك عنه مدة مديدة ودعا به^(١) فقال : يا باغز ، قد حضرت حاجة أكبر من الحاجة التي قدمتها فكيف قلبك ؟ قال . قلبي على ما تحبُّ فقل ما شئت حتى أفعله ، فقال : هذا المنتصر قد صح عندي أنه على إيقاع التدبير عَلَيَّ وَعَلَى غَيْرِي حتى يقتلنا وأريد أن أقتله ، فكيف ترى نفسك في ذلك ؟ ففكر باغز في ذلك ونكس رأسه [طويلاً] وقال : هذا لا يجيئ منه شيء ، قال : وكيف ؟ قال : يقتل الابن والأب باقٍ ؟ إذا لا يستوي لكم شيء ويقتلكم أبوه كلكم به ؟ قال : فما ترى عندك ؟ قال : نبدأ بالأب أولاً فنقتله ، ثم يكون أمر الصبي أيسر من ذلك ، فقال له : ويحك ويُفعل هذا ويُتهيأ ؟ قال : نعم أفعله وأدخل عليه حتى أقتله ، فجعل يردد عليه ، فيقول : لا تفعل غير هذا ، ثم قال له : فادخل أنت في أثرى فإن قتلته وإلا فاقتلني وضع سيفك عَلَيَّ ، وقل : أراد أن يقتل مولاه ، فعلم بُغا حينئذ أنه قاتله وتوجه له في التدبير في قتل المتوكل .

وفاه شجاع أم المتوكل
وفي سنة سبع وأربعين [ومائتين] توفيت شجاع أم المتوكل ، وصلى عليها المنتصر ، وذلك في شهر ربيع الآخر .

مقتل المتوكل
ثم قتل المتوكل بعد وفاتها بستة أشهر ، ليلة الأربعاء لثلاث ساعات خلت من الليل ، وذلك لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين وقيل : لأربع خلون من شوال سنة سبع وأربعين .

وكان مولده بقم الصلح ، حدث البحري قال : اجتمعنا ذات ليلة^(٢) مع

(٢) في ب « اجتمعنا ذات يوم » .

(١) في ا « ثم دعا به »

الندماء في مجلس المتوكل فتذاكرنا أمر السيوف ، فقال بعض من حضر :
 بلغني يا أمير المؤمنين أنه وقع عند رجل من أهل البصرة سيف من الهند
 ليس له نظير ولم ير مثله ، فأمر المتوكل بكتاب إلى عامل البصرة يطلبه
 بشرائه بما بلغ ، فنفذت الكتب على البريد وورد جواب عامل البصرة
 بأن السيف اشتراه رجل من أهل اليمن ، فأمر المتوكل بالبعث إلى اليمن
 بطلب السيف وابتياعه ، فنفذت الكتب بذلك ، قال البحترى : فبينما نحن
 عند المتوكل إذ دخل عليه عبيد الله [بن يحيى] والسيف معه ، وعرفه أنه
 ابتيع من صاحبه باليمن بعشرة آلاف درهم ، فسر بوجوده ، وحمد الله على
 ما سهل من أمره ، وانتضاه فاستحسنه ، وتكلم كل واحد منا بما يحب ،
 وجعله تحت ثني فراشه ، فلما كان من الغداة قال للفتح : اطلب لي غلاماً
 تثق بنجدته وشجاعته أَدفع له هذا السيف ليكون واقفاً به على رأسي
 لا يفارقني في كل يوم ما دمت جالساً ، قال : فلم يستم الكلام حتى أقبل
 باغر التركي فقال الفتح : يا أمير المؤمنين ، هذا باغر التركي قد وصف لي
 بالشجاعة والبسالة ، وهو يصلح لما أراد أمير المؤمنين ، فدعا به المتوكل
 فدفع إليه السيف ، وأمره بما أراد ، وتقدم أن^(١) يزداد في مرتبته ، وأن
 يضعف له الرزق ، قال البحترى : فوالله ما انتضى ذلك السيف ولا خرج من
 عمده من الوقت الذي دفع إليه إلا في الليلة التي ضربه فيها باغر بهذا السيف .
 قال البحترى : لقد رأيت من المتوكل في الليلة التي قتل فيها عجباً ، وذلك أننا
 تذاكرنا أمر الكبر ، وما كانت تستعمله الملوك من الجبرية ، فجعلنا نخوض
 في ذلك وهو يتبرأ منه ، ثم حوّل وجهه إلى القبلة فسجد وعفر وجهه
 بالتراب خضوعاً لله عز وجل ، ثم أخذ من ذلك التراب فنثره في لحيته
 ورأسه ، وقال : إنما أنا عبد الله ، وإن من صار إلى التراب لحقيق أن
 يتواضع ولا يتكبر .

(١) في « وتقدم بأن يزداد » .

قال البحتري : فتطيرت له من ذلك ، وأنكرت ما فعله من نثره التراب على رأسه ولحيته ، ثم قعد للشراب ، فلما عمل فيه غنى من حضره من المغنين صوتاً استحسنه ، ثم التفت إلى الفتح فقال : يا فتوح ، ما بقي أحد سمع هذا الصوت من مخارق غيري وغيرك ، ثم أقبل على البكاء .

قال البحتري : فتطيرت من بكائه وقلت هذه ثانية ؛ فإننا في ذلك إذ أقبل خادم من خدم قبيجة^(١) ومعه مندبل وفيه خلعة وجهت بها إليه قبيجة ، فقال له الرسول : يا أمير المؤمنين تقول لك قبيجة : إني استعملت هذه الخلعة لأمير المؤمنين واستحسنتها ووجهت بها لتلبسها ، قال : فإذا فيها دراعة حمراء لم أر مثلها قط ، ومُطْرَفُ خز أحمر كأنه ديبقى من رقته ، قال : فلبس الخلعة والتحف بالمطرف^(٢) . قال [البحتري : فتصيدت لأبدره بنادرة تكون سبباً لأخذ المطرف] فإني على ذلك إذ تحرك المتوكل فيه وقد كان التف عليه المطرف فجذبه جذبة فخرقه من طرفه إلى طرفه ، قال : فأخذه ولفه ودفعه إلى خادم قبيجة الذي جاء بالخلعة ، وقال : قل لها احتفظي بهذا المطرف عندك ليكون كفنناً لي عند وفاتي ، فقلت في نفسي : إنا لله وإنا إليه راجعون ، انقضت والله المدة ؛ وسكر المتوكل سكرًا شديدًا ، قال : وكان من عادته أنه إذا تمايل عند سكره أن يقيمه الخدم الذين عند رأسه ، قال : فبينما نحن كذلك ومضى نحو ثلاث ساعات من الليل إذ أقبل باغر ومعه عشرة نفر من الأتراك وهم متلثمون والسيوف في أيديهم تبرق في ضوء تلك الشمع ، فهجموا علينا ، وأقبلوا نحو المتوكل حتى صعد باغر ومعه آخر من الأتراك على السرير ، فصاح بهم الفتح : ويلكم !! مولاكم ؛ فلما رأهم الغلمان ومن كان حاضراً من الجلساء والندماء تطايروا على وجوههم ، فلم يبق أحد في المجلس غير الفتح وهو يحاربهم ويمانعهم قال البحتري : فسمعت صبيحة المتوكل وقد ضربه باغر بالسيف الذي كان المتوكل دفعه إليه على جانبه الأيمن ، فقدّه إلى خاصرته ، ثم ثناه على جانبه الأيسر ففعل مثل ذلك ،

(٢) في ب « والتحف المطرف » .

(١) في ب « قبيجة »

وأقبل الفتح يمانعهم عنه فبعجه واحد منهم بالسيف الذي كان معه في بطنه فأخرجه من متنه ، وهو صابر لا يتنجس ولا يزول ، قال البحترى: فما رأيت أحداً كان أقوى نفساً ولا أكرم منه ، ثم طرح بنفسه على المتوكل ، فماتا جميعاً ، فلما في البساط الذي قتلا فيه ، وطرحا ناحية ، فلم يزالا على حالتها في ليلتهما وعامة نهارهما حتى استقرت الخلافة المنتصر ، فأمر بهما فدفنا جميعاً ، وقيل : إن قبحة كفته بذلك المطرف المحرق بعينه .

وقد كان بُغاً الصغير توحش من المتوكل فكان المنتصر يجتذب قلوب الأتراك ، وكان أوتامش غلام الواثق مع المنتصر ، فكان المتوكل يبغضه لذلك ، وكان أوتامش يجتذب قلوب الأتراك إلى المنتصر ، وعبيد الله بن خاقان الوزير والفتح بن خاقان منحرفين عن المنتصر مائلين إلى المعتز ، وكانا قد أوغرا قلب المتوكل على المنتصر ، فكان المنتصر لا يبعد المتوكل أحداً من الأتراك إلا اجتذبه ، فاستمال قلوب الأتراك وكثيراً من الفراغنة^(١) والأشروسية ، إلى أن كان من الأمر ما ذكرناه .

[وقد ذكر في كيفية قتل المتوكل غير ما ذكرنا] ، وهذا ما اخترناه في هذا الموضوع ، إذ كان أحسن ألفاظاً وأقرب مأخذاً ، وقد أتينا على جميع ما قيل في ذلك في الكتاب الأوسط ، فأغنى ذلك عن تكراره في هذا الكتاب . ولم يكن المتوكل يوماً أشد سروراً منه في اليوم الذي قتل فيه ؛ فلقد أصبح في هذا اليوم نشيطاً فرحاً مسروراً ، وقال : كأني أجد حركة الدم ، فاحتجم في ذلك اليوم ، وأحضر الندماء والمهين ، فاشتد سروره وكثر فرحه ، فانقلب ذلك الفرح ترحاً والسرور حزناً ؛ فمن ذا الذي يغتر بالدنيا ويسكن إليها ، ويأمن الغدر والنكبات فيها إلا جاهل مغرور ؟ فهي دار لا يدوم نعيمها ، ولا يتم فيها سرور ، ولا يؤمن فيها محذور ، قد قرنت منها السراء بالضراء ، والشدة بالرشاء ، والنعيم بالبلوى ؛ ثم يتبعها الزوال ، فمع نعيمها البؤس ، ومع سرورها الحزن ، ومع محبوبها المكروه ، ومع صحتها

(١) في ب « الفراغنة » بالعين المهملة ، محرفاً .

السقم ، ومع حياتها الموت ، ومع فرحاتها الترحات ، ومع لذاتها الآفات ،
عزيرها ذليل ، وقويها مهين ، وغنيها محروب ، وعظيمها مسلوب ، ولا
يبقى إلا الحي الذي لا يموت ولا يزول ملكه وهو العزيز الحكيم .
وفي ذلك يقول البحري في غدر المنتصر بأبيه وفتكه به ، من
قصيدة له :

أ كان ولي العهد أضمر غدره فمَنْ عَجَبٍ أَوْ وُلِّيَ الْعَهْدَ غَادِرُهُ
فلا مَلِيَّ الْبَاقِي تَرَاثَ الَّذِي مَضَى وَلَا حَمَلَتْ ذَاكَ الدَّعَاءَ مَنَابِرُهُ^(١)

وكانت أيام المتوكل في حسنها ونضارتها ورفاهية العيش بها وحمد
الخاص والعام لها ورضاهم عنها أيام سراء لا ضراء ، كما قال بعضهم : كانت
خلافة المتوكل أحسن من أمن السبيل ، ورخص السعر ، وأمانى الحب ،
وأيام الشباب ؛ وقد أخذ هذا [المعنى] بعض الشعراء فقال :

قربك أشهى موقعا عندنا من لين السعر وأمن السبيل
ومن ليالى الحب موصولة بطيب أيام الشباب الجميل

قال المسعودي : وقد قيل : إنه لم تكن النفقات في عصر من الأعصار
ولا وقت من الأوقات مثلها في أيام المتوكل .

ويقال : إنه أنفق على الهاروني والجوسق الجعفرى أكثر من مائة ألف
ألف درهم ، هذا مع كثرة الموالى والجنود والشاكرية ودرور العطاء لهم^(٢)
وجليل ما كانوا يقبضونه في كل شهر من الجوائز والهبات .

ويقال : إنه كان له أربعة آلاف سرية وطهن كلهن ، ومات وفي بيوت
الأموال أربعة آلاف ألف دينار وسبعة آلاف ألف درهم ، ولا يعلم أحد في

(١) في « فلا ملك الباقي » .

(٢) في « ودرور العطاء عليهم » .

صناعته في جد ولا هزل إلا وقد حظي في دولته ، وسعد بأيامه ، ووصل إليه نصيب وافر من ماله .

وذكر محمد بن أبي عون قال : حضرت مجلس المتوكل على الله في يوم نيروز ، وعنده محمد بن عبد الله بن طاهر ، وبين يديه الحسين^(١) بن الضحاک الخليل الشاعر ، فغمز المتوكل خادماً على رأسه حسن الصورة أن يسقى الحسين^(١) كأساً ويحيمه بتفاحة عنبر^(٢) ، ففعل ذلك ، ثم التفت المتوكل إلى الحسين^(١) فقال : قل فيه أبياتاً ، فأنشأ يقول :

وكالدرة البيضاء حياً بعنبر من الورد يسعى في قرأطق كالورد^(٣)
له عبثات عند كل تحية بعينيه تستدعي الخلى إلى الوجد^(٤)
تمنيت أن أسقى بكفيه شربة تذكري ما قد نسيت من العهد
سقى الله دهرأ لم أبت فيه ساعة من الليل إلا من حبيب على وعد

قال المتوكل : أحسنت والله ، يُعطى لكل بيت مائة دينار ، فقال محمد ابن عبد الله : ولقد أجاب فأسرع ، وذكر فأوجع ، ولولا أن يد أمير المؤمنين لا تطاولها يد لأجزلت له العطاء ولو بالطارف والتالد ، فقال المتوكل عند ذلك : يعطى لكل بيت ألف دينار .

قال : ويروى أنه لما أتى بمحمد بن المغيث^(٥) إلى المتوكل وقد دعا له بالنطع والسيف ، قال له : يا محمد ما دعاك إلى المشاققة ؟ قال : الشقوة يا أمير المؤمنين ، وأنت ظل الله الممدود بينه وبين خلقه ، وإن لي فيك لظنين أسبقهما إلى قلبي أولاهما بك ، وهو العفو عن عبدك ، وأنشأ يقول :

أبي الناس إلا أنك اليوم قاتلي إمام الهدى ، والعفو بالحر أجمل
وهل أنا إلا جبلة من خطيئة وعفوك من نور النبوة يجمل

(١) في ب « الحسن بن الضحاک » محرفاً (٢) في ا « بوردة عنبر » .

(٣) في ا « يمشى » مكان « يسعى » وفي ب « في قراطيس كالورد » محرفاً

(٤) في ا « تستدعي الخليم إلى الوجد » (٥) في ا « محمد بن البعث » .

تضائل ذنبي عند عفوك قلة فمن لي بفضل منك، والمن أفضل
لأنك خير السابقين إلى العلاء وإنك خير الفعلتين ستفعل^(١)
فقال المتوكل : أفعل خيرها ، وأمن عليك ، ارجع إلى منزلتك ، قال
ابن المغيث^(٢) : يا أمير المؤمنين ، الله أعلم حيث يجعل رسالته .

ولما قتل المتوكل رثته الشعراء ؛ فممن رثاه علي بن الجهم ، فقال من
من رثاء
المتوكل
قصيدة له :

عبيد أمير المؤمنين قتلته وأعظم آفات الملوك عبيدها
بنى هاشم ، صبراً فكل مصيبة سيئلي على وجه الزمان جديدها
وفيه يقول يزيد بن محمد المهدي^(٣) من قصيدة طويلة :
جاءت منيته والعين هاجعة هلا أنته المنايا وأقنا قصصاً
علتك أسياف من لادونه أحد وليس فوقك إلا الواحد الصمد
خليفة لم ينل ما ناله أحد ولم يضيع مثله روح ولا جسد
وفيه يقول بعض الشعراء :

سرت ايلا منيته إليه وقد خآلى مناعمه وناما
فتالت : قم ، فقام ، وكم أقامت أخا ملك إلى هلك فقاما
وفيه يقول الحسين بن الضحاك الخليع :

إن الليالي لم تحسن إلى أحد إلا أساءت إليه بعد إحسان
أما رأيت خطوب الدهر ما فعلت بالهاشمي وبالفتح بن خاقان

وذكر علي بن الجهم قال : لما أفضت الخلافة إلى أمير المؤمنين جعفر
المتوكل على الله أهدى إليه الناس على أقدارهم ، وأهدى إليه ابن طاهر
هدية فيها مائتا وصيفة ووصيف ، وفي الهدية جارية يقال لها محبوبه كانت
محبوبة جارية
المتوكل

(١) في « ولاشك خير الفعلتين ستفعل » (٢) في « ابن البعيث »

(٣) في ب « أبو زيد المهدي » .

لرجل من أهل الطائف قد أدبها وثقفها وعلمها من صنوف العلم [وكانت تقول الشعر وتلحظه وتغنى به على العود] وكانت تحسن كل ما يحسنه علماء الناس ، فحسن موقعها من المتوكل ، وحدث من قلبه محلا جليلا لم يكن أحد بعدها عنده ، قال علي : فدخلتُ عليه ^(١) يوما للمنادمة ، فلما استقر بي المجلس قام فدخل بعض المقاصير ، ثم خرج وهو يضحك ، فقال لي : ويلك يا علي ، دخلت فرأيت قينة قد كتبت في خدها بالمسك جعفرا فما رأيت أحسن منه ، فقل فيه شيئا ، فقلت : يا سيدي ، [وحدى] أو أنا ومحبوبة ، قال : لا ، بل أنت ومحبوبة ، قال : فدعت بدواة وقرطاس ، فسبقتني إلى القول ، ثم أخذت العود فترنمت ، ثم خفقت عليه حتى صاغت له لحنا وتضاحكت منه مليا ، ثم قالت : يا أمير المؤمنين ، تاذن لي ؟ فأذن لها ، فغنت :

وكاتبة في الخد بالمسك جعفرا بنفسى محط المسك من حيث أثرا
لئن أودعت خطا من المسك خدها لقد أودعت قلبي من الوجد أسطرا
فيا من لملوك يظل مليكته مطيعا له فيما أسر وأجهر
ويا من لعيني من رأى مثل جعفر سقى الله صوب المستهلات جعفرا

قال علي : وتبلدت ^(٢) خواطري حتى كأني ما أحسن حرفا من الشعر ، قال : فقال لي المتوكل : ويلك يا علي ، ما أمرتك به ، فقلت : يا سيدي أقدني فوالله لقد عزب عن ذهني ، فلم يزل يضرب به على رأسي ويعيرني به إلى أن مات .

قال علي : ودخلت عليه أيضا لأناديه ، فقال لي : ويلك يا علي ، علمت أني غاضبت محبوبة ، وأمرتها بلزوم مقصورتها ، ونهيت الحشم عن الدخول إليها ، وأنفت من كلامها ؟ فقلت : يا سيدي ، إن كنت غاضبتها اليوم فصالحها غدا ، ويديم الله سرور أمير المؤمنين ، ويمد في عمره ، قال : فأطرق مليا ، ثم قال للندماء : انصرفوا ، وأمر برفع الشراب ، فرفع ، فلما كان

(١) في « فدخلت عنده » (٢) في ب « وتغللت » .

من غد دخلتُ إليه ، فقال : ويلك يا علي ، إني رأيت البارحة في النوم أني
قد صالحتها ، فقالت جارية يقال لها شاطر كانت تقف أمامه : والله لقد
سمعت الساعة في مقصورتها هينمة لا أدري ما هي ، فقال لي : قم ويلك
حتى ننظر ما هي ، فقام حافياً وقلت أتبعه حتى قربنا من مقصورتها ، فإذا
هي تخفق عوداً وتترنم بشيء كأنها تصوغ لحناً ، ثم رفعت عقيرتها
وتفنت :

أدور في القصر لا أرى أحداً أشكو إليه ولا يكلمني
حتى كأني أتيتُ معصيةً ليس لها توبة تخلصني
فمن شفيح لنا إلى ملك قد زارني في الكرى وصالحني
حتى إذا ما الصباحُ عاد لنا عاد إلى هجره وصارمني
قال : فصفق المتوكل طرباً ، فصفقت معه ، فدخل إليها فلم تزل تقبل رجل
المتوكل وتمرغ خديها على التراب حتى أخذ بيدها ، ورجعنا وهي ثالثتنا .
قال علي : فلما قتل المتوكل ضمت هي وكثير من الوصائف إلى بفا
الكبير ، فدخلتُ عليه يوماً للمزامة ، فأمر بهتك الستارة ، وأمر بالقمينات
فأقبلن يرفان في الحلى والحلال ، وأقبلت محبوبة حاسرة من الحلى والحلل ،
عليها بياض ، فجلستُ مطرقة منكسة ، فقال لها وصيف : غني ، قال :
فاعتلتُ عليه ، فقال : أقسمت عليك ، وأمر بالعود فوضع في حجرها ،
فلما لم تجد بُدّاً من القول تركت العود في حجرها ، ثم غنت عليه غناء
مرتجلاً :

أى عيش يلد لي لا أرى فيه جعفرا
ملك قد رأيتُه في نجيمٍ مُعفرا
كل من كان ذا خبأ ل وسقم فقد برأ
غير محبوبه التي لوترى الموت يشتري
لاشترته بما حوته يداها لتقبرا

قال : فغضب عليها وصيف وأمر بسجنها ، فسجنت ، وكان آخر العهد بها .
 قال المسعودي : ومات في خلافة المتوكل جماعة من أهل العلم ونقلة الآثار
 وحفاظ الحديث : منهم علي بن جعفر المديني^(١) بسامرا يوم الاثنين لثلاث بقين من
 ذى الحجة سنة أربع وثلاثين ومائتين ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة وأشهر .
 وتنوزع في السنة التي مات فيها ابن المديني ، وقد قدّمنا فيما سلف من
 هذا الكتاب السنة التي قيل فيها إن وفاته كانت فيها .

وفاة جماعة
 من أهل العلم

وفي هذه السنة مات أبو الربيع بن الزهراني^(٢) ، وقد تنوزع في السنة
 التي مات فيها يحيى بن معين ؛ فمنهم من رأى ما قدّمنا في هذا الكتاب
 ومنهم من رأى — وهو الأكثر — أنه مات في سنة ثلاث وثلاثين
 ومائتين ، ويكنى بأبي زكريا مولى بني مرة ، وقد بلغ من السن خمسا
 وسبعين سنة وأشهر ، بالمدينة ، وقيل : إن في هذه السنة كانت وفاة
 أبي الحسن علي بن محمد المدائني الأخباري ، وقيل : مات في أيام الواثق
 في سنة ثمان وعشرين ومائتين ، وفيها كانت وفاة مسدد بن مسرهد ،
 واسمه عبد الملك بن عبد العزيز .

وفيها مات الحمانى الفقيه ، وابن عائشة واسمه عبد الله بن محمد بن حفص ،
 ويكنى بأبي عبد الرحمن ، وهو من تيم قريش .

وفي خلافة المتوكل مات هذبة بن خالد ، وشيبان^(٣) بن فروخ الأبلج ،
 وإبراهيم بن محمد الشافعي ، وذلك في سنة ست وثلاثين ومائتين .

وفي سنة سبع وثلاثين ومائتين مات العباس بن الوليد النرسي^(٤) بالبصرة ،
 وعبد الله بن أحمد النرسي^(٥) ، وعبيد الله بن معاذ العنبري^(٦) .

(١) في ب «المدني» هنا مع اتفاقها مع ا في ذكر « المديني » بعد ذلك بسطر

(٢) في ب «ابن الزهرى» (٣) في ب «شيبان بن فرج الأبلج» وفي ا «بن فرخ»

(٤) في ب «الرسى» (٥) في ب «وعبيد الأعلى بن حماد الرسى»

(٦) في ب «وعبيد الله بن معاذ العبدى» .

وفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين مات إسحاق بن إبراهيم المعروف بابن راهويه، وبشر بن الوليد القاضي الكندي صاحب أبي يوسف، وقد قيل : إن في هذه السنة مات العباس بن الوليد النرسي^(١).

وفي سنة تسع وثلاثين ومائتين مات عثمان بن أبي شيبة الكوفي بالكوفة، والصلت بن مسعود الجحدري.

وفي سنة أربعين ومائتين مات شباب^(٢) بن خليفة العصفري، وعبد الواحد بن عتاب.

وفي سنة ثلاث وأربعين ومائتين مات هشام بن عمار الدمشقي، وحميد ابن مسعود الناجي، وعبد الله بن معاوية الجمحي، وفيها مات يحيى بن أكثم القاضي في الرابذة، ومحمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب.

وفي سنة ست وأربعين ومائتين مات محمد بن المصطفى الحمصي، وعنبسة ابن إسحاق بن شمر، وموسى بن عبد الملك.

قال المسعودي : وللمتوكل أخبار وسير حسن غير ما ذكرنا، وقد أتينا عليها على الشرح والإيضاح^(٣) في كتابنا « أخبار الزمان »^(٤)، والله الموفق للصواب.

(١) في ب « الرسي »

(٢) في ب « هباب » .

(٣) في ب « على الشرح والاختصار » .

(٤) في ا « في كتابنا أخبار الزمان والأوسط » .

ذكر خلافة المنتصر بالله

وبويع محمد بن جعفر المنتصر في صبيحة الليلة التي قُتل فيها المتوكل ،
وهي ليلة الأربعاء لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين ،
ويكنى بأبي جعفر ، وأمه أم ولد يقال لها حبشية ، رومية ، واستخلف
وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وكانت بيعته بالقصر المعروف بالجعفرى
الذى أحدث بناءه المتوكل ، ومات سنة ثمان وأربعين ومائتين ، وكانت
خلافته ستة أشهر .

ذكر جمل من أخباره وسيره

ولم مما كان في أيامه

الموضع الذي قتل فيه المتوكل أباه كسرى أبرويز ، وكان الموضع يعرف بالماخورة ، وكان مقام المنتصر بعد أبيه في الماخورة سبعة أيام ، ثم انتقل عنه وأمر بتخريب ذلك الموضع. وحكى عن أبي العباس محمد بن سهل قال : كنت أكتب لعتاب بن عتاب على ديوان جيش الشاكرية في خلافة المنتصر ، فدخلت إلى بعض الأروقة ، فإذا هو مفروش ببساط سوسنجرد^(١) ومسند ومصلى ووسائد بالحمرة والزرقة ، وحول البساط دارات فيها أشخاص ناس وكتابة بالفارسية ، وكنت أحسن القراءة بالفارسية ، وإذا عن يمين المصلى صورة ملك ، وعلى رأسه تاج كأنه ينطق ، فقرأت الكتابة فإذا هي « صورة شيرويه القاتل لأبيه أبرويز الملك ملك ستة أشهر » ثم رأيت صور ملوك شتى ، ثم انتهى بي النظر إلى صورة عن يسار المصلى عليها مكتوب « صورة يزيد بن [الوليد بن]^(٢) عبد الملك قاتل^(٣) ابن عمه الوليد بن يزيد بن عبد الملك ملك ستة أشهر » فتمعجت من ذلك واتفاقه عن يمين مقعد المنتصر وعن شماله ، فقلت : لأرى يدوم ملكه أكثر من ستة أشهر ، فكان والله كذلك ، فخرجت من الرواق إلى مجلس وصيف وُبقاً ، وهما في الدار الثانية ، فقلت لوصيف : أعجز هذا الفَرَّاش أن يفرش تحت أمير المؤمنين إلا هذا البساط الذي عليه صورة يزيد ابن الوليد قاتل ابن عمه وصورة شيرويه قاتل أبيه أبرويز ، وعاش ستة أشهر بعد ما قتلًا ، فجزع وصيف من ذلك وقال : على بأيوب بن سليمان النصراني خازن

(١) في ب « سوسنجرد » (٢) ليست في ب ، وما بعدها يؤيدها ،

(٣) في ب « قتل ابن عمه » ،

الفرش ، فمثل بين يديه ، فقال له وصيف : لم نجد ما يفرش في هذا اليوم تحت أمير المؤمنين إلا هذا البساط الذي كان تحت المتوكل ليلة الحادثة وعليه صورة ملك الفرس وغيره ، وقد كان نالته آثار من الدماء؟^(١) قال : سألتني أمير المؤمنين المنتصر عنه ، وقال : ما فعل البساط؟^(٢) فقلت : عليه آثار [دماء] فاحشة ، وقد عزمتم أن لا أفرشه من ليلة الحادثة ، فقال : لم لا تغسله وتطويه ؟ فقلت : خشيت أن يشيع الخبر عندي من رى ذلك البساط من أثر الحادثة ، فقال : إن الأمر أشهر من ذلك ، يريد قتل الأتراك لأبيه المتوكل ، فطوبناه وبسطناه تحته ، فقال وصيف وبغاً : إذا قام أمير المؤمنين من مجلسه نخذه وأحرقه بالنار ، فلما قام أحرق بحضرة وصيف وبغاً ، فلما كان بعد أيام قال لي المنتصر : أفرش ذلك البساط الفلاني ، قلت : وأيز ذلك البساط ؟ فقال : وما الذي كان من أمره ؟ فقلت : إن وصيفاً وبغاً أمراني بإحراقه ، قال : فسكت ولم يعد في أمره شيئاً إلى أن مات .

وقد كان المنتصر طرب في هذه الأيام ، فدعا بيدنان بن الحارث العواد ، وكان مطرباً مجيداً ، وقد كان غضب عليه ، فأحضره فغنائه :

لقد طال عهدى بالإمام محمد وما كنت أخشى أن يطول به عهدى
فأصبحتُ ذا عهدٍ ودارى قريبة فيا عجباً من قرب دارى ومن بُعدى
رأيتك في بُردِ النبي محمد كبدر الدجا بين العمامة والبرد
[فياليت أن العيد عاد ليومه فإني رأيت العيد وجهك لي يبدى]

وكان ذلك ثانياً يوم [عيد] الأضحى ، وقد كان المنتصر صلى بالناس في هذا العيد ، ومما غنى به من الشعر للمنتصر في ذلك اليوم :

رأيتك في المنام أقلّ بخلا وأطوع منك في غير المنام
فليت الصبح باد ولا نراه وليت الليل آخر ألف عام
ولو أن النعاس يُباعُ بيعاً لأغليت النعاس على الأنام

(١) في ب « ناله آثار الدماء » (٢) في ب « ما فعل بالبساط » .

ومن شعر المنتصر أيضاً مما غنى بحضرته :

إني رأيتك في المنام كأنما أعطيتني من ربق فيك البارِدِ
وكان كفك في يدي، وكأنما بتنا جميعاً في لحاف واحد
ثم انتهتُ ومعصمك كلالها بيدي اليمين وفي يمينك ساعدي
فظللت يومى كالمتراقداً لأراك في نومي ولستُ براقداً

وزير المنتصر (ابن الحصيب) وقد كان استوزر أحمد بن الحصيب وندم على ذلك ؛ وكان نفي عبيد الله (١) بن يحيى بن خاقان ، وذلك أن أحمد بن الحصيب ركب ذات يوم فتظلم إليه متظلم بقصة ، فأخرج رجله من الركاب فزجَّ بها في صدر المتظلم فقتله ، فتحدث الناس بذلك ، فقال بعض شعراء ذلك الزمان :

قل للخليفة يا ابن عم محمد اشكُلُ وزيرك ، إنه رَكَّالُ
اشكاه عن رَكَلِ الرجال ، فإن ترد مالاً فعند وزيرك الأموال

وزير المقتدر قال المسعودي : ولو لحق هذا الشاعر الوزير حامد بن العباس في وزارته للمقتدر بالله لرأى منه قريباً مما ظهر من ابن الحصيب ، وذلك أنه خاطبه مخاطبٌ ذاب يرم ، فقلب ثيابه على كتفه و لَكَمَ حَلَقَهُ .

ولقد دخلت عليه ذات يوم أمُّ موسى القهرمانه الهاشمية ، أو غيرها من القهارمة ، فخاطبته في شيء من الأموال (٢) عن رسالة المقتدر ، فكان مما خاطبها به أن قال :

اضرطى والتقطى واحسبى لا تفلطى

فأخجلها ذلك ، فقطعها عما له قصدت ، فمضت من فورها إلى المقتدر والسيدة فأخبرتهما بذلك ، فأمر القيآن [أن] يفنين ذلك اليوم بهذا الكلام ، وكان يوم طرب وسرور .

وقا أتينا على خبره وأخبار غيره من وزراء بني العباس وكتاب بني أمية إلى هذا الوقت - وهو سنة اثنى عشر وثلاثين وثلاثمائة - في الكتاب الأوسط .

(١) في ب «عبد الله بن خاقان» وانظر (ص ١٤٥) (٢) في ا «من المال»

وأخبرت عن أبي العباس أحمد بن محمد بن موسى بن الفُراتِ قال : كان مرض المنتصر
 أحمد بن الخصيب سيء الرأي في والدي ، وكان عاملاً له ، فجاءني مخبر من
 خدَم الخِصبة فقال : إن الوزير قد ندب لأعمالكم فلاناً ، وقد أمره في والدك
 بكل مكروه ، وأن يُصَادره على جملة من المال غليظة ذكراً ، فقعدت وعندى
 بعض أصدقائنا من الكُتّاب أبادر بالكتاب إلى والدي بذلك ، فاشتغلت
 عن جليسي الكاتب فاتكأ على الوسادة وغفا ، فانتبه مرعوباً ، وقال :
 إني قد رأيت رؤيا عجيبة ، رأيت أحمد بن الخصيب واقفاً في هذا الموضع
 وهو يقول لي : يموت الخليفة المنتصر إلى ثلاثة أيام ، قال : قلت له : الخليفة
 في الميدان يلعب بالصولجان ، وهذه الرؤيا ضرب من البلغم والمرار وقد قدمنا
 الطعام ، فما استتممنا الكلام حتى دخل علينا داخل فقال : رأيت الوزير
 بدار الخِصبة غير مُسْفِر الوجه ، وإني سألتُ عن سبب ذلك فقيل لي : إن
 الخليفة المنتصر انصرف من الميدان وهو عرق ، فدخل الحمام ونام في
 الباذهنج^(١) فضربه الهواء ، وركبته حتى هائلة ، فدخل عليه أحمد بن
 الخصيب فقال له : يا سيدي ، أنت متفلسف وحكيم الزمان تنزل من
 الرُكوب تبعاً فتدخل الحمام ثم تخرج عرقاً فتنام في الباذهنج ؟ فقال له المنتصر
 أتخاف أن أموت ؟ ! رأيت في المنام البارحة آتياً أتاني فقال لي : تعيش
 خمسا وعشرين سنة ، فعلمت أن ذلك بشارة في المستقبل من عمري ، وأني
 أبقى في الخلافة هذه المدة ، قال : فمات في اليوم الثالث ، فنظروا فإذا هو
 قد استوفى خمسا وعشرين سنة .

وقد ذكر جماعة من أصحاب التواريخ أن المنتصر ضربته الريح يوم

(١) الباذهنج - ويذكره كثير من الأدباء بادهنج بالبدال المهملة - وهو المنفذ
 الذي يأتي منه الريح ، وفيه يقول أبو الحسن الأنصاري :

ونفحة بادهنج أسكرتنا وجدت لروحها روح النعيم
 صفاه جرى هوا فيه رقيقاً فسعيناه راووق النسيم

الخمس لخمس بَقِينَ من شهر ربيع الأول ، ومات مع صلاة العصر لخمس ليالٍ خَلَوْنَ من ربيع الآخر ، وصلى عليه أحمد بن محمد المستعين ، وكان أول خليفة من بني العباس أظهر قبره ، وذلك أن أمه حبشية سألت ذلك ، فأذن لها ، وأظهرته بسامرا .

وقد قيل : إن الطيفوري^(١) الطيب سَمَّه في مشراط حجَمَه به ، وقد كان عزم على تفريق جمع^(٢) الأتراك ، فأخرج وصيفاً في جمع كثير إلى غزاة الصائفة بطرسوس ، ونظر يوماً إلى بُغا الصغير - وقد أقبل في القصر ، وحوله جماعة من الأتراك - فأقبل على الفضل بن المأمون ، فقال : قتلني الله إن لم أقتلهم وأفرق جمعهم ، بقتلهم المتوكل على الله ، فلما نظرت [ت] الأتراك إلى ما يفعل بهم ، وما قد عزمَ عليه ، وجدوا منه الفرصة .

وقد شككا ذات يوم حرارة ، فأراد الحجامة ، فخرج له من الدم ثلثمائة درهم ، وشرب شربة بعد ذلك فحلت قواه ، ويقال : إن السم كان في مبيض الطيب حين فصده .

وقد ذكر ابن أبي الدنيا ، عن عبد الملك بن سليمان بن أبي جعفر ، قال : رأيت في نومي المتوكل والفتح بن خاقان ، وقد أحاطت بهما نار ، وقد جاء محمد المنتصر فاستأذن عليهما ، فمنع الوصول ، ثم أقبل المتوكل على فقال : يا عبد الملك قل لمحمد : بالكأس الذي سقيتنا تشرب ، قال : فلما أصبحت غدوت على المنتصر فوجدته محموماً ، فواظبت على عيادته ، فسمعتة في آخر علقته يقول : عَجَلْنَا فَعُوجَلْنَا^(٣) فمات من ذلك المرض .

وكان المنتصر واسع الاحتمال ، راسخ العقل ، كثير المعروف ، راغباً في الخير ، سخياً ، أديباً ، عفيفاً ، وكان يأخذ نفسه بمكارم الأخلاق ، وكثرة الإنصاف ،

الخلاف في
سبب موت
المنتصر

من صفات
المنتصر

(٢) في ١ « جيش الأتراك » .

(١) في ب « الصنفوري »

(٣) في ١ « عجالت فعوجلت » .

وحسن المعاشرة ، بما لم يسبقه ^(١) خليفة إلى مثله .

صنيع المنتصر
بآل أبي طالب

وكان وزيره أحمد بن الخصب قليل الخير ، كثير الشر ، شديد الجهل .
وكان آل أبي طالب قبل خلافته في محنة عظيمة ، وخوف على دماهم ،
قد مُنعوا زيارة قبر الحسين والغري من أرض الكوفة ، وكذلك منع غيرهم
من شيعتهم حضور هذه المشاهد ، وكان الأمر بذلك من المتوكل سنة ست
وثلاثين ومائتين وفيها أمر المعروف بالذيريج ^(٢) بالسير إلى قبر الحسين بن
على رضى الله تعالى عنهما وهدمه ونحو أرضه وإزالة أثره ، وأن يعاقب من
وجد به ، فبذل الرغائب لمن تقدم على هذا القبر ، فكل خشى العقوبة ،
وأحجم ، فتناول الذيريج ^(٢) مسحاة وهدم أعلى قبر الحسين ، فحينئذ
أقدم القعلة فيه ، وأنهم ^(٣) انتهوا إلى الحفرة وموضع اللحد فلم يروا فيه أثر
رمة ولا غيرها ، ولم تزل الأمور على ما ذكرنا إلى أن استخلف المنتصر ،
فأمن الناس ، وتقدم بالكف عن آل أبي طالب ، وترك البحث عن أخبارهم ،
وأن لا يمنع أحد زيارة الحيرة لقبر الحسين رضى الله تعالى عنه ، ولا قبر غيره
من آل أبي طالب ، وأمر برد فدك إلى ولد الحسن والحسين ، وأطلق
أوقاف آل أبي طالب ، وترك التعرض لشيعتهم ودفع الأذى عنهم ، وفي
ذلك يقول البحارى من أبيات له :

وإن علياً لأولى بكم وأزكى يداً عندكم من عمر

وكلُّ له فضله ، والحجو ل يوم التراهن دون الفرر

وفي ذلك يقول يزيد بن محمد المهلبى — وكان من شيعة آل أبي طالب —

وما كان امتحن به الشيعة في ذلك الوقت وأغربت بهم العامة :

ولقد بررت الطالبية بعدما ذموا زمانا بعدها وزمانا

وَرَدَدْتَ أُلْفَةَ هَاشِمٍ ، فَرَأَيْتَهُمْ بَعْدَ الْعَدَاوَةِ بَيْنَهُمْ إِخْوَانَا

(١) في ب « بما لا يسبقه »

(٢) في ب « بالذيريج » بالمهمله

(٣) في ا « إلى أن انتهوا » .

آنست ليلهم وجدت عليهم حتى نسوا الأحقاد والأضغانا
لو يعلم الأسلاف كيف بررتهم لرأوك أثقل من بها ميزانا
وفي سنة ثمان وأربعين ومائتين خلع المنتصر بالله أخويه المعتز وإبراهيم
من ولاية العهد خلع أخويه
من ولاية العهد من ولاية العهد بعده ، وقد كان المتوكل على الله أخذ لهم العهد في كتب
كتبها وشروط اشترطها ، وأفرد لكل واحد منهم جزءاً من الأعمال
رسمه له وجعل ولي عهده والتالي للملكة محمداً المنتصر ، وتالي المنتصر وولي
عهده المعتز ، وتالي المعتز وولي عهده إبراهيم المؤيد ، وأخذت البيعة على
الناس بما ذكرنا ، وفرق فيها أموالاً وعمّ الناس بالجوائز والصلوات ،
وتكلمت في ذلك الخطباء ، ونطقت به الشعراء ، فما اختير من قولهم
في ذلك قول مروان أبي الجنوب من قصيدة :

ثلاثة أملاك ؛ فأما محمد فنور هدى يهدي به الله من يهدي
وأما أبو عبد الإله فإنه شبيهك في التقوى ويؤدي كما تجدي
وذو الفضل إبراهيم للناس عصمة تقي وفي بالوعيد ، وبالوعد
فأولهم نور ، وثانيهم هدى ، وثالثهم رشد ، وكلهم مهدي
وقوله للمتوكل مما أجاد فيه وأحسن :

يا عاشر الخلفاء دمت ممتعاً بالملك تعقد بعدهم للعاشر
حتى تكون إمامهم وكأنهم زهر النجوم دنت لبدر زاهر
وفي بيعة المتوكل لمن ذكرنا من ولده الثلاثة بولاية العهد يقول الشاعر
المعروف بالسلمى [من أبيات له] :

لقد شدّ ركن الدين بالبيعة الرضا وطائر سعد جعفر بن محمد
بمنتصر بالله أثبت ركنه وأكّد بالمعتز قبل المؤيد^(١)
وممن قال في ذلك فأحسن القول ، وأجاد النظم ، إدريس بن أبي حفصة

حيث يقول :

(١) في ب « لمنتصر بالله » وفي آخره « بالمعتز وبالمؤيد » .

إن الخلافة ما لها عن جعفر نور الهدى وبنيه من تحويل
 فإذا قضى منها الخليفة جعفر [وطراً ، ومَلَّ وَايس بالملول]
 [فمحمد بعد الخليفة جعفر] للناس - لافقدوه - خيرُ بديل
 فبقاء ملكك وانتظار محمد خير لنا وله من التعجيل

وقد كان خرج أيام المنتصر بناحية اليمن والبوازيج والموصل أبو العمود
 الشاري^(١) ، فحكم واشتد أمره فيمن انضاف إليه من الحكمة من ربيعة الشاري باليمن
 وغيرهم من الأكراد ، فسرح إليه المنتصر جيشاً عليهم سيما التركي ، فكانت
 له مع الشاري^(١) حروب ، فأسير الشاري^(٢) ، وأتى به المنتصر ، فجاد عليه
 بالعمو ، وأخذ عليه العهد ، وختلى سبيله .

وحكى عنه وزيره أحمد بن الخصيب بن الضحاك الجرجاني أنه قال حين
 رضى عن الشاري^(١) : إن لذة العفو أعذب من لذة التشفي ، وأقبح أفعال
 المقتدر الانتقام .

وأخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ، قال : رأى بعض الكتاب
 في المنام في الليلة التي استخلف في صبيحتها المنتصر كأن قائلًا يقول :

هذا الإمام المنتصر والملك الحادي عشر

وأمره إذا أمر كالسيف ما لاقى بتره

وطرفه إذا نظر كالدهر في خير وشر

وقد كان أظهر الإنصاف في الرعية فمالت إليه قلوب الخاصة والعامة .
 مع شدة الهيبة منها له .

وحدثني أبو الحسن أحمد بن علي بن يحيى المعروف بابن النديم ، قال :
 حدثنا علي بن يحيى المنجم ، قال : ما رأيت أحداً مثل المنتصر ولا أكرم
 أفعالا بغير تبجح منه ، ولا تكلف ، لقد رأيت يوماً وأنا مغموم شديد الفكر

(٢) في « فأسره صما » .

(١) في « الشاربي »

بسبب ضيعة مجاورة لضيعتي ، وكنت أحب شراءها ، فلم أزل أعمل الحيلة عند مالِكها^(١) حتى أجابني إلى بيعي ، ولم يكن عندي في ذلك الوقت قيمة ثمنها ، فصرت إلى المنتصر وأنا على تلك الحال ، فتبين الانكسار في وجهي ، وشغل القلب ، فقال لي : أراك مفكراً فما قضيتك ؟ فجعلت أزوي عنه خبري ، وأستر قصتي ، فاستحلفني ، فصدقته عن خبر الضيعة ، فقال لي المنتصر : فكم مبلغ ثمنها ، فقلت : ثلاثون ألف درهم ، قال : فكم عندك منها ؟ قلت : عشرة آلاف ، فأمسك عني ولم يجبني ، وتشاغل عني ساعة ، ثم دعا بدواة وبطاقة ، ثم وقع فيها بشيء لا أدري ماهو ، وأشار إلى خادم كان على رأسه بما لم أفهم ، فمضى الغلام مسرعاً ، وأقبل يشغلني بالحديث ويُطاعمني الكلام ، إلى أن أقبل الغلام فوقف بين يديه ، فهض المنتصر وقال لي : يا علي ، إذا شئت فانصرف إلى منزلك ، وقد كنت قدرت عند مسألته أنه سيأمر لي بالثمن أو نصفه ، فأتيت وأنا لا أعقل غمّاً ، فلما وصلت إلى داري استقبلني وكيلى فقال : إن خادم أمير المؤمنين صار إلينا ومعه بغل عليه بدرتان ، فسامهما إلى وأخذ خطي بقبضهما ، قال : فداخنتي من الفرح والسرور ما لم أملك به نفسي ، ودخلت وأنا لا أصدق قول الوكيل ، حتى أخرج إلى البدرتين ، فحمدت الله تعالى على ما حباها لي ، ووجهت في وقتي إلى صاحب الضيعة فوفيته الثمن ، وتشاغل سائر يومى بتسليمها والإهتمام بها على البائع ، ثم بكرت إلى المنتصر من الغد ، فما أعاد على حرفاً ، ولا سألتني عن شيء من خبر الضيعة حتى فرق الموت بيننا .

قال المسعودي : وذكر الفضل بن أبي طاهر في كتابه في أخبار المؤلفين قال : حلّثني أبو عثمان سعيد بن محمد الصغير مولى أمير المؤمنين ، قال : كان المنتصر في أيام إمارته ينادمه جماعة من أصحابه ، وفيهم صالح بن محمد^(٢)

حديث
عن العشق

(١) في « على مالِكها » .

(٢) في ب « صالح بن أحمد » مع اتفاقهما فيما بعد على ما أثبتناه .

المعروف بالحريري ، فجرى في مجلسه ذات يوم ذكر الحب والعشق ، فقال المنتصر لبعض مَنْ في المجلس : أخبرني عن أي شيء أعظم عند النفس فقداً ، وهي به أشد تفجعاً ؟ قال : فَقَدْ خِلَّ مُشَاكَل ، وموت شكل موافق ، وقال آخر من حضر : ما أشد جولة الرأي عند أهل الهوى ! وِفْطام النفس عند الصبا ، وقد تصدعت أ كباد العاشقين من لوم العاذلين ، فلوم العاذلين قُرْطُ في آذانهم ، ولوعات الحب نيران في أبدانهم ، مع دموع المعاني ، كغروب السَّوَانِي ، وإنما يعرف ما أقول ، من أبكته الطلول^(١) ، وقال آخر : مسكين العاشق ، كل شيء عدوه : هبوب الرياح يُقْلِقُه ، ولمعان البرق يُؤْرِقُه ، والعدل يؤلمه ، والبعد ينحله ، والذكر يسقمه ، والقرب يهيجه ، والليل يضاعف بلائه ، والرقاد يَهْرُبُ منه . ورسوم الدار تحرقه ، والوقوف على الطلول يبكيه . ولقد تداوت منه العشاق بالقرب والبعد . فما نجح فيه دواء . ولا هداه عزاء . ولقد أحسن الذي يقول^(٢) :

وقد زعموا أن الحب إذا دنا

يملئ ، وأنَّ النَّأْيَ يَشْفِي مِنَ الْوَجْدِ

بكل تداوينا فلم يُشْفَ ما بنا

على أن قرب الدار خير من البعد

فكل قال : وأ كثر الخطب في ذلك ، فقال المنتصر لصالح بن محمد الحريري : يا صالح ، هل عشقت قط ؟ قال : إِي والله أيها الأمير ، وإن بقايا ذلك لفي صدري قال : وبلك لمن ؟ قال : أيها الأمير^(٣) ، كنت آلف الرصافة في أيام المعتصم .

(١) في ا « من أبكته الطلول والمعاني » .

(٢) ينسب هذان البيتان لعبد الله بن الدمينه .

(٣) في ب « أيها الملك » .

وكانت لقينة أم ولد الرشيد جارية تخرج في حوائجها^(١) وتقوم في أمرها ، وتلقى الناس عنها ، وكانت قينة تتولى أمر القصر إذ ذاك ، وكانت [الجارية] تمر بي فأحتشمها وأعاينها ، ثم راسلتها فطردت رسولي وهددتني ، وكنت أقعد على طريقها لأكلها ، فإذا رأيتني ضحكت وغمزت الجوارى بالعبث بي والهراء ، ثم فارقتها وفي قابي منها نار لا تحمد وغليل لا يبرد ووجد يتجدد فقال له المنتصر : فهل لك أن أحضرها وأزوجكها إن كانت حرة أو أشتريها إن كانت أمة ؟ فقال : والله أيها الأمير إن بي إلى ذلك أعظم الفاقة وأشد الحاجة ، قال : فدعا المنتصر بأحمد بن الخصب وسأله أن يوجه له في ذلك غلاما من غلمانته منفردا ويكتب معه كتابا مؤكداً إلى إبراهيم بن إسحاق وصالح الخادم المتولى لأمر الحرم بمدينة السلام ، فمضى الرسول وقد كانت [قينة] أعتقتها وخرجت من حد الجوارى إلى حد النساء البوانغ ، فحملها إلى المنتصر ، فلما حضر [ت] نظرت إليها ، فإذا عجوز قد حدثت وغنست وبها بقية من الجمال ، فقال لها : أتجبين أن أزوجك ؟ قالت : إنما أنا أمتك أيها الأمير ومولاتك ، فافعل ما بدالك ، فأحضر صالحاً وأملكه بها وأمهرها ؛ ثم مزح به فأحضر جوزاً مرصصاً وفركا مخلقاً فنثره عليه ، وأقامت مع صالح مدة طويلة ، ثم ملها ففارقها ، وقال يعقوب التمار في ذلك :

منح الله أبا الفضل حياة لا تُنقص
وتولاه ؛ فقد با لغ في الحب وأخلص
عاشقاً كان على التز ويج للعقد تحرّص
من هوى من شعرها ينحضب بالحنا المفض
[فتراه عندما ينصّل كالبرد المحرص]
فهي من أملح خلق الله في التاج المفض

(١) في ب « في جواريتها » .

رُزِقَ الصبر عليها فتأتى وتربص
 شيخه هام بها من وجدته شيخ مقرفص
 قرنت في عهد نوح صاحب الفلك وقرنص
 أياً حظ نال لولا الفرك والجوز المرصص
 ليته قد جعل الأمـر إليها وتخلص
 فأبو الجوزان منها حين يدنو يتخلص

صنيعه
 مع عاشق

وذكر أبو عثمان سعيد بن محمد الصغير ، قال : كان المنتصر في أيام إمارته
 وجَّهني إلى مصر في بعض أموره للسلطان ، فعشقت جاريتة كانت لبعض
 النحاسين عرضت للبيع ، محسنة في الصنعة مقبولة في الخلقة قائمة على الوزن من
 المحاسن والكمال ، فسارمت مولاهما فأبى أن يبيعهما إلا بألف دينار ، ولم يكن
 ثمنها متهيئاً معي ، فأزعجني السفر وقد علقها قلبي ، فأخذني المقيم المقعد من
 حبها ، وندمت على ما فاتني من شرائها . فلما قدمت وفرغت مما وجهني
 إليه وأديت إليه ما عملت حمد أثرى فيه ؛ وسألني عن حاجتي وخبري ،
 فأخبرته بمكان الجارية وكلفي بها ، فأعرض عني وجعل لا يزداد إلا حدة
 وقلبي لا يزداد إلا كلفاً وصبري لا يزداد إلا ضعفاً ، وسليت نفسي عنها
 بغيرها ، فكأن أغريتها ولم تتسل عنها ^(١) ، وجعل المنتصر كلما دخلت
 إليه وخرجت من عنده يذكرها ويهيج شوقي إليها ، وتحمَّلت ^(٢) إليه
 بندمائه وأهل الأنس به وخاص من يحظى من جواريه وأمهات أولاده
 وجدته أم الخليفة أن يشتريها لي ، وهو لا يجيبني إلى ذلك ، ويعيرني بقلة الصبر
 وكان قد أمر أحمد بن الحصيب أن يكتب إلى عامل مصر في ابتياعها وجماعها
 إليه من حيث لا أعلم ، فحملت إليه وصارت عنده ، فنظر إليها وسمع منها
 فعذرتني فيها ، ودفعتها إلى قَيِّمة جواريه فأصلحت من شأنها ، فلما كان يوماً

(١) في « ولم تسل عنها »

(٢) في « وتحملت إليه » .

من الأيام استجلسني وأمرها أن تخرج إلى الستارة ، فلما سمعت غناها عرفتها ، وكرهت أن أعلمه أني قد عرفتها ، حتى ظهر في ما كتبت ، وغلب علي صبري ، فقال : مالك يا سعيد ؟ قلت : خيراً أيها الأمير ، قال : فاقترح عليها صوتاً كنت قد أعلمته أني سمعته منها ، وأنى أستحسنه من غنائها . فغنته فقال : أتعرف هذا الصوت ؟ قلت : إي والله أيها الأمير ، وكنت أطمع في صاحبه ، فأما الآن فقد أيست منها ، وكنت كالقاتل نفسه بيده وكالجالب الختف إلى حياته ؛ فقال : والله يا سعيد ما اشتريتها إلا لك ويعلم الله أني ما رأيت لها وجهاً إلا ساعة دخلت عليها وقد استراحت من ألم السفر ، وخرجت من شحوبة التبذل^(١) فهي لك ، فدعوت له بما أمكني من الدعاء ، وشكره عني من حضره من الجلساء ، وأمر بها فهيئت وحملت إلى فردت إلى حياتي بعد أن أشرفت^(٢) على الهلكة ، ولا أحد عندي أحظى منها [ولا ولد أحب إلى من ولدها] .

شهادة الحمير

ومن ملاحظات أحاديث الملهين الجمان ما ذكره أبو الفضل بن أبي طاهر قال : حدثني أحمد بن الحارث الجزار عن أبي الحسن المدائني وأبي علي الحرمازي قالا : كان بمكة سفينة يجمع بين الرجال والنساء على أخش الريب وكان من أشرف قريش ، ولم يذكر اسمه ، فشكا أهل مكة ذلك إلى الوالي فغضب به إلى عرفات ، فاتخذها منزلاً ودخل إلى مكة مستتراً فلقى بها حرفاء من الرجال والنساء ، فقال : وما يمنعكم مني ؟ فقالوا : وأين بك وأنت بعرفات ؟ فقال : حمار بدرهمين وصرتم إلى الأمن والنزهة والخلوة واللذة ؛ قالوا : نشهد إنك لصادق ؛ فكانوا يأتونه ، فكثرت ذلك حتى أفسد على أهل مكة أحداثهم وحواشيهم ، فعادوا بالشكية إلى أميرهم ، فأرسل إليه فأتى به فقال : أي عدو الله طردتك من حرم الله فصرت إلى المشعر الأعظم تفسد فيه وتجمع بين الخبائث ؟ فقال : أصلح الله الأمير ! إنهم يكذبون عليّ .

(١) في « صعوبة التبذل »
(٢) في « بعد ما أشرفت » .

ويحسدونني ! فقالوا للوالى : بيننا وبينه واحدة ؛ تجمع حُرَّ المكارين وترسلها إلى عرفات فإن لم تقصد إلى بيته لما تعودت من إتيان السفهاء والنُّجَّار [إياه] فالقول ما قال ؛ فقال الوالى : إن فى هذا لدليلاً ، وأمر بجمع الحمر فجمعت ثم أرسلت فقصدت منزله ، وأناه أمناؤه فقال : ما بعد هذا شيء ، جرَّ دُوه ! فلما نظر إلى السياط قال : ولا بد من ضربى ؟ قال : لا بد يا عدو الله . قال : اضرب فوالله ما فى هذا شيء بأشد من أن يسخر بنا أهل العراق ويقولون : أهل مكة يجيزون شهادة الحمير مع تقريرهم لنا بقبول شهادة الواحد مع يمين الطالب ، قال : فضحك الوالى وقال : لا أضربك اليوم ، وأمر بتخية سبيله وترك التعرض له .

قال المسعودى : وللمنتصر بالله أخبار حسان وأشعار ومُلح ومنادمات ومكاتبات ومراسلات قبل الخلافة ، وقد أتينا على مبسوطها وما استحسناه منها مما لم نورده فى هذا الكتاب فى كتابنا « أخبار الزمان » من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الدائرة ، وكذلك فى الكتاب الأوسط ؛ إذ كنا ما ضمناه كل كتاب منها لم نتعرض لذكره فى الآخر ، ولو كان كذلك لم يكن بينها فرق وكان الجميع واحداً ، وسنورد بعد فراغنا من هذا الكتاب كتاباً نضمه فنوناً من الأخبار [على غير نظم من التأليف ولا ترتيب من التصنيف على حسب ما يفتح من فوائد الأخبار] ومخلله بالآداب وفنون الآثار ، تالياً لما سلف من كتبنا ومعقباً لما تقدم من تصنيفنا .
إن شاء الله تعالى .

ذكر خلافة المستعين بالله

وبويع أحمد بن محمد بن المعتصم في اليوم الذي توفي فيه المنتصر ، وهو يوم الأحد لخمس خَلَوْنَ من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين ، ويكنى بأبي العباس ، وكانت أمه أم ولد صقلبية يقال لها مخارق ، وخلع نفسه ، وسلم الخلافة إلى المعتز ، فكانت خلافته ثلاث سنين وثمانية أشهر - وقيل : ثلاث سنين وتسعة أشهر - وكانت وفاته يوم الأربعاء لثلاث خَلَوْنَ من شوال سنة ائنتين وخمسين ومائتين ، وقتل وهو ابن خمس وثلاثين سنة .

.وجز

ذكر جل من أخباره وسيره

ولم مما كان في أيامه

وزراؤه
وكتابه

واستوزر المستعين بالله أبا موسى أوتامش ، وكان المتولى لأمر الوزارة والقيم بها كاتباً لأوتامش يقال له شجاع [بن القاسم] ، وبعد أن قتل أوتامش وكاتبه [شجاع] صار على وزارته أحمد بن صالح بن شيرزاد ، ولما قتل وصيف وُبغاً باغر التركي تعصبت الموالي ، وانحدر وصيف وُبغاً إلى مدينة السلام ، والمستعين معها ، فأنزلاه دار محمد بن عبد الله بن طاهر ، وذلك في المحرم سنة إحدى وخمسين ومائتين ، والمستعين لا أمر له ، والأمر لبغاً ووصيف ، وكان من حصار بغداد ما ذكرناه في الكتاب الأوسط ؛ وفي المستعين بالله يقول بعض الشعراء [في هذا العصر] :

خليفة في قفص بين وصيف وُبغاً

يقول ما قالاه كما يقول الببغاً

وقد كان المستعين نفي أحمد بن الخصيب إلى إقريطش سنة ثمان وأربعين ومائتين ، ونفي عبید^(١) الله بن يحيى بن خاقان إلى برقة ، واستوزر عيسى ابن فرخان شاه ، وقلد سعيد بن حميد ديوان الرسائل .

وكان سعيد حافظاً لما يُستحسن من الأخبار ، ويُستجاد من الأشعار ، سعيد بن حميد متصرفاً في فنون العلم ، ممنعاً إذا حدث ، مفيداً إذا جويس ، وله أشعار كثيرة حسان ؛ فمما يُستحسن ويختار من شعره قوله :

وكنت أخوفه بالدعاء وأخشى عليه من المأثم

لما أقام على ظلمه تركت الدعاء على الظالم

(١) في ب «عبد الله بن يحيى بن خاقان» وانظر (ص ١٣٢) من هذا الجزء

وقوله :

أسيدتي مالي أراكِ بخيـلةً مقيمٌ على الحرمان من يستزيدها
فأصبحتِ كالدينا ندم صروفها وتُدبِعها ذمًا ونحن عبيدها

وقوله :

الله يعلم ، والدينا مؤايـة والعيش منتقل ، والدهر ذو دُولِ
فَللْفِرَاقِ - وإن هاجت فجميعته عليك - أخوف في قلبي من الأجلِ
وكنت أفرح بالدينا ولذتها واليأس يحكم للأعداء في الأملِ

وقوله :

وما كان حُبِّها لأول نظرة ولا غمرة من بعدها فتجَلَّتْ (١)
ولكنها الدنيا تولت، وما الذي يُسَلِّي عن الدنيا إذا ما تولت ؟

وقوله :

كأن انحدار الدمع حين تُجِيلُهُ على خدِّها الرَيَّانُ دُرٌّ عَلَى دُرِّ
إلا أن سعيداً - على ما وصفنا عنه من الأدب - كان يتنصب ، ويظهر
التسني والتخيل (٢) ، وظهر عنه الانحراف عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
رضي الله عنه وعن الطاهرين من ولده ، وفي ذلك يقول بعض الشعراء :

ما رأينا لسعيد بن حميد من شبيهه

ما له يؤذي رسول الله في شتم أخيه

إنه الزنديق مستو ل علي دين أبيه

وكان سعيد بن حميد من أبناء الجوس ، وفيه يقول بعض الشعراء ،

وهو أبو علي البصير :

رأس من يدعى البلاعة مني ومن الناس كلهم في حر أمه

وأخونا واست أعني سعيد بن حميد تؤرخ الكتب باسمه

(٢) في ب « والتحليل » .

(١) في ا « ولاعزة » محرفا

وكان لسعيد بن حميد وأبي علي البصير وأبي العيّناء معاتبات ومكاتبات ومداعبات ، وقد أتينا على ذكرها في الكتاب الأوسط .

وكان أبو علي البصير من أطبع الناس في زمانه ، لا يزال يأتي بالبيت أبو علي البصير النادر ، والمثل السائر ، الذي لا يأتي به غيره ، وكان ابن ميادة بسوء اختياره يرى أنه أشعر من جرير ، ويحسبه مقدماً على أهل عصره ، وهو فوق نظرائه في وقته ، ودون البحترى ؛ فمن مشهور شعره قوله في المعلى ابن أيوب :

لعمر أبيك ما نسب المعلى إلى كرم ، وفي الدنيا كريم
ولكنّ البلاد إذا اقشعرت وصوّح نبتها رعى الهشيم
ومما استحسن له من شعره قوله :

إذا ما اغتدت طلبة العلم ماها من العلم إلا ما يخلد في الكتب
غدوت بتشمير وجد عليهم فمجبرتي سمى ، ودفترها قلبي
ومما استحسن من قوله وهو يريد الحج :

خرجنا نبتى مكة حجّاجاً وعمّارا

فلما شارف الخير راعى إبلى حارا

فقلت : اخطط بهارحلى ولا تعباً بمن جارا

فصادفنا بها هواءً وبستاناً وخّارا

وظبياً عاقداً بين النقا والخصر زُنّارا

فما ظنّك بالخلفاء إن أشعلتها نارا

وظهر في هذه السنة ، وهي سنة ثمان وأربعين ومائتين ، بالكوفة أبو الحسن^(١) يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله ابن جعفر بن أبي طالب الطيار ، [وأمه فاطمة بنت الحسين بن عبد الله بن إسماعيل ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الطيار] وقيل : إن ظهوره كان بالكوفة سنة خمسين ومائتين فقتل وحمل رأسه إلى بغداد وصلب ، فضج الناس من ذلك ، لما

ظهور

يحيى بن عمر
الطالبي

(١) فيما رثى به من الشعر « أبو الحسين » انظر ص ١٤٩ و ١٥٢ .

كان في نفوسهم من المحبة له ، لأنه استفتح أموره بالكف عن الدماء ،
 والتورع عن أخذ شيء من أموال الناس ، وأظهر العدل والإنصاف ،
 وكان ظهوره لذلّ نزل به ، وجفوة لحقته ، ومحنة نالته من المتوكل وغيره
 من الأتراك ، ودخل الناس إلى محمد بن عبد الله بن طاهر يهنئونه بالفتح ،
 ودخل فيهم^(١) أبو هاشم الجعفرى - وهو داود بن القاسم بن إسحاق
 ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، بينه وبين جعفر الطيار ثلاثة آباء - ولم
 يكن يعرف في ذلك الوقت أقعد نسباً في آل أبي طالب وسائر بني هاشم
 وقريش منه ، وكان ذا زهد وورع ونسك وعلم ، صحيح العقل سليم الحواس
 منتصب القامة ، وقبره مشهور ، وقد أتينا على خبره وما روى عنه من
 الرواية عن أبيه ومن شاهد من سلفه في كتاب «حدائق الأذهان» في أخبار
 [آل]^(٢) النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال لابن طاهر : أيها الأمير ، إنك لتهنأ
 بقتل رجل لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حياً لعزى به ، فلم يجبه محمد
 وخرج من داره وهو يقول : يا بني طاهر ، البيتين ، وقد كان المستعين أمر
 ينصب الرأس ، فأمر ابن طاهر بإنزاله لما رأى الناس وما هم عليه ، وفي ذلك
 يقول أبو هاشم الجعفرى :

يا بني طاهر كلوه وبياً إن لحم النبي غير مرى

إن وترأ يكون طالبه الله لو ترأ بالقوت غير حرى

وقدرتني أبو الحسين يحيى بن عمر بأشعار كثيرة ، وقد أتينا على خبر
 مقتله وما رثى به من الشعر في الكتاب الأوسط ، ومما رثى به ما قاله فيه
 أحمد بن طاهر الشاعر من قصيدة طويلة :

سلام على الإسلام فهو مودع إذا ما مضى آل النبي فودعوا
 فقدنا العلا والمجد عند افتقادم وأضحت عروش المكرمات تضعضع
 أنجمع عين بين نوم ومضجع ولا بن رسول الله في الترب مضجع

(١) في ب « ودخل عليهم » (٢) في ب « في أخبار النبي » .

فقد أفقرت دار النبي محمد من الدين والإسلام؛ فالدار بَلَقَعُ
 وقتل آل المصطفى في خلالها وبُدِّدَ شَمْلُ منهم ليس يجمع
 ألم تر آل المصطفى كيف تصطفى نفوسهم أم المنون فتتبع
 بنى طاهر، واللؤم منكم سجية، وللفرد منكم حاسر ومقنع
 قواطعكم في الترك غير قواطع ولكنها في آل أحمد تقطع
 لكم كل يوم مشرب من دماهم وغلتها من شربها ليس تنقع
 وما حكم للطالبيين شرع وفيكم رماح الترك بالقتل شرع
 لكم مرتع في دار آل محمد وداركم للترك والجيش مرتع
 أخلتم بأن الله يرعى حقوقكم وحق رسول الله فيكم مضيع؟
 وأضحوا يرجون الشفاعة عنده وليس لمن يرميه بالوتر يشفع
 فيغلب مغلوب، ويقتل قاتل ويخفض مرفوع، ويدنى المرفع^(١)
 قال: وكان يحيى ديناً، كثير التعطف والمعروف على عوام الناس،
 باراً بخواصهم، واصلاً لأهل بيته، مؤثراً لهم على نفسه، مُثَقِّلَ الظهر
 بالطالبات، يجهد نفسه ببرهن والتحنن عليهن، لم تظهر له زلة، ولا عرفت
 له خزية.

ولما قتل يحيى جزعت عليه نفوس الناس جزعاً كثيراً، ورثاه القريب
 والبعيد، وحزن عليه الصغير والكبير، وجزع لقتله الملى والدنى، وفي
 ذلك يقول بعض شعراء عصره ومن جزع على فقده:

بكت الخليل شجوها بعد يحيى وبكاه المهند المصقول
 وبكته العراق شرقاً وغرباً وبكاه الكتاب والتنزيل
 والمصلى والبيت والركن والحجر جميعاً لهم عليه عويل
 كيف لم تسقط السماء علينا يوم قالوا: أبو الحسين قتيل^(٢)

(١) في « فيصلب مصلوب »

(٢) في ب « يوم قالوا أخو الحسين قتيل »

وبناتُ النبيَّ يندبن شَجْوًا مُوجَعَات ، دموهنَّ تسيل
 ويؤبِنَنَّ للـرزية بدرًا فقدته مفضع عزيز جليل
 قَطَّعت وجهه سيوف الأعدى بأبي جهه الوسيم الجميل
 وليحي الفـتى بقلبي غليل كيف يؤذى بالجسم ذاك الغليل^(١)
 قَتَلَهُ مذكر لقتة لـعلى وحسين ، ويوم أودى الرسول
 فصلاة الإلهِ وقفنا عليهم ما بكى مُوجَعٌ وحنَّ شكول
 وكان ممن رثاه علي بن محمد بن جعفر العلوي الحماني الشاعر ، وكان ينزل
 بالكوفة في حمان ، فأضيف إليهم فقال :

يا بقايا السلف الصا لح والتجر الرياح
 نحن الأيام من بين قتييل وجريح
 خاب وجهُ الأرض كم غيَّب من وجه صبيح
 آه من يومك ما أو داه للقلب القريح^(٢)

وفيه يقول :

تَضَوَّع مسكا جانبُ القبر إذ ثوى وما كان لولا شلوه يتضوَّعُ
 مصارع فتيان كرام أعزة أتيج ليحيي الخير منهنَّ مضرعُ
 وقوله :

إني لقومي من أحساب قومكم بمسجد الخيف في بجوحة الخيف
 ما علق السيف منا بابن عاشرة إلا وهمته أمضى من السيف
 وقد كان علي بن محمد بن جعفر العلوي هذا - وهو أخو إسماعيل العلوي
 لأمه - لما دخل الحسن بن إسماعيل الكوفة - وهو صاحب الجيش الذي لقي
 يحيى بن عمر - قعد عن سلامه ، ولم يمض إليه ، ولم يتخلف عن سلامه أحد

(١) في ا « إن يحيى أبقى بقلبي غليلا »

(٢) في ا « ما أنكاه للقلب القريح »

من آل علي بن أبي طالب الهاشميين ، وكان علي بن محمد الحمانى نقيبهم^(١) بالكوفة وشاعرهم ومدرسهم ولسانهم ، ولم يكن أحد بالكوفة من آل علي بن أبي طالب يتقدمه في ذلك الوقت ، فتفقدته الحسن بن إسماعيل ، وسأل عنه ، وبعث بجماعة فأحضروه ، فأنكر الحسن تخلفه عن سلامه ، فأجابه علي بن محمد بجواب مستقل آيس من الحياة ، فقال : أردت أن آتيك مهنياً بالفتح ، وداعياً بالظفر ، وأنشد شعراً لا يقوم على مثله من يرغب في الحياة ، وهو :

قتلت أعزاً من ركب المطايا وجئتك أستلينك في الكلام
وعزاً على أن ألقاك إلا وفيما بيننا دُ الحسام
ولكن الجناح إذا أهيضت قوادمه يرف على الأكام^(٢)

فقال له الحسن بن إسماعيل : أنت موتور ، فلت أنكر ما كان منك ، وخلع عليه ، وحمله إلى منزله .

قال : وكان أبو أحمد الموفق بالله حبس علي بن محمد العلوى لأمر شنع به عليه من أنه يريد الظهور ، فكتب إليه من الحبس :

بين الموفق
وعلى بن
محمد العلوى

قد كان جدك عبد الله خير أب لابنتي على حسين الخير والحسن
فالكف يوهن منها كل أملة ما كان من أختها الأخرى من الوهن
فلما وصل هذا الشعر إليه كفل وخلي إلى الكوفة .

وله أشعار ومراث في أخيه إسماعيل وغيره من أهله ، وفي ذم الشيب ، قد أتينا على كثير من ذكرها في كتابنا « أخبار الزمان » عند ذكر أخبار الطالبين ، وفي كتاب « مزاهر الأخبار ، وطرائف الآثار ، في أخبار [آل] النبي صلى الله عليه وسلم » .

(١) في ب « مفتيهم »

(٢) (٥٠٠) ، هذا البيت في هكذا :

ومما رثي به علي بن محمد أيضاً أبا الحسين يحيى بن عمر فأجاد فيه وافتخر

علي غيرهم من قريش قوله :

لعمري لئن سُرَّتْ قريش بهُلكِه
فإن مات تلقاء الرماح فإنه
فلا تسمتوا فالقوم من يبق منهم
لهم معكم إما جدعتم أنوفكم
تراث لهم من آدم ومحمد
وفيه يقول أيضاً في الشيب :

قد كان حين بدا الشباب به
وكأنه قمر تَمَنَطَقَ في
يا ابن الذي جعلت فضائله
من أسرة جعلت مخايلهم
تهيب الأقدار قدرهم
والموت لا تشوى رميته

ومن مراثيه المستحسنة في أخيه :

هذا ابن أمي عدل الروح في جسدي
فاليوم لم يبق شيء أستريح به
أو مقلة بخفيّ الهمة باكية
ترى أناجيك فيها بالدموع وقد
من لي بمثلك يا نور الحياة ويا
من لي بمثلك أدعوه لحادثة
ندذنت أنواع تُكَلِّ كُنْتُ أبلغها

شق الزمان به قلبي إلى كبدي
إلا تفتت أعضائي من الكمد
أو بيت مرثية تبقى على الأبد
نام الخلى ولم أجمع ولم أجد
يمنى يدي التي شلت من العضد
يشككي إليه ولا يشكو إلى أحد
على القلوب وأجناها على كبدي^(٢)

(١) في « يشنون موت الترف » (٢) في « أحشاها على كبدي »

قل للردى لا تغادر بعده أحداً والمنية من أحببت فاعتمدى
 إن الزمان تقضى بعد فرقته والعيش آذن بالتفريق والنكد
 وكانت وفاة علي بن محمد العلوي في خلافة المعتصم في سنة ستين ومائتين^(١)
 وفي خلافة المستعين - وذلك في سنة خمسين ومائتين - ظهر ببلاد
 طبرستان الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن
 ابن الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنهم ، فغلب عليها وعلي
 جرجان بعد حروب كثيرة وقتال شديد، وما زالت في يده إلى أن مات سنة سبعين
 ومائتين، وخلفه أخوه محمد بن زيد فيها إلى أن حاربه رافع بن هرثمة^(٢)، ودخل
 محمد بن زيد إلى الديلم في سنة سبع وسبعين ومائتين، فصارت في يده ، وبايعه
 بعد ذلك رافع بن هرثمة^(٢) وصار في جملته ، وانقاد لدعوته، والقول بطاعته ،
 وكان الحسن بن زيد ومحمد بن زيد يدعوان إلى الرضا من آل محمد ،
 وكذلك من طراً بعدهما ببلاد طبرستان - وهو الحسن بن علي الحسنى
 المعروف بالأطروش وولده - ثم الداعي الحسن بن القاسم الذى قتله أسفار^(٣)
 بطبرستان ، وكان الحسن بن القاسم من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب
 وقد أتينا على خبر سائر آل أبي طالب بطبرستان ، ومن ظهر منهم بالمشرق
 والمغرب وغير ذلك من يقاع الأرض إلى هذا الوقت - وهو سنة اثنتين
 وثلاثين وثلاثمائة - في كتابنا « أخبار الزمان » وإنما نذكر في هذا الكتاب
 لمعاً من سائر ما يجب ذكره ، لئلا يخلو هذا الكتاب من ذكرهم .

ظهور
 الحسن بن زيد
 العلوي

ظهور
 محمد بن جعفر

وظهر في هذه السنه - وهي سنة خمسين ومائتين - بالرى محمد بن
 جعفر بن الحسن ، ودعا للحسن بن زيد صاحب طبرستان ، وكانت له
 حروب بالرى مع أهل خراسان من المسودة ، فأسر وحمل إلى نيسابور إلى
 محمد بن عبد الله بن طاهر ، فمات في محبسه بنيسابور .

(٢) في « رافع بن حرثمة »

(١) في ب « ست ومائتين »

(٣) في ب « قتله التار » .

وظهر بعده بالرى أحمد بن عيسى بن على [بن الحسن بن على]^(١) بن
 الحسين بن على بن أبى طالب ، ودعا إلى الرضا من آل محمد ، وحارب
 محمد بن طاهر ، وكان بالرى ، فانهزم عنه وسار إلى مدينة السلام ، فدخلها
 ظهور
 أحمد بن عيسى
 العلوى

العلوى .

وفي هذه السنة - وهي سنة خمسين ومائتين - ظهر بقزوين الكركى
 وهو الحسن بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن على بن الحسين بن على بن
 أبى طالب رضى الله عنهم ، وهو من ولد الأرقط^(٢) ، وقيل : إن اسم
 الكركى الحسن بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن على
 ابن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، فحاربه موسى بن بَغَا^(٣) ،
 وصار الكركى إلى الديلم ، ثم وقع إلى الحسن بن زيد الحسينى^(٤) فهلك
 قبله .

ظهور
 الكوكى
 بقزوين

وظهر بالكوفة الحسين بن محمد بن حمزة بن عبد الله بن الحسن بن على
 ابن محمد العلوى ابن أبى طالب ، فسرح إليه محمد بن عبد الله بن طاهر من بغداد جيشا عليه
 ابن خاقان فانكشف الطالبي واختفى لترك أصحابه له ، وتخلفهم عنه ، وكان
 ذلك فى سنة إحدى وخمسين ومائتين .

ظهور الحسين
 ابن محمد العلوى

وفي سنة تسع وأربعين ومائتين عقد المستعين لابنه العباس على مكة
 والمدينة والبصرة والكوفة ، وعزم على البيعة له ، فأخراها لصفر سنة ،
 وكان عيسى بن فرخا تشاء قال لأبى [على] البصير الشاعر أن يقول فى
 ذلك شعراً يشير فيه بالبيعة له ، فقال فى ذلك قصيدة طويلة يقول فيها :

عزم على أخذ
 البيعة لابنه

بك الله حاط الدين وانتاش أهله من الموقف الدخض الذى مثله يردي
 فول ابنك العباس عهدك ، إنه له موضع ، واكتب إلى الناس بالعهد
 فإن خلفته السن فالعقل بالغ به رتبة الشيخ الموفق للرشد

(٢) فى ب « من ولد الأوسط »

(١) سقط هذان الاسمان من ب

(٤) فى ب « الحسنى » .

(٣) فى ب « فحاربه موسى وبغا »

وقد كان يجي أوتي العلم قبله

صبيا ، وعيسى كالم الناس في المهدي

بين محمد بن طاهر وأبي العباس المكي
وقال أبو العباس المكي : كنت أنادم محمد بن طاهر بالري قبل مواعفته الطالبين ، فما رأيت في وقت من الأوقات أشد سروراً منه ولا أكثر نشاطاً قبل ظهور العلوي بالري ، وذلك في سنة خمسين ومائتين ، وقد كنت عنده ليلة أحدث ، والخير وافد والستر مسبل ، إذ قال : كأني أشتهى الطعام فما آكل ؟ قلت : صدر دراج أو قطعة من جدى باردة ، قال : يا غلام ، هات رغيفا وخلا وملحا ، فأكل من ذلك ، فلما كان في الليلة الثانية قال : يا أبا العباس ، كأني جائع فما ترى أن آكل ؟ قلت : ما أكلت البارحة ، فقال : أنت لا تعرف فرق ما بين الكلامين ، قلت البارحة : كأني أشتهى الطعام ، وقلت الليلة : كأني جائع ، وبينهما فرق ، فدعا بالطعام ، ثم قال لي : صف لي الطعام والشراب والطيب والنساء والخيل ، قلت : أيكون ذلك منشوراً أو منظوماً؟ قال : لا ، بل منشوراً ، قلت : أطيب الطعام ما لقي الجوع بطعم وافق شهوة ، قال : فما أطيب الشراب؟ قلت : كأس مدام تبرد بها غليلك ، وتعاطى بها خليلك ، قال : فأى السماع أفضل ؟ قلت : لوتار أربعة ، وجارية متربعة ، غناؤها عجيب ، وصوتها مصيب ، قال : أى الطيب أطيب ؟ قلت : ريح حبيب تحبه ، وقرب ولد تربته ، قال : فأى النساء أشهى ؟ قلت : من تخرج من عندها كارهاً ، وترجع إليها والهال ؟ قال : فأى الخيل أفره ؟ قلت : الأشدق الأعين الذي إذا طلب سبق ، وإذا طلب لحق ، قال : أحسنت ، يا بشر أعطه مائة دينار ، قلت : وأبن تقع منى مائتا دينار ؟ قال : أو قد زدت نفسك مائة دينار ؟ يا غلام أعطه المائة كما ذكرنا ، والمائة الأخرى لحسن ظنه بنا ، فانصرفت بمائتي دينار ، فما كان بين هذا الحديث وبين تفحيه من الري إلا جمعة

معرفة المستعين
بالأخبار

وكان المستعين حسن المعرفة بأيام الناس وأخبارهم ، لهجا بأخبار الماضين .
وحدث محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال : أخبرني أبو البيضاء مولى جعفر
الطيبار ، وكان طيب الحديث ، قال : وَفَدْنَا فِي أَيَّامِ الْمُسْتَعِينِ مِنَ الْمَدِينَةِ
إِلَى سَامِرَا وَفِينَا جَمَاعَةٌ مِنْ آلِ أَبِي طَالِبٍ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَأَمْنَا بِيَابَهُ
نَحْوًا مِنْ شَهْرٍ ، ثُمَّ وَصَلْنَا إِلَيْهِ ، فَكَلَّمْنَا وَعَبَّرْنَا عَنْ نَفْسِهِ فَقَرَّبَ وَأَنْسَ ،
وَأَبْتَدَأَ بِذِكْرِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ وَأَخْبَارَهُمَا ، وَكُنْتُ أَعْرِفُ الْجَمَاعَةَ بِمَاشَرَعِ فِيهِ ،
فَقُلْتُ : يَا أَدْنَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْكَلَامِ ؟ قَالَ : ذَلِكَ إِلَيْكَ ، فَشَرَعْتُ مَعَهُ فِيمَا قَصِدُ إِلَيْهِ
وَتَسْلَسَلْنَا بِنَا الْكَلَامِ إِلَى فَنُونَ مِنَ الْعِلْمِ فِي أَخْبَارِ النَّاسِ ، [ثُمَّ] أَنْصَرَفْنَا
وَأَقِيمْنَا لَنَا الْإِنْزَالَ وَالْإِفْضَالَ ، فَلَمَّا كَانَ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ جَاءَنَا خَادِمٌ وَمَعَهُ عِدَّةٌ
مِنَ الْأَتْرَاكِ وَفَرَسَانِ ، فَحَمَلَتْ عَلَيَّ جَنِيْبَةً كَانَتْ مَعَهُمْ ، وَأَتَى بِي إِلَى الْمُسْتَعِينِ
فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْجَوْسِقِ ، فَقَرَّبَنِي وَأَدْنَانِي ، ثُمَّ أَخَذَ بَعْدَ أَنْ آنَسَنِي فِي
أَخْبَارِ الْعَرَبِ وَأَيَّامِهَا ، وَأَهْلِ التَّيْمِ ، فَانْتَهَى بِنَا الْكَلَامِ إِلَى أَخْبَارِ الْعَذْرَبِيِّينَ
وَالْمُتَيْمِينَ ، فَقَالَ لِي : مَا عِنْدَكَ مِنْ أَخْبَارِ عُرْوَةَ بْنِ حِزَامٍ ، وَمَا كَانَ مِنْهُ مَعَ
عَفْرَاءٍ ؟ فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ عُرْوَةَ بْنَ حِزَامٍ لَمَّا أَنْصَرَفَ مِنْ عِنْدِ
عَفْرَاءِ بِنْتِ عَقَالٍ تَوَفَّى وَجَدًّا بِهَا وَصَبَابَةً إِلَيْهَا ، فَمَرَّ بِهِ رَكْبٌ فَعَرَفُوهُ ، فَلَمَّا
عُرْوَةَ بْنَ حِزَامٍ انْتَهَوْا إِلَى مَنْزِلِ عَفْرَاءِ صَاحَ صَاحٌ مِنْهُمْ :

أَلَا أَيُّهَا الْقَصْرُ الْمَغْفَلُ أَهْلُهُ

نَعِينَا إِلَيْكُمْ عُرْوَةَ بْنَ حِزَامٍ

فَفَهِمْتُ صَوْتَهُ ، وَأَشْرَفْتُ عَلَيْهِ ، وَقَالَتْ :

أَلَا أَيُّهَا الرَّكْبُ الْمَجْدُونُ وَيُنْحَكُمُ

بِحَقِّ نَعِيْتُمْ عُرْوَةَ بْنَ حِزَامٍ ؟

فَأَجَابَهَا رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ ، فَقَالَ :

نَعَمْ قَدْ تَرَكَنَاهُ بِأَرْضِ بَعِيدَةٍ مَقِيمًا بِهَا فِي سَبَبٍ وَأَكَامَ

فَقَالَتْ لَهُمْ :

فإن كان حقاً ما تقولون فأعلموا بأن قد نعيتم بدر كل ظلام
 فلا لقيَ الفتيانُ بعدك لذةً ولا رجعوا من غيبة بسلام
 ولا وضعت أنثى شريفاً كمثلهُ ولا فرحت من بعده بغلام
 ولا لا بلغت حيث وجهتم له ونفصتم لذات كل طعام
 ثم سألتهم : أين دفنوه ؟ فأخبروها ، فصارت إلى قبره ، فلما قاربتهُ
 قالت : أنزلوني فإني أريد قضاء حاجة ، فأنزلوها فأنسلت إلى قبره فأكبت
 عليه ، فما راعهم إلا صوتها ، فلما سمعوه بادروا إليها ، فإذا هي ممتدة على
 القبر قد خرجت نفساً ، فدفنوها إلى جانب قبره . قال : فقال لي : فهل
 عندك من خبره غير ما ذكرت ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، هذا
 ما أخبرنا به مالك بن الصباح العدوي ، عن الهيثم بن عدي بن [هشام بن]
 عروة ، عن أبيه ، قال : بعثني عثمان بن عفان مصدقاً في بني عذرة في بلاد
 حى منهم يقال لهم بنو منبذة ، فإذا بيت جديد منحاش عن الحى ، فملت
 إليه ، فإذا بشاب قائم^(١) في ظل البيت ، وإذا عجوز جالسة في كسر البيت ،
 فلما رأني ترنم بصوت ضعيف يقول :

جعلت لِعَرَافِ الْيَمَامَةِ حَكْمَهُ وَعَرَافِ نَجْدِ إِنْ هُمَا شَفِيَانِي
 فقالا : نعم ، نشفي من الداء كله وقاما مع العواد يبتدران
 فما تركا لي رُقِيَّةً يَعْرِفَانِيَا ولا شُرْبَةً إِلَّا بِهَا سَقِيَانِي
 وقالا : شفاك الله ، والله ما لنا بما حَمَلَتْ مِنْكَ الضُّلُوعُ يَدَانِ
 فلهمني على عفراء لهفماً كأنه على النحر والأحشاء حدُّ سنان
 فعفراء أحظى الناس عندي مَوَدَّةً وعفراء عني المَعْرِضُ المتداني
 وإني لأهوى الحشر إذ قيل : إنني وعفراء يوم الحشر ملتقيان
 ألا لعن الله الوشاة وقولهم : فلآنة أضحت خُلةً لفلان

(١) في « نائم في ظل البيت » .

ثم شهق شهقة خفيفة ، فنظرت في وجهه فإذا هو قد مات ، فقلت :
أيها العجوز^(١) ، ما أظن هذا النائم بفناء بيتك إلا قد مات ، قالت : وأنا
والله أظن ذلك ، فنظرت في وجهه ، وقالت : فأضرب الكعبة ،
فقلت : من هذا ؟ فقالت : عروة بن حزام العذري ، وأنا أمه ، والله
ما سمعت له أنه من سنة إلا في صدر يومى هذا ، فإني سمعته يقول :

من كان من أمهاتى باكياً أبداً فاليوم ؛ إنى أرانى فيه مقبوضاً
تَسَمَّعِيهِ فإني غير سامعه إذا علوت رقاب القوم معروضاً

قال : فأتمت حتى شهدت غسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه ، قال :
فقال عثمان : وما دعاك إلى ذلك ؟ قلت : اكتساب الأجر فيه والله ، قال :
فوصل الجماعة وفضلني عليهم في الجائزة .

حديث عن
مجنون بنى عامر
قال المسعودي : ولمن سلف من المتيممين أخبار عجيبة ، وأشعار حسان ،
فمن ذلك ما حدثنا به أبو خليفة الفضل بن الحباب^(٢) الجمحي القاضي ، قال :
حدثنا محمد بن سلام الجمحي ، قال : أخبرني أبو الهياج بن سابق النجدي ،
ثم الثقفي ، قال : خرجت إلى أرض بنى عامر ، لا شيء إلا للقاء المجنون ،
فإذا أبوه شيخ كبير ، وإذا إخوته رجال ، وإذا ناعم ظاهرة وخير كثير ،
فسألتهم عن المجنون ؛ فاستعبروا ، وقال الشيخ : كان والله أبراً هؤلاء
عندي ؛ فهوى امرأة من قومه ، والله ما كانت تطمع في مثله ؛ فلما عرف
أمره^(٣) وأمرها كره أبوها أن يزوجه منها ؛ فزوجها من رجل آخر ؛
فقيدناه ، فكان بعض شفتيه ولسانه حتى خشينا أن يقطعهما ؛ فلما رأينا
ذلك خَلَيْنَا سبيله ؛ فمرّ في هذه الفيافي يذهب إليه في كل يوم بطعامه

(١) في ب « أيها العجوز » .

(٢) في نسخة « الفضل بن الحاجب الجمحي » .

(٣) في ا « فلما فشا أمره - إلخ » .

فيوضع له بحيث يراه ، فإذا عاينه جاء فأكل ، وإذا خلقت ثيابه جاءوه
بثياب ؛ فوضعت بحيث يراها ، فسألتهم أن يدلوني عليه ، فدلوني على فتى من
الحى ، وقالوا : إنه لم يزل صديقاً له ، وليس يأنس بأحد سواه ؛ فسألته أن
يدلني عليه ؛ فقال : إن كنت تريد شعره فكل شعره عندي إلى أمس
وأنا ذاهب إليه غداً ؛ فإن كان قد ذكر شيئاً أتيتك به ، قلت : أريد أن
تدلني عليه ، قال : إن رأك يفر منك ، وأخاف أن يذهب مني فيما بعد ؛
فيذهب شعره ، فأبيت إلا أن يدلني ، فقال : اطلبه في هذه الصحراء ؛
فإذا رأيته فأذن منه مستأنساً ، فإنه يتهددك ويتوعدك أن يرميك بشيء
في يده ، فاجلس كأنك لا تنظر إليه والحظه ، فإذا رأيته قد سكن فاجهد
أن تروى لقيس بن ذريح^(١) شيئاً فإنه معجب به ، قال : فخرجت إليه
يومى ، فوجدته بعد العصر جالساً على تل ، يخط بأصبعه خطوطاً ، فدنوت
منه غير منقبض ، ففرّ والله كما يفرّ الوحش من الإنسان ، وإلى جانبه
أحجار ، فتناول منها واحداً ، فأقبلت حتى جلست قريباً منه ، فمكثت
ساعة ، وهو كأنه نافر ، فلما طال جلوسى سکن ، وأقبل يعبث بأصبعه ،
فنظرت إليه ، وقلت : أحسن والله لقيس بن ذريح^(١) ، حيث يقول :

وإني كُفِّنَ دَمْعَ عَيْنِي بِالْبُكَاءِ حِذَاراً لِمَا قَدْ كَانَ أَوْ هُوَ كَأَنَّ
وقالوا : غداً ! أو بعد ذلك بليلة فراق حبيب لم يبين وهو بان
وما كنت أخشى أن تكون منييتي
بكني إلا أن ما حان حان

قال : فبكى والله حتى سالت دموعه ، ثم قال : أنا والله أشعر منه ،
حيث أقول :

أبى القلب إلا حبها عامرية لها كغنية عمرو ، وليس لها عمرو

(١) في ب « لقيس بن ذريح »

تَكَادُ يَدِي تَنْدَى إِذَا مَا لَمَسْتُهَا وَبَنَيْتُ فِي أَطْرَافِهَا الْوَرَقَ الْخَضِرَ
عَجِبْتُ لِسَعَى الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ ^(١)
فِيَا حَبِهَا زِدْنِي جَوِّي كُلَّ لَيْلَةٍ وَيَا سَلْوَةَ الْأَيَّامِ مَوْعِدَكَ الْحَشِرَ
قال : ثم نهض ، فانصرفت ، ثم عدتُ من الغد ، فأصبته ، ففعلت فعلى
بالأمس ، وفعل مثل فعله ، فلما أنس قلت : أحسن والله قيس بن ذريح ،
حيث يقول ، قال : ماذا ؟ قلت :

هَبُونِي امْرَأً إِنْ تَحْسَنُوا فَهَوْشَاكُمْ لَدَاكَ ، وَإِنْ لَمْ تَحْسَنُوا فَهَوْ صَافِحُ
فَإِنْ يَكُ قَوْمٌ قَدْ أَشَارُوا بِهَجْرِنَا فَإِنَّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ صَالِحُ
قال : فبكى ، وقال : أنا والله أشعر منه ، حيث أقول :

وَأَدْنَيْتِي حَتَّى إِذَا مَا سَبَيْتَنِي بِقَوْلِ يَحْيَى الْعُصَمَى سَهْلَ الْأَبَاطِحِ
تَجَافَيْتَ عَنِّي حَيْثُ مَالِي حَيْلَةٌ وَخَلَفْتَ مَا خَلَفْتَ بَيْنَ الْجَوَامِحِ ^(٢)
ثم ظهرت لنا ظبية ، فوثب في إثرها ؛ فانصرفت ، ثم عدت في اليوم الثالث
فلم أصادفه ، فرجعت ، فأخبرتهم ؛ فوجهوا الذي كان يذهب بطعامه ؛
فرجع ، وأخبرهم أن الطعام على حاله ؛ ثم غدوت مع إخوته ؛ فطلبناه
يومنا وليلتنا ؛ فلما أصبحنا أصبناه في واد كثير الحجارة ؛ وإذا هو ميت ؟
فاحتمله إخوته ، ورجعت إلى بلدي .

وفاة بغا الكبير قال المسعودي : وفي سنة ثمان وأربعين ومائتين كانت وفاة بغا
الكبير التركي ؟ وقد نيفَ على التسعين سنة ، وقد كان باشرَ من الحروب
مالم يباشره أحد ، فما أصابته جراحة قط ، وتقلد ابنه موسى بن بغا
ما كان يتقلده ، وضم إليه أصحابه ، وجعلت له قيادته ، وكان بغا دينا

(١) هذا البيت والذي بعده يرويان في قصيدة أبي صخر الهذلي التي أولها :
للإلى بذات البين دار عروفتها * وأخري بذت الجيش آياتها سطر
(٢) في « حين لالي حيلة » وهو الموافق لما أحفظه والمذكور عنب أقدعرية

من بين الأتراك ، وكان من غلمان المعتصم ، يشهد الحروب العظام ،
ويباشرها بنفسه ، فيخرج منها سالماً ، ويقول : الأجل جوشن .
ولم يكن يلبس على بدنه شيئاً من الحديد ، فعذل في ذلك ، فقال : رأيت
في نومي النبي صلى الله عليه وسلم ومعه جماعة من أصحابه فقال لي : يا بُغَا ،
أحسنت إلى رجل من أمتي فدعا لك بدعوات استجيبت له فيك ، قال :
فقلت : يا رسول الله ومن ذلك الرجل ؟ قال : الذي خلصته من السباع ،
فقلت : يا رسول الله ، سل ربك أن يطيل عمري ، فرفع يديه نحو السماء
وقال : اللهم أطل عمره ، وأتم أجله ، فقلت : يا رسول الله ، خمس وتسعون
سنة ، فقال رجل كان بين يديه : ويؤتي من الآفات ، فقلت للرجل : من
أنت ؟ قال : أنا علي بن أبي طالب ، فاستيقظت من نومي ، وأنا أقول :
علي بن أبي طالب .

بغايرى
رسول الله
في الحلم

وكان بُغَا كثير التعطف والبر للطالبيين ، فقيل له : من [كان] ذلك
الرجل الذي خلصته من السباع ؟ قال : كان أتى المعتصم برجل قد رمى
بيدعة ، فجرت بينهم في الليل مخاطبة في خلوة ، فقال لي المعتصم : خذ فآلقه
إلى السباع ، فأتيت بالرجل إلى السباع لألقيه إليها^(١) وأنا مُفْتَظاً عليه ، فسمعته
يقول : اللهم إنك تعلم ما تكلمت إلا فيك ، ولم أرد بذلك غيرك ، وتقرباً
إليك بطاعتك ، وإقامة الحق على من خالفك ، أفتسلمني ؟ قال : فارتعدتُ
وداخلتني له^(٢) رقة ، وملى قلبي له رعباً ، فحذبتة عن طرف بركة السباع ،
وقد كدت أن أزجَّ به فيها ، وأتيت به حجرتي فأخفيتة فيها ، وأتيت
المعتصم فقال : هيه ، قلت : ألقيته ، قال : فما سمعته يقول ؟ قلت : أنا عجمي
وهو يتكلم بكلام عربي ما أدري ما يقول ، وقد كان الرجل أغلظ ، فلما
كان في السحر قلت للرجل : قد فتحت الأبواب وأنا مخرجك مع رجال
الحرس ، وقد آثرتك على نفسي ، ووقيتك بروحي ، فاجهد ألا تظهر

قصة له
مع طالبي

(١) في ب « لألقيه فيها » (٢) في ب « ودخلتني له رقة » .

في أيام المعتصم ، قال : نعم ، قلت : فما خبرك ؟ قال : هجم رجل من عماله في بلدنا على ارتكاب المكاره والفجور وإماتة الحق ونصر الباطل ، فسرى ذلك إلى فساد الشريعة ، وهذم التوحيد ، فلم أجد عليه ناصرأ ، فوثبت عليه في ليلة^(١) فقتله ؛ لأن جرمه كان يستحق به في الشريعة أن يفعل به ذلك .

قال المسعودي : ولما انحدر المستعين ووصيف وبعأ إلى مدينة السلام بين المستعين والأتركة اضطربت الأتراك والفراغنة^(٢) وغيرهم من الموالى بسامرا ، وأجمعوا على بعث جماعة إليه يسألونه الرجوع إلى دار ملكه ، فصار إليه عدة من وجوه الموالى ومعهم البرد والقضيب وبعض الخزائن ومائتا ألف دينار ، ويسألونه الرجوع إلى دار ملكه ، واعترفوا بذنوبهم ، وأقرؤوا بخطهم ، وضمنوا ألا يعودوا ولا غيرهم من نظرائهم إلى شيء من ذلك مما أنكره عليهم ، وتذلوا وخضعوا ، فأجيبوا بما يكرهون ، وانصرفوا إلى سر من رأى ، فأعلموا أصحابهم وأخبروهم بما نالهم ، وإياهم من رجوع الخليفة .

وقد كان المستعين اعتقل المعتز والمؤيد حين انحدر إلى بغداد ، ولم يأخذها معه ، وقد كان حذر من محمد بن الواثق حين انحدره فأخذه معه ، ثم إنه هرب منه بعد في حال^(٣) الحرب ، فأجمع الموالى على إخراج المعتز والبياعة له والانقياد إلى خلافته ، ومحاربة المستعين وناصره ببغداد ، فأنزله من الموضع المعروف بلؤلؤة الجوسق ، وكان معتقلا فيه مع أخيه المؤيد ، فبايعوه ، وذلك يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة إحدى وخمسين ومائتين ، وركب من غد ذلك اليوم إلى دار العامة ، فأخذ البيعة على الناس ، وخلع على أخيه المؤيد ، وعقد له عقدين أسود وأبيض ، فكان الأسود لولاية العهد بعده ، والأبيض لولاية الحرمين وتقلدهما ، وانبتت

(٢) في ب « الفراعنة » .

(١) في ب « فوثب عليه في الليل »

(٣) في ب « هرب منه مع رجال الحرب »

الكتب في سامرا بخلافة المعتز بالله إلى سائر الأمصار^(١) ، وأرخت باسم جعفر بن محمد الكاتب ، وأحدر أخاه أبا أحمد مع عدة من الموالي لحرب المستعين إلى بغداد ، فنزل عليها ، فكان أول حرب جرت بينهم ببغداد بين أصحاب المعتز والمستعين ، وهرب محمد بن الواثق إلى المعتز بالله ، ولم تزل الحرب بينهم وبين أهل بغداد للنصف من صفر من هذه السنة ، فلما نشبت الحرب بينهم كانت أمور المعتز تقوى ، وحالة المستعين تضعف ، والفتنة عامة .

فلما رأى محمد بن عبد الله بن طاهر ذلك كاتب المعتز وجنح إليه ، ومال إلى الصلح على خلع المستعين ، وقد كانت العامة ببغداد - حين علمت ما قد عزم عليه من خلع المستعين - ثارت منكرة لذلك ، متحيزة إلى المستعين ، ناصرة له ، فأظهر محمد بن عبد الله المستعين على أعلى قصره ، فخاطبته العامة وعليه البردة [والقضيب] ، فأنكر ما بلغهم من خلعه ، وشكر محمد بن عبد الله بن طاهر ، ثم التقى محمد بن عبد الله بن طاهر وأبو أحمد الموفق بالشماسية ، فاتفقا على خلع المستعين على أن له الأماز ولأهله وولده وما حوته أيديهم من أملاكهم ، وعلى أنه ينزل مكة هو ومن شاء من أهله ، وأن يقيم بواسط العراق إلى وقت مسيره إلى مكة ، فكتب له المعتز على نفسه شروطاً أنه متى نقض شيئاً من ذلك فالله ورسوله منه برآء ، والناس في حل من بيعته ، وعهوداً يطول ذكرها ، وقد خذل المعتز بعد ذلك لمخالفتها حين عاج في نقضها ، فخلع المستعين نفسه من الخلافة ، وذلك يوم الخميس لثلاث خلون من المحرم سنة اثنتين وخمسين ومائتين ، فكان له مذواقي مدينة السلام إلى أن خلع سنة كاملة ، وكانت خلافته - منذ تقلد الأمر على ما بيناه آنفاً إلى أن زال عنه ملكه - ثلاث سنين وثمانية أشهر وثمانية عشر^(٢) يوماً على ما ذكرناه من الخلاف ، وأحدر إلى دار الحسن

(١) في ب «في سائر الأمصار» (٢) في ا «وثمانية وعشرين يوماً» .

ابن وهب ببغداد ، وجمع بينه وبين أهله وولده ، ثم أهدر إلى واسط ، وقد وكل به أحمد بن طولون التركي ، وذلك قبل ولايته مصر ، وعلم عجز محمد ابن عبد الله بن طاهر عن قيامه بأمر المستعين حين استجار به وخذلاً لأنه إياه وميله إلى المعتز بالله ، وفي ذلك يقول بعض شعراء العصر من أهل بغداد :

أطافت بنا الأتراك حولاً مجرماً
وما برحت في جحرها أم عامر^(١)
أقامت على ذلِّ بها ومهانة
فلما بدت أبدت لنا لؤم غادر
ولم ترع حق المستعين؛ فأصبحت
تعين عليه حادثات المقادر
لقد جمعت لؤماً وخبثاً وذلةً
وأبقت لها عارا على آل طاهر^(٢)

ولما كان من الأمر ما قدمناه من خلع المستعين انصرف أبو أحمد الموفق من بغداد إلى سامرا ، فخلع عليه المعتز ، وتوج ، ووشح بوشاحين ، وخلع على من كان معه من قواده ، وقدم على المعتز عبيد الله بن عبد الله بن طاهر أخو محمد بن عبد الله بالبزْد والقضيب والسيف وبجوهر الخلافة ، ومعه شاهك الخادم ، وكتب محمد بن عبد الله إلى المعتز في شاهك : إن من أتاك بإرث رسول الله صلى الله عليه وسلم لجدير أن لا تخفر ذمته .
وخلع المستعين وعلى وزارته أحمد بن صالح بن شيرزاد .

موت المستعين
ولما كان في شهر رمضان من هذه السنة - وهي سنة اثنتين وخمسين ومائتين - بعث المعتز بالله سعيد بن صالح الحاجب ليلقي المستعين ، وقد كان في جملة مَنْ حمّله من واسط ، فلقية سعيد وقد قرب من سامرا فقتله واحترق رأسه وحمّله إلى المعتز بالله ، وترك جثته ماقاة على الطريق حتى تولى دفنها جماعة من العامة .

وكانت وفاة المستعين بالله يوم الأربعاء لست خالون من شوال سنة اثنتين وخمسين ومائتين ، وهو ابن خمس وثلاثين سنة ، على ما قدمنا في صدر هذا الباب .

(١) في « وما برحت من جحرها » وأم عامر : كنية الضبع .

(٢) في « لقد جمعت لؤماً وخبثاً » .

وذكر شاهك الخادم قال : كنت عديلاً للمستعين عند إشخاص المعتز له إلى سامرا ، ونحن في عمارية ، فلما وصل إلى القاطول تلقاه جيش كثير ، فقال : يا شاهك انظر من رئيس القوم ؟ فإن كان سعيد الحاجب فقد هلك ، فلما عاينته قلت : هو والله سعيد ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ذهب والله نفسي ، وجعل يبكي ، فلما قرب سعيد منه جعل يقنعه بالسوط ، ثم أضجعه وقعد على صدره واحتز رأسه ، وحمله على ما ذكرنا ، واستقامت الأمور للمعتز ، واجتمعت الكلمة عليه .
وللمستعين أخبار غير ما ذكرناه في هذا الكتاب ، وأوردناه في هذا الباب ، وقد أتينا على ذكرها في كتابينا « أخبار الزمان » والأوسط ، وإنما ذكرنا ما أوردنا في هذا الكتاب لئلا يتوهم أنا أغفلنا ذكرها أو عزب عنا فهمها ، فإننا بحمد الله لم نترك شيئاً من أخبار الناس وسيرهم وما جرى في أيامهم إلا وقد ذكرناه ، وأوردنا في كتابنا أحسنه ، وفوق كل ذي علم عليم ، والله الموفق للصواب .

ذكر خلافة المعتز بالله

بويج المعتز بالله ، وهو الزبير بن جعفر المتوكل ، وأمه أم ولد يقال لها موجد
 قبيجة^(١) ، ويكنى أبا عبد الله ، وله يومئذ ثمان عشرة سنة ، بعد خلع
 المستعين لنفسه ، وذلك يوم الخميس لليلتين خلتا من المحرم ، وقيل : لثلاث
 خلون منه ، سنة اثنتين وخمسين ومائتين على ما قدمنا ، وبايعه القواد والموالي
 والشاكرية وأهل بغداد ، وخطب له في المسجد الجامع ببغداد في الجانبين .
 ثم خلع المعتز نفسه يوم الاثنين لثلاث بقين من رجب سنة خمس
 وخمسين ومائتين ، ومات بعد أن خلع نفسه بستة أيام .
 فكانت خلافته أربع سنين وستة أشهر ، ودُفن بسامرا ، فجملة أيامه
 منذ بويج بسامرا قبل خلع المستعين إلى اليوم الذي خلع فيه أربع سنين
 وستة أشهر وأياماً ، ومنذ بويج له بمدينة السلام ثلاث سنين وسبعة أشهر ،
 وتوفي وله أربع وعشرون سنة .

(١) في ب « قبيجة » .

ذكر جهل من أخباره ، وسيره

ولع مما كان في أيامه

ولما خلع المستعين بالله وأخدر إلى واسط - بعد أن أشهد على نفسه قول الناس أنه قد برىء من الخلافة وأنه لا يصلح لها ؛ لما رأى من الخلاف الواقع ، وأنه قد جعل الناس في حل من بيعته - قالت في ذلك الشعراء فأكثر ، ووصفته في شعرها فأغرقت ، فقال في ذلك البحترى من قصيدة طويلة :

إلى واسط خلف الدجاج ، ولم يكن

لينبت في لحم الدجاج محالب^(١)

وفي ذلك يقول الشاعر المعروف بالكناني من قصيدة :

إني أراك من الفراق جزوعاً أمسى الإمام مسيراً مخلوعاً

وغدا الخليفة أحمد بن محمد بعد الخلافة والبهاء خليعاً

كانت به الأيام تضحك زهرة وهو الربيع لمن أراد ربيعاً

فأزاله المقدور من رتب العلاء فنوى بواسط لا يحس رجوعاً

وكان بين خلع المستعين وقتله تسعة أشهر ويوم .

ومات في خلافة المستعين جماعة من أهل العلم والمحدثين : منهم أبو هاشم

محمد بن زيد الرفاعي ، وأيوب بن محمد الوراق ، وأبو كريب^(٢) محمد بن العلاء

الهمداني بالكوفة ، وأحمد بن صالح المصري ، وأبو الوليد السري

الدمشقي ، وعيسى بن حماد زغبة المصري بمصر ، ويكنى أبا موسى ، وأبو جعفر

ابن سوار الكوفي ، وذلك في سنة ثمان وأربعين ومائتين .

وفي خلافة المستعين - وذلك في سنة تسع وأربعين ومائتين - كانت وفاة

(١) في ب « إلى واسط خلب الدجاج » ورواية البيت في ديوان البحترى هكذا

إلى كسكر خلف الدجاج ، ولم تكن لنشب إلا في الدجاج محالبه

(٢) في ب « وأبو بكر محمد بن العلاء » .

وفاة جماعة
من أهل العلم

الحسن بن صالح البزار ، وكان من عليّة أصحاب الحديث ، وهشام بن خالد
الدمشقي ، ومحمد بن سليمان الجهنّي بالمصيصة ، والحسن بن محمد بن طلوت ،
وأبو حفص الصيرفي^(١) بسامرا ، ومحمد بن زنبور المكي بمكة ، وسليمان بن
أبي طيبة ، وموسى بن عبد الرحمن البرقي .

وفي خلافة المستعين — وذلك في سنة خمسين ومائتين — مات إبراهيم
ابن محمد التميمي ، قاضي البصرة ، ومحمود بن خدّاش ، وأبو مسلم أحمد بن
[أبي] شعيب الحراني ، والحارث بن مسكين المصري ، وأبو طاهر أحمد
ابن عمرو بن السرح ، وغير هؤلاء ممن أعرضنا عن ذكره ، من شيوخ
المحدثين وَنَقَلَةَ الآثار ، ممن قد أتينا على ذكرهم من أول زمن الصحابة ،
إلى وقتنا هذا — وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة — في سنة ست ، من
كتابنا المترجم بالأوسط ، وإنما نذكر من وفاة من ذكرنا لثلاثي هذا
الكتاب من نبد مما يحتاج إلى ذكره على قدر الطالب له .

وقد كان المستعين في سنة ثمان وأربعين ومائتين أخرج من خزانة الخلافة
فص ياقوت أحمر ، يعرف بالجبلي^(٢) ، وكانت الملوك تصونه ، وكان الرشيد اشتراه
بأربعين ألف دينار ، ونقش عليه [اسمه] أحمد ، ووضع ذلك الفص في أصبعه ،
فتحدّث الناس بذلك ، وقد ذكر أن ذلك الفص قد تداولته الملوك من الأكَاسرة
وقد نقش في قديم الزمان ، وذكر أنه لم ينقشه ملك إلا مات قتيلا ، وكان الملك
إذا مات وجلس تاليه في الملك حك النقش ، فتداولته في اللبس الملوك ، وهو
غير منقوش ، فيقع للنادر من الملوك فينقشه ، وكان ياقوتاً أحمر ، يضيء بالليل
كضياء المصباح إذا وضع في بيت لا مصباح فيه أشرق ، ويرى فيه بالليل

فص من
الياقوت
الأحمر

(١) في ب « وأبو جعفر الصيرفي » .

(٢) في ب « يعرف بالحلي » .

تمائيل تلوح، وله خبر طويل ظريف، وقد ذكرناه في كتابنا « أخبار الزمان » في ذكر خواتم ملوك الفرس، وقد كان هذا الفص ظهر في أيام المقتدر، ثم خفي أثره بعد ذلك.

وقد كان جماعة من الشعراء قالوا في المعتز — حين استتم له الأمر، واستقامت له الخلافة، وخلصها المستعين — أقوالاً كثيرة، فمن ذلك قول مروان بن أبي الجنوب من قصيدة طويلة:

إِن الْأُمُورَ إِلَى الْمُعْتَزِ قَد رَجَعَتْ^١ وَالْمُسْتَعِينَ إِلَى حَالَاتِهِ رَجَعَا
قَدْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ الْمُلْكَ لَيْسَ لَهُ وَأَنَّهُ لَكَ لَكِن نَفْسَهُ خَدَعَا

وفي ذلك يقول رجل من أهل سامرا، وقد قيل إنه البحتري:

لِللَّهِ دَرٌّ عَصَابَةٌ تَرْكِيَةٌ رَدُّوا نَوَائِبَ دَهْرِهِمْ بِالسَّيْفِ

قَتَلُوا الْخَلِيفَةَ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدٍ وَكَسَوْا جَمِيعَ النَّاسِ ثُوبَ الْخَوْفِ

وَطَفَّوْا فَاصْبَحَ مَلِكُنَا مُتَقَسِّمًا وَإِمَامُنَا فِيهِ شَبِيهُ الضَّيْفِ^(١)

وفي المعتز ورجوع الأمر إليه واتفاق الكلمة عليه يقول أبو علي

البصير:

أَبَ أَمْرٍ الْأَسْلَامِ خَيْرَ مَا بِهِ وَغَدَا الْمُلْكَ ثَابِتًا فِي نِصَابِهِ

مُسْتَقْرًا قَرَارِهِ مَطْمَئِنًّا أَهْلًا بِعَدْنَائِهِ وَاغْتِرَابِهِ

فَأَحْمَدُ اللَّهِ وَحَدَّهُ وَالتَّمَسُّ بِالْعَفْوِ عَمَّنْ هَذَا جَزِيلُ ثَوَابِهِ^(٢)

وكان علي ووزارة المعتز جعفر بن محمد، ثم استوزر جماعة، فكانت وزراء المعتز

الكتب تخرج باسم صالح بن وصيف كأنه مرسوم بالوزارة.

وكانت وفاة أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد

في خلافة المعتز بالله.

(١) في « فأصبح ملكنا متبديدا » .

(٢) في ب « والتمس بالعمو عن عفا » وهو تحريف .

وذلك في يوم الاثنين لأربع بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين ومائتين ، وهو ابن أربعين سنة ، وقيل : ابن اثنتين وأربعين سنة ، وقيل : أكثر من ذلك ، وسمع في جنازته جارية تقول : ماذا لقينا في يوم الاثنين قديماً وحديثاً ؟ وصلى عليه أحمد بن المتوكل على الله ، في شارع أبي أحمد ، وفي داره بسامرا ، ودفن هناك .

حدثنا ابن الأزر^(١) ، قال : حدثني القاسم بن عباد ، قال : حدثني يحيى بن هرثمة ، قال : وجَّهني المتوكل إلى المدينة لإشخاص علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر لشيء بلغه عنه ؛ فلما صرت إليها ضجَّ أهلها وعجوا ضجيجاً وعجيجاً ما سمعت مثله ، فجعلت أسكنهم وأحلف لهم أني لم أومر فيه بمكروه ، وفتشت بيته ، فلم أجد فيه إلا مصحفاً ودعاءً ، وما أشبه ذلك ، فأشخصته وتوليت خدمته وأحسنت عشرته ، فبينما أنا [نائم] يوماً من الأيام ، والسماء صاحية ، والشمس طالعة ؛ إذ ركب وعليه ممطر ، وقد عقد^(٢) ذنب دابته ، فعجبت من فعله ، فلم يكن بعد ذلك إلا هنيهة حتى جاءت سحابة فأرخت عزَّ إليها ، ونالنا من المطر أمر عظيم جداً ، فالتفت إليّ ، وقال : أنا أعلم أنك أنكرت ما رأيت وتوهمت أني علمت من الأمر ما لا تعلمه ، وليس ذلك كما ظننت ، ولكن نشأت بالبادية ، فأنا أعرف الرياح التي يكون في عقبها المطر ، فلما أصبحت هبَّت ريح لا تخلف وشممت منها رائحة المطر ، فتأهبت لذلك . فلما قدمت مدينة السلام بدأت بإسحاق ابن إبراهيم الطاهري - وكان على بغداد - فقال لي : يا يحيى^(٣) ، إن هذا الرجل قد ولده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمتوكل من تعلم ، وإن حرصته على قتله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خصمك ، فقلت : والله ما وقفت له إلا على كل أمر جميل .

(١) في ب « أبو الأزر » (٢) في ب « وقد عقب » .

(٣) في ا « فقال لي : يا أبا يحيى » وليس بذلك .

فصرت^(١) إلى سامرا ، فبدأت بوصيف التركي ، وكنت من أصحابه ، فقال : والله إن سقطت من رأس هذا الرجل شعرة لا يكون المطالب بها غيري ، فعجبت من قولها ، وعرفت المتوكل ما وقفت عليه ، وما سمعته من الثناء عليه ، فأحسن جائزته ، وأظهر بره وتكرمه .

وحدثني محمد بن الفرج بمدينة جرجان في الحلة المعروفة ببيترأبي عنان^(٢) قال : حدثني أبو دعامة ، قال : أتيت علي بن محمد بن علي بن موسى عائداً في علته التي كانت وفاته منها في هذه السنة ، فلما هممت بالانصراف قال لي : يا أبا دعامة قد وجب حَقُّكَ ، أفلا أحدثك بحديث تُسرُّبه ؟ قال : فقلت له : ما أحوجني إلى ذلك يا ابن رسول الله ، قال : حدثني أبي محمد ابن علي ، قال : حدثني أبي موسى ، قال : حدثني أبي موسى بن جعفر ، قال : حدثني أبي جعفر بن محمد ، قال : حدثني أبي محمد بن علي ، قال : حدثني أبي علي بن الحسين ، قال : حدثني أبي الحسين بن علي ، قال : حدثني أبي علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهم ا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اكتب يا علي » قال : قلت : وما أكتب ؟ قال لي : « اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، الإيمان ما وقرته القلوب وصدقته الأعمال ، والإسلام ما جرى به اللسان وحلت به المناكحة » قال أبو دعامة : فقلت : يا ابن رسول الله ، ما أدري والله أيهما أحسن : الحديث أم الإسناد ؟ فقال : إنها لصحيفة بخط علي بن أبي طالب بإملاء رسول الله صلى الله عليه وسلم تتوارثها صاغراً عن كابر .

قال المسعودي : وقد ذكرنا خبر علي بن محمد بن موسى رضي الله عنه مع زينب الكذابة بحضرة المتوكل ، ونزوله رضي الله عنه إلى بركة السباع ، وتذللها له ، ورجوع زينب عما ادعتهم من أنها ابنة الحسين بن علي بن أبي طالب

(١) في « فسرت إلى سامرا » .

(٢) في ب « المعروفة بسرأبي عنان » .

عليه السلام وأن الله تعالى أطال عمرها إلى ذلك الوقت ، في كتابنا « أخبار الزمان » وقيل : إنه مات مسموما ، عليه السلام !

قال المسعودي : وفي سنة ثلاث وخمسين ومائتين - وذلك في خلافة المعتز - مات محمد بن عبد الله بن طاهر ، للنصف من ذي القعدة ، بعد قتل وصيف بثلاثة عشر يوما ، والقمر مكسوف^(١) وكان من الجود والكرم ، وغزارة الأدب ، وكثرة الحفظ ، وحسن الإشارة ، وفصاحة اللسان ، وملوكية المجالسة ، على ما لم يكن عليه أحد من نظرائه [في عصره] وفيه يقول الحسين^(٢) بن علي بن طاهر من قصيدة له :

موت محمد
ابن عبد الله
ابن طاهر

كسف البدر والأمير جميعاً فانجلي البدرُ والأمير غميدُ
عاود البدر نوره لتجليه ونور الأمير ليس يعودُ
يا كسوفين ليلة الأحد النحس أحلتكما هناك السعود
واحد كان حده مثل حد السيف والنار شُبَّ فيها الوقودُ

وذكر أبو العباس المبرد قال : ارتاح محمد بن عبد الله بن طاهر يوما للمنادمة ، وقد حضره ابن طلوت ، وكان وزيره وأخص الناس به ، وأحضرهم لخلواته ، فأقبل عليه ، وقال : لا بد لنا [اليوم] من ثالث تطيب لنا به المعاشرة ، وتلد بمنادمته المؤانسة ، فمن ترى أن يكون ؟ وأعفنا أن يكون شرير الأخلاق ، أو دنس الأعراق ، أو ظاهر الإملاق ، قال : فأعملت الفكر ، وقلت : أيها الأمير ، خطر بيالي رجل ليس علينا من مجالسته من مؤونة ، وقد برىء من إبرام المجالس ، وخلا من ثقل المؤانس^(٣) ، خفيف الوطأة إذا أحببت ، سريع الوثبة إذا أردت^(٤) ، قال : ومن ذلك ؟ قلت : ماني الموسوس ، قال : أحسنت والله فليتقدم إلى أصحاب الثمانية

ماني الموسوس

(١) في « والقمر منكسف » .

(٢) في ب « الحسن بن علي » .

(٣) في « المجالسين . . المؤانسين » .

(٤) في « إذا أمرت » .

والعشرين الربع في طلبه يرفعوه رفعة^(١) ، فما كان بأسرع من أن اقتنصه صاحب الكرخ ، فصار به إلى باب الأمير ، فأخذ وحذف ونظف وأدخل الحمام وألبس ثياباً نظافاً وأدخل عليه ، فقال : السلام عليك أيها الأمير ، فقال محمد : وعليك السلام يا ماني ، أما آن لك^(٢) أن تزورنا على حين توفان منا إليك ومنازعة قلوب منا نحوك ؟ فقال ماني : الشوق شديد ، والحب عتيد ، والمزار بعيد ، والحجاب صعب ، والبواب فظ ، ولو سهل لنا في الإذن لسهات علينا الزيارة ، فقال : أظف في الاستئذان فليطف لك في الإذن ، لا يمنع ماني أي وقت ورد من ليل أو نهار ، ثم أذن له في الجلوس ، فجلس ، ودعا بالطعام فأكل ، ثم غسل يديه وأخذ مجلسه ، وكان محمد قد تشوق إلى السماع من مؤنسة جارية بنت المهدي ، فأحضرت ، فكان أول ماغنت به :

وَلَسْتُ بِنَاسٍ إِذْ غَدَوَا فَتَحَمَّلُوا

دموعى على الأحباب من شدة الوجد

وقولى وقد رالت بليل حموهم : بواكر نجد لا يكن آخر العهد

فقال ماني : أحسنت ، وبحق الأمير إلا ما زدت فيه :

وقمت أناجى الفكر والدمع حائر بمقولة موقوف على الضر والجهد

ولم يعدنى هذا الأمير بغيرة على ظالم قد لج في الهجر والصد^(٣)

فاندفعت تغنيه ، فقال له محمد : أعاشق أنت يا ماني ؟ فاستجيا ، وغمره ابن

طالوت أن لا يبوح له بشىء فيسقط من عينيه ، فقال : مبلغ طرب وشوق كان

كامناً فظهر ، وهل بعد الشيب صبوة ؟ ثم اقترح محمد على مؤنسة هذا الصوت :

حَجَبُوهَا عَنِ الرِّيحِ لِأَنِّي قَلْتُ : يَا رِيحُ بَلِّغِيهَا السَّلَامَا

(١) كذا في ١ ، وفي ب « الرابع في طلبه يرفعه رفعة » ، وفي العبارة قلق واضطراب ، ولم تقدم على إصلاحها لعدم ظهور المراد منها لنا .

(٢) في ١ « ألم يئن لك أن تزورنا » .

(٣) في ١ « ولم يعدنى هذا الأمير بعزة » .

لو رَضُوا بالحجاب هان، ولكن منعوها عند الرياح الكلاماً^(١)
 فغنته ، فطرب محمد ، ودعا برطل فشرب ، فقال ماني : ما على قائل
 هذا الشعر لو زاد فيه :

فَتَنَفَسْتُ ثُمَّ قَلْتُ لَطِيفِي : آهَ إِنْ زُرْتَ طَيْفَهَا إِلسَامَا
 خُصَّةً بِالسَّلَامِ مِنِّي ؛ فَأَخَشَى يَمْنَعُوهَا لِشَقْوَتِي أَنْ تَنَامَا

لكان أثقب لزند الصبابة بين الأحشاء ، وأشد تغلغلا إلى الكبد
 الصدياً من زلال الماء ، مع حسن تأليف نظامه ، والانتهاه بالمعنى إلى
 نهاية تمامه ، فقال محمد : أحسنت يا ماني ، ثم أمر مؤنسة بإلحاقهما بالبيتين
 الأولين والغناء بهما ، ففعلت ، ثم غنت بهذين البيتين :

يَا خَلِيلِي سَاعَةَ لَا تَرِي مَا وَعَلَى ذِي صَبَابَةٍ فَأَقِيمَا
 مَا صَرَرْنَا بَدَارَ زَيْنَبِ إِلَّا هَتَّكَ الدَّمْعُ سِرَّانَا الْمَكْتُومَا

فاستحسنه محمد ، فقال ماني : لولا رهبة التعدي لأضفت إلى هذين
 البيتين بيتين لا يرِدَانِ على سمع ذي لب فيصدران إلا عن استحسان لهما ،
 فقال محمد : يا ماني ، الرغبة في حسن ما تأتي به حائلة دون كل رهبة ،
 فهات ما عندك ، فقال :

ظَبِيَّةٌ كَالْهَلَالِ لَوْ تَلَحَّظَ الصَّخْرَ بِطَرْفِ لِفَادِرْتِهِ هَشِيماً
 وَإِذَا مَا تَبَسَّمَتْ خِلْتُ إِبْمَا ضَ بَرُوقِ أَوْ لَوْلُؤاً مَنْظُوماً

فقال : أحسنت يا ماني ، فأجز هذا الشعر :

لَمْ تَطِبِ اللِّذَاتِ إِلَّا بِمَنْ طَابَتْ بِهَا اللِّذَاتُ مَأْنُوسَةً
 غَنَّتْ بِصَوْتِ أَطْلَقَتْ عَابِرَةً كَانَتْ بِسَجْنِ الصَّبْرِ مَحْبُوسَةً

فقال ماني :

(١) في ب « منعوها عن الرياح الكلاماً » .

وكيف صبر النفوس عن غادة أظلمها إن قلت طاووسه^(١)
 وجرتُ إن سميتها بانه في جنة الفردوس مفروسه
 وغيرُ عدلٍ إن عدلنا بها جوهرة في البحر مغموسه
 ثم سكت ، فقال محمد : ما عدا في وصفه لها ، فقال ماني :
 جلتُ عن الوصف فما فكرة تلحقها بالنعمة محسوسه
 فقال محمد : أحسنت ، فقالت مؤنسة : وجب شكرك يا ماني ، فساعدك
 دهرك ، وعطف عليك إلفك ، وقارنك سرورك ، وفارقك محذورك ،
 والله يديم لنا ذلك ببقاء من به اجتمع شملنا ، فقال لها ماني عند قولها :
 « وعطف عليك إلفك » مجيباً :

ليس لي إلفٌ فيعطفني فارقتُ نفسي الأباطيل
 أنا موصول بنعمة من حبله بالمجد موصول
 أنا مغبوط بنعمة من طبعه بالخير مأمول

فأوماً إليه ابن طالوت بالقيام ، فنهض وهو يقول :

ملك قلَّ النظر له زانه الغرُّ البهاليـل
 طاهريٌّ في مواكبه عرفه في الناس مبدول
 [دمٌ من يشقى بصارمه مع هبوب الريح مطلول]^(٢)
 يا أبا العباس صنُّ أدبا حده بالدهر مفلول

فقال محمد : وجب جزاؤك لشكرك على غير نعمة سبقت ، ثم أقبل على
 ابن طالوت فقال : ليست خسارة المرء ، ولا اتضاع الدهر ، ولا نبوء العين
 عن الظاهر بمذهب جوهرية الأدب المركب في الإنسان ، وما أخطأ صالح بن
 عبد القدوس حيث يقول :

(١) في ا « تظلمها إن قلت طاووسه »

(٢) سقط هذا البيت من ا .

لا يعجبنيك من يصون ثيابه^(١) خَوْفَ الغبار وعِرْضُهُ مَبْذُولٌ^(١)
 فلربما افتقر الفتى فرأيتَه دنس الثياب وعرضه مفسول
 قال ابن طالوت : فما رأيت أَحْضَرَ ذَهَبًا مِنْهُ ، إِذْ تَقُولُ الجارية :
 « عطف عليك إلفك » وإنشاده عند قولها ذلك :

ليس لي إلف فيعطفني فارقت نفسي الأباطيل

قال : فلم يزل محمد مُجْرِيًا عَلَيْهِ رِزْقُهُ حَتَّى تَوَفَّى .

المعز

وولاية العهد

ونعى إلى المعتز أن المؤيد يدبر عليه ، وأنه قد استمال جماعة من الموالي ،
 فحبس المؤيد وأبا أحمد - وهما لأب وأم - وطولب المؤيد بأن يخلع نفسه
 من ولاية العهد ، فُضْرِبَ أَرْبَعِينَ عَصًا إِلَى أَنْ أَجَابَ ، وَأَشْهَدَ عَلَى نَفْسِهِ
 بذلك ، ثم اتصل بالمعتز أن جماعة من الأتراك اجتمع رأيهم على إخراج
 المؤيد من حبسه ، فلما كان يوم الخميس لثمان بقين من رجب سنة اثنتين
 وخمسين ومائتين أخرج المؤيد ميتًا ، وأحضر القضاة والفقهاء حتى رأوه
 ولا أثر فيه ، فيقال : إنه أدرج في لحاف مسموم^(٢) وشد طرفاه حتى مات
 فيه ، وضيق حبس أبي أحمد ، فكان بين دخوله سر من رأى وما لقي بها من
 الإكرام وبين حبسه ستة أشهر وثلاثة أيام ، ثم أشخص إلى البصرة لثلاث
 عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان بعد قتل المؤيد بخمسين يوماً ، ورتب
 إسماعيل بن قبيصة^(٣) - وهو أخو المعتز لأبيه وأمه - مكان المؤيد في
 ولاية العهد ، واجتمع قواد الموالي إلى المعتز فسألوه الرضا عن وصيف
 وُبغًا ، فأجابهم إلى ذلك .

حوادث

وفي هذه السنة مات زرافة صاحب دار المتوكل بمصر .
 وقد كان يوسف بن إسماعيل العلوي غلب على مكة فمات في هذه السنة فخلفه
 بعد وفاته أخوه محمد بن يوسف ، وكان أسن منه بمشرين سنة ، فنال الناس

(١) في « حذر الغبار وعرضه مَبْذُولٌ » .

(٢) في « في لحاف سمور » (٣) في ب « فتبيحة » .

في هذه السنة [بسببه] جَهْدٌ شديد ، فبعث المعتز بأبي^(١) الساج الأشروسي إلى الحجاز؛ فهرب محمد بن يوسف ، وقتل خلق من أصحابه .
وفيهما أوقع الحسن بن زيد الحسيني^(٢) سليمان بن عبد الله بن طاهر ، فأخرجه عن طبرستان .

وفي هذه السنة قدم إلى سامرا عيسى بن الشيخ الشيباني من مصر ، ومعه مال كثير ، وستة وسبعون رجلاً من سائر ولد أبي طالب من ولد علي وجعفر وعقيل كانوا قد خرجوا من الحجاز خوفاً الفتنه والجهد النازل بالحجاز إلى مصر ، فحملوا منها ، فأمر المعتز بتكفيهم ، والتخية عنهم ؛ لما وقف عليه من أمرهم .

وولي عيسى ابن الشيخ فلسطين

وفي هذه السنة — وهي سنة ثلاث وخمسين ومائتين — مات صفوان العقيلي صاحب ديار مَضر^(٣) في حبس سامرا .

وفي هذه السنة [كان] قتل أهل كَرْحِ سامرا من الفراغنة والأتراك لوصيف التركي ، وتخلص بُغَا منهم ، واشتد أمر مساور الشاري^(٤) ، ورتب صالح بن وصيف [في] موضع وصيف .

وفي سنة أربع وخمسين ومائتين خرج من سامرا إلى ناحية الموصل ، موت بُغَا الصغير فاتهبت الموالى داره ، وانفضَّ من كان معه من الجيش ، وانحدر في زورق [متنكراً] فوق به بعض المغاربة بجسر سامرا ، فقتل ونصب رأسه بسامرا ، وهو بُغَا الصغير ، ثم أخذ الرأس^(٥) إلى مدينة السلام فنصب على الجسر . وكان المعتز في حياة بُغَا لا يلتذُّ بالنوم ، ولا يخلع سلاحه ، لاني ليل ولا في نهار ، خوفاً من بُغَا ، وقال : لا أزال على هذه الحالة حتى أعلم لبغَا رأسي أو رأسه لي ، وكان يقول : إني لأخاف أن ينزل عليَّ بُغَا من السماء أو يخرج عليَّ من الأرض ، وقد كان بُغَا عزم على أن ينحدر سرّاً فيصل إلى

(١) في ب « بابن الساج » (٢) في ا « الحسيني » (٣) في ب « ديار مصر »

(٤) في ب « أمر شاور الشاري » (٥) في ا « ثم أهدر الرأس »

سامرا في الليل ، ويصرف الأتراك عن المعتز ، ويفيض فيهم الأموال ، فكان من أمره ما وصفنا .

الأتراك والمعتز

ولما رأى الأتراك إقدام المعتز على قتل رؤسائهم ، وإعماله الحيلة في فنائهم ، وأنه قد اصطنع المغاربة والفراغنة^(١) دونهم صاروا إليه بأجمعهم ، وذلك لأربع بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين ، وجعلوا يقرعونه بذنوبه ، ويوبخونه على أفعاله ، وطالبوه بالأموال ، وكان المدبر لذلك صالح ابن وصيف مع قواد الأتراك ، فلجج وأنكر أن يكون قبله شيء من المال ، فلما حصل^(٢) المعتز في أيديهم بعث إلى مدينة السلام في محمد بن الواثق الملقب بالمهتدي ، وقد كان المعتز نفاه إليها واعتقله فيها ، فأتى به في يوم وليلة إلى سامرا ، فتلقاه الأولياء في الطريق ، ودخل إلى الجوسق ، وأجاب المعتز إلى الخلع ، على أن يعطوه الأمان أن لا يُقتل وأن يؤمنوه على نفسه وماله وولده ، وأبى محمد بن الواثق أن يقعد على سرير الملك أو يقبل البيعة حتى يرى المعتز ويسمع كلامه ، فأتى بالمعتز وعليه قميص مدنس وعلى رأسه مندبل ، فلما رآه محمد بن الواثق وثب إليه فعانقه ، وجلسا جميعاً على السرير ، فقال له محمد بن الواثق : يا أخى ، ما هذا الأمر ؟ قال المعتز : أمر لا أطيقه ، ولا أقوم به ، ولا أصدح له ، فأراد المهتدي أن يتوسّط أمره ، ويصلح الحال بينه وبين الأتراك ، فقال المعتز : لا حاجة لي فيها ، ولا يرَضُونِي لها ، قال المهتدي : فأنا في حلّ من بيعتك ، قال : أنت في حلّ وسعة ، فلما جعله في حلّ من بيعته حوّل وجهه عنه ، فأقيم عن حضرته ، وردّ إلى محبسه ، فقتل في محبسه بعد أن خلع بستة أيام ، على ما قدمنا في صدر هذا الباب ، وقد قالت الشعراء في خلع المعتز وقتله فأكثر ، ورثته فأحسنّت ، فمن ذلك قول بعض أهل ذلك العصر من قصيدة له :

(١) في ب « والفراغنة » (٢) في ا « فلما حصر المعتز في أيديهم » .

عَيْنُ لَا تَبْخُلِي بِسْفَحِ الدَّمِوعِ واندبى خير فاجع مفعوع
 خانه الناصح الشفيق ونالته ^{هـ} أ كَفُّ الردى بِحَتْفِ سَرِيعِ
 بَكَرَ التَّركِ نَاقِمِينَ عَلَيْهِ خَالِعِيهِ ، أَفَدِيهِ مِنْ مَخْلُوعِ
 قَتَلُوهُ ظَلَمًا وَجـُورًا فَالْفَوْ هـ كَرِيمِ الْأَخْلَاقِ غَيْرِ جَزُوعِ
 كَانَ يَفْشَى بِحَسَنِهِ بِهَجَّةِ الْبَدْرِ فَتَاقَاهُ مُظْهِرًا لِلْخُضُوعِ
 وَتَرَى الشَّمْسَ تَسْتَكِينُ فَلَا تَشْرِقُ إِلَّا مَا رَأَتْهُ وَقَدْ الطَّلُوعِ
 لَمْ يَهَابُوا جَيْشًا ، وَلَا رَهَبُوا السَّيْفَ ، فَلَهَفِي عَلَى الْقَتِيلِ الْخَلِيعِ
 أَصْبَحَ التَّركِ مَالِكِي الْأَمْرِ وَالْعَالِمِ لَمْ مَا بَيْنَ سَامِعِ وَمَطِيعِ
 وَتَرَى اللَّهُ فِيهِمْ مَالِكِ الْأَمْرِ سَيَخْزِيهِمْ بِقَتْلِ ذَرِيعِ^(١)
 وَقَالَ فِيهِ آخِرُ مِنْ قَصِيدَةِ طَوِيلَةٍ :

أَصْبَحَتْ مَقَلَّتِي بِدَمْعِ سَفُوحَا حِينَ قَالُوا : أَضْحَى الْإِمَامُ ذَبِيحَا
 قَتَلُوهُ ظَلَمًا وَجـُورًا وَغَدْرًا حِينَ أَهْدَوْا إِلَيْهِ حَتْفًا مُرِيحًا
 نَصَرَ اللَّهُ ذَلِكَ الْوَجْهَ وَجْهًا وَسَقَى اللَّهُ ذَلِكَ الرُّوحَ رُوحَا
 أَيُّهَا التَّركِ سَوْفَ تَلْقَوْنَ لِلدَّهْرِ سَيُوفًا لَا تَسْتَبِيلُ الْجَرِيحَا
 فَاسْتَعْدُّوا لِلسَّيْفِ عَاقِبَةَ الْأَمْرِ فَقَدْ جِئْتُمْ فَعَالَا قَبِيحَا
 وَقَالَ آخِرُ مِنْ قَصِيدَةِ طَوِيلَةٍ أَيْضًا :

أَصْبَحَتْ مَقَلَّتِي تَسْحُ الدَّمُوعَا إِذْ رَأَتْ سَيْدَ الْأَنَامِ خَلِيعَا
 لَهَفَ نَفْسِي عَلَيْهِ ، مَا كَانَ أَعْلَا هـ وَأَسْرَاهُ تَابِعَا مَتَبُوعَا^(٢)
 أَلْزَمُوهُ ذَنْبًا عَلَى غَيْرِ جَرْمِ فَتَوَى فِيهِمْ قَتِيلًا صَرِيعَا
 وَبَنُو عَمِّهِ وَعَمِّ أَبِيهِ أَظْهَرُوا ذِلَّةً ، وَأَبَدُوا خُضُوعَا
 مَا بَهَذَا يَصْحُ مُلْكٌ ، وَلَا يَغْزَى عَدُوً ، وَلَا يَكُونُ جَمِيعَا

(١) في « سيخزيهم بقتل ذريع » .

(٢) في ب « ما كاد أملاه وأسراه » .

المعتز أول من ركب بحلية الذهب
 وكان المعتز أول خليفة أظهر الركوب بحلية الذهب ، وكان من سلف
 قبله من خلفاء بني العباس - وكذلك جماعة من بني أمية - يركبون بالحلية
 الخفيفة من الفضة والمناطق وأنجاد^(١) السيوف والشروج واللجج ، فلما ركب
 المعتز بحلية الذهب اتبعه الناس في فعل ذلك .

المستعين أول من وسع الأكام
 وكذلك المستعين قبله أحدث لبس الأكام الواسعة ، ولم يكن يعهد
 ذلك ، فجعل عرضها ثلاثة أشبار ونحو ذلك ، وصغر القلائس ، وكانت
 قبل ذلك طوالا كأقباع القضاة .

علي بن زيد وعيسى بن جعفر العلويان
 وفي سنة خمس وخمسين ومائتين ظهر بالكوفة علي بن زيد وعيسى بن
 جعفر العلوي ، فترح إليهما المعتز سعيد بن صالح المعروف بالخاجب في جيش
 عظيم ، فانهزم الطالبيان لتفرق أصحابهما عنهما .

وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب وفاة إسماعيل بن يوسف بن
 إبراهيم بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن
 أبي طالب رضي الله عنهم ، وما نال أهل المدينة وغيرهم من أهل الحجاز
 في أيامه من الجهد والضيق ، وما كان من أمر أخيه بعد وفاته ، وهو محمد
 ابن يوسف ، مع أمي الساج وحر به إياه ، ولما انكشف من بين يدي أبي
 الساج سار إلى اليمامة والبحرين ، فغلب عليها ، وخلفه بها عقبه المعروف
 ببني الأخضر إلى اليوم ، وقد كان ظهر بناحية المدينة بعد ذلك ابن لموسى
 ابن عبد الله بن موسى بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب .

بعض الطالبيين الذين نالهم مكروه
 قال المسعودي : وقد ذكرنا في كتابنا «أخبار الزمان» سائر أخبار من
 ظهر من آل أبي طالب ، ومن مات منهم في الحبس وبالسم ، وغير ذلك من
 أنواع القتل : منهم عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب ، وهو أبو هاشم ،

(١) في ب « واتخاذ السيوف » .

سقاها عبد الملك بن مروان السم ، ومحمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، حملة سعيد الحاجب من البصرة ، فحبس حتى مات ، وكان معه ابنه علي ، فلما مات الأب خُلِيَ عنه ، وذلك في أيام المستعين ، وقيل غير ذلك ، وجعفر بن إسماعيل بن موسى بن جعفر ، قتله ابن الأغلب بأرض المغرب ، والحسن بن يوسف بن إبراهيم بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، قتله العباس بمكة ، وحمل في أيام المعتز من الرى علي بن موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر بن محمد ومات في حبسه ، وحمل سعيد الحاجب من المدينة موسى بن عبد الله بن موسى بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وكان من النسك والزهد في نهاية الوصف ، وكان معه إدريس بن موسى ، فلما صار سعيد بناحية زباله من جادة الطريق^(١) اجتمع خلق من العرب من بني فزارة وغيرهم لأخذ موسى من يده ، فسَمَّه فمات هنالك ، وَخَلَّصَتْ بنو فزارة ابنه إدريس بن موسى .

وفي خلافة المعتز في سنة اثنتين وخمسين ومائتين كان بُدُوُ الفتنة بين البلاية^(٢) والسعدية بالبصرة ، وما نتج من ذلك من ظهور صاحب الزنج . وللمعتز أخبار حسان غير ما ذكرنا قد أتينا على مبسوطها في كتابنا « أخبار الزمان » والأوسط ، وبالله التوفيق .

(١) في ا « من جادة العراق » .

(٢) في ب « اللالية » .

ذكر خلافة المهدي بالله

وبويع المهدي محمد بن هارون الواثق قبل الظهر من يوم الأربعاء ، ليلة
 بَقِيَّتْ من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين ، وأمه أم ولد رومية يقال لها
 قرب ، وبكنى بأبي عبد الله ، وله يومئذ سبع وثلاثون سنة ، وقيل : تسع
 وثلاثون سنة ، وإنه قتل ولم يستكمل الأربعين سنة في سنة ست وخمسين
 ومائتين ، فكانت ولايته أحد عشر شهراً ، ودُفن بسامرا ، وقيل : إن
 مولده كان في سنة ثمانى عشرة ومائتين .

موجز

ذكر جهل من أخباره وسيره

ولع مما كان في أيامه

واستوزر المهدي بالله جماعة — على قصر مدته — فسلموا منه من قتل وزراءه وغيره، منهم عيسى بن فرخان شاه .

وبني المهدي قبة لها أربعة أبواب ، وسماها قبة المظالم ، وجلس فيها للعام قبة المظالم وشيء من سيرته والخاص للمظالم ، وأمر بالمعروف ، ونهى عن المنكر ، وحرّم الشراب ، ونهى عن القيان ، وأظهر العدل ، وكان يحضر كل جمعة^(١) إلى المسجد الجامع ، ويخطب الناس ويؤم بهم ، فثقات وطأته على العامة والخاصة بحمله إياهم على الطريق^(٢) الواضحة ، فاستطالوا خلافته ، وسئموا أيامه ، وعملوا الحيلة عليه حتى قتلوه ، وذلك أن موسى بن بغا الكبير كان عاملاً غائباً بالرى مشتغلاً بحرب آل أبي طالب كالحسن بن زيد الحسني ، وما كان من الديلم ببلاد قزوين ودخولهم إياها عنوة وقتلهم أهلها ، فلما نمي إلى موسى بن بغا قتل المعتز ، وما كان من أمر صالح بن وصيف والأتراك في ذلك قفل من تلك^(٣) الديار متوجهاً إلى سامرا ، منكرأ لما جرى على المعتز .

وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب في [ذكر] أخبار المعتز قتل المعتز مجملًا ولم نبين كيفية قتله ، وتنازع الناس في ذلك مفصلاً ، ورأيت أصحاب السير والتواريخ وذوى العناية بأخبار الدول قد تباينوا في مقتله : فمنهم من ذكر أن المعتز مات في حبسه في خلافة المهدي بالله على ما قدمنا من التاريخ حتف أنفه ، ومنهم من ذكر أنه منع في حبسه [من] الطعام والشراب فمات

(١) في ١ « كل جماعة » محرفاً . (٢) في ١ « إلى الطريق » .

(٣) في ١ « قفل عن تلك الديار » .

عند قطع مواد الغذاء عنه من المأكل والمشرب^(١) ، ومنهم من رأى أنه حقن بالماء الحار المغلي ، فمن أجل ذلك حين أخرج إلى الناس وجدوا جوفه وارماً ، والأشهرُ في الأخباريين ممن عني^(٢) بأخبار العباسيين أنه أدخل حماماً وأكره في دخوله إياه ، وكان الحمام محمياً ومنع الخروج منه ، ثم تنازع هؤلاء : فمنهم من قال إنه ترك في الحمام حتى فاضت نفسه ، ومنهم من ذكر أنه أخرج بعد أن كادت نفسه تتلف للحمى ، ثم أسقى شربة ماء مقرورة بثلج^(٣) ، فنثرت الكبد وغيره^(٤) ، فحمد من فوره ، وذلك ليومين خلواً من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين ، وقد أتينا على مبسوط هذه الأخبار [وتنازعهم في هذه الآثار] في كتابنا « أخبار الزمان » .

بين المهدي وموسى بن بغا
ولما اتصل بالمهدي مسير موسى بن بغا إلى دار الخلافة أنكر ذلك ،
وكاتبه بالمقام في موضعه ، وأن لا يحل عن مركزه للحاجة إليه ، فأبى
موسى بن بغا إلا إغذاذ المسير والسرعة فيه ، حتى وافى سامرا ، وذلك
في سنة ست وخمسين ومائتين ، وصالح بن وصيف يدبر الأمر مع المهدي ،
فلما دنا موسى من سامرا صاحت العامة في مواضعها والغوغاء في طرقاتها :
يا فرعون ، قد جاء موسى ، وكان صالح بن وصيف قد نفر عن المهدي
حين علم بموافاة موسى ، وقال : إن المهدي راسل موسى في السر في المسير
إلى سامرا ، والشخص إليهما ، وكاتبه في ظاهر الأمر وراسله أن لا يقدم ،
وكان رجل من قواد الأتراك يقال له بابكيال قد غلب على الأمر أيضاً ،
وترأس ، فدخل موسى سامرا حتى انتهى إلى مجلس المهدي وهو جالس
للمظالم ، والدار غاصّة بخواص الناس وعوامهم ، فشرع أصحاب موسى
فدخلوا الدار ، وجعلوا يخرجون العامة منها بأشد ما يكون من الضرب
بالدبابيس والطبرزينات والعسف ، فضجّت العامة ، فقام المهدي منكراً
عليهم فعلمهم بمن في الدار ، فلم يرجعوا عما هم عليه فتفتحنى مغضباً ، فقدم إليه

(١) في « من المآكل والمشرب » (٢) في « أخبار بين من عني »

(٣) في ب « مقراة بثلج » (٤) في ا « فنثرت كبده وأمعاه »

فرس [فركب] وقد استشعر منهم الغدر ، فمضى به إلى دار يار جوج^(١) ، وقد كان موسى بن بغا انصرف عن دار المهدي لما نظر إلى ضجة العامة فيها ، فنزل تلك الدار ، فسير بالمهدي إليها ، فأقام فيها ثلاثاً عند موسى بن بغا [فأخذ عليه موسى اليهود والمواثيق ألا يغدر به ، وكان أكثر الجيش مع موسى بن بغا] وكان فيه ديانة وتكشف ، حتى إن الجند تأسؤوا به ، ولم يكن يشرب النبيذ ، وكان المهدي في أخلاقه شراسة ، فنافر موسى ، وكاد الأمر أن ينفرج ، والحال أن يتسع^(٢) ، غير أن موسى تعطف عليه ، وأعملا الحيلة في قتل صالح بن وصيف ، وخاف موسى أن يكون صالح بن وصيف يعمل الحيلة عليهم في حال اختفائه ، فبث في طلبه العيون ، حتى وقع عليه ، [فأبى علم صالح هجومهم عليه] قاتل ومانع عن نفسه ، فقتل واحتز رأسه وأتى به إلى موسى بن بغا ، ومنهم من رأى أنه أحى له حمام وأدخل إليه فمات فيه ، على حسب ما فعل بالمعتز .

وقوى أمر مساور الشاري^(٣) ، ودنا في عسكره من سامرا ، وعم الناس مقتل المهدي بالأذى ، وانقطعت السابلة ، وظهرت الأعراب ، فأخرج المهدي بالله موسى ابن بغا وبايكيال إلى حرب الشاري ، وخرج معهما فشيعةما ، ثم قفلاً من غير أن يلقيا شراً ، فلما استشعر المهدي رجوعهما خرج فعسكر بجسر سامرا في جمع من المغاربة والفراغنة وغيرهم من الرسوم ليحارب بايكيال ، [وقد قيل : إن بايكيال أقرأ موسى كتاباً للمهدي بقتل موسى والنكث به ، وإنه كتب إلى موسى بمثل ذلك ، وإنهما علما بتضريب الأمر بينهما ، فرجعا عما خرجا إليه ، وأشرف بايكيال على المهدي] فانصرف موسى على ظهر سامرا متحرجا لقتال المهدي ، فكانت بين المهدي وبين بايكيال حرب عظيمة قتل فيها خلق كثير من الناس ، وانكشف بايكيال ، واستظهر المهدي عليه ، فخرج كمين بايكيال على المهدي وفيه يار جوج^(١) التركي فولى المهدي وأصحابه ، ودخل سامرا مستغيثاً بالعامة مستنصرأ بالناس يصيح في الأسواق فلا مغيث ، وقدامه أناس من الأنصار ، فمضى مؤيساً من النصر إلى دار

(١) في ب « مارجوج » (٢) في ا « أن يشيع » .

(٣) في ب « شاور الشاري » وانظر ص ١٧٧ .

ابن خيعونة بسامرا مختلفياً ، فهجموا عليه وعزلوه ، وحملوه منها إلى دار يارجوج^(١) ، وقيل له : أتريد أن تحمل الناس على سيرة عظيمة لم يعرفوها ؟ فقال : أريد أن أحملهم على سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأهل بيته والخلفاء الراشدين ، فقيل له : [إن] الرسول صلى الله عليه وسلم كان مع قوم قد زهدوا في الدنيا ورغبوا في الآخرة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم ، وأنت إنما رجالك [ما بين] تركي وخزري^(٢) [وفرغاني] ومغربي وغير ذلك من أنواع الأعاجم لا يعلمون ما يجب عليهم من أمر آخرتهم ، وإنما غرضهم ما استعجلوه من هذه الدنيا ، فكيف تحملهم على ما ذكرت من الواضحة ؟ فكثير منهم ومنه الكلام والمراجعة في هذا المعنى وأشباهه ، ثم انقادوا إليه على حسب ما ظهر للناس من ذلك ، فلما كاد الأمر أن يتم قام فيهم سليمان بن وهب الكاتب - وقيل : غيره - وقال : هذا سوء رأي منكم ، وخطأ في تدبيركم ، إن أعطاكم بلسانه فنيته فيكم غير هذا ، قال : وسيأتي عليكم جميعاً ، ويفرق جمعكم ، فلما سمعوا هذا القول استرجعوا وجاءوه بالخناجر ، فكان أول من جرحه ابن عم لبا يكيال ، جرحه بخنجر في أوداجه ، وانكبت عليه فالتقم الجرح والدم يفور منه ، وأقبل يمص الدم حتى روى منه ، والتركي سكران ، فلما روى من دم المهدي قام قائماً وقد مات المهدي ، فقال : يا أصحابنا قد رويت من دم المهدي كما رويت في هذا اليوم من الخمر .

وقد تنوزع فيما ذكرنا من قتل المهدي ، والأشهر ما ذكرناه من قتله بالخناجر ، ومنهم من رأى أنه عصرت مذا كيره حتى مات ، ومنهم من رأى أنه جعل بين لوحين عظيمين وشد بالحبال إلى أن مات ، وقيل : قتل خنقاً ، وقيل : كبس عليه بالبسط والوسائد حتى مات .

فلما مات داروا به ينوحون ويبكون عليه ، وندموا على ما كان منهم من قتله ؛ لما تبينوا من نسكه وزهده ، وقيل : إن ذلك كان يوم الثلاثاء لأربع عشرة بقية من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين ، وكان موسى ابن بغاء ويارجوج^(٢) التركي غير داخلين في فعل الأتراك .

(١) في ب « وجزري » . (٢) في ب « مارجوج » .

سبب حنق
الأتراك

وكان حنق الأتراك على المهدي بسبب قتله بايكيال ، وذلك أن بايكيال وقع بيد المهدي ف ضرب عنقه ، ورمى به إلى أصحابه ، ومنهم من رأى أنه قتل في الحرب المتقدم ذكرها في الموضع المعروف بجسر سامرا .

قتله لكاتبين

وقد كان المهدي لما أفضت الخلافة إليه أخرج أحمد بن إسرائيل الكاتب وأبا نوح الكاتب إلى باب العامة بسامرا يوم الخميس لثلاث خلون من شهر رمضان ، ف ضرب كل واحد منهما خمسمائة سوط ، فماتا ، وذلك لأمر كانت منهما استجتماً عند المهدي فيما يجب في حكم الشريعة أن يفعل بهما ذلك .

وقتل المهدي وله من الولد سبعة عشر ذكراً وست بنات .

ابن المدبر

وقد كان المهدي ولي أحمد بن المدبر خراج فلسطين ، وكانت له معه أخبار قد أتينا على جميعها فيما سلف من كتبنا ، وأخبار ابن المدبر لما وصل إلى فلسطين وما حمل إلى سامرا ، وقيل : إن المعتز بالله كان أخرجه إلى الشام ، ولأحمد بن المدبر أخبار حسان ، ولإبراهيم بن المدبر أخيه مع صاحب الزنج أخبار حين أسره .

مع طفيلي

قال المسعودي : فمن أخبار أحمد بن المدبر المستحسنة مما دونها الناس في أخبار الطفيليين أن أحمد كان قليل الجلوس للمنادمة ، وكان له سبعة ندماء لا يأنس بغيرهم ، ولا ينبسط إلى سواهم ، قد اصطفاهم لعشرته ، وأخذهم لنادمته ، كل رجل منهم قد انفرد بنوع من العلم لا يساويه فيه غيره ، وكان طفيلي يعرف بابن دراج من أكمل الناس أدباً ، وأخفهم روحاً ، وأشدهم في كل مليحة افتناناً ، فلم يزل يحتال إلى أن عرف وقت جلوس أحمد بن المدبر للندماء ، فتزيياً في زى ندمائه ، ودخل في جملتهم ، وظن حاجبه أن ذلك بعلم من صاحبه ومعرفة من أولئك الندماء ، ولم يفكر شيئاً من حاله ، وأخرج أحمد بن المدبر فنظر إليه بين القوم ، فقال لحاجبه : اذهب إلى ذلك الرجل فقل له : ألك حاجة ؟ فسقط في يد الحاجب وعلم أن الحيلة قد تمت عليه ، وأن ابن المدبر لا يرضى في عقوبته إلا بقتله

فمر وهو يجرُّ برجليه ، فقال له : الأستاذ يقول لك : ألك حاجة؟ فقال : قل له لا ، فقال له : ارجع إليه فقل له : ما جُلُوسُكَ؟ فقال : الساعة جلسنا يا بغيض ، فقال : ارجع إليه فقل له : أى شىء أنت؟ فقال : قل له طفيلي يرحمك الله ، فقال له ابن المدبر : أنت طفيلي؟ قال : نعم أعزك الله ، قال : إن الطفيلي يُحتمل على دخوله بيوت الناس وإفساده عليهم ما يريدونه من الخلوة بندمائهم والخوض فى أسرارهم لخصال : منها أن يكون لاعباً بالشطرنج أو بالنرد، أو ضارباً بالعود أو الطنبور ، فقال : أيدك الله أنا أحسن هذه الأشياء كلها ، قال : وفى أى وظيفة أنت ^(١) منها؟ قال : فى العُلَيَّا من جميعها ، قال لبعض ندمائه : لاعبه بالشطرنج فقال الطفيلي : أصلح الله الأستاذ فإن قَمَرْتُ؟ قال : أخرجناك من ديارنا ، قال : فإن قَمَرْتُ؟ قال : أعطيناك ألف درهم ، قال : فإن رأيت أيدك الله أن تحضر الألف درهم ^(٢) فإن فى حضورها قوة للنفس والإيقان بالظفر ، فأحضرت فلعبا فغلب الطفيلي ومديده اياخذ الدراهم ، فقال الحاجب لينفى عن نفسه بعض ما وقع فيه : أعزك الله إنه زعم أنه فى الطبقة العليا ، وابن فلان غلامك يغلبه ، فأحضر الغلام ، فغلب الطفيلي ، فقال له : انصرف ، فقال : أحضروا النرد ، فأحضرت فلوعب فغلب ، فقال الحاجب : ولا هذا ياسيدى فى الطبقة العليا من النرد ، ولكن بوا بنافلان يغلبه ، فأحضر البواب ، فغلب الطفيلي ، فقال له : اخرج ، فقال : ياسيدى فالعود ، فأتى بالعود ، فضرب فأصاب ، وغنى فأطرب ، فقال الحاجب : ياسيدى فى جوارنا شيخ هاشمى يُعلم القيان أحذقُ منه ، فأحضر الشيخ فكان أطرب منه ، فقال له : اخرج ، فقال : فالطنبور ، فأعطى طنبوراً فضرب ضرباً لم ير الناس أحسن منه ، وغنى غناء فى النهاية ، فقال

(١) فى ا « وفى أى طبقة أنت منها » .

(٢) الوجه فى العربية أن يقال « ألف الدرهم » وأقل منه أن يقال « الألف

الدرهم » فأما « الألف درهم » فلا يجيزه أحد .

الحاجب : أعز الله الأستاذ ، فلان المحتكر في جوارنا أحذق منه ، فأحضر المحتكر فكان أحذق منه وأطيب ، فقال له ابن المدبر : قد تقصينا لك بكل جهد فأبت حرفتك إلا طردك من منزلنا ، فقال : يا سيدي بقيت معي بآبة حسنة ، قال : ما هي ؟ قال : تأمر لي بقوس بندق مع خمسين بندقة رصاص ، ويقام هذا الحاجب على أربع وأرميه في دبره بهن [جميعاً] وإن أخطأت بواحدة منهن ضربت رقبتى ، فضج الحاجب من ذلك ، ووجد ابن المدبر في ذلك شفاء لنفسه وعقوبة ومكافأة له على ما فرط منه في إدخال الطفيلي إلى مجلسه ، فأمر بإكافين فأحضرا وجعل أحدهما فوق الآخر وشدَّ الحاجب فوقهما ، وأمر بالقوس والبندق فدفع إلى الطفيلي ، فرمى به فما أخطأه ، وخلي عن الحاجب وهو يتأوه لما به ، فقال له الطفيلي : أعلى باب الأستاذ من يحسن مثل هذا ؟ فقال : يا قرءان ما دام البرجاس استى فلا !

وللطفيليين أخبار حسان مثل خبر بنان^(١) الطفيلي مع المتوكل في اللوزينج ، وما ابتداء من العدد من الواحد إلى ما فوقه من القران ، ولغيره منهم ما قد أتينا على ذكره في كتابينا « أخبار الزمان » والأوسط ، على الشرح والتمام والكمال ، وإنما نورد في هذا الكتاب لمعاً مما لم يتقدم له ذكر فيما سلف من كتبنا في هذا المعنى .

وقد كان المهدي بالله ذهب في أمره إلى القصد والدين ، فقرَّب العلماء ، ورفع من منازل الفقهاء وعمهم ببه ، وكان يقول : يا بني هاشم ، دعوني حتى أسلك مسلك عمر بن عبد العزيز فأكون فيكم مثل عمر بن عبد العزيز في بني أمية ، وقلل من اللباس والفرش والمطعم والمشرب ، وأمر بإخراج آنية الذهب والفضة من الخزائن فكسرت وضربت دنائير ودرهم ، وعمد إلى الصور

(١) في ب « ساسان الطفيلي » .

التي كانت في المجالس فمحيت ، وذبح الكباش التي كان يُنَاطَحُ بها بين
يدي الخلفاء والديوك ، وقتل السباع المحبوسة ، ورفع بُسُطَ الديباج وكل
فرش لم ترد الشريعة بإباحته ، وكانت الخلفاء قبله تنفق على مواثدها في كل
يوم عشرة آلاف درهم ، فأزال ذلك وجعل لمآثدته وسائر مؤنه في كل يوم
نحو مائة درهم ، وكان يواصل الصيام .

وقيل : إنه لما قتل استخرج رحله من الموضع الذي كان يأوي إليه ،
فأصيب له سفت مقل ، فتوهموا أن فيه مالا أو جوهراً ، فلما فتح وجد فيه
جبة صوف وغل ، وقيل : جبة شعر ، فسألوا من كان يخدمه فقال : كان
إذا جنَّ الليل لبسها ، وغلَّ نفسه ، وكان يركع ويسجد إلى أن يدركه
الصباح ، وإنه كان ينام من الليل ساعة من بعد العشاء الآخرة ثم يقوم ،
وإنه سمعه بعض من كان يأنس إليه قبل أن يقتل وقد صلى للغرب وقد دنا من
إفطاره وهو يقول : اللهم إنه قد صحَّ عن نبيك محمد صلى الله عليه وسلم أنه
قال : ثلاثة لا تحجب لهم دعوة عن الله : دعوة الإمام العادل ، وقد أجهدت
نفسى في العدل على رعيتى ، ودعوة المظلوم ، وأنا مظلوم ، ودعوة الصائم
حتى يفطر ، وأنا صائم ، وجعل يدعو عليهم وأن يُكفَى شرمهم .

وذكر صالح بن علي الهاشمي قال : حضرت يوماً من الأيام جلوس
المهتدى للمظالم ، فرأيت من سهولة الوصول إليه ونفوذ الكتب عنه إلى
النواحي فيما يتظلم به إليه ما استحسنته ، فأقبلت أرمقه ببصرى إذا نظر في
القصص ، فإذا رفع طرفه إلىَّ أطرقتُ ، فكأنه علم ما في نفسى ، فقال
لى : يا صالح ، أحسبُ أن في نفسك شيئاً تحب أن تذكره ، قلت : نعم
يا أمير المؤمنين ، فأمسك ، فلما فرغ من جلوسه أمرنى أن لا أبرح ونهض
فجلست جلوساً طويلاً ، ثم دعانى فدخلت إليه وهو على حصير الصلاة ،
فقال لى : يا صالح ، أتحدثنى بما في نفسك أو أحدثك به ؟ قلت : بل
هو من أمير المؤمنين أحسن ، فقال : كأنى بك قد استحسنت ما رأيت من

طرف
من القول
بخلق القرآن

مجلسنا ، فقلت : أى خليفة إن لم يكن يقول بخلق القرآن ، فقلت : نعم ، فقال : قد كنت على ذلك برهة من الدهر حتى أقدم على الواثق شيخ من أهل الفقه والحديث من أهل أذنة من الثغر الشامى مقيد طووال ، حسن الهيئة ، فسلم عليه غير هائب ، ودعا فأوجز ، فرأيت الحياء منه فى جماليق عين الواثق والرحمة له ، فقال له : يا شيخ أجب أبا عبد الله أحمد بن أبى دؤاد فيما يسألك عنه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أحمد يقل ويضعف عن المناظرة ، فرأيت الواثق قد صار فى مكان الرقة والرحمة له غضباً ، فقال له : أبو عبد الله يضعف عن المناظرة ؟ فقال له : هوّن عليك يا أمير المؤمنين ، أتأذن فى كلامه ؟ فقال له الواثق : قد أذنت لك ، فأقبل الشيخ على أحمد فقال له : يا أحمد ماذا دعوت الناس إليه ؟ فقال : إلى القول بخلق القرآن ، فقال الشيخ : مقاتلك هذه التى دعوت الناس إليها من القول بخلق القرآن ، داخله فى الدين فلا يكون الدين تاماً إلا بالقول بها ؟ قال : نعم ، قال الشيخ : رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس إليها أو تركهم ؟ قال : تركهم ، قال : فعلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لم يعلمها ؟ قال : علمها ، قال : فلم دعوت الناس إلى ما لم يدعهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وركهم منه ؟ فأمسك أحمد ، فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين ، هذه واحدة ، ثم قال له بعد ساعة : يا أحمد ، قال الله فى كتابه العزيز : (اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الإسلام ديناً) فقلت أنت : لا يكون الدين تاماً إلا بمقاتلكم بخلق القرآن ، فالله أصدق فى إكراه وإتمامه أو أنت فى نقصانك ؟ فأمسك ، قال الشيخ : يا أمير المؤمنين وهذه ثانية ، ثم قال له بعد ساعة : أخبرنى يا أحمد عن قول الله عز وجل فى كتابه : (يا أيها الرسول بَلِّغْ ما أنزل إليك من ربك — الآية) فمقاتلك هذه التى دعوت الناس إليها مما بَلِّغهُ الرسول صلى الله عليه وسلم للأمة أم لا ؟ فأمسك ، فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين ، وهذه ثالثة ، ثم قال بعد ساعة : أخبرنى

يا أحمد لما^(١) علم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مقاتلك هذه التي دعوت
الناس إليها وإلى القول بها من خلق القرآن أوسعته أن أمسك عنهم أم لا؟ قال
أحمد: بل اتسع له ذلك، فقال: وكذلك لأبي بكر وعمر، وكذلك لعثمان،
وكذلك لعلي، رضى الله عنهم! قال: نعم، فصرف وجهه إلى الواثق
وقال: يا أمير المؤمنين، إذا لم يتسع لنا ما اتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ولأصحابه فلا وسع الله علينا، فقال الواثق: نعم لا وسع الله علينا إن لم
يتسع لنا ما اتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأصحابه، ثم قال الواثق:
اقطعوا قيده، فلما فكوا قيده [عنه] جاذب عليه، فقال الواثق: دعوه،
ثم قال للشيخ: لم جاذبت عليه؟ قال: لأني عقدت في نيتي أن أجاذب
عليه، فإذا أخذته أوصيت أن يجعل بين كفني وبدني حتى أقول: يا رب،
سَلِّ عَبْدَكَ هَذَا لَمْ قَيَّدَ بِي ظُلْمًا وَأَرَاعَ فِيَّ أَهْلِي^(٢)، فبكى الواثق، وبكى
الشيخ وكل من حضر، ثم قال له الواثق: يا شيخ، اجعلني في حلٍّ،
فقال: يا أمير المؤمنين، ما خرجت من منزلي حتى جعلتك في حلٍّ إعظامًا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم [و] لقرابتك منه، فتهلل وجه الواثق
وسره، ثم قال له: أقم عندي آنس بك، فقال: مكاني في ذلك الثغر
أنفع، أنا شيخ كبير، ولى حاجة، قال: سَلِّ ما بدالك، قال: يا أذن
أمير المؤمنين لي في الرجوع إلى الموضع الذي أخرجني منه هذا الظالم،
قال: قد أذنت لك، وأمر له بجائزة، فلم يقبلها، فرجعت من ذلك الوقت
[عن تلك المقالة]. وأحسب أن الواثق رجَعَ عنها.

قال: وعرض على المهتدي يوماً دفاتر خزائن الكتب، فإذا على ظهر
كتابٍ منها هذه الأبيات قالها المعتز بالله وكتبها بخطه، وهي:

(١) في ب « ما علم رسول الله - إلخ » .

(٢) في ا « وأروع في أهل » .

إني عرفت علاج الطب من وجعي وما عرفت علاج الحُبِّ والخدع
جزعت للحب ، والحمى صبرت لها إني لأعجب من صبري ومن جزعي
من كان يشغله عن إلفه وجع فليس يشغلني عن حبكم وجعي
وما أملُّ حبيبي ، ليتني أبدا مع الحبيب ، ويا آيت الحبيب معي

فقطب وجه المهدي بالله ، وقال : حدث وسلطان الشباب ، وكان المهدي
كثيراً ما ينشد البيت الأول من هذا الشعر

خبر نوف
عن علي بن
أبي طالب

وذكر محمد بن علي الربي - وكان ممن يكثر ملازمة المهدي [وكان حسن
المجلس ، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم - قال : كنت أبأيت في الليالي المهدي]
فقال لي ذات ليلة : أتعرف خبر نوف الذي حكاه عن علي بن أبي طالب
حين كان يبأيته^(١) ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، ذكر نوف قال : رأيت
علياً رضي الله عنه [ليلة] قد أكثر الخروج والدخول والنظر إلى السماء ،
ثم قال لي : يا نوف ، أنا ثم أنت ؟ قال : قلت : بل رامق [أرمق] بعيني
منذ الليلة يا أمير المؤمنين ، فقال لي : يا نوف ، طوبى للزاهدين في الدنيا ،
الراغبين في الآخرة ، أولئك قوم اتخذوا أرض الله بساطاً ، وتراها ثياباً^(٢) ،
وماءها طيباً ، والكتاب شعاراً ، والدعاء دثاراً ، ثم قرضوا الدنيا قرضاً
على منهاج المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ، يا نوف ، إن الله تعالى
أوحى إلى عبده عيسى عليه السلام أن قل لبني إسرائيل ألا يدخلوا^(٣) إلى
إلا بقلوب وجلة^(٤) ، وأبصار خاشعة ، وأكف نقية ، وأعمالهم أنى لأجيب
لأحد منهم دعوة ولأحد من خلقي قبلهم مظلمة . قال محمد بن علي الربي :
فوالله لقد كتب المهدي [هذا] الخبر بخطه ، وقد كنت أسمعه في جوف
الليل وقد خلا بربه في بيت كان خلوته وهو يبكي ويقول : يا نوف ، طوبى

(١) في ب « حين كان يأتيه » (٢) في ا « وتراها سبانا »

(٣) في ا « ألا يدخلوا بيوتى إلا - إلخ » (٤) في ا « بقلوب خاضعة »

للزاهدين في الدنيا ، الراغبين في الآخرة ، ويمرُّ في الخبر إلى آخره ، إلى أن كان من أمره ما كان مع الأتراك وقتلهم إياه .

علة حب الدنيا

قال محمد بن علي : قلت للمهتدي ذات يوم - وقد خلوت به ، وقد أكثرنا من ذكر آفات الدنيا ومن رَغِبَ فيها^(١) ، ومن انحرف عنها [وزهد فيها] - : يا أمير المؤمنين ، ما للإنسان العاقل المميز مع علمه بجميع آفات الدنيا وسرعة انتقالها وزوالها وغرورها لطلابها يحبها ويأنس إليها ؟ قال المهتدي : حُقَّ ذلك له ، منها خلق فهي أمه ، وفيها نشأ فهي عيشه ، ومنها قدر رزقه فهي حياته ، وفيها يعاد فهي كِفَاتُهُ ، وفيها اكتسب الجنة فهي مبدأ سعادته ، والدنيا ممرُّ الصالحين إلى الجنة ، فكيف لا يحب طريقاً تأخذ بسالكها إلى الجنة في نعيم مقيم^(٢) خالداً [مخلداً] إن كان من أهلها ؟ !

وقيل : إن هذا الكلام في جواب علي بن الحسن^(٣) بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، [و] أجاب به سائلاً سأله عن ذلك ، وهو مأخوذ من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، حين مدح الدنيا وذمَّ الدائمَ لها ، على حسب ما قدَّمنا فيما سلف من هذا الكتاب في باب ذكر زهده وأخباره .

خروج صاحب

الزنج بالبصرة

قال المسعودي : وكان خروج صاحب الزنج بالبصرة في خلافة المهتدي ، وذلك في سنة خمس وخمسين ومائتين ، وكان يزعم أنه علي بن [محمد بن] أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسن^(٤) بن علي بن أبي طالب ، وأكثرُ الناس يقول : إنه دَعَى آل أبي طالب [ينكرونها] وكان من أهل قرية من أعمال الري يقال لها ورزنين^(٤) ، وظهر من فعله ما دلَّ على تصديق مارمى به [من] أنه كان يرى رأى الأزارقة من الخوارج ؛ لأن أفعاله في قتل النساء والأطفال وغيرهم من الشيخ الفاني وغيره ممن لا يستحق القتل يشهد بذلك

(٢) في « في نعيم لا يزول »

(١) في « ومن مال إليها »

(٤) في ب « وزيق »

(٣) في « علي بن الحسين »

عليه ، وله خطبة يقول في أولها : الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله والله أكبر ، ألا لا حكم إلا لله ، وكان يرى الذنوب كلها شريكاً ، وكان أنصاره الزنج ، وكان ظهوره بيثرب نخل^(١) بين مدينة الفتح وكرخ البصرة في ليلة الخميس لثلاث بقين من شهر رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين [وغلب على البصرة في سنة سبع وخمسين ومائتين] ، وقتل ليلة السبت لليلتين خلتا من صفر سنة سبعين ومائتين ، وذلك في خلافة المعتمد على الله ، وقد صنف الناس في أخباره وحروبه وما كان من أمره كتباً كثيرة ، وكان أول من صنف أخباره وما كان من بدء أمره ووقوعه إلى بلاد البحرين ، وما كان من خبره مع الأعراب محمد بن الحسن بن سهل ابن [أخي] ذي الرياستين الفضل بن سهل صاحب المأمون ، وهو الرجل الذي كان من أمره مع المعتضد بالله ما قد ذكرناه واشتهر قبل ذلك في الناس ، وما كان من أمره إلى أن جعله كدجاج على النار وجلده^(٢) ينتفخ ويتفرقع^(٣) .

وقد ذكر الناس صاحب الزنج في أخبار المبيضة وكتبهم ، وقد أتينا على جميع خبره وبدء خبر البلاية والسعدية بالبصرة في الكتاب الأوسط ، فأغنى ذلك عن إعادته ، وسنورد في هذا الكتاب في الموضع المستحق له لمعاً من ذكره ، وما كان من أمره في مقتله .

قال المسعودي : وفي هذه السنة [وهي] سنة خمس وخمسين ومائتين ، وقيل : سنة ست وخمسين ومائتين ، كانت وفاة عمرو بن بحر الجاحظ بالبصرة في الحرم ، ولا يعلم أحد من الرواة وأهل العلم أكثر كتباً منه ، مع قوله بالعثمانية ، وقد كان أبو الحسن المدائني كثير الكتب ، إلا أن أبا الحسن المدائني كان يؤدّي ما سمع ، وكتب الجاحظ - مع انحرافه المشهور - تجلو صدأ الأذهان ، وتكشف واضح البرهان ، لأنه نظمها أحسن نظم ، وورصفها أحسن رصف ، وكساها من كلامه أجزال لفظ ، وكان إذا

(١) في ب « يرغيل » (٢) في ا « ويتفرقع »

تخوَّفَ مَلَلَ القارىءِ وسامةَ السامعِ خرج من جد إلى هزل ، ومن حكمة بليغة إلى نادرة ظريفة ، وله كتب حسان : منها كتاب البيان والتبيين ، وهو أشرفها ، لأنه جمع فيه بين المنثور والمنظوم ، وغرر الأشعار ، ومستحسن الأخبار ، وبليغ الخطب ، ما لو اقتصر عليه مقتصر [عليه] لا كتفى به ، وكتاب الحيوان ، وكتاب الطفيليين ، وكتاب البخلاء ، وسائر كتبه في نهاية السكال ، مما لم يقصد منها إلى نصب ولا إلى دفع حق ، ولا يُعَلِّمُ ممن سلف وخلف من المعتزلة أفصح منه ، وكان غلامَ إبراهيم ابن سيَّار^(١) النظام ، وعنه أخذ ، ومنه تَعَلَّمَ .

وحدث يموت بن المزرع - وكان الجاحظ خاله - قال : دخل إلى خالي أناسٌ من البصرة من أصدقائه في العلة التي مات فيها ، فسألوه عن حاله ، فقال : عليل من مكانين : من الأسقام ، والدَّيْنِ ، ثم قال : أنا في هذه العلة المتناقضة التي يتخوف من بعضها التلف وأعظمها نيف وسبعون سنة ، يعني عمره . قال يموت بن المزرع : وكان يَطْلِي نصفه الأيمن بالصندل والكافور لشدة حرارته ، والنصف الآخر لو قُرِضَ بالمقاريض ما شعر به من خدره وبرده . قال ابن المزرع : وسمعتَه يقول : رأيت [بالبصرة] رجلاً يروح ويغدو في حوائج الناس ، فقلت له : قد أتعبت بذلك بدنك ، وأخلقت ثيابك ، وأعجمت برؤوسك ، وقتلت غلامك ، فما لك راحة ولا قرار ، فلو اقتصدت بعض الاقتصاد ، قال : سمعت تغريد الأطيار [في الأسجار ، في أعالي الأشجار ، وسمعت محسنات القيان على الأوتار] فما طربت طربي لنغمة شاكر أوليته معروفًا أو سميت له في حاجة .

وكان يموت لا يعود مريضاً خوفاً من أن يتطير باسمه ، وله أخبار حسان ، وأشعار جواد ، وقد كان سكن طبرية من بلاد الأردن من الشام فمات بها ، وذلك بعد الثلاثمائة ، وكان من أهل العلم والنظر والمعرفة والجدل ، وله ولد يقال له

(١) في ب « إبراهيم بن يسار » وكلمة « النظام » لا توجد في ا .

مهلهل بن يموت بن المزرع ، وهو شاعر مجيد من شعراء هذا الوقت ، وهو سنة ثنتين وثلاثين وثلثمائة ، وفيه يقول أبوه يموت بن المزرع :

مهلهل قد حَلَبْتُ شُطُورَ دهر
فكافحني بها الزمنُ العنوت
وجاريت الرجال بكل ربع
فأذعن لي الخثالة والرتوت^(١)
فأوجع ما أجنُّ عليه قلبي
كريمٌ عَضُّه زمن عتوت
كفي حزناً بَضِيعةً ذي قديم
وأبناء العبيد لها التخوت^(٢)
وقد أسهرتُ عيني بعد غمضٍ
مخافةً أن تَضِيعَ إذا فَنِيْتُ
وفي لطف المهيمن لي عزاء
بمثلك إن فنيت وإن بقيتُ
وإن يشتد عظمك بعد موتي
فلا تقطعك جأحة سنوت^(٣)
وقل : بالعلم كان أبي جَوَاداً
يقال : ومن أبوك ؟ فقل : يموت
تُقَرِّ لك الأبعاد والأداني
بـلم ليس يجحده البهوت
وللمهدي أخبار حسان قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا ،
والله ولي التوفيق .

(١) صدر هذا البيت في « و حاربت الرجال » وعجزه في ب « فمادعت الحباله والدموت » محرفاً ، والخثالة - بضم الحاء - رذال الناس ، والرتوت ، جمع رت - بفتح الراء وتشديد التاء - وهو رئيس القوم ومقدمهم .

(٢) وقع هذا البيت في ب محرفاً ، هكذا :

كفي حزناً بعيبة ذي وداع وإبقاء العتيد لها النحوب
(٣) السنوت - بفتح السين - في الأصل : الرجل السيء الخلق ، ووقع في ب « سبوت » وهو من السبت ، ومعناه القطع .

ذکر خلافة المعتمد علی الله

موجز

وبويع المعتمد أحمد بن جعفر المتوكل يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة
 بقيت من رجب سنة ست^(١) وخمسين ومائتين ، وهو ابن خمس وعشرين
 سنة ، ويكنى أبا العباس ، وأمه أم ولد كوفية يقال لها فتيان ، ومات
 في رجب سنة تسع وسبعين ومائتين ، وهو ابن ثمان وأربعين سنة ،
 فكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة .

(١) في ب « سنة خمس وخمسين ومائتين » .

ذكر جمل من أخباره وسيره

ولع مما كان في أيامه

وزراؤه ولما أفضت الخلافة إلى المعتمد على الله استوزر عبيد الله^(١) بن يحيى بن خاقان [وزير المتوكل ، فلما مات عبيد الله] استوزر الحسن بن مخلد ، ثم صارت الوزارة إلى سليمان بن وهب ، ثم صارت إلى صاعد .

حرب صاحب الزنج وخلع المعتمد على أخيه أبي أحمد للوفق وعلى مفلح ، يوم الخميس مستهلاً ربيع الأول سنة ثمان وخمسين ومائتين ، وأشخصهما إلى البصرة لمحاربة صاحب الزنج ، فأوقع مفلح التركي بصاحب الزنج يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة ثمان وخمسين ومائتين ، فأصاب مفلحاً سهم في صدغه ، فأصبح يوم الأربعاء ميتاً ، وحمل إلى سامرا فدفن بها ، وانصرف أبو أحمد عن محاربة صاحب الزنج .

الإمام الثاني عشر وفي سنة ستين ومائتين قبض أبو محمد الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام في خلافة المعتمد ، وهو ابن تسع وعشرين سنة ، وهو أبو المهدي المنتظر ، والإمام الثاني عشر عند القطعية من الإمامية ، وهم جمهور الشيعة وقد تنازع هؤلاء في المنتظر من آل النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاة الحسن ابن علي [وافترقوا على] عشرين فرقة ، وقد ذكرنا حجج كل طائفة منهم لما اجتنبته لنفسها^(٢) واختارته لمذهبها ، في كتابنا المترجم : « سر الحياة » وفي كتاب : « المقالات ، في أصول الديانات » وما ذهبوا إليه من الغيبة وغير ذلك .

وقد كان المهدي سير بقبليحة^(٣) أم المعتز وعبد الله بن المعتز وإسماعيل ابن المتوكل وطلحة بن المتوكل وعبد الوهاب بن المنتصر إلى مكة ، فلما أفضت الخلافة إلى المعتمد بعث بحملهم إلى سامرا .

(١) في ب « عبد الله بن يحيى »

(٢) في ب « أحبته نفسها »

(٣) في ب « بقبليحة » .

يعقوب الصفار

وفي سنة اثنتين وستين ومائتين كان مسير يعقوب بن الليث الصفار نحو العراق في جيوش عظيمة، فلما نزل دير العاقول على شاطئ دجلة بين واسط وبغداد، وقد أتينا في كتابنا «أخبار الزمان» على بدء خبر يعقوب بن الليث ببلاد سجستان، وكونه في حال صغره صفاراً، وخروجه من مطوعة سجستان إلى حرب الشراة، واتصاله بدرهم^(١) بن نصر، وخبر شادرق مدينة الشراة مما يلي بلاد سجستان المعروفة، بأوق، وترقى الأمر بيعقوب إلى أن كان من أمره ودخوله بلاد زابلستان - وهي بلاد فيروز بن كيك^(٢) ملك زابلستان - وما كان من أمره مع رسول ملك^(٣) الهند على جسر بسط^(٤) ودخوله بلاد هراة ثم بلخ، وإعماله الحيلة إلى أن دخل بلاد نيسابور، وقبضه على محمد بن طاهر بن عبدالله بن طاهر بن الحسين، ثم دخوله إلى بلاد طبرستان، ومواقفته الحسن بن زيد الحسني^(٥)، مع ما قدمنا قبل وصفنا من خبر حمزة بن أدرك الخارجي، وما كان من أمره في أيام عبد الله بن طاهر، وإليه تضاف الحمزية من الخوارج، وانهيئنا بأخبار يعقوب بن الليث من بدئه إلى غايته ووفاته ببلاد جندي سابور من كور الأهواز.

فلما نزل يعقوب بن الليث دير العاقول خرج المعتمد فمسكر يوم السبت اثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة اثنتين وستين ومائتين في الموضع المعروف بالقائم بسامرا، واستخلف ابنه المفوض، ووصل المعتمد إلى سيب بنى كوما^(٦) يوم الخميس لخمس خلون من رجب من هذه السنة، فواقع الصفار يوم الأحد اتسع خلون من رجب من السنة في الموضع المعروف باضطر بد^(٧) بين السيب ودير العاقول، فهزم الصفار، واستباح عسكره، وأخذ من أصحابه نحو عشرة آلاف رأس من الدواب، وذلك أنه فجر عليه النهر المعروف بالسيب، فغشى الماء

(١) في ب « بن مريم بن نصر » (٢) في ب « كيك بن زباستان » .

(٣) في ب « زميل ملك السند » (٤) في ب « نسط » .

(٥) في ب « الحسيني » (٦) في ب « سبت بنى كرمان » .

(٧) في ب « باضطر تر بين السبت ودير العاقول » .

الصحراء ، وعلم الصفار أن الخيلة قد توجهت عليه ، وقد كان حمل على أصحاب السلطان في ذلك اليوم بضع عشرة حملة ، وغرق إبراهيم بن سببا^(١) ، وقتل بيده خلقاً كثيراً ، وطعن محمد بن أوتاش التركي ، وكان يتوهم أنه خادم ، وقال لأصحابه : ما رأيت في عسكرهم مثل هذا الخادم ، وقد كان الصفار في هذا اليوم قصد الميمنة - وكان عليها موسى بن بَغَا - وقتل خلقاً كثيراً من الناس منهم المغربي المعروف بالبرقع ، ونجا الصفار بنفسه والخواص من أوليائه ، واتبعه جيش المعتمد وأهل القرى والسواد ، فغنم الأكثر من ماله وعدده ، واستنقذ محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر ، وكان مقيداً ، كان أسره من نيسابور على ما قدمنا ، ومعه علي بن الحسين^(٢) من قریش ، وأتى الموفق - وكان في القلب - محمد بن طاهر ففك قيوده وخلع عليه ، وردده إلى مرتبته . وقيل : إن السبب في هزيمة الصفار في ذلك اليوم - مع ما ذكرنا من فجر النهر وارتظام^(٣) الخيول فيه - أن نصيراً^(٤) الديلمي مولى سعيد بن صالح الحاجب كان في الشذوات في بطن دجلة ، فوافى مؤخر عسكر الصفار وسواده ، فخرج من الشذوات فطرح النار في الإبل والبغال [والحمير] والخيول ، وكان في عسكره خمسة آلاف جمل بُحَّتِي من جمازيات^(٥) وغيرها ؛ فتفرقت الإبل في العسكر ، وشردت البغال والخيول^(٦) ، واضطرب الناس في مصاف الصفار لما سمعوه ورأوه في عسكره وسواده من ورائهم ، فكانت الهزيمة على الصفار بما ذكرنا ، ويقال : إن يعقوب بن الليث قال في سفرته هذه أبياتاً ، وفي مسيره ، وأنه خرج منكرأ على المعتمد ومن معه من الموالى إضاعتهم الدين ، وإهمالهم أمر صاحب الزنج ، فقال :

خراسان أخويها وأعمال فارس وما أنا من ملك العراق بآيس

(١) في ب « إبراهيم بن سببا » (٢) في ب « ومعه الحسن بن قریش »

(٣) في ب « وانتظام الخيول » (٤) في ب « بصيرا الديلمي »

(٥) في ب « من حمر وغيرها » (٦) في ب « البغال والحمير »

إذا ما أمور الدين ضاعت وأهملت ورثت فصارت كالرسوم الدوارس
 خرجتُ بعون الله يمنا ونصرة وصاحب رايات الهدى غير حارس
 وكانت وفاة الصفار يوم الثلاثاء لسبع بقين من شوال سنة خمس وستين
 ومائتين ، على ما ذكرنا بجندی سابور .
 وخلف في بيت ماله خمسين ألف درهم وثمانمائة ألف دينار ، وخلفه
 أخوه عمرو بن الليث مكانه .

سياسة الصفار

وكانت سياسة يعقوب بن الليث لمن معه من الجيوش سياسة لم يسمع
 بمثلها فيمن سلف من الملوك في الأمم الغابرة من الفرس وغيرهم ممن سلف
 وخلف ، وحسن انقيادهم لأمره ، واستقامتهم على طاعته لما كان قد شملهم
 من إحسانه ، وغمرهم من بره ، وملاً قلوبهم من هيئته .

طاعة أتباعه له

فما ذكر من [ظهور] طاعتهم له أنه كان بأرض فارس ، وقد أباح
 الناس أن يرتعوا ، ثم حدث أمر أراد النقلة والرحيل من تلك الكورة
 فنادى مناديه بقطع الدواب عن الرتع ، وأنه رؤى رجل من أصحابه قد
 أسرع إلى دابته والحشيش في فمها ، فأخرجه من فيها مخافة أن تلوكة بعد
 سماعه النداء ، وأقبل على الدابة مخاطباً فقال بالفارسية : أمير المؤمنين دوابر
 أزتر بريدند ، وتفسير ذلك : اقطعوا الدواب عن الرطوبة ، وأنه رؤى في
 عسكره في ذلك الوقت رجل من قواده ذو مرتبة والدرع الحديد على بدنه
 لا ثوب بينه وبين بشرته ، فقبل له في ذلك ، فقال : نادى منادى الأمير :
 البسوا السلاح ، وكنت [عرياناً] أغتسل من جنابة ، فلم يسعني التشاغل
 بلبس الثياب عن السلاح ، وكان الرجل إذا أتاه راغباً في خدمته مؤثراً
 للانقطاع إليه تفرّس فيه ، فإذا أعجبه منظره امتحن خبره واستبرأ ما عنده
 من رمى أو طعان أو غير ذلك من ثقافة ، فإذا رأى منه ما يعجبه سأله عن
 خبره وحاله ، ومن أين أقبل ، ومع من كان ، فإذا وافقه ما سمعه منه قال
 له : أصدقني عما معك من المال والمتاع والسلاح ، فيقف على جميع مامعه ،

ثم يبعث أناساً قد رتبوا لذلك ، فيبيعون جميع ذلك ، ويجعلونه عيناً أو وِزْقاً ، ويدفع إليه ، ويثبت في الديوان ، ثم تزيح عله في اللباس والسلاح والمأكل والمشرب والدواب والبغال والحخير من إصطبله ، حتى لا يفقد الرجل جميع ما يحتاج إليه من أمره على قدر مكانه ومرتبته ، فإن نعم عليه بعد ذلك مذهبه ، ولم يرض اختياره ، سلبه جميع ما أنعم به عليه ، حتى يخرج من عسكره نحو ما دخل إليه ، محتملاً بما معه من ذلك العين والورق ، إلا أن يكون ذلك الرجل معتضداً ، فيصير له فضل من أرزاقه ، فلا يمنعه ما كان له من متقدم ماله ، وكانت جميع دوابه ملكاً له وإن أعلافها من قبله ، ولها ساسة^(١) ووكلاء يقومون بأمرها ، إلا خصوص دوابهم التي تكون عندهم إلا أن ملكها له ، واتخذ لنفسه عريشاً من خشب يشبه السرير ، حيثما توجه من مسيره ، فيكثر الجلوس عليه ، ويشرف منه على أهل معسكره^(٢) ، وعلى قضيم دوابه ، ويرمق^(٣) الخلل من وكلائه ، فإذا رأى شيئاً يكرهه بادر بتغييره ، وقد كان انتخب من أصحابه ألف رجل على اختيار لهم ، والغنى الظاهر منهم ، والنكايه في حروبهم ، فجعلهم أصحاب الأعمدة الذهب ، كل عمود منها فيه ألف مثقال من الذهب ، ثم يليهم في اللباس والغنى فوج ثان هم أصحاب الأعمدة الفضة ، فإذا كان في الأعياد ، أو في الأيام التي يحتاج فيها إلى مباهاة الأعداء والاحتفال ، دفع إليهم تلك الأعمدة ، وإما ضربت هذه الأعمدة عدّة للنواب .

وسئل بعض ثقافته ، ممن ينظر حاله ، عن اشتغاله في خلواته ، وعن مجالسته مع أهل بطانته ، وهل يسمر^(٤) مع أحد أو يجالسه ، فذكر أنه لا يطلع أحداً على سره ، ولا يعرف أحد بتدبيره وعزمه ، وأكثر نهاره

(١) في ب « سياس »

(٢) في ا « أهل عسكره »

(٣) في ب « ويؤمن الحال »

(٤) في ب « وهل يسير »

خالياً بنفسه يفكر فيما يريد ، ويظهر غير ما يضمه ، ولا يشرك أحد فيما يدبره ^(١) برأى ولا غيره ، وإن تفرجه واشتغاله بعلمان صفار يتخدم ، ويؤدبهم ، ويحرجهم ، ويدعوهم ، ويدفع لهم ما قد عمله لهم من السيور ، يتضاربون بها بين يديه ، ففي هذا أكثر شغله إذا فرغ من تدبيره .

ولما واقع الصفار الحسن بن زيد الحسنی ^(٢) بطبرستان - وذلك في سنة ستين ومائتين ، وقيل : سنة تسع وخمسين ومائتين - وانكشف الحسن ابن زيد وأمعن يعقوب في الطلب ، وكانت معه رسل السلطان قد قصدوه بكتب ورسالة من المعتمد ، وهم راجعون من طلب الحسن بن زيد ، قال له بعضهم لما رأى من طاعة رجاله وما كان منهم في تلك الحرب : ما رأيت أيها الأمير كاليوم ، قال له الصفار : وأعجب منه ما أريك إياه ، ثم قربوا من الموضع الذي كان فيه عسكر الحسن بن زيد ، فوجدوا البدر والكراع والسلاح والعدد ، وجميع ما خلف في العسكر حين الهزيمة على حاله : لم ^(٣) يلتبس أحد من أصحابه منه بشيء ، ولا دنوا إليه ، معسكرين بالقرب منه من حيث يرونه بالموضع الذي خلفهم فيه الصفار ، فقال له الرسول : هذه سياسة ورياضة راضهم الأمير بها إلى أن تأتي له منهم ما أراد .

وكان لا يجلس إلا على قطعة مسح ، يشبه أن يكون طوله سبعة أشبار في عرض ذراعين أو أرجح ، وإلى جانبه ترسه وعليه انكاؤه ، وليس في مضر به شيء غيره ، فإذا أراد أن ينام من ليله أو نهاره ، اضطجع على ترسه ، ونزع راية فيجعلها مخدته ، وأكثر لباسه خفتان مصبوغ قاختي . وكان من سنته [أن] للقواد والرؤساء والعظماء عنده مراتب في الدخول بباب

(٢) في ب « الحسيني » .

(١) في ب « فيما يريد » .

(٣) في أ « لم يتلبس » .

مضربه ، بحيث تقع عينه عليهم ، ويرى مداخلهم ، فيمرون مع أطناب الشقاق إلى خيمة مضروبة ، بحيث لا يرى هو موضعها ، لكنه يرى مداخلهم إليها ، ومخرجهم منها ، فمن احتاج إليه منهم ، واحتاج إلى كلامه أو أمره أو نهيه ، دعاه فأمره ، وكان دخولهم بحيث يقع نظره عليهم عوضاً من السلام عليه ، ولم يكن لأحد أن يتقدم إلى باب مجلسه إلا رجل من خواصه ، يعرف بالعزيز ، وإخوته ، وله من وراء خيمته خيمة تقرب من أطناب مجلسه ، فيها غلمان من خواصه ، فإذا احتاج إلى أمر يأمر به صاح بهم ، فخرجوا إليه ، وإلا فهو في أكثر نهاره وليله في ذلك الموضع لا يقومون على رأسه ، وخيمته من داخل أخبية مطنبة ، كلها يدور فيها خمسمائة غلام ، يبيتون من داخل مضربه ، على كل نفس منهم ثقة ، قد وكل بتفقد أحواله ، لئلا يكون منهم عبث أو فساد ، فهو المأخوذ به ، ويذبح له في كل يوم عشرون شاة ، فتطبخ في خمس قدور من الصُّفْر الكبار ، وله قدور حجارة يتخذ له فيها بعض ما يشتهي ، وله أرزة^(١) في كل يوم وخبيصة وفالودج مع القدور الخمس ، وهي ألوان غليظة ، فيأكل منها ، ويفرق الباقي في الغلمان الذين في داخل مضربه ، ثم أهل عسكره حول مضربه ، وقربهم منه على حسب مراتبهم عنده .

وقال بعض من ورد إليه برسالة السلطان : أيها الأمير ، أنت في رياستك وجلسك^(٢) ليس في خيمتك إلا سلاحك ومسح أنت عليه ، قال : إن رئيس القوم يأتهم به أصحابه في [ما يظن من] أفعاله وسيرته ، فلو استعملت ما ذكرت من الأثاث ، لأثقلنا البهائم ، ولأثمت^(٣) بي في فعل من في عسكري ، ونحن نقطع في كل يوم المهامه والمفاوز والأودية والقيعان ، ولا يصلح لنا إلا التخفيف . وكان قليل الاستعمال للبغال في عسكره ، وكان في عسكره خمسة آلاف

(١) في ب « وله إوزة » .

(٢) في ا « ومهلك » .

جمل بُخِت وأضعاف عددها حمير شُهَب كالبغال ، وهي الحمير المعروفة بالصفارية ، تحمل الأثقال عوضاً من البغال ، وكان السبب في ذلك أنه إذا نزل خليت الجمال والحمير للرعى ، وليس في وسع البغال ذلك .

قال المسعودي : وليعقوب بن الليث الصفار ، وعمرو بن الليث أخيه ، سير وسياسات عجيبة ، وحيل ومكايد في الحروب ، قد أتينا على ذكرها ، وما انتظم لنا من وصفها ، في كتابينا « أخبار الزمان » والأوسط ، وإنما نذكر في هذا الكتاب منها لمعاً مما لم نعرض لذكره فيما سلف من كتبنا .

وفي سنة أربع وستين ومائتين — وذلك في خلافة المعتمد — كانت وفاة موسى ابن بعا ، وفيه يقول بعض الشعراء ، وكان قد امتدحه فلم يصله بشيء :

مات موسى فهان ذاك علينا لم يضرني إذ قيل قد مات شيئاً
وكذا لا يضيرني موت من لم يسد خيراً إلى إذ كان حياً^(١)

موت المزني وفي هذه السنة — وهي سنة أربع وستين ومائتين — مات أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني صاحب المختصر من علم محمد بن إدريس الشافعي ، يوم الخميس ، لست بقين من شهر ربيع الأول من هذه السنة ، بمصر .
موت جماعة من أهل العلم وفيها مات أبو عبد الله أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ابن [أخي] عبد الله ابن وهب ، صاحب مالك بن أنس ، وقد روى عن عمه عبد الله بن وهب عن مالك .

وفيها مات يونس بن عبد الأعلى الصدفي ، بمصر ، وهو ابن اثنتين وتسعين سنة .

وفيها مات أبو خالد يزيد بن سنان بمصر ، وصلى عليه بكار بن قتيبة

(١) كذا وقع صدره في ا ، على الصواب ، ووقع في ب * لا يضرني من من لم *
ووقع عجزه في ا * يسد خيراً إلى مادام حياً *

القاضي ، وشخصَ الموفق لمحاربة صاحب الزنج في صفر ، سنة سبع وستين ومائتين ، وقَدَّمَ الموفق ابنه أبا العباس في ربيع الآخر إلى سوق الخميس ، وقد كان الشعراني صاحب العلوي قد تحصن بها في جمع كثير من الزنج ، ففتح هذا الموضع ، وغنم جميع ما كان فيه ، وفتح مواضع كثيرة ، وقتل من كان فيها من الزنج ، وسار الموفق إلى الأهواز فأصلح ما أفسده الزنج ، ثم عاد إلى البصرة ، فلم يزل منازل لصاحب الزنج حتى قتل ، فكانت مدة أيامه أربع عشرة سنة وأربعة أشهر ، يقتل الصغير والكبير ، والذكر والأنثى ، ويحرق ويخرب ، وقد كان أتى بالبصرة في وقعة واحدة على قتل ثلثمائة ألف من الناس .

وقد كان المهلبى من عليّة أصحاب علي بن محمد بعد هذه الوقعة بالبصرة ، فنصب منبراً بالموضع المعروف بمقبرة بنى يشكر ، وكان يصلى يوم الجمعة بالناس ، ويخطب على ذلك المنبر لعلي بن محمد ، ويترحم بعد ذلك على أبي بكر وعمر ، ولا يذكر عثمان ولا عليا في خطبته ، ويلعن جبابرة بنى العباس ، وأباموسى الأشعري ، وعمرو بن العاص ، ومعاوية بن أبى سفيان ، على ما قدمنا من قوله في هذا الكتاب ، وأنه كان يذهب إلى رأى الأزارقة من الخوارج ولما ركن من بقى بالبصرة إلى هذا الفعل من المهلبى بها اجتمعوا في بعض الجمع ، فوضع فيهم السيف ، فمن ناج سالم ، ومن مقتول ، ومن غريق ، واختفى كثير من الناس في الدور والآبار ، فكانوا يظهرون بالليل ، فيأخذون الكلاب فيذبجونها ويأكلونها ، والفيران ، والسنانير ، فأفندوها حتى لم يقدرُوا منها على شيء ، فكانوا إذا مات منهم الواحد آكلوه ، [ويراعى بعضهم موت بعض ، ومن قدر منهم على صاحبه قتله وأكله] وعدموا مع ذلك الماء العذب .

وذكر عن امرأة منهم أنها حضرت امرأة تنارع^(١) ومعها أختها ، وقد

(١) في « امرأة تنزع » .

احتوشوها ينظرون^(١) أن تموت فيأكلوا لحمها ، قالت المرأة : فما ماتت حتى ابتدرناها^(٢) فقطعنا لحمها وأكلناها ، ولقد حضرت أختها وقد جاءت على النهر [و نحن على مشرعة عيسى بن أبي حرب] وهي تبكي ومعها رأس أختها ، فقيل لها : ويحك ! مالك تبكين ؟ قالت : اجتمعوا^(٣) على أختي فما تركوها تموت موتاً حسناً حتى قطعوها ، فظلموني^(٤) ، فلم يعطوني من لحمها شيئاً إلا رأسها هذا ، وهي تشتكي ظلمهم لها في أختها ، ومثل هذا كثير ، وأعظم مما وصفنا .

و بلغ من أمر عسكره أنه كان ينادي فيه على المرأة من ولد الحسن والحسين والعباس وغيرهم من ولد هاشم وقريش وغيرهم من سائر العرب وأبناء الناس ، تباع الجارية منهم بالدرهمين والثلاثة ، وينادي عليها بنسبها : هذه ابنة فلان الفلاني ، لكل زججى منهم العشرة والعشرون والثلاثون : يطؤون الزنج ، ويخدم النساء الزنجيات ، كما تخدم الوصائف ، ولقد استغاثت إلى علي بن محمد امرأة من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب كانت [عند] بعض الزنج ، وسألته أن ينقلها منه إلى نيره من الزنج أو يعتقها^(٥) مما هي فيه ، فقال [لها] : هو مولاك وأولى بك من غيره .

وقد تكلم الناس في مقدار ما قتل في هذه السنين من الناس فكثير ومقل ، فأما المكثرفإنه يقول : أفنى من الناس ما لا يدركه المد [د] ، ولا يقع عليه الإحصاء ، ولا يعلم ذلك إلا عالم الغيب ، فيما فتح من هذه الأمصار والبلدان والضياع وأباد [من] أهلها ، والمقلل يقول : أفنى من الناس خمسمائة ألف نفر ، وكلا الفريقين يقول في ذلك ظناً وحدساً ، إذ كان شيئاً لا يدرك ولا يضبط .

و كان مقتله [علي] ما بيننا آناً سنة سبعين ومائتين ، وذلك في خلافة المعتمد

(١) في ا « ينظرون أن تموت فيأكلون لحمها » .
 (٢) في ب « ابتدرنا فقطعناها وأكلناها » (٣) في ا « اجتمعن على أختي »
 (٤) في ا « وظلموني فلم يعطوني »
 (٥) في ا « ويعتقها » .

وقد كان الموفق بعد ذلك وَجَّه بصاعد بن مخلد في سنة اثنتين وسبعين صاعد بن مخلد ومائتين إلى حرب الصفار ، فأمره على مَنْ معه من الجيوش ، وشيَّعه الموفق ، فلما صار إلى بلاد فارس تجرَّ واشتدَّ سلطانه ، وانصرف من المدائن في بعض الأيام فاحتجم في حفة ورائه^(١) عليه ، ونمى ذلك إلى الموفق وما هو عليه من التجبر ، فقال في ذلك أبو محمد عبد الله بن الحسين^(٢) بن سعد القطرُبليُّ الكاتب في قصيدة طويلة اقتصرنا منها على ما نذكره ، وهو :

تكفهر لما طفى ودان بدين العجم

وأصبح في حفة وفي رائه - محتجم

فأشخصه الموفق إلى واسط ، فكان مدة مقامه في الوزارة سبع سنين

إلى أن قبض عليه وعلى أخيه عبدون النصراني .

وماتت جارية لصاعد بعد حبسه ، وكانت الغالبة على أمره ، وكان يقال

لها جعفر ، وماتت بعدها بأيام أم الموفق ؛ ففي ذلك يقول عبد الله بن الحسين

ابن سعد^(٣) من أبيات له :

أخَذَتْ جعفر برأس القطار ثم قالت : آذنتكم بالبووار

فأجابت أم الأمير ، وقالت : قد أتيناك أول الزوَّار

وسياتيك صاعد عن قريب كتبه للبلاء في الاستطار^(٣)

وأحصى ما وجد لصاعد من الرقيق والمتاع والكسوة والسلاح والآلات

في خاصة نفسه ، دون ما وجد لأخيه عبدون ، فكان مبلغه ثلاثمائة ألف

دينار ، وكان مبلغ غلته في سائر ضياعه ألف ألف وثلاثمائة ألف .

ومات صاعد في الحبس ، وذلك في سنة ست وسبعين ومائتين .

وفاة جماعة

من الأعيان

وفي سنة سبعين ومائتين كانت وفاة [أبي سايمان داود بن علي الإصبهاني ،

(١) في ب « في حفة وأذنة » وكذلك في ثاني البيتين الآتين .

(٢) في ب « عبد الله بن الحسن بن سعيد » .

(٣) في ب « كتبه للتلاق والإشكدار » .

الفقيه ببغداد ، وفيها مات أبو أيوب سليمان [بن وهب الكاتب ، وأحمد
ابن طولون ، وذلك بمصر يوم السبت لعشر خلون من ذي القعدة من سنة
سبعين ومائتين ، وله خمس وستون سنة .

أحمد بن طولون وابنه بصاحب^(١) الزنج ومرض أحمد بن طولون عشرة أشهر ، ولما يئس أحمد
ابن طولون من نفسه بايع لابنه أبي الجيش بالأمر من بعده ، فلما توفي جدّد
أبو الجيش خارويه بن أحمد بن طولون العهد لنفسه .

وقعة الطواحين ووجه الموفق ابنه أبا العباس لمحاربة أبي الجيش خارويه في سنة إحدى
وسبعين ومائتين ، فكانت الوقعة بينهما بالطواحين من أعمال فلسطين يوم

الثلاثاء لأربع عشرة ليلة بقيت من شوال في هذه السنة ، فكانت الهزيمة
على أبي الجيش ، واحتوى أبو العباس على جميع عسكره ، وأفلت أبو الجيش
في جماعة من قواده حتى أتى الفسطاط ، وتخلف غلامه سعد الأعسر^(٢)
فواقع أبا العباس ، فهزمه واستباح عسكره ، وقتل رؤساء قواده ، وجلة
أصحابه ، ومضى أبو العباس لا يلوي على شيء حتى أتى العراق ، وقلد أبو الجيش
أمر وزارته علي بن أحمد المادرائي ، وأبو بكر محمد بن علي بن أحمد
المادرائي هو المعتقل في يد الإخشيد محمد^(٣) بن طغج في هذا الوقت - وهو
سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - وقد كان علي وزارته بمصر هو وولده
الحسين^(٤) بن محمد ، فلما استوزر الإخشيد أبا الحسن علي بن خلف ابن طباب
وانفصل من دمشق إلى الفسطاط قبض عليه وعلى أخيه إبراهيم بن خلف
واستوزر أبا الحسن محمد بن عبد الوهاب .

الربيع المرادي وفي سنة سبعين ومائتين كانت وفاة الربيع بن سليمان ، المرادي ، المؤذن ،
صاحب محمد بن إدريس الشافعي ، والراوي لأكثر كتبه عنه بمصر .

(١) في ب « وكان ابن المظفر يصاحب الزنج » محرفا .

(٢) في ب « سعيد الأعسر » .

(٣) في ب « الإخشيد أحمد بن طغج » محرفا (٤) في ب « وولده الحسن »

وأخبرنا أبو عبد الله الحسن بن مروان المصري وغيره ، عن الربيع بن سليمان قال : استعار الشافعي من محمد بن الحسن الكوفي شيئاً من كتبه ، فلم يبعث بها إليه ، فكتب إليه ^(١) الشافعي :

يا ، قل لمن لم تر عين من رآه مثله
من كان من قد رآه ما قد رأى من قبله
ومن كلامنا له حيث عقلنا عقله
لأن ما يجنسه فاق الكمال كله
العالم ينهى أهله أن يمنعوه أهله
لعله يبذله لأهله لعله

فبعث إليه محمد بن الحسن بأكثر كتبه التي سأل عنها .

المعتمد والموفق

وباع المعتمد لابنه جعفر ، وسماه المفوض إلى الله ، وقد كان المعتمد آثر اللذة ، واعتكف على ^(٢) الملاهي ، وغلب أخوه أبو أحمد الموفق على الأمور وتديرها ، ثم حظر ^(٣) على المعتمد وحبسه ، فكان أول خليفة قهر [وحبس] وحجر عليه ، ووكل به بفم الصلح ، وقد كان قبل ذلك هرب وصار إلى حديثة الموصل ، فبعث الموفق بصاعد إلى سامرا ، وكتب إلى إسحاق بن كنداج فردّه من [حديثة] الموصل .

خروج أحمد
ابن طولون

وفي سنة أربع وستين ومائتين كان خروج أحمد بن طولون من مصر مظهراً للغزو في عساكر كثيرة وخلق من المطوعة قد انجذبوا معه من مصر وفلسطين ، فقبل وصوله إلى دمشق مات ماجور التركي بدمشق ، وقد كان عليها ، فدخلها أحمد ، واحتوى على جميع تركته من الخزائن وغيرها ، وسار منها إلى حمص ، وسار منها إلى بلاد أنطاكية ، ووصلت مقدمته إلى بلاد الإسكندرية من شاطئ بحر الروم ، ووصل هو إلى الموضع المعروف ببغراس ^(٤) من جبل الأكام ، وقد تقدمته المطوعة والغزاة إلى الثغر الشامي ، ثم عطف هو راجعاً من غير أن يكون تقدم إلى الناس معرفة ذلك منه ، حتى نزل

(١) في ب « فقال الشافعي » (٢) في ب « وغلب الملاهي »

(٣) في ب « يدبرها ، ثم حصر » (٤) في ب « بشفواس من جبال الأكام »

مدينة أنطاكية ، وفيها يومئذ سيماء الطويل في عدة منيعة من الأتراك وغيرهم وقد قدمنا فيما تقدم من هذا الكتاب الخبر عن كيفية بناء أنطاكية وقصة سورها ، والملك الباني لها ، وصفة سورها في السهل والجبل . وقد كان قبل نزول أحمد بن طولون على أنطاكية وقع بين سيماء وبين أحمد المؤيد حروب كثيرة ببلاد جند قنسرين والعواصم من أرض الشام ، وكان سيماء الطويل قد عم أذاه أهلها من قتل وأخذ مال ، وكان نزول ابن طولون على باب من أبوابها يعرف بباب [فارس تلقاء السوق ، وقد أحاطت عساكره بها ، ونزل غلامه المعروف بلؤلؤ على باب من أبوابها يعرف بباب] البحر ، وقد كان لؤلؤ بعد ذلك انحدر إلى السلطان مستأمنًا ، فأتى الموفق وهو مُنَازِل لصاحب الزنج ، فكان من أمره وقتل صاحب الزنج ما قدمنا ذكره فيما سلف من كتبنا من وقوع المشاجرة بين أصحاب لؤلؤ وأصحاب الموفق كما قدمنا أيهم القاتل لصاحب الزنج ، وكادت الحال أن تفرج بينهم في ذلك اليوم حتى قيل في عسكر الموفق :

كيفما شئتم فقولوا إنما الفتح لِلُّوْلُو

فكان ابن طولون على أنطاكية في آخر سنة أربع وستين ومائتين ، وكان افتتاحه إياها في سنة خمس وستين ومائتين بالحيلة من داخلها من بعض أهلها بالليل ، وقد أخذوا بحراسهم سورها فتحدر بعضهم مما يلي الجبل وباب فارس ، فأتى ابن طولون وقد يئس من فتحها لمنعتها وحصانة سورها ، فوعده ففتحها ، فضم إليهم عدة من رجاله فتسلقوا من حيث نزلوا^(١) ، واستعد هو في عسكره وأخذ أهبطه ، وسيماء في داره ، فما انفرج عمود الصبح إلا والطولونية قد كبروا على سورها ، ونزلوا منحدرين إليها ، وارتفع الصوت وكثر الضجيج ، وركب سيماء فيمن تسرع معه من خواصه ، فأرسلت عليه امرأة من أعلى سطح حجر رَحًا فأنت عليه ، وأخذ بعض من عرفه رأسه فأتى به ابن طولون وقد دخل من باب فارس ونزل على عين هنالك ومعه

(١) في « من حيث نزل »

الحسين بن عبد الرحمن القاضي المعروف بابن الصابوني الأنطاكي الحنفي ،
فعاث أصحابُ ابن طولون ساعة بأنطاكية ، وشمل الناسَ أذاهم ، ثم رفع
ذلك لساعتين من النهار ، وارتحل ابن طولون يومَ الثغر الشامي ، فأتى
المصيصة وأذنة ، وامتنع منه أهل طرسوس وفيها يازمان^(١) الخادم ، فلم
يكن له في فتحها حيلة ، فرجع عنها وقد أراد الغزو — على ما قيل ، والله أعلم
لأمر بلغه أن العباس ولده قد عصى عليه وفزع أن يحال بينه وبين مصر —
فحثَّ في السير ودخل الفسطاط ، ولحق العباس ببرقة من بلاد المغرب خوفاً
من أبيه وقد حمل معه ما أمكنه حمله من الخزائن والأموال والعدد ، وقد
أتينا على ما جرى بين أحمد بن طولون وولده العباس من المراسلات في
كتابنا « أخبار الزمان » .

يازمان
غلام الفتح
ابن خاقان

وكانت وفاة يازمان الخادم في أرض النصرانية غازياً في جيش الإسلام
تحت الحصن المعروف بكوكب ، وكان مولى الفتح بن خاقان ، فحمل إلى
طرسوس ، فدفن بباب الجهاد ، وذلك للنصف من رجب سنة ثمان وسبعين
ومائتين ، وكان معه في تلك الغزاة من أمراء السلطان المعروف بالعجيفي
وابن أبي عيسى وكان على إمرة طرسوس ، وكان يازمان في نهاية البلاغة
في الجهاد في البر والبحر ، وكان معه رجال من البحرين لم ير مثلهم ولا
أشد منهم ، وكان له في العدو نكاية عظيمة ، وكان العدو يهابه وتفزع
منه النصرانية في حصونها ، ولم ير في الثغور الشامية والجزرية^(٢) — بعد
عمرو بن عبيد الله^(٣) [بن مروان] الأقطع صاحب ملطية ، وعلى
ابن يحيى الأرمني صاحب الثغور الشامية — أشدَّ إقداماً على الروم من
يازمان الخادم .

(١) في ب « مازنار الخادم »

(٢) في ب « والجزوية » تحريف ، وانظر ص ٢٢٠

(٣) في ب « بعد عمر بن عبد العزيز بن مروان » محرفاً

عمرو بن عبيد
الله الأقطع
وكانت وفاة عمرو بن عبيد الله الأقطع ، وعلى بن يحيى الأرمني في
سنة واحدة ، استشهدا جميعاً ، وذلك في سنة تسع وأربعين ومائتين في
خلافة المستعين بالله .

وقد كان عمرو بن عبيد الله غازياً في تلك السنة في المَلَطِيِّين^(١) ، فلقى
ملك الروم في خمسين ألفاً ، فصر الفريقان جميعاً ، فاستشهد عمرو بن
عبيد الله ومن كان معه من المسلمين إلا اليسير ، وذلك يوم الجمعة للنصف
من رجب من هذه السنة .

على بن يحيى
الأرمني
وقد كان على بن يحيى الأرمني انصرف عن الثغر الشامي وولى أرمينية
ثم صرف عنها . فلما صار إلى بلاد مَيَّافارقين من ديار بكر عدل إلى ضياع
له هنالك ووقع النفير ، فخرج مسرعاً وقد أغارت جيوش الروم ، فقتل على
ابن يحيى مقدار أربع مائة نفس ، والروم لا تعلم أنه على بن يحيى الأرمني .
وأخبرني بعض الروم — ممن كان قد أسلم وحسن إسلامه — أن
الروم صورت عشرة أنفس في بعض كنائسها من أهل البأس والنجدة
والمكآيد في النصرانية والحيلة من المسلمين : منهم الرجل الذي بعث به
معاوية حين احتال على البطريق فأسره من القسطنطينية ، فأقاد منه بالضرب
وردّه إلى القسطنطينية ؛ وعبد الله البطال ، وعمرو بن عبيد الله ، وعلى
ابن يحيى الأرمني ، والعربيل^(٢) بن بكار ، وأحمد بن أبي قطيفة^(٣) ،
وقرنياس البيلقاني^(٤) صاحب مدينة إبريق — وهي اليوم للروم — وكان
بطريق البيالقة ، وكانت وفاته في سنة تسع وأربعين ومائتين ؛ وحرس
خارس أخت قرنياس ؛ ويازمان الخادم في موكبه والرجال حوله ، وأبو القاسم
ابن عبد الباقي ؛ وقد أتينا على وصف مذهب البيالقة واعتقادهم وهو مذهب
بين النصرانية والمجوسية ، وقد دخلوا في هذا الوقت — وهو سنة اثنتين وثلاثين

(١) في ب « في المطلبين » (٢) في ب « والعربيل »

(٣) في ب « بن أبي قطيفة » (٤) في ب « وقرماس السلقاني »

وثلاثمائة - في جملة الروم ، وقد فسرنا خبرهم في كتابنا « أخبار الزمان » .
 فأما خبر معاوية وما ذكرناه من خبر الرجل الذي أسر البطريق من
 مدينة القسطنطينية ، فهو أن المسلمين غزوا في أيام معاوية ، فأسر جماعة
 منهم ، فأوقفوا بين يدي الملك ، فتكلم بعض أسارى المسلمين ، فدنا منه
 بعض البطارقة ممن كان واقفاً بين يدي الملك فلطم حُرَّ وجهه فآلمه - وكان
 رجلاً من قريش - فصاح : وإسلاماه ، أين أنت عنا يا معاوية؟ إذ أهملتنا^(١)
 وضيعت ثغورنا وحكمت العدو في ديارنا ودمائنا وأعراضنا ، فنى الخبر
 إلى معاوية فآلمه ، وامتنع من لذيذ الطعام والشراب ، فخلا بنفسه وامتنع
 من الناس ، ولم يظهر ذلك لأحد من المخلوقين ، ثم أجمل الأمر في إعمال
 الحيلة بإقامة الفداء بين المسلمين والروم إلى أن قادى بذلك الرجل ، فلما
 صار الرجل إلى دار الإسلام دعاه معاوية فبره وأحسن إليه ، ثم قال له : لم
 هملك ولم نضيعك ولا أبخنا دمك وعرضك ، ومعاوية مع ذلك يجيل الرأى
 ويعمل الحيلة ، ثم بعث إلى رجل من ساحل دمشق من مدينة صور ، وكان
 به عارفاً ، كثير الغزوات في البحر ، صملى^(٢) من الرجال ، سرطان بالرومية ،
 فأحضره وخلاً به وأخبره بما قد عزم عليه ، وسأله إعمال الحيلة فيه والتأتى له
 فتوافقا على أن يدفع للرجل مالا عظيماً يبتاع به أنواعاً من الطُرفِ والمُلاحِ
 والجهاز والطيب والجوهر وغير ذلك ، وابتنى له مركب لا يلحق في جريه
 سرعة ، ولا يدرك في مسيره بنياناً عجيباً ، فسار الرجل حتى أتى مدنة
 قبرس^(٣) فاتصل برئيسها وأخبره أن معه جارية للملك ، وأنه يريد التجارة
 إلى القسطنطينية ، قاصداً إلى الملك وخواصه بذلك ، فروسى الملك بذلك ،
 وأعلم بحال الرجل ، فأذن له في الدخول ، فدخل خليج القسطنطينية ، وسار
 فيه حتى انتهى إلى القسطنطينية ، وقد أتينا على مقدار مسافة هذا الخليج ،
 واتصاله بالبحر الرومى وبحر مانطس^(٤) عند ذكرنا البحار فيما سلف من

(١) في ب « إذ حملتنا » (٢) في ب « ميل من الرجال »

(٣) في ا « جزيرة قبرس » (٤) في ا « وبحر بيطاس »

هذا الكتاب . فلما وصل إلى القسطنطينية أهدى للملك وجميع بطارقته ،
وبابيعهم وشاراهم ، ولم يعط للبطريق الذي لطم وجه القرشي شيئاً ، وقصده إلى
ذلك البطريق الذي لطم الرجل القرشي ، وتأتى الصوري في الأمر على حسب
ما رسمه له معاوية ، وأقبل الرجل من القسطنطينية إلى الشام ، وقد أمره
البطارقة والملك باتباع حوائج ذكروها ، وأنواع من الأمتعة وصفوها ،
فلما صار إلى الشام سار إلى معاوية سراً ، وذكر له من الأمر ما جرى ، فابتاع له
جميع ما طلب منه وما علم أن رغبتهم فيه ، وتقدم إليه فقال : إن ذلك
البطريق إذا عدت إلى كرتك هذه سيعذلك عن تخلفك عن بره واستهانتك
به ، فاعتذر إليه ولاطفه بالقصد والهدايا ، واجعله القيم بأمرك ، والمتفقد
لأحوالك ، وانظر ماذا يطلب منك حين أوبك إلى الشام ، فإن منزلتك
ستعلو وأحوالك تزداد عندهم ، فإذا أتقنت جميع ما أمرتك به وعلمت
غرض البطريق منك وأى شيء يأمرك باتباعه لتكون الحيلة بحسب ذلك ،
فلما رجع الصوري إلى القسطنطينية ومعه جميع ما طلب منه والزيادة على
ما لم يطلب منه زادت منزلته وارتفعت أحواله عند الملك والبطارقة وسائر
الحاشية ، فلما كان في بعض الأيام وهو يريد الدخول إلى الملك قبض عليه
ذلك البطريق في دار الملك وقال له : ما ذنبي إليك ؟ وبماذا استحق غيري
أن تقصده وتقضي حوائجه وتعرض عني ؟ فقال له الصوري : أكثر من
ذكرت ابتدأني وأنا رجل غريب أدخل إلى هذا الملك والبلد كالمتمنكر من
أسارى المسلمين وجواسيسهم ، لئلا ينموا بخبري ويعنوا بأمرى إلى المسلمين
فيكون في ذلك فقدي ، وإذ قد علمت ^(١) ميلك إلى فلست أحب أن يعتنى بأمرى
سواك ولا يقوم به عند الملك وغيره غيرك ، فأمرني بجميع حوائجك وجميع ما يعرض
من أمورك بأرض الإسلام ، وأهدى إلى البطريق هدية حسنة من الزجاج المخروط
والطيب والجواهر والطرائف والثياب ، ولم يزل هذا فعله يتردد من الروم

(١) في الأصل فيكون ذلك بوارى ، والآن فإذا قد علمت ميلك - إلخ »

إلى معاوية ، ومن معاوية إلى الروم ، ويسأله الملك والبطريق وغيره من
البطارقة الحوائج ، والحيلة لا تتوجه لمعاوية حتى مضى على ذلك سنين^(١)
فلما كان في بعضها قال البطريق للصوري ، وقد أراد الخروج إلى دار
الإسلام : قد اشتهيت أن تغمرني بقضاء حاجة وتمنّ بها علي : أن تبتاع لي
بساطاً سوسنجرد^(٢) ممخاده ووسائده يكون فيه من أنواع الألوان من الحمرة
والزرقة وغيرها ، ويكون من صفتة كذا وكذا ، ولو بلغ ثمنه كل مبلغ ؛
فأنعمَ له بذلك ، وكان من شأن الصوري إذا ورد إلى القسطنطينية تكون
مركبه بالقرب من موضع ذلك البطريق ، وللبطريق ضيعة سرية وفيها
قصر مشيد ومنتزه حسن على أميال من القسطنطينية رابكة على الخليج ،
وكان البطريق أكثر أوقاته في ذلك المنتزه ، وكانت الضيعة مما يلي فم
الخليج^(٣) مما يلي بحر الروم والقسطنطينية ، فانصرف الصوري إلى معاوية
سراً ، وأخبره بالحال ؛ فأحضر معاوية بساطاً بوسائد ومخاداً ومجلس ؛
فانصرف به الصوري مع جميع ما طلب منه من دار الإسلام ، وقد تقدم
إليه معاوية بالحيلة وكيفية إيقاعها ، وكان الصوري فيما وصفنا من هذه المدة
قد صار كأحدهم في المؤانسة وفي العشرة ، وفي الروم طمّع وشَرّه ؛ فلما دخل
من البحر إلى خليج القسطنطينية - وقد طابت له الرياح ، وقد قرب من
ضيعة البطريق - أخذ الصوري خبر البطريق من أصحاب القوارب
والمرالكب ؛ فأخبر أن البطريق في ضيعة ، وذلك أن الخليج طوله نحو من
ثلثمائة ميل وخمسين ميلاً بين هذين البحرين وهما الرومي ومانطس^(٤) ، على
حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب ، والضياع^(٥) والعمائر على هذا
الخليج من حافته ، والمرالكب تختلف والقوارب بأنواع المتاع والأقوات

(١) كذا ، وهو وجه في العربية : والأكثر أن يقال « حتى مضى على ذلك سنون »

(٢) في ب « بساطا سوسنجرى » (٣) في ا « فيما بين فم الخليج »

(٤) في ا « والنيطس » (٥) في ا « والقياع »

إلى القسطنطينية ، وهذه المراكب لا تحصى ^(١) في هذا الخليج كثرة ، فلما علم الصوري أن البطريق في ضيعته فرش ذلك البساط ونضد ذلك الصدر والمجلس بالوسائد والمخاد في صحن المركب ومجلسه ، والرجال تحت المجلس بأيديهم المجاذيف مشكلة قائمة غير قاذفين بها ، ولا يعلم بهم أنهم في بطن المركب إلا من ظهر منهم في المركب عمله ، والريح في القلع ، والمركب مار في الخليج كأنه سهم قد خرج من كبد قوس لا يستطيع القائم على الشط أن يماز بصره منه ؛ اسرعة سيره واستقامته في جريه ، فأشرف على قصر البطريق وهو جالس في مستشرفه مع حرمة وقد أخذت منه الخمر وعلاؤه الطرب وذهب به الفرح والسرور [كل مذهب] فلما رأى البطريق مركب الصوري غنى طرباً ، وصاح فرحاً و سروراً وابتهاجاً بقدمه ، فدنا من أسفل القصر ، وحط القلع ، وأشرف البطريق على المركب ، فنظر إلى ما فيه من حسن ذلك البساط ونظم ذلك الفرش كأنه رياض تزهو ، فلم يستطع اللبث في موضعه حتى نزل قبل أن يخرج ذلك الصوري من مركبه إليه ، فطلع المركب ، فلما استقرت قدمه في المركب ودنا من المجلس ضرب الصوري بعقبه على من تحت البساط من الوقوف — وكانت علامة بينه وبين الرجال الذين في بطن المركب — فما استقر دقه بقدمه حتى اختطف المركب بالمجاذيف فإذا هو في وسط [الخليج يطالب] البحر لا يلوى على شيء ، وارتفع الصوت ، ولم يدر ما الخبر لمعاجلة الأمر ، فلم يكن الليل حتى خرج من الخليج وتوسط البحر ، وقد أوثق البطريق كيتافاً ، وطابت له الريح ، وأسعده الجد ، وحملته المجاذيف في ذلك الخليج ، فتعلق في اليوم السابع بساحل الشام ، ورأى البر ، وحمل الرجل ، فكانوا في اليوم الثالث عشر حضوراً بين يدي معاوية بالفرح والسرور لإثلاجه بالأمر وتمام الحيلة ، وأيقن معاوية بالظفر وعلو الجد ، فقال : على بالرجل القرشي ، فأتى به ،

(١) في ١ « من هذه العمار ، لا تحصى هذه المراكب في هذه الخليج »

وقد حضره خواص الناس ، فأخذوا مجالسهم ، وانقص المجلس بأهله ، فقال معاوية [للقرشي : قم فاقصص من هذا البطريق الذي لطم وجهك على بساط معظم الروم ؛ فإننا لم نضيعك ولا أبجنا دمك وعرضك ، فقام القرشي ودنا من البطريق ، فقال له معاوية] : انظر لا تتعد ما جرى عليك منه ، واقصص منه على حسب ما صنع بك ، ولا تتعد ، وراع ما أوجب الله عليك من المائلة ، فلطمه القرشي لطمت ، ووكزه في حلقه ، ثم انكب القرشي على يد [ى] معاوية وأطرافه يقبأها ، وقال : ما أضعك من سؤدك ، ولا خاب فيك أمل من أملك ، أنت ملك لاتضام ، تمنع حماك ، وتصون رعيتك ، وأغرق في دعائه ووصفه ، وأحسن معاوية إلى البطريق ، وخلع عليه وبره ، وحمل معه البساط ، وأضاف إلى ذلك أموراً كثيرة وهدايا إلى الملك ، وقال له : ارجع إلى ملكك ، وقل له : تركت ملك العرب يقيم الحدود على بساطك ، ويقتص لرعيته في دار مملكته وسلطانك ، وقال للصوري : سر معه حتى تأتي الخليج فتطرحه فيه ومن كان أسير معه ممن بادر فصعد المركب من غلمان البطراق وخاصته ، فحملوا إلى صور مكرمين ، وحملوا في المركب ، فطابت لهم الرياح ، فكانوا في اليوم الحادي عشر متعلقين ببلاد الروم ، وقرنوا من فم الخليج ، وإذا به قد أحكم بالسلاسل والمنعة من الموكلين به ، فطرح البطريق ومن معه ، وانصرف الصوري راجعاً ، وحمل البطريق من ساعته إلى الملك ومعه الهدايا والأمتعة ، تباشرت الروم بقدمه ، وتلقوه مهنتين له من الأسر ؛ فكافأ الملك معاوية على ما كان من فعله بالبطريق والهدايا ؛ فلم يكن يستضام أسير من المسلمين في أيامه ، وقال الملك : هذا أمكر الملوك وأذهى العرب ، ولهذا قدمته العزب عليها ، فساس أمرها ، والله لو هم بأخذى لتمت له الحيلة على . وقد أتينا على خبر معاوية فيما سلف من هذا الكتاب ، وأتينا على مبسوطه وأخبار الوافدين والوافدات عليه من الأمصار فيما سلف من كتبنا ،

وإن كنا قد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب من أخبار معاوية جملاً .
وللملوك الروم وبطارقتها - ممن سلف وخلف إلى هذا الوقت - أخبار
حسان مع ملوك بني أمية والخلفاء من بني العباس في المغازي والسرايا
وغيرها ، وكذلك لأهل الثغور الشامية والجزرية^(١) إلى هذا الوقت -
وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - وقد أتينا على مبسوطها فيما سلف من
كتبنا ، وقد مننا في هذا الكتاب جملاً من أخبارهم ومقادير أعمارهم وأيامهم ،
ولمنا من سيرهم ، وكذلك أخبرنا عن ملوك الأمم وسيرهم .

قال المسعودي : وكان المعتمد مشغولاً بالطرب ، والغالب عليه المعاقرة
ومحبة أنواع اللهو والملاهي ، وذكر عبيد^(٢) الله بن خرداذبه أنه دخل عليه
ذات يوم ، وفي المجلس عدة من ندمائة من ذوى العقول والمعرفة والحجى ،
فقال له : أخبرني عن أول من اتخذ العود ، قال ابن خرداذبه : قد قيل في
ذلك يا أمير المؤمنين أقاويل كثيرة : أول من اتخذ العود^(٣) ملك بن
متوشلخ بن محويل بن عاد^(٤) بن خنوخ ابن قابن بن آدم ، وذلك أنه كان
له ابن يحبه حباً شديداً ، فمات ، فعلقه بشجرة ، فتقطعت أوصاله ، حتى بقي
منه نخذه والساق والقدم والأصابع ، فأخذ خشباً فرقته وأصقه ، فجعل صدر
العود كالنخذه ، وعنقه كالساق ، ورأسه كالقدم ، والملاوى كالأصابع ،
والأوتار كالعروق ، ثم ضرب به وناح عليه ، فنطق العود ، قال الحمدوني :
وناطق بلسانٍ لا ضمير له كأنه فخذٌ نيطت إلى قدم
يُبدى ضمير سواه في الحديث كما يُبدى ضمير سواه منطلق القلم
واتخذ توبل^(٥) بن ملك الطبول والدفوف ، وعملت ضلال بنت ملك
المعازف ، ثم اتخذ قوم لوط الطنابير ، يستميلون بها الغلمان [ثم اتخذ الرعاة]

(١) في ب « والحروية » وانظر ص ٢١٣

(٢) في ب « عبد الله بن خرداذبه » ؟ (٣) في ب « اتخذ اللهو »

(٤) في ا « محويل بن عاد » (٥) في ب « موسك بن ملك »

والأكراد نوعاً مما يصفر به ، فكانت أغنامهم إذا تفرقت صفروا
فاجتمعت ؛ ثم اتخذ الفرس النأي للعود ، والدياتي للطنبور ، والسرياني
للطبل ، والسنج الصنج ، وكان غناء الفرس بالعيدان والصنوج ، وهي لهم ،
ولهم النغم والإيقاعات والمقاطع والطروق الموكية ؛ وهي سبع طروق :
فأولها سكاف^(١) ، وهو أكثرها استعمالاً لتنقل الأنهار ، وهو أفصحها
مقاطع ، وأمرسه ، وهو أجمعها لمحاسن النغم ، وأكثرها تصعداً وانحداراً ،
وما دار وسمان ، وهو أثقلها ، وسايكاد ، وهو المحبوب للأرواح ،
وسيسم ، وهو المختلس المنقل ، وحويعران ، وهو الدرج الموقوف على نغمة ،
وكان غناء أهل خراسان وما والاها بالزنج ، وعليه سبعة أوتار ، وإيقاعه
يشبه إيقاع الصنج ، وكان غناء أهل الري وطبرستان والديلم بالطنابير ،
وكانت الفرس تقدم الطنبور على كثير من الملامى ، وكان غناء النبط
والجرامقة بالغيروارات ، وإيقاعها يشبه إيقاع الطنابير .

وقال فنندروس الرومي : جعلت الأوتار أربعة بإزاء الطبائع ، فجعلت
الزبر بإزاء المرة الصفراء ، والمثني بإزاء الدم ، والمثالث بإزاء البلغم ، والسم
إزاء المرة السوداء .

وللروم من الملامى الأرغل ، وعاليه ستة عشر وترأ ، وله صوت بعيد المذهب ملامى الروم
وهو من صنعة اليونانيين ، والسلبان ، وله أربعة وعشرون وترأ ، وتفسيره ألف
صوت ، ولهم اللورا ، وهي الرباب ، وهي من خشب ، ولها خمسة أوتار ، ولهم
القيثارة ، ولها اثنا عشر وترأ ، ولهم الصلنج وهو من جلود العجاجيل ، وكل
هذه معازف مختلفة الصفة ، ولهم الأرغن ، وهو ذو منافخ من الجلود والحديد .
وللهند الكنكلة ، وهو وتر واحد يمد على قرعة فيقوم مقام العود والصنج .

الهند

قال : وكان الحداء في العرب قبل الغناء ، وقد كان مضر بن نزار بن معد
سقط عن بعير في بعض أسفاره فانكسرت يده ، فجعل يقول : يا يداه ، يا يداه ،
وكان من أحسن الناس صوتاً ، قاستوسقت الإبل وطاب لها السير ، فاتخذ
(١) اخترنا في هذا الموضع عبارة ا ، وهي تختلف في الأسماء كثيراً عن ب

العرب حُدَاءَ برجز الشعر ، وجعلوا كلامه أول الحداء فمن قول الحادي :

يا هاديا يا هاديا ويا يدايا يا يدايا

فكان الحُدَاءُ أول السماع والترجيع في العرب ، ثم اشتق الغناء من الحُدَاءِ ، ونَحْنُ نساء العرب على موتاها ، ولم تكن أمة من الأمم بعد فارس والروم أو لَعَّ بالملاهي والطرب من العرب ، وكان غناؤهم النصب ثلاثة أجناس : الركباني ، والسناد الثقيل ، والهزج الخفيف .

وكان أول من غَنَّى من العرب الجرادتان ، وكانتا قينتين على عهد عاد لمعاوية بن بكر العملي^(١) ، وكانت العرب تسمى القينة الكربنة ، والعود

أول الغناء
في العرب

المزهر ، وكان غناء أهل اليمن بالمعازف وإيقاعها [جنس واحد ، وغناؤهم] جنسان : حنفي ، وحميري ؛ والحنفي أحسنهما ، ولم تكن قريش تعرف من الغناء إلا النصب ، حتى قدم النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي من العراق وافداً على كسرى بالحيرة ؛ فتعلم ضرب العود والغناء عليه ؛ فقدم مكة فعلم أهلها ، فاتخذوا القينات .

والغناء يرق الذهن ، ويلين العريكة ، و [يبهج] النفس ويسرُّها ، ويشجع القلب ، ويسخى البخيل ، وهو مع النبيذ يعاونان على الحزن الهادم للبدن ، ويُحْدِثَانِ له نشاطاً ، ويفرجان الكرب ، والغناء على الانفراد يفعل ذلك ، وفضل الغناء على المنطق كفضل المنطق على الخرس ، والبرء على السقم ، وقد قال الشاعر :

أثر الغناء

لا بعثن على همومك إذ ثوت غير المدام ونعمة الأوتار

فَلله در حكيم استنبطه ، وفيلسوف استخرجه ، أي غامض أظهر ؟

وأي مكنون كَشَفَ ؟ وعلى أي فن دَلَّ ؟ وإلى أي علم وفضيلة سبق ؟

فذلك نسيجٌ وَحْدِهِ ، وقرع دهره .

وقد كانت الملوك تنام على الغناء ليسرى في عروقتها السرور ، وكانت

ملوك الأعاجم لا تنام إلا على غناء مطرب ، أو سمر لذيذ ، والعربية لا تنوم

(١) كذا في ١ ، وفي ب « بن أبي بكر العملي » ولعله « العملي »

وَلَدَهَا وَهُوَ بَيْكِي ، خَوْفَ أَنْ يَسْرِيَ الِهْمُ فِي جَسَدِهِ ، وَيَدْبُ فِي عُرْوَقِهِ ،
وَإِكْنَهَا تَنَازَعُهُ وَتَضَاحِكُهُ حَتَّى يَنَامَ وَهُوَ فَرِحٌ مُسْرُورٌ ، فَيَنُمُو جَسَدُهُ ،
وَيَصْفُو لَوْنَهُ وَدَمَهُ ، وَيَشْفُ عَقْلَهُ ، وَالطِّفْلُ يَرْتَاحُ إِلَى الْغَنَاءِ ، وَيَسْتَبْدِلُ
بِيكَاؤِهِ ضَحْكًا .

وقد قال يحيى بن خالد بن برمك : الغناء ما أطرَبَكَ فَأَرْقَصَكَ ، وَأَبْكَكَ
فَأَشْجَكَ ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَبِلَاءٌ وَهَمٌ .

قال المعتمد : قد قلت فأحسنت ، ووصفت فأطنبت ، وأقمت في هذا
اليوم سوقاً للغناء ، وعيداً لأنواع الملامى^(١) ، وإن كلامك لمثل الثوب
الموشى ، يجتمع فيه الأحمر ، والأصفر ، والأخضر ، وسائر الألوان ؛
فما صفة المغنى الحاذق ؟

قال ابن خرداذبه : المغنى الحاذق يا أمير المؤمنين : من تمكن من المغنى الحاذق
أنفاسه ، ولطف في اختلاسه ، وتفرع في أجناسه .

أنواع الطرب
قال المعتمد : فعلى كم تنقسم أنواع الطرب ؟

قال : على ثلاثة أوجه يا أمير المؤمنين ، وهى طرب محرك ، مستخف
الأريحية ، ينعش النفس ، ودواعى الشيم عند السماع ، وطرب شجن وحزن ،
لا سيما إذا كان الشعر في وصف أيام الشباب ، والشوق إلى الأوطان ، والمراثى
لمن عدم [الصبر] من الأحباب ، وطرب يكون في صفاء النفس ولطافة الحس ،
ولا سيما عند سماع جودة التأليف ، وإحكام الصنعة ؛ إذ كان من لا يعرفه
ولا يفهمه لا يسرُّه ، بل تراه متشاغلا عنه ؛ فذلك كالحجر الجلمد ، والجناد
الصلِّد ، سواء وجوده وعدمه ، وقد قال يا أمير المؤمنين بعض الفلاسفة^(٢)
المتقدمين ، وكثير من حكماء اليونانيين : من عرضت له آفة في حاسة

(١) فى ب « وعلم أنواع الملامى » (٢) فى ا « جمهور من الفلاسفة »

الشم كره رائحة الطيب ، ومن غَلَطَ حسه^(١) كره سماع الغناء ، وتشاغل عنه ، وعآبه ، وذمه .

منزلة
الإيقاع والقاب

قال المعتمد : فما منزلة الإيقاع وأنواع الطروق وفنون النغم^(٢) ؟
قال : قد قال في ذلك يا أمير المؤمنين من تقدم : إن منزلة الإيقاع من الغناء بمنزلة العروض من الشعر ، وقد أوضحوا الإيقاع ، ووسموه بسامات ، ولقبوه بالقاب ، وهو أربعة أجناس : ثقيل الأول ، وخفيفه ، وثقيل الثاني ، وخفيفه ، والرمل الأول ، وخفيفه ، والهزج ، وخفيفه ، والإيقاع : هو الوزن ، ومعنى أوقع وزن ، ولم يوقع : خرج من الوزن ، والخروج إبطاء عن الوزن أو سرعة ؛ فالثقل الأول : نقره ثلاثة ثلاثة ، اثنتان ثقيلتان بطيئتان ، ثم نقره واحدة ، وخفيف ثقيل الثاني : نقره اثنتان متواليتان ، وواحدة بطيئة ، واثنتان مزدوجتان^(٣) ، وخفيف الرمل : نقره اثنتان اثنتان مزدوجتان ، وبين كل زوج وقفة ، والهزج : نقره واحدة واحدة مستويتان ممسكة ، وخفيف الهزج : نقره واحدة واحدة متساويتان في نسق واحد أخف قدراً من الهزج ، والطرائق ثمان : الثقيلان الأول والثاني ، وخفيفاهما ، وخفيف الثقيل [الأول] منهما يسمى بالماخوري ، وإنما سمي بذلك ؛ لأن إبراهيم بن ميمون الموصلي - وكان من أبناء فارس ، وسكن الموصل - كان كثير الغناء في هذه المواخير ، بهذه الطريقة ، والرمل وخفيفه ، ويتفرع من كل واحد من هذه الطرائق مزمووم مطلق ، وتختلف مواقع الأصابع^(٤) فيها فيحدث لها ألقاباً تميزها ، كالمصور^(٥) ، والمخبول ، والمحثوث ، والمخدوع ، والأدرج .

والعود عند أكثر الأمم وجل الحكماء يوناني ، صنعه أصحاب الهندسة على هيئة طبائع الإنسان ؛ فإن اعتدلت أوتاره على الأقدار الشريفة

(١) في « غلط جسمه » .

(٢) في ب « وأنواع الطرق وفنون الغناء » (٣) في ب « مردودتان »

(٥) في ب « كالمصور »

(٤) في ب « مواقع الاصطلاح »

جَانَسَ الطَّبَائِعَ فَأَطْرَبَ ، وَالطَّرَبُ : رَدُّ النَّفْسِ إِلَى الْحَالِ الطَّبِيعِيَّةِ دَفْعَةً ،
وَكُلُّ وَتَرَ مِثْلَ الَّذِي يَلِيهِ وَمِثْلُ ثَلَاثِهِ . وَالدَّسْتَبَانُ ^(١) الَّذِي يَلِي الْأَنْفَ مَوْضُوعٌ
عَلَى خَطِّ التَّسْعِ مِنْ جَمَلَةِ الْوَتْرِ [وَالَّذِي يَلِي الْمَشْطَ مَوْضُوعٌ عَلَى خَطِّ الرَّبْعِ مِنْ
جَمَلَةِ الْوَتْرِ] فَهَذِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جَوَامِعٌ فِي صِفَةِ الْإِيْقَاعِ وَمُنْتَهَى حُدُودِهِ .
فَفَرِحَ الْمَعْتَمِدُ فِي هَذَا الْيَوْمِ ، وَخَامَعَ عَلَى ابْنِ خَرْدَاذِبِهِ ، وَعَلَى مَنْ حَضَرَهُ
مِنْ نَدَمَائِهِ ، وَفَضَّلَهُ عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ يَوْمٌ لَهُوَ وَسُرُورٌ .

فَلَمَّا كَانَ فِي مَسْبِيحَةِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ دَعَا الْمَعْتَمِدُ مَنْ حَضَرَهُ فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ ،
فَلَمَّا أَخَذُوا مَرَاتِبَهُمْ مِنَ الْمَجْلِسِ قَالَ لِبَعْضِ مَنْ حَضَرَهُ مِنْ نَدَمَائِهِ [وَمَغْنِيهِ]
صَفِّ لِي الرِّقْصَ وَأَنْوَاعَهُ ، وَالصِّفَةَ الْمَحْمُودَةَ مِنَ الرَّاكِصِ ، وَاذْكُرْ لِي شِمَائِلَهُ

الرقص
وأنواعه

فَقَالَ الْمَسْئُولُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَهْلُ الْأَقَالِيمِ وَالْبُلْدَانِ مُخْتَلِفُونَ فِي رِقْصِهِمْ
مِنْ أَهْلِ خِرَاسَانَ وَغَيْرِهِمْ ، فَجَمَلَةُ الْإِيْقَاعِ فِي الرِّقْصِ ثَمَانِيَةٌ أَجْنَاسٌ : الْخَفِيفُ ،
وَالْهَزَجُ ، وَالرَّمْلُ ، وَخَفِيفُ الرَّمْلِ ، [وَخَفِيفُ الثَّقِيلِ الثَّانِي ، وَثَقِيلُهُ]
وَخَفِيفُ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ ، وَثَقِيلُهُ ، وَالرَّاكِصُ يَحْتَاجُ إِلَى أَشْيَاءَ فِي طَبَاعِهِ ،
وَأَشْيَاءَ فِي خِلْقَتِهِ ^(٢) ، وَأَشْيَاءَ فِي عَمَلِهِ ؛ فَأَمَّا مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي طَبَاعِهِ فَخِفَّةُ
الرُّوحِ ، وَحَسَنُ الطَّبَعِ عَلَى الْإِيْقَاعِ ، وَأَنْ يَكُونَ طَالِبَهُ مَرَحًا إِلَى التَّدْبِيرِ
فِي رِقْصِهِ وَالتَّصَرُّفِ فِيهِ ، وَأَمَّا مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي خِلْقَتِهِ فَطُولُ الْعُنُقِ
وَالسُّوَالِفِ ، وَحَسَنُ الدَّلِّ وَالشِّمَائِلِ ، وَالتَّمَايُلُ فِي الْأَعْطَافِ ، وَرِقَّةُ الْخِصْرِ ^(٣)
[وَالْخِفَّةُ] وَحَسَنُ أَقْسَامِ الْخَلْقِ وَوَقَاعِ الْمَنَاطِقِ ، وَاسْتِدَارَةُ الثِّيَابِ مِنْ آسَافِلِهَا
وَمُخَارِجِ النَّفْسِ ، وَالْإِرَاحَةَ ، وَالصَّبْرَ عَلَى طَوْلِ الْغَايَةِ ، وَلَطَافَةَ الْأَقْدَامِ ، وَلِينِ
الْأَصَابِعِ ، وَإِمْكَانَ لِينِهَا فِي نَقْلِهَا ^(٤) وَفِيمَا يَتَصَرَّفُ فِيهِ مِنْ أَنْوَاعِ الرِّقْصِ
مِنْ الْإِبْلِ ، وَرِقْصِ الْكُرَةِ ، وَغَيْرِهِ ، وَلِينِ الْمَفَاصِلِ ، وَسُرْعَةُ الْإِنْتِقَالِ ^(٥)
فِي الدَّوْرَانِ ، وَلِينِ الْأَعْطَافِ . وَأَمَّا مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي عَمَلِهِ فَكَثْرَةُ التَّصَرُّفِ فِي

(١) فِي ب « وَالرَّسَانَ » (٢) فِي أ « فِي خَلْقِهِ » وَتَقْرَأُ بِفَتْحٍ فَسَكُونٌ .

(٣) فِي ب « وَدَقَّةُ الْخِصْرِ » (٤) فِي أ « وَإِمْكَانَ بَيْنَهَا فِي نَقْلِهَا » .

(٥) فِي ب « وَسُرْعَةُ الْإِنْتِقَالِ » .

ألوان الرقص ، وإحكام كل حد^(١) من حدوده ، وحسن الاستدارة ، وثبات القدمين على مدارهما ، واستواء ما تعمل يميني الرجل ويسراها ، حتى يكون في ذلك واحداً . ولوضع القدم^(٢) ورفعها وجهان : أحدهما أن يوافق بذلك الإيقاع ، والآخر أن يتشبث به ، فأكثر ما يكون هو فيه أمكن وأحسن فليكن ما يوافق الإيقاع فهو من الحب والحسن سواء ، وأما ما يتشبث به فأكثر ما يكون هو فيه أمكن وأحسن ؛ فليسكن ما يوافق الإيقاع مترافعا ، وما يتشبث به متسافلا .

قال المسعودي : وللمعتمد مجالسات ومذاكرات ومجالس قد دوت في أنواع من الأدب ، منها : مدح النديم ، [وذكر فضائله ، وذم التفرد بشرب النبيذ ، وما قيل في ذلك من المنثور والشعر ، وما قيل في أخلاق النديم] وصفاته وعفافه وأمن عيبه ، والتداعي إلى المناديات والمراسلات في ذلك ، وعدد أنواع الشرب في الكثرة ، وهيئة السماع وأقسامه وأنواعه ، وأصول الغناء ومبادئه في العرب وغيرها من الأمم ، وأخبار الأعلام من مشهورى المغنين المتقدمين والمحدثين ، وهيئة المجالس ، ومنازل التابع والمتبوع وكيفية مراتبهم ، وتعبية مجالس الندماء والتحيات كما قال العطوى في ذلك :

حتى التحية أصحاب التحيات القائلين إذا لم تسقمهم : هات
أما الفداة فسكرى في نعيمهم وبالعشى فصرعى غير أموات
وبين ذلك قصف لا يعادله قصف الخليفة من لهو ولذات
وقد أتينا على وصف جميع ذلك في كتابنا « أخبار الزمان » مما لم يتقدم له ذكر كصنوف الشراب ، والاحتعمال لأنواع النقل إذا وضع ذلك في المناقل والأطباق فنضد نضداً^(٣) ، ووصف رصفاً ، والإبانة عن المراتب في

(١) في ب « وإحكام كل جزء » (٢) في ا « ولوضع الأقدام » .

(٣) في ب « فنض نضا » .

ذلك ، ووصف جمل آداب^(١) الطبخ مما يحتاج التابع إلى معرفته ، والأديب إلى فهمه^(٢) من المتولدات في معرفة الألوان ، ومقادير التوابل والأبزار ، وأنواع المحادثات ، وغسل اليدين بحضرة الرئيس ، والمقام عن مجلسه ، وإدارات الكاسات ، وما حكى في ذلك عن الأسلاف من ملوك الأمم وغيرهم ، وما قيل في الإكثار والإقلال من الشراب ، وما ورد في ذلك من الأخبار ، وطلب الحاجات والاستمناعات من أهل الرياسة على المعاقرات ، وهيئة النديم وما يلزمه نفسه ، وما يلزم الرئيس لنديمه ، والفرق بين التابع والمتبوع ، والنديم والمنادم ، وما قال الناس في العلة التي من أجلها سمى النديم نديماً ، وكيفية الأدب في لعب الشطرنج ، والفرق بينها وبين الترد ، وما ورد في ذلك من الأخبار ، وانتظمت فيه من الدلائل والآثار ، وما ورد عن العرب في أسماء الخمر وورود التحريم فيها ، وتنازع الناس في رد غيرها من أنواع الأنبذة عليها قياساً ، ووصف أنواع آنيتها ، ومن كان يشربها في الجاهلية ومن حرّمها ، ووصف السكر ، وما قال الناس في ذلك ، وكيفية وقوعه : أمن الله أم من خلقه ؟ وغير ذلك مما لحق بهذا الباب ، واتصل بهذه المعاني ، وإنما نذكر هذه اللامع منبهين بها على ما قدمنا فيما سلف من كتبنا .

وكان أبو العباس المعتضد محبوباً فلما خرج أبوه الموفق [إلى الجبل] خلفه
بدارا لوزير^(٣) إسماعيل بن بلبل ، وكان مُضِيَّقاً عليه ، إلى أن وافى الموفق من
أذربيجان عليلاً مُدْنِفاً مورماً في بيت من الخشب قد أخذ له مبطناً بالخز والحزير
وفي أسفله حلق قد جعل فيها الدهن فتحملة الرجال على أكتافها نواصب^(٤) .
وكان وصوله إلى بغداد يوم الخميس لليلتين خلتا من صفر سنة ثمان وسبعين
ومائتين ، فأقام بمدينة السلام أياماً فاشتدت عِلته ؛ وأرجف بموته ؛ وانصرف

(١) في ب « جميل لذات الطبخ » (٢) في ب « والأريب إلى فيمته »

(٣) في ا « خلفه في يد الوزير » (٤) نواصب : نوبة بعد نوبة

إسماعيل بن بلبل وقد يئس منه ، فوجهَ إسماعيل بن بلبل إلى كفهمن ، وقيل :
إلى بكتمر^(١) - وكان موكلًا بالمعتضد بالمدائن ، على أقل من يوم من مدينة
السلام - أن ينصرف بالمعتضد والمفوض إلى الله ابنه إلى بغداد ، فدخل المعتضد
إليها في يومه ، واتصل بإسماعيل صلاح الموفق ، فأنحدر ومعه المعتضد والمفوض
في طيارة إلى دار ولده ، وقد كان بأنس الخادم ومؤنس الخادم وصافي الحرمي
وغيرهم من خدم الموفق وغلماناه ، أخرجوا أبا العباس من الموضع الذي كان
فيه محبوساً ، وساروا به إلى الموفق ، وأحضر إسماعيل بن بلبل والمعتضد
والمفوض معه ، وكثر اضطراب القواد والموالي ، وأسرعت العامة وسائر
الخدم في النهب ، فاتهبوا دار إسماعيل بن بلبل ، ولم تبق دار جليل ولا كاتب
نبيل إلا نهبوا ، وفتحت الجسور ، وأبواب السجون ، ولم يبق أحد في
المطبق ولا في الحديد إلا أخرج ، وكان أمراً فظيماً غليظاً ، وخلع على أبي
العباس ، وعلى إسماعيل بن بلبل ، وانصرف كل واحد منهما إلى منزله ، فلم
يجد إسماعيل في داره ما يقعد عليه ، حتى وجهَ إليه الشاه ابن ميكال ما قعد
عليه ، وقام بأمر طعامه وشرابه ، وقد كان إسماعيل أسرع في بيوت الأموال ،
وأسرف في النفقات والجوائز والخلع [والعطايا] ، وأمدَّ العرب وأجزل لهم
الأنزال والأرزاق ، واصطنع بنى شيبان من العرب وغيرهم من ربيعة ، وكان
يزعم أنه رجل من بنى شيبان ، وطالبَ بخراج سنّة مبهمه ، فنقل على الرعية ،
وكثر الداعي عليه ، ومكث الموفق بعد ذلك ثلاثة أيام ، ثم توفي ليلة الخميس ،
لثلاث بقين من صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين ، ومات وله تسع وأربعون
سنة ، وأمه أم ولد رومية ، يقال لها : أسحر^(٢) ، وكان اسم الموفق طلحة ،
وفيه يقول الشاعر :

لما استظل بظل الملك واجتمعت له الأمور فنقاد ومقصور^(٣)

(٢) في ب « يقال لها إسحاق »

(١) في ب « بكتمن »

(٣) في ب « فنقاد ومقصور »

حُطَّتْ عَلَيْهِ لِمَقْدَارِ مَنِيَّتِهِ كَذَاكَ تَصْنَعُ بِالنَّاسِ الْمَقَادِيرُ

فلما مات الموفق قام المعتضد بأمر الناس في التدبير^(١) مكان أبيه الناصر، وهو الموفق، وخلع جعفر المفوض من ولاية العهد، وقام إسماعيل بن بلبل في الوزارة بعد شغب كثير كان في مدينة السلام، وكان لأبي عبد الله بن أبي الساج وولادته وصيف خطب جليل، وقيد إسماعيل بن بلبل، ووجه أبو العباس إلى عبد الله^(٢) بن سليمان بن وهب فأحضره وخلع عليه ورد إليه أمر كتابه، وذلك في يوم الثلاثاء لثلاث^(٣) بقين من صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين، ولم يزل إسماعيل بن بلبل يعذب بأنواع العذاب، وجعل في عنقه غل فيه رمانة حديد، والغل والرمانة مائة وعشرون رطلا، وألبس جبة صوف قد صيرت في ودك الأكارع، وعلق معه رأس ميت؛ فلم يزل على ذلك حتى مات في جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين ومائتين، ودفن بغلله وقيوده، وأمر المعتضد بضرب جميع الآنية التي كانت في خزائنه، فضربت وفرقت في الجند.

غداة المعتضد
الذي مات
عقبيه

قال المسعودي : وقد كان المعتضد قعد للغداء واصطبغ يوم الاثنين لإحدى عشرة [ليلة] بقيت من رجب [الفرد] سنة تسع وسبعين ومائتين، فلما كان عند العصر قدم الطعام، فقال : يا موشكيره - للموكل به - ما فعلت الرءوس بأرقابها؟ وقد كان قدم من الليل أن يقدم له رءوس حملان^(٤)، وقد فصل فيها أرقابها، فقدمت، وكان معه على المائدة رجل من ندمائه [وسُمَّاه] يعرف بقف الملقم؛ ورجل آخر يعرف بخلف المضحك؛ فأول من ضرب بيده إلى الرءوس الملقم، فانتزع أذن واحد منها، [ولقعه في الرقاق، وغمسها

(١) في ١ « قام المعتضد بالتدبير في أمور الناس »

(٢) في ب « إلى أبي عبد الله بن سليمان بن وهب »

(٣) في ب « ثمان بقين من صفر »

(٤) في ب « رأاه حملين، وقد فصل فيهما أرقابهما »

في الأصباغ ، وأهوى بها إلى فيه ، وأمعن في الأكل [وأما المضحك فإنه يقتلع اللهازم والأعين ، فأكلوا وأكل المعتمد ، وأتموا^(١) يومهم ؛ فأما الملقم صاحب اللقمة الأولى فإنه تهرأ في الليل ، وأما المضحك فإنه مات قبل الصباح ، وأما المعتمد فأصبح ميتاً قد لحق بالقوم .

ودخل إسماعيل بن حماد القاضي إلى المعتضد وعليه السواد ، فسلم عليه بالخلافة ، وكان أول من سلم عليه بها ، وحضر الشهود منهم أبو عوف والحسين بن سالم وغيرهم من العدول حتى أشرفوا على المعتمد ومعهم بدر غلام المعتضد يقول : هل تررن به من بأس أو أثر ؟ مات فجأة ، وقتلته مداومته لشرب النبيذ ، فنظروا إليه فإذا ليس به من أثر ، فغسل وكفن وجعل في تابوت قد أعد له وحمل إلى سامرا فدفن بها .

وذكروا - والله أعلم - أن سبب وفاته أنه سقى نوعاً من السم في شرابهم الذي كانوا يشربونه ، وهو نوع يقال له البيش يحمل من بلاد الهند وجبال الترك والتبت ، وربما وجدوه في سنبل الطيب ، وهو ألوان ثلاثة ، وفيه خواص عجيبة .

وله معتمد أخبار حسان وما كان في أيامه من الكوائن والحوادث مما كان [بخراسان] من حروب الصفار [وغيره ، وما كان من ولد أبي دلف بأرض الجبل ، وما كان من العرب من الطولونية] وما كان بديار بكر من بلاء وأسر وغيرها^(٢) من أحمد بن عيسى ابن الشيخ ، وما كان باليمن ، قد أتينا على مبسوطها وجميع ذلك كله والغرر منه وما حدث في كل سنة من أيامه من الحوادث في كتابينا : « أخبار الزمان » والأوسط ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الكتاب .

(١) في « ورموا برممهم »

(٢) في « من بلاد أسر وغيرها »

ذكر خلافة المعتضد بالله

وبويع أبو العباس أحمد بن طلحة المعتضد بالله ، في اليوم الذي مات فيه
المعتضد على الله [عمه] وهو يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب
سنة تسع وسبعين ومائتين ، وأمه أم ولد رومية يقال لها ضرار^(١) ، وكانت
وفاته يوم الأحد لسبع^(٢) بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين
ومائتين ؛ فكانت خلافته تسع سنين وتسعة أشهر ويومين ، وتوفي بمدينة
السلام وله سبع وأربعون سنة ، وقيل : إنه ولي الخلافة وهو ابن إحدى
وثلاثين سنة ، وتوفي سنة تسع وثمانين - على ما ذكرنا - وله أربعون
سنة وأشهر ، على تباين أصحاب التواريخ في كتبهم ، وما أرخوه
في أيامهم ، والله الموفق .

(١) في ب « يقال لها ضرار »

(٢) في ا « لتسع بقين »

ذکر جمل من أخباره وسیره
ولمع مما كان في أيامه

حال الرعية
في أيامه

ولما أفضت الخِلافة إلى المعتضد بالله سكنت الفتن ، وصلحت البلدان ،
وارتفعت الحروب ، ورخصت الأسعار ، وهدأ الهرج^(١) ، وسالمه كل مخالف ،
وكان مُظَفَّرًا قد دانت له الأمور ، وانفتح له الشرق والغرب ، وأدبل له
[في] أكثر المخالفين عليه والمُنَابِذِينَ له ، وظفر بهارون الشاري .

وكان صاحب المملكة والقيم بأمر الخِلافة بَدْرُ مولاة ، وإليه جميع
المعارف في جميع الآفاق ، وإليه أمر الجيوش وسائر القواد .

مالية الدولة
في عهده

وخلف المعتضد في بيوت الأموال تسعة آلاف ألف دينار ، ومن الورق
أربعين ألف ألف درهم ، ومن الدواب والبغال [والجمازات] والحمير والجمال اثني عشر
ألف رأس ، وكان مع ذلك شحيحا بخيلا ينظر فيما لا ينظر فيه العوام .

تفتيره

وحكى عبد الله بن حمدون - وكان نديمه وخاصته ، وممن كان يأنس به
في خلواته - أنه أمر أن تنقص حشمه^(٢) ومن كان يجري عليه الأنزال^(٣) من
كل رغيف أوقية ، وأن يبتدأ بأمر خزه ؛ لأن للوصائف عدداً من الرغفان
فيها ثلاث لذا وأربع لذا وأكثر من ذلك ، قال ابن حمدون : فتعجبت من
ذلك في أول أمره ، ثم تبينت القصة ؛ فإذا أنه يتوفر من ذلك في كل شهر
مال عظيم ، وتقدم إلى خزانه أن يختار له من الثياب التسترية^(٤) والديبقية
أحسنها لتقطيعها لنفسه .

وكان مع ذلك قليل الرحمة ، كثير الإقدام ، سفاكاً للدماء ، شديد
الرغبة في أن يمثل بمن يقتله .

أنواع
من قسوته

(١) في « وهدأ الهيج » (٢) في ب « ومن كان يجري عليه من الأتراك »

(٣) في ا « السوسية »

وكان إذا غضب على القائد النبيل ، والذي يختصه من غلمانہ أمر أن تحفر له حفيرة [بحضرته] ثم يدلى على رأسه فيها ، ويطرح التراب عليه ، ونصفه الأسفل ظاهر على التراب ، ويداس التراب ، فلا يزال كذلك حتى تخرج روحه من دبره .

وذكر من عذابه أنه كان يأخذ الرجل فيكتف ويُقَيِّد ؛ فيؤخذ القطن فيحشى في أذنه وخيشومه وفمه ، وتوضع المنافخ في دبره حتى ينتفخ ويعظم جسمه ثم يسد الدبر بشيء من القطن ، ثم يفصد ، وقد صار كالجل العظیم ، من العرقين اللذين فوق الحاجبين ، فتخرج النفس من ذلك الموضع ، وربما كان يقام^(١) الرجل في أعلى القصر مجرداً مؤثماً ويرمى بالنشاب حتى يموت .

وآخذ المطامير ، وجعل فيها صنوف العذاب ، وجعل عليها نجاح الحرمي المتولى لعذاب الناس ، ولم يكن له رغبة إلا في النساء والبناء ؛ فإنه أنفق على قصره المعروف بالثرثيا أربعمئة ألف دينار ، وكان طول قصره المعروف بالثرثيا ثلاثة فراسخ .

وأقر عبید الله بن سليمان على وزارته ، فلما مات استوزر القاسم بن عبید الله . وزراؤه وقد كان المعتضد في هذه السنة - وهي سنة تسع وسبعين ومائتين - صلواته العيد ركب يوم الفطر - وهو يوم الاثنين - إلى مصلى آخذة بالقرب من داره ، [فصلى بالناس] وكبر في الركعة الأولى ست تكبيرات ، وفي الآخرة تكبيرة واحدة ، ثم صعد المنبر ، فحصر ولم تسمع له خطبة ؛ ففي ذلك يقول بعض الشعراء :

حصر الإمام ولم يبين خطبة للناس في حل ولا إحرام
ما ذاك إلا من حياء ، لم يكن ما كان من عى ولا إفحام

وفي هذه السنة قدم الحسن بن عبد الله المعروف بابن الجصاص رسولا من مصر لخارويه بن أحمد ، ومعه هدايا كثيرة وأموال جلييلة [وطراراز] ، فوصل

زواجه بنت
خارويه

إلى المعتضد يوم الاثنين لثلاث خلون من شوال ، وخلع عليه وعلى سبعة نفر معه ، ثم سعى في تزويج ابنة خمارويه من عليّ المكتفي ، فقال المعتضد : إنما أراد أن يتشرفَ بنا ، وأنا أزيد في تشريفه ، أنا أتزوجها ، فتزوجها ، وتولى ابن الجصاص أمرها وحمل جهازها ؛ فيقال : إنه حمل معها جوهرًا لم يجتمع مثله عند خليفة قط ؛ فاقتطع ابن الجصاص بعضه ، وأعلم قطر الندي بنت خمارويه أن ما أخذ مُودَع لها عنده إلى وقت حاجتها إليه ؛ فماتت والجوهر عنده ؛ فكان ذلك سبب غناه واستقلاله ، وقد كانت لابن الجصاص محن بعد ذلك في أيام المقتدر ، وما كان من القَبْض عليه ، وما أخذ منه من الأموال بهذا السبب وغيره ، وحمل المعتضد صدق قطر الندي وهو بمدينة بلد إلى أبي الجيش ، وكان الصداق ألف ألف درهم ، وغير ذلك من المتاع والطيب ولطائف الصين والهند والعراق ، وكان مما خص به أبا الجيش في نفسه وحبأه به بَدْرَة من الجواهر المئمن فيها در وياقوت وأنواع من الجوهر ووشاح وتاج وإكليل ، وقيل : قلنسوة ، وكرزن^(١) . وكان وصولهم إلى مصر في رجب سنة ثمانين ومائتين ، وانحدر المعتضد من مدينة بلد والموصل بعد أن حمل ما وصفنا إلى مدينة السلام في الماء .

ابن الجصاص

وحدث أبو سعيد أحمد بن الحسين بن منقذ قال : دخلت يوماً على الحسن^(٢) ابن الجصاص وإذا بين يديه سفظ مبطن بالحرير فيه جوهر قد نظم منه سبج ؛ فرأيت شيئاً حسناً ووقع في نفسي أن عددها يجاوز العشرين ؛ فقلت له : جعلني الله فداك ! كم عدد [ما في] كل سبجة ؟ فقال لي : مائة حبة ، وزن كل حبة كوزن صاحبها لا تزيد ولا تنقص ، وقد عدلت كل سبجة وزن صاحبها ، وإذا بين يديه سبائك ذهب توزن بقَبَّان كما يوزن الحطب ؛ فلما خرجت من عنده تلقاني أبو العيضاء فقال لي : يا أبا سعيد ، على أي حال تركت هذا الرجل ؟

(١) في ب « كردف » (٢) في ب « الحسين بن الجصاص » وهو الصواب ، كما في ابن خلدون في ترجمة ابن المعتز ، وكما في البداية والنهاية لابن كثير (١١/١٥٦) وانظر الترجمة رقم ١١٠ من فوات الوفيات ، والمذكور في الأصل هو ما في ا

فوصفت له ما رأيت ، فقال رافعاً رأسه إلى السماء : اللهم إن كنت لم تُساوِ بيني وبينه في الغنى ، فَساوِ بيني وبينه في العمى ، ثم اندفع يبكي ، فقلت : يا أبا عبيد^(١) الله ، ما شأنك ؟ فقال : لا تنكر ما رأيت مني ، لو رأيت ما رأيت لضعفت ، ثم قال : الحمد لله على هذه الحالة ، وقال : يا أبا سعيد ، ما حمدتُ الله تعالى على العمى إلا في وقتي هذا ؛ فقلت لمن يخبر حال ابن الجصاص : بأي شيء ختم هذا السبح ؟ فقال : بياقوتة حمراء لعل قيمتها أكثر مما تحتها .

وكانت وفاة أبي العيناء سنة اثنتين وثمانين ومائتين بالبصرة في جمادى الآخرة ، وكان يكنى بأبي عبيد الله^(١) ، وكان قد انحدر من مدينة السلام إلى البصرة في زورق فيه ثمانون نفساً في هذه السنة ففرق الزورق ، ولم يتخلص مما كان فيه إلا أبو العيناء ، وكان ضريباً ، تعلقَ بأطراف الزورق فأخرج حياً ، وتلف كل من كان معه ، فبعد أن سلم ودخل البصرة مات .

وكان لأبي العيناء من اللسان وسرعة الجواب والذكاء ما لم يكن عليه أحد من نُظرائه ، وله أخبار حسان وأشعار ملاح مع أبي علي البصير وغيره ، وقد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا .

وحضر مجلس بعض الوزراء ، فتعارضوا حديث بعض البرامكة وكرمهم وما كانوا عليه من الجود ، فقال الوزير لأبي العيناء ، وقد كان أمعنَ في وصفهم وما كانوا عليه من البذل والإفضال : قد أكثرت من ذكرهم ووصفك إياهم ، وإنما هذا من تصنيف الوراقين وتأليف المحسنين ، فقال له أبو العيناء : فلم لا يكذب الوراقون عليك أيها الوزير بالبذل والجود ؟ فأمسك عنه الوزير ، وتعجب الناس من إقدامه عليه .

واستأذن يوماً على الوزير صاعد بن مخلد ، فقال له الحاجب : الوزير مشغول

(١) في ب « يا أبا عبد الله » وهو تحريف ، وانفقت النسختان فيما بعد

بخمسة أسطر على « أبي عبيد الله »

فانتظر ، فلما أبطأ إذنه قال للحاجب : ما صنع الوزير ؟ قال : يصلي ، قال : صدقت لكل جديد لذة ، يعيره بأنه حديث عهد بالإسلام .
وقد كان أبو العيناء دخل على المتوكل في قصره المعروف بالجعفرى ، وذلك في سنة ست وأربعين ومائتين ، فقال له : كيف قولك في دارنا هذه ؟ فقال : إن الناس بنوا الدور في الدنيا ، وأنت بنيت الدنيا في دارك ، فاستحسن ذلك ثم قال له : كيف شربك النبيذ ؟ فقال : أعجز عن قليله ، وأفتضح من كثيره ، فقال له : دَعْ هذا عنك ونادمننا ، فقال : أنا امرؤ محجوب ، والمحجوب تتخطف إشارته ، ويجور قصده ، وينظر منه إلى مالا ينظر إليه ، وكل من في مجالسك يخدمك ، وأنا أحتاج أن أخدم^(١) ، وأخرى لست آمن أن تنظر إلى بعين راضٍ وقلبك غضبان ، أو بعين غضبان وقلبك راضٍ ، ومتى لم أميز بين هاتين هلكت ، فأختار العافية على التعرض للبلاء ، فقال : بلغنا عنك بذاء ، قال : يا أمير المؤمنين ، قد مدح الله تعالى واذم فقال : (نعم العبد إنه أواب) وقال جل ذكره : (هاز مشاء بنميم - الآية) فإن لم يكن البذاء بمنزلة العقرب يلدغ النبي والذي فلا ضير في ذلك ، قال الشاعر :

إذا أنا بالمعروف لم أك صادقاً ولم أشتم النكس اللثيم المذمما
ففيم عرفت الخير والشر باسمه وشق لي الله المسامع والفما ؟
قال : من أين أنت ؟ قال : من البصرة ، قال : ما تقول فيها ؟ قال :
ماؤها أجاج ، وحرها عذاب ، وتطيب في الوقت الذي تطيب فيه جهنم .
وكان وزيره عبيد^(٢) الله بن يحيى بن خاقان واقفاً على رأسه ، قال :
ما تقول في عبيد^(٢) الله بن يحيى بن خاقان ؟ قال : نعم العبد ، منقسم بين
طاعة الله تعالى وخدمتك .

ودخل ميمون بن إبراهيم صاحب ديوان البريد ، فقال له : ما تقول في

(١) في ب « وأنا أحب أن أخدم »

(٢) في ب « عبد الله بن يحيى »

ميمون ؟ قال : يد تسرق ، وأست تضرط ، وهو بمنزلة يهودى قد سرق نصف خزينة ، له إقدام ومعه إحكام ، إحسانه تكلف ، وإساءته طبيعة ، فأضحكه ذلك منه ، ووصله وصرفه .

هدايا الصفار
للمعتضد

وفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين وردت هدايا من قبل عمرو بن الليث الصفار : منها مائة دابة من مهاري خراسان وجهازات^(١) كثيرة وصناديق كثيرة وأربعة آلاف ألف درهم ، وكان معها صنم من صُفر على مثال امرأة لها أربعة أيدي وعليها وشاحان من فضة مُرَصَّعَانِ بالجوهر الأحمر والأبيض ، وبين يدي هذا المثال أصنام صفار لها أبد ووجوه وعليها الحلي والجوهر ، وكان هذا التمثال على عَجَلٍ قد عمل على مقدارها تجره الجوازات^(٢) ؛ فصير بذلك أجمع إلى دار المعتضد ؛ ثم رد هذا التمثال إلى مجلس الشرطة في الجانب الشرقي ؛ فنصب للناس ثلاثة أيام ثم رد إلى دار المعتضد ، وذلك في يوم الخميس لأربع خلون من شهر ربيع الآخر من هذه السنة ؛ فسمت العامة هذا التمثال شغلا ؛ لاشتغالهم عن أعمالهم بالنظر إليه عدة هذه الأيام .

وقد كان عمرو بن الليث قد حمل هذا الصنم من مدن افتتحها من بلاد الهند ومن جبالها مما يلي بلاد بسط ومعبر وبلاد الدوار ، وهي ثغور في هذا الوقت — وهي سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة — مما يليها من الأَكافِر^(٣) والأم المختلفة حَصْرٌ وبدُو ، فمن الحضر بلاد كابل وبلاد باميان^(٤) ، وهي بلاد متصلة ببلاد زابلستان والرخج ، وقد قدمنا فيها سابق من هذا الكتاب في أخبار الأمم الماضية والملوك الغابرة أن زابلستان نعرف ببلاد فيروز بن كبك ملك زابلستان .

وقد كان عيسى بن علي بن ماهان دخل في طلب الخوارج في أيام الرشيد إلى السند وجبالها والقندهار والرخج وزابلستان ، يقتل ويفتح

(١) في ب « وحمارات » (٢) في ب « من الأكابر »

(٣) في ب « وبلاد ماخان »

فتوحا لم يتقدم مثلها في تلك الديار ؛ ففي ذلك يقول الأعمى الشاعر المعروف
بابن العذافر^(١) القمي :

كاد عيسى يكون ذا القرنين بلغ المغربين والمشرقين
لم يدع كابلًا ولا زابلستان فما حولها إلى الرخجين

وقد قدمنا فيما سلف من كتبنا الأخبار عن قلاع فيروز بن كبك الملك
ببلاد زابلستان التي ليس في قلاع العالم على ما ظهر للناس من ذوى العناية
والتنكير ومن أكثر في الأرض المسير أحصن منها ، ولا أمنع ولا أعلى في
الجو ، ولا أكثر عجائب منها ، وذكرنا عجائب تلك الديار إلى بلاد
الطبيين^(٢) وبلاد خراسان واتصالها بسجستان ، وعجائب المشرقين والمغربين
من عامر وغامر ، وما في العامر من الأمم المختلفة الخلق والخلق .

وقد كان أهل البصرة وردوا على المعتضد في مراكب بحرية بيض مشحمة
بالشحم والنورة على ما في بحرهم ، ووفد فيها خلق من خطبائهم ومتكلميهم
وأهل الرياسة والشرف والعلم : منهم أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي ،
وكان مولى آل جُمح من قریش ، وكان ولي القضاء بعد ذلك ، يشكون
إلى المعتضد ما نزل بهم من محن الزمان ، وجذب لحقهم ، وجوز من العمال
اعتورهم ، وألحوا بالصياح والضجيج في مراكبهم في دجلة ، فجلس لهم
المعتضد من وراء حجاب ، وأمر الوزير القاسم بن عبيد الله وغيره من
كتاب الدواوين بالجلوس لهم من حيث يسمع المعتضد خطابهم ، فيقصون
لهم بما يشكونه من حكم الدواوين ، ثم أذن لابصر بين فدخلوا ، وأبو خليفة
في أولهم ، عليهم الطيالة الزرق والأقناع على رؤوسهم ، ذوو عوارض
جميلة وهيئة حسنة ، فاستحسن المعتضد ما رأى منهم ، وكان المبتدئ منهم
بالنطق أبو خايقة ؛ فقال : غمر العامر ، ودثرت الظاهر ، واختلفت العواء ،
وخسفت الجوزاء ، وأناخت علينا المصائب ، واعتورتنا الحن ، وقام كل
رجل منا في ظلمة ، واصطامت الضياع ، وانخفضت القلاع ، فانظر إينا بعين

قدوم
أهل البصرة
على المعتضد

(١) في ب « المعروف بابن القذافي » (٢) في ب « الطبيس »

الإمام ، تستقيم لك الأيام ، وتنقاد لك الأنام ، وإلا فنحن البصريون لا ندفع عن فضيلة ، ولا نتنافس عن جليلة . وسجّع في كلامه ، وأغرق في خطابه ، فقال له الوزير : أحسبك مؤدباً أيها الشيخ ، فقال له : أيها الوزير ، المؤدبون أجلسوك هذا المجلس ، قال له الوزير : كم في خمس من الإبل ؟ قال له أبو خليفة : الخبير سألت ؛ في خمس من الإبل شاة ، وفي العشر شاتان ؛ ثم مضى في وصف فرائض الإبل واصفاً لما يجب فيها ، ذاكراً للتنازع في موضعه منها ؛ ثم شرع في البقر والغنم ، بلسان فصيح وخطاب حسن في إيجاز من خطاب وبيان من الوصف ؛ فبعث المعتضد - وقد أعجبه ما سمع ، وأكثر لذلك من الضحك - مخدام إلى الوزير ، فقال له : اكتب لهم عما يريدون ، وأجبهم إلى ما سألوه ، ولا تصرفهم إلا شاكرين ؛ فهذا شيطان قذف به البحر ، ومثله فليقد^(١) على الملوك .

وكان أبو خليفة لا يتكلف الإعراب ، بل قد صار له كالطبع ، لدوام استعماله إياه من عنفوان حداثة ، وكان ذا محل من الإسناد .

وله أخبار ونوادير حسان قد دونت : منها أن بعض عمال الخراج بالبصرة كان مصروفاً عن عمله ، وأبو خليفة مصروفاً عن قضائه ، فبعث العامل إلى أبي خليفة أن مبرمان النجوى صاحب أبي العباس المبرد قد زارني في هذا اليوم إلى بعض الأنهار والبساتين ، فأتوه مبكرين^(٢) مع من حضرنا من أصحابنا ، وسألوه الحضور معهم ، فجلسوا في سمارية متفككين قد غيروا ظواهر زيهم حتى أتوا نهراً من أنهار البصرة [واستحسنوا بعض البساتين فقدموا إليه وخرجوا إلى الشط وجلسوا تحت النخل على شط النهر] وقدم إليهم ما أحمل معهم من الطعام وكان أيام المبادي^(٣) وهي الأيام التي يُشمر فيها الرطب فيكبسونه في القواصر تمرأ ، وتكون حينئذ البساتين مشحونة بالرجال ممن يعمل في التمر من الأكرّة ، وهم الزراع وغيرهم ؛ فلما أكلوا

(١) في ب « ومثله فليقد على الملوك » محرراً (٢) في ب « متكرين »

(٣) في ا « وكان أيام البري »

قال بعضهم لأبي خليفة غير مكن له خوفاً أن يعرفه مَنْ حضر ممن ذكرنا من الأكرّة والعمال في النخل : أخبرني أطلال الله بقاءك عن قول الله عزوجل : (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا) هذه الواو ماموقعها من الإعراب ؟ قال أبو خليفة : موقعها رفع ، وقوله : « قوا » هو أمر للجماعة من الرجال ، قال له : كيف تقول للواحد من الرجال وللأثنين ؟ قال : يقال للواحد من الرجال : قِ ، وللأثنين : قيا ، وللجماعة : قوا ، قال : كيف تقول للواحدة من النساء وللأثنين منهن وللجماعة منهن ؟ قال أبو خليفة : يقال للواحدة : قِ ، وللأثنين : قيا ، وللجماعة : قين . قال : فأسألك أن تعجل بالعجلة كيف يقال للواحد من الرجال والأثنين والجماعة والواحدة من النساء والأثنين منهن والجماعة منهن ؟ قال أبو خليفة عجلان : قِ قيا قوا قِ قيا قين ، وكان بالقرب منهم جماعة من الأكرّة ، فلما سمعوا ذلك استعظموه ، وقالوا : يا زنادقة ، أنتم تقرءون القرآن بحروف الدجاج ، وعدوا عليهم ^(١) فصفعهم ، فما تخلص أبو خليفة والقوم الذين كانوا معه من أيديهم إلا بعد كد طويل .

وقد أتينا على نوادر أبي خليفة وأخباره ومخاطبته لبغلته حين ألقته وما تكلم به حين دخول اللص إلى داره وغير ذلك في كتابنا الأوسط . وكانت وفاة أبي خليفة بالبصرة في سنة خمس وثلثمائة .

وفي سنة ست وثمانين ومائتين في ربيع الأول نزل المعتضد على آمد، وذلك بعد وفاة أحمد بن عيسى بن الشيخ عبد الرزاق ، وقد تحصن بها ولده محمد بن أحمد بن عيسى بن عبد الرزاق ، فبث جيوشه حولها وحاصرها، فحدث علقمة ابن عبد الرزاق قال : حدثنا رواحة بن عيسى بن عبد الملك، عن شعبة ^(٢) بن شهاب الديشكري ، قال : وجّه بي المعتضد إلى محمد بن أحمد بن عيسى بن الشيخ لآخذ بالحجة عليه، فلما صرت ^(٣) إليه واتصل الخبر بأمر الشريف أرسلت إلى، فقالت:

ابن الشيخ
في آمد

(١) في ب « وغدوا عليهم » بالغين المعجمة (٢) في ب « شعلة بن شهاب »

(٣) في ب « فلما سرت إليه »

يا ابن شهاب ، كيف خَلَفْتَ أمير المؤمنين ؟ قال : فقلت : خَلَفْتُهُ والله ملكاً جَدلاً ، وحكماً عدلاً ، أماراً بالمعروف ، فعالاً للخير ، متعززاً على أهل الباطل ، متذللاً للحق ، لا تأخذه في الله لومة لأثم ، قال : فقالت لي : هو والله أهل لذلك ومستحقه ومستوجبه ، وكيف لا يكون ذلك كذلك وهو ظل الله الممدود على بلاده ، وخليفته المؤمن على عباده ، أعزَّ به دينه ، وأحيا به سنته ، وثبت به شريعته . ثم قالت لي : وكيف رأيت صاحبيناً ؟ تعنى ابن أخيها محمد بن أحمد ، قال : فقلت : رأيت غلاماً حدثاً معجباً قد استحوذ عليه السفهاء فاستمدَّ بآرائهم وأنصت لأقوالهم ، فهم يزخرفون له الكلام ، ويوردونه الندم ، فقالت لي : فهل لك أن ترجع إليه بكتاب فاعلمنا أن نحلَّ ما عقده السفهاء ؟ قال : قلت : أجل ، فكتبتُ إليه كتاباً لطيفاً [حسناً] أجزلت فيه الموعدة ، وأخلصت فيه النصيحة ، وكتبت في آخره هذه الأبيات :

أقبل نصيحة أم قلبها وجمع

عايك ، خوفاً وإشفاقاً ، وقل سَدَدًا

واستعمل الفكر في قولي ؛ فإنك إن

فكَّرت أقيت في قولي لك الرشدًا

ولا تشقُّ رجال في قلوبهم ضغائن تبعث الشنآن والحسدًا

مثل النعاج خمول في بيوتهم حتى إذا أمنوا ألفتهم أسدًا

وداؤ ذلك والأدواء ممكنة وإذ طيببك قد ألقى إليك بدًا

واعط الخليفة ما يرضيه منك، ولا تمنعه مالا ولا أهلا ولا ولدا

واردد أخا يشكر رداً يكون له رداء من سوء لم تشمت به أحداً^(١)

قال : فأخذت الكتاب ، وسرت به إلى محمد بن أحمد ، فلما نظر فيه

(١) وقع هذا البيت في ب هكذا :

واردد أخا يشكر رداً يكون له رداء من سوء لا تشمت به أحداً

(١٦ - مروج الذهب ٤)

رمى به إلى ، ثم قال : يا أخا يشكر ، ما بآراء النساء تُسأس الدول ، ولا بعقولهن يُسأس الملك ، ارجع إلى صاحبك ، فرجعت إلى أمير المؤمنين ؟ فأخبرته الخبر عن حقه^(١) وصدقه ، فقال : وأين كتاب أم الشريف ؟ قال : فأظهرته ، فلما عرض عليه أعجبه شعرها وعقلها ، ثم قال : إني لأرجو أن أشفعها في كثير من القوم ؛ فلما كان في فتح آمد^(٢) ما كان ونزل محمد بن أحمد على الأمان لما عظم القتال وجّه إلى أمير المؤمنين فقال : يا شعله بن شهاب ؛ هل عندكم علم من أم الشريف ؟ قال : قلت : لا والله يا أمير المؤمنين ، قال : أمض مع هذا الخادم فإنك تجدها في جملة نساءها ، قال : فمضيت ، فلما بصرت بي أسفرت عن وجهها وأنشأت تقول :

رَيْبُ الزمانِ وَصَرَفُهُ وَعَتْوُهُ كَشَفَ القناعا

وَأَذَلَ بعد العز منّا الصَّعبَ والبطل الشجاعا

ولقد نصحت فما أطعت ، وكم حرمت بأن أطاعا

فأبى بنا المقـدور إلا أن نُقسَم أو نبـاطا

يا ليت شعري هل ترى يوماً لفرقتنا اجتماعا

قال : ثم بكت وضربت بيدها على الأخرى ، ثم قالت لي : يا [ابن]

شهاب ، كأنني والله كنت أرى ما أرى ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ، قال :

فقلت لها : إن أمير المؤمنين قد وجّهني إليك ، وما ذاك إلا لحسن رأي

منه فيك ، قالت : فهل لك أن توصل إليه كتابي هذا بما فيه ؟ قلت :

نعم ، فكتبت إليه بهذه الأبيات :

قل للخليفة والإمام المرتضى وابن الخلائف من قريش الأبطح^(٣)

بك أصلح الله البلاد وأهلها بعد الفساد ، وطالما لم تصلح

(١) في « على حقه وصدقه » .

(٢) في « كان من فتح آمد ما كان » .

(٣) عجز هذا البيت في ب « رأس الخلائق من قريش الأبطح » .

وتزحزحت بك قبة العز التي لولاك بعد الله لم تنزحزح
وأراك ربك ما تحب فلا ترى مالا يُحِبُّ، فوجد بعفوك واصفح
[يابهجة الدنيا وبذر ملوكها هب ظالمى ومفسدى لمصلح]

قال : فأخذت الكتاب ، وسرت به إلى أمير المؤمنين ، فلما عرضت
عليه الأبيات أعجبه ، وأمر أن يحمل إليها نُحُوتٌ من الثياب وجملة من
المال ، وإلى ابن أخيها محمد بن أحمد مثل ذلك ، وشققها في كثير من
أهلها ممن عظم جرمه واستحق العقوبة عليه .

وكتب المعتضد إلى أحمد بن عبد العزيز بن أبي دُأف بمواقعة رافع
ابن ليث^(١) وذلك في سنة تسع^(٢) وسبعين ومائتين ، فسار أحمد بن
عبد العزيز إلى رافع ، والتقوا بالرى لسبع بقين من ذى القعدة من هذه
السنة ، وأقامت الحرب بينهم أياماً ، ثم كانت على رافع بن ليث^(١) ،
فولى ، وركب أصحاب ابن أبي دُأف أكتافهم ، واستولوا على عسكرهم ،
وكان وصول هذا الخبر إلى بغداد لست خلون من ذى الحجة من
هذه السنة .

وفي سنة ثمانين ومائتين أخذ ببغداد رجل يعرف بمحمد بن الحسن بن
سهل ابن أخى ذى الرياستين الفضل بن سهل ، يلقب بشميلة ، ومعه
عبيد الله بن المهتدى ، ولمحمد بن الحسن بن سهل هذا تصنيفات في أخبار
المبيضة ، وله كتاب مؤلف في أخبار على بن محمد صاحب الزنج على حسب
ما ذكرنا من أمره فيما سلف من هذا الكتاب ، فأقر عليه جماعة من
المستأمنة من عسكر الملوى وأصيب له جرائد فيها أسماء رجال قد أخذ
عليهم البيعة لرجل من آل أبي طالب ، وكانوا قد عزموا على أن يظهروا
ببغداد في يوم بعينه ، ويقتلوا المعتضد^(٣) ، فأدخلوا إلى المعتضد ، فأبى مَنْ
كان مع محمد بن الحسن أن يقرؤا ، وقالوا : أما الرجل الطالبي فإننا

(١) في ب « رافع بن هرثمة » (٢) في ب « سنة سبع وسبعين »

(٣) في ا « ويفتكوا بالمعتضد » .

لا نعرفه ، وقد أخذت علينا البيعة له ولم نره ، وهذا كان الوسطة بيننا وبينه ، يعنون محمد بن الحسن ، فأمر بهم فقتلوا ، واستبقى شميلة طمعاً في أن يدلّه على الطالبي ، وخطى عبيد الله بن المهتدي لعلمه ببراءته ، ثم أراد المعتضد بالله بمحمد بن الحسن بجميع الجهات أن يدلّه على الطالبي الذي أخذ له العهد على الرجال ، فأبى ، وجرى بينه وبين المعتضد خطب طويل ، وكان في مخاطبته للمعتضد أن قال : لو شَوَّيْتَنِي على النار ما زدتك على ما سمعت مني ، ولم أقر على من دعوتُ الناسَ إلى طاعته وأقررت بإمامته ، فاصنع ما أنت له صانع ، فقال له المعتضد : لسنا نعذبك إلا بما ذكرت ، فذكر أنه جعل في حديدة طويلة أدخلت في دبره وأخرجت من فمه وأمسك بأطرافها على نار عظيمة حتى مات بحضرة المعتضد وهو يسبه ويقول فيه العظامم ، والأشهر أنه جعل بين رماح ثلاثة وشُدَّ بأطرافها وكتف وجعل فوق النار من غير أن يماسها وهو في الحياة يدار عليها ويشوي كما تشوي الدجاج وغيرها إلى أن تفرقع جسمه ، وأخرج فصلب بين الجسرين من الجانب الغربي .

محاربة
بني شيبان

وفي هذه السنة كان خروج المعتضد في طلب الأعراب من بني شيبان ، و [قد] كانوا عتوا وأكثروا الفساد ، وأوقع بهم مما يلي الجزيرة والزاب^(١) في الموضع المعروف بوادي الذئاب ، فقتل وأسروا وساق الذراري وسار إلى الموصل .

وفي هذه السنة افتتح أبو عبد^(٢) الله بن أبي الساج المراغة من بلاد أذربيجان ، فقبض على عبد الله بن الحسين^(٣) ، واستصفي أمواله ، ثم أتى عليه بعد ذلك .

فتح عمان

وفي هذه السنة كانت وفاة أحمد بن عبد العزيز بن أبي دؤب .
وفي هذه السنة افتتح أحمد بن ثور عمان ، وكان مسيره إليها من بلاد البحرين ، فواقع الشراة من الأباضية ، وكانوا في نحو من مائتي ألف ، وكان

(١) في ب « والدواب » محرفا .
(٢) في ب « أبو عبيد الله » .
(٣) في ب « عبد الله بن الحسن ، واستبقى أمواله »

إمامهم الصلت بن مالك ببلاد بروى من أرض عمان ؛ وكانت له عليهم ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وحمل كثيراً من رؤوسهم إلى بغداد [فنصبت بالجسر] .
وفيهما دخل المعتضد بغداد منصرفاً من الجزيرة .

[وفي هذه السنة كان دخول عمرو بن الليث نيسابور] .

ابنة ابن
أبي الساج

وفي هذه السنة نقلت ابنة محمد بن أبي الساج إلى بدر غلام المعتضد ؛ وقد أتينا على خبر ابن أبي الساج وما كان من تزويجه ابنته لبدر بحضرة المعتضد ؛ وما كان من خبر ابن أبي الساج ورحلته عن باب خراسان متوجهاً إلى أذربيجان في الكتاب الأوسط .

وفي هذه السنة سار إسماعيل بن أحمد — بعد وفاة أخيه نصر بن أحمد مسير إسماعيل ابن أحمد إلى أرض الترك واستيلائه على إمرة خراسان — إلى أرض الترك ، ففتح المدينة الموصوفة من مدنهم بدار الملك ، وأسر خاتون زوجة الملك ، وأسر خمسة عشر ألفاً من الترك وقتل منهم عشرة آلاف ، ويقال : إن هذا الملك يقال له طنكش^(١) ، وهذا الاسم سمة لكل ملك ملك هذا البلد من ملوكهم ، وأراه من الجنس المعروفين بالخدجية ، وقد أتينا فيما سلف من هذا الكتاب على جمل من أخبار الترك وأجناسهم وأوطانهم ، وكذلك فيما سلف من كتبنا .

وفي سنة إحدى وثمانين ومائتين كانت الحرب بين وصيف خادم ابن أبي الساج وعمرو بن عبدالعزيز ببلاد الجبل ، وكان من أمره ما ذكرنا فيما سلف من كتبنا ، وكان المعتضد خرج في هذه السنة إلى الجبل لأمر بلغته : منها قصة محمد بن زيد العلوي الحسيني^(٢) صاحب بلاد طبرستان ، فولى ولده علياً المكتفى الرى ، وأنزله بها ، وأضاف إليه قزوين ووزنجان^(٣) وأبهر وقم وهمدان ، وانصرف المعتضد إلى بغداد وقد قلد عمرو بن عبدالعزيز إصبهان وكرخ أبي داف

أحداث

وفيهما استأمن إلى المكتفي على كوره ، وسار إلى المعتضد في عدة كثيرة ،
وفيهما سار طفج بن شبيب أبو^(١) الإخشيد صاحب مصر في هذا الوقت - وهو
سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - في عساكر كثيرة من دمشق ، فدخل طرسوس
غازياً وافتتح ملوريه^(٢) مما يلي بلاد برغوث ودرج الزاهب .

وفي هذه السنة نزل المعتضد على حمدان بن حمدون وقد تحصن في القلعة
المعروفة بالصوارة نحو عين الزعفران^(٣) ، وسارع إسحاق بن أيوب العنبري
[إلى طاعة المعتضد ، ودخل في عسكره ، واستأمن الحسين بن حمدان بن حمدون]
ومن كان معه من أصحابه إلى المعتضد ، وقد أتينا على خبر حمدان بن حمدون
وما كان من أمره وصعوده الجبل الجودي وعبوره دجلة وكاتبه النصراني
ودخول عسكر المعتضد ليلاً إلى إسحاق بن أيوب حتى أتى به إلى المعتضد ،
وإخراجه المعتضد لهذه القلعة ، وقد كان حمدان أنفقَ عليها أموالاً جليلاً ،
وهو حمدان بن حمدون بن الحارث بن منصور بن لقمان ، وهو جد أبي محمد
الحسن بن عبد الله الملقب بناصر الدولة في هذا الوقت - وهو سنة اثنتين
وثلاثين وثلثمائة - وما كان من الحسين بن حمدان في طلبه هارون الشاري ،
وما كان من أخذ الحسين بن حمدان إياه ، بعد هذا الموضع فيما يردُّ من
هذا الكتاب .

قال المسعودي : وفي سنة اثنتين وثمانين ومائتين ذبح أبو الجيش خارويه
ابن أحمد بن طولون بدمشق في ذي القعدة ، وقد كان بنى في سفح الجبل
أسفل من دير مروان^(٤) قصراً ، وكان يشرب فيه في تلك الليلة ، وعنده طفج ،
وكان الذي تولى ذلك خادماً من خدمهم ، وأتى بهم على أميال فقتلوا وصلبوا ،
ومنهم من رُمي بالنشاب ، ومنهم من شرح لحمه من أنخازه ومجيزته ، وأكله
السودان من ممالك أبي الجيش .

مقتل
أبي الجيش
خارويه

(١) في ب « طفج بن شيب بن الإخشيد » (٢) في ب « لورية » .
(٣) في ا « نحو عمر الزعفران » (٤) في ا « أسفل دير مروان »

وقد أتينا على أخبار الخدم من السودان والصقالبة والروم والصين، وذلك أن أهل الصين يَخْصُونَ كثيراً من أولادهم كفعل الروم بأولادهم ، وما اجتمع عليه الخصيان من التضاد ، وذلك لما حدث بهم من قطع هذا العضو ، في كتابنا « أخبار الزمان » وما أحدثته الطبيعة فيهم عند ذلك كما قاله الناس فيهم وما ذكروه من الصفات .

وذكر المدائني أن معاوية بن أبي سفيان دخل ذات يوم على امرأته فاخنة - وكانت ذات عقل وحزم - ومعه خصي ، وكانت مكشوفة الرأس ، فلما رأت معه الخصي غطت رأسها ، فقال لها معاوية : إنه خصر ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، أترى المثلة به أحلت له ما حرم الله عليه ؟ فاسترجع معاوية ، وعلم أن الحق ما قالته ، فلم يُدْخِلْ بعد ذلك على حرمة خادماً ، وإن كان كبيراً فانياً^(١) .

وقد تكلم الناس فيهم ، وذكروا الفرق بين المحبوب والمسلوب ، وأنهم رجال مع النساء ونساء مع الرجال ، وهذا خَلْفٌ من الكلام ، وفاسد من المقال ، بل هم رجال ، وليس في عدم عضو من أعضاء الجسد ما يوجب إلحاقهم بما ذكروا ، ولا عدم نبت اللحية محيلاً لهم عما وصفوا ، ومن زعم أنهم بالنساء أشبه فقد أخبر عن تغيير فعل الباري جل وعز ، لأنه خلقهم رجالاً [لنساء] ، وذكرنا ، لا إناثاً ، وليس في الجنابة عليهم ما يقرب أعيانهم ، ويزيل خلق الباري جل وعز [لهم] ، وقد قلنا في علة عدم نبت الآباط في الخدم وما قالته الفلاسفة فيما سلف من كتبنا ، لأن الخادم بطيء لا يوجد لآباطه رائحة ، وهذا من فضائل الخدم .

وَحُمِلَ أَبُو الْجَيْشِ فِي تَابُوتٍ إِلَى مِصْرَ ، وَوَرَدَ الْخَبْرَ بِذَلِكَ إِلَى مِصْرَ [يَوْمَ الْأَحَدِ لِحَمْسِ لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ، وَكَانَ ذَبْحُهُ لِأَيَّامِ بَقِيَّتِ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ ، فَبُوعَ لِابْنِهِ جَيْشٍ - وَكَانَ خَمَارُويهَ بِهِ يَكْنَى - مِنْ الْغَدِيَوْمِ الْاِثْنَيْنِ ، وَآتَى بِأَبِي الْجَيْشِ إِلَى مِصْرَ] ، فَأَخْرَجَ مِنَ التَّابُوتِ ، وَجَعَلَ عَلَى السَّرِيرِ ، وَذَلِكَ عَلَى بَابِ مِصْرَ ، وَخَرَجَ وَلَدُهُ الْأَمِيرُ جَيْشٌ ، وَسَأَرُ الْأَمْرَاءَ وَالْأَوْلِيَاءَ ، فَتَقَدَّمَ الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ^(٢) مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَرُوفِ بِالْعَبْدَانِي وَصَلَى عَلَيْهِ ، وَذَلِكَ فِي اللَّيْلِ .

(١) في « إلا كبيراً فانياً » (٢) في ب « أبو عبيد الله محمد » .

فحكى أبو بشر الدولابي عن أبي عبد الله النجاري^(١) - وكان شيخاً من أهل العراق ، وكان يقرأ في دور آل طولون ومقابرهم - أنه كان في تلك الليلة ممن يقرأ عند القبر ، وقد قدم أبو الجيش ليُدلى في القبر ، ونحن نقرأ جماعة من القراء سبعة سورة الدخان ، فأحدر من السرير ، ودُلِّي في القبر ، وانتهيناً من السورة في هذا الوقت إلى قوله عز وجل : (خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم ، ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الجحيم ، ذق إنك أنت العزيز الكريم) قال : نحفضنا أصواتنا وأدغمنا^(٢) حياء ممن حضر .

من حزم
المعتضد

ومما ذكر من خبر المعتضد وحزمه في الأمور وحيله أنه أطلق من بيت المال لبعض الرسوم في الجند عشر بدر ، فحملت إلى منزل صاحب عطاء الجيش ليصرفها فيهم ، فنقب منزله في تلك الليلة ، وأخذت العشر البدر^(٣) ، فلما أصبح نظر إلى النقب ولم ير المال ، فأمر بإحضار صاحب الحرس ، وكان على الحرس يومئذ مؤنس العجلي^(٤) ، فلما أتاه قال له : إن هذا المال للسلطان والجند ، ومتى لم تأت به أو بالذي نعبه وأخذ المال ألزمك أمير المؤمنين غرمه ، فجد في طلبه ، وطلب اللص الذي جسر على هذا الفعل ، فصار إلى مجلسه ، وأحضر التوابين والشرط ، والتوابون : هم شيوخ أنواع اللصوص الذين قد كبروا وتابوا ، فإذا جرت حادثة علموا من فعل من هي ، فدلو عليه ، وربما يتقاسمون اللصوص ما سرقوه ، فتقدم إليهم في الطلب ، وتهددهم ، وأوعدهم ، وطالبهم ، فتفرق القوم في الدروب والأسواق والغرف والمواخير ودكاكين الرواسين ودور القمار . فما لبثوا أن أحضروا رجلاً نحيفاً ضعيف الجسم رث الكسوة هين^(٥) الحالة فقالوا : يا سيدي هذا صاحب الفعلة وهو غريب من غير هذا البلد ، وأطبق القوم^(٦) كلهم على أنه صاحب النقب ولص المال ، فأقبل عليه مؤنس العجلي^(٤) فقال له : ويلك ! لمن كان معك ؟ ومن أعانك ؟

(٢) في ب « وأدغمنا » .

(١) في ا « البخاري »

(٤) في ا « الفعلى » .

(٣) في ا « العشر بدر » خطأ

(٦) في ا « واتفق القوم كلهم » .

(٥) في ا « بين الحالة »

وأين أصحابك؟ ما أظنك تقدر على عشر بدر و حدك في ليلة ، ما كنتم إلا عشرة وأقل ذلك خمسة ، فأقر [لى] بالمال إن كان مجتمعاً ، وعلى أصحابك إن كان المال قد قسم ، فمأزاده على الإنكار شيئاً ، فأقبل يترفقُ به وبعده أن يشبه ويرزقه وبعظم جائزته ، وبعده بكل جميل على رده والإقرار به ، ويتوعدُّه بكل مكروه [وهو] على ججوده وإنكاره ، فلما غاظه ذلك وأنكره ويئس من إقراره أخذ في عقوبته ومساءلته ، فضر به بالسوط والقلوس والمقارع والدررة على ظهره وبطنه وقفاه ورأسه وأسفل رجليه وكعابه وعضله ، حتى لم يكن للضرب فيه موضع ، وبلغ به ذلك إلى حالة لا يعقل فيها ولا ينطق ، فلم يقر بشيء ، فبلغ ذلك المعتضد ، فأحضر صاحب الجيش ^(١) ، فقال له : ما صنعت في المال ؟ فأخبره الخبر ، فقال له : ويلك !! تأخذ لصا قد سرق من بيت المال عشر بدر فتبلغ به الموت والتلف حتى يهلك الرجل ويضيع المال ، فأين حيل الرجال ؟ [قال : يا أمير المؤمنين ما أعلم الغيب ، ولم تكن لى في أمره حيلة غير ما فعلت ، قال : أحضرنى الرجل] فأتى به وقد حمل في جل ، فوضع بين يديه وقد نزل ، فسأله فأنكر ؛ فقال له : ويلك ! إن مت لم ينفعك ، وإن برئت من هذا الضرب [ونجوت] لم أدعك تصل إليه ، فلك الأمان والضمان على ما تصلح به حالناك ويحمد به أمرك فأبى إلا الإنكار ، فقال : على بأهل الطب ، فأحضروا ، فقال : خذوا هذا الرجل إليكم فعالجوه بأرفق العلاج ، وواظبوا عليه بالمرهم والغذاء والتعاهد ، واجتهدوا أن تبرئوه في أسرع وقت ، فأخذوه إليهم ، وأخرج ما لا مكان المال وأمر بتفريقه على الجند ، فيقال : إنه برىء وصلاح في أيام يسيرة ، ثم واظبوا عليه بالطعام والشراب والوطاء والطيب حتى صحَّ وقوى جسمه وظهر لونه ورجعت إليه نفسه ، ثم ذكر به ، فأمر بإحضاره ، فلما حضر بين يديه سأله عن حاله ، فدعا وشكر ، وقال : أنا بخير ما أبقى الله أمير المؤمنين ، ثم سأله عن المال ، فعاد إلى الإنكار ، فقال له : ويلك ! الاست تخلو من أن تكون أخذته وحدك

(١) في ا « صاحب الحرس » .

كله أو وصل إليك بعضه ، فإن كنت أخذته كله ، فإنك تنفقه في أكل
وشرب ولهو ، ولا أظنك تنفيه قبل موتك ، وإن مت فعليك وزره ،
وإن كنت أخذت بعضه سمحنا لك به ، فأقر [لنا به ، وأقر] على أصحابك ،
فإني أقتلك إن لم تقر ، ولا ينفعك بقاء المال بعدك ، ولا يبالي أصحابك
بقتلك ، ومتى أقررت دفعت إليك عشرة آلاف درهم ، وأخذت لك من
أصحاب الجسر مثل ذلك ، ورسمت من التوابين ، وأجريت لك في كل
شهر عشرة دنانير تكفيك لأكلك وشربك وكسوتك وطيبك ، وتكون
عزيزاً ، وتنجو من القتل ، وتتخلص من الإثم ، فأبى إلا الإنكار ،
فاستحلفه بالله [فحلف] وأظهره مصحفاً [واستحلفه] فحلف عليه ، فقال :
إني سأظهر على المال ، فإن أنا ظهرت عليه بعد هذه اليمين قتلتك ولم
أستبقك ، فأبى إلا الإنكار ، فقال له : فضع يدك على رأسي واحلف
بحياتي ، فوضع يد على رأسه وحلف بحياته أنه ما أخذه وأنه مظلوم
متهم ، وأن التوابين قد تبرءوا به ، فقال له المعتضد : فإن كنت قد كذبت
قتلتك وأنا بريء من دمك ؟ قال : نعم ، فأمر بإحضار ثلاثين أسود ، بحيث
يراهم ويرونه ، وأمرهم أن يتناوبوا في ملازمته ، فأتت عليه أيام وهو قاعد
لا يتكلم [ولا يستند] ولا يستلقي ولا يضطجع ، وكلما خفق خفقةً وُجِيءُ
فكاه وفتح رأسه ، حتى إذا ضعف وقارب التلف أمر بإحضاره ، فأعاد عليه
ما كان خاطبه به واستحلفه بالله وبغير ذلك من الأيمان ، فحلف على ذلك
كله وبما لم يستحلفه به أنه ما أخذ المال ولا يعرف من أخذه ، فقال
المعتضد لمن حضر : قلبي يشهد أنه بريء ، وأن ما يقول حق خفقةً ، وأن
التوابين قد عرفوا صاحبه ، وقد أئمتنا في هذا الرجل ، وسأله أن يجعله في
حِلٍّ ، ففعل ، ثم أمر بإحضار مائدة عليها طعام ، وأحضر بارد الشراب ،
وأمره بالجلوس والأكل والشراب ، فأقبل يأكل ويشرب ، ويحثُّ على
الأكل ، ويلقَم ويعاد الشراب عليه ويكرر ، حتى لم يبق للأكل
والشرب موضع ، ثم أمر ببخور وطيب فبخر وطيب ، وأتى له بحشية

ریش فوطیء له ومهد ، فلما استلقى واستراح وغفا أمر بإزاجه وسرعة إيقاظه ، فحمل من موضعه حتى أقعد بين يديه وفي عينيه الوسن ، فقال له : حدثني كيف صنعت ؟ وكيف نقتبت ؟ ومن أين خرجت ؟ وإلى أين ذهبت بالمال ؟ ومن كان معك ؟ قال : ما كنت إلا وحدي ، وخرجت من النقب الذي دخلت منه ، وكان مقابل الدار حمام له كوم شوك يو قد به ، فأخذت المال ورفعت ذلك الشوك والقماش^(١) والقصب فوضعتة تحته وغطيته ، وهو هنالك ، فأمر برده إلى فراشه ، فردوه وأضجعوه عليه ، ثم أمر بإحضار المال ، فأحضر عن آخره ، وأحضر مؤنس العجلي^(٢) ، وأحضر الوزير والجلساء ، وقد غطي المال بالبساط ناحية من المجلس ، ثم أمر بإيقاظ اللص وقد اكتفى في النوم^(٣) وذهب عنه الوسن ، فقال له بحضرة الجميع مثل قوله الأول ، فوجد وأنكر ، فأمر بكشف البساط ، وقال له : ويحك !! أليس هذا المال ؟ أليس فعلت كذا وكذا ؟ يصف له ما كان حدثه به ، فأسقط في يد اللص ، ثم أمر فقبض على يديه ورجليه وأوثق ، ثم أمر بمنفاخ فنفخ في دبره ، وأتى بقطن فحشى في أذنيه وفمه وخيشومه ، وأقبل بنفخ ، وخلي عن يديه ورجليه من الوثاق ؛ وأمسك بالأيدي وقد صار كأعظم ما يكون من الزقاق المنفوخة ، وقد ورم سائر أعضائه وعظم جسمه ، وعيناه قد امتلأتا وبرزتتا ، فلما كاد أن ينشق أمر بعض الأطباء فضربه في عرقين فوق الحاجبين ، وهما في الجبين ، فأقبلت الريح تخرج منهما مع الدم ولها صوت وصفير إلى أن خمد وتلف ، وكان ذلك أعظم منظر رؤى في ذلك اليوم من العذاب ، وقيل : إن البدر كانت عينا ، وإن عددها كان أكثر مما وصفنا .

(١) في « والعشاش والقصب »

(٢) في « العجلي »

(٣) في « اكتفى بالنوم »

ابن المغازلي
المضحك

وقد كان ببغداد رجل يتكلم على الطريق ، ويقصُّ على الناس بأخبار
ونوادير ومضاحك^(١) ويعرف بابن المغازلي - وكان في نهاية الحدق لا يستطيع
من يراه ويسمع كلامه أن لا يضحك - قال ابن المغازلي : فوقفت يوماً في
خلافة المعتضد على باب الخاصة أضحك وأنادر ؛ فحضر حلقتي بعضُ خدمة
المعتضد ، فأخذت في حكاية الخدم ، فأعجب الخادم بحكايتي ، وأشرف
بنوادري ، ثم انصرف عني ، فلم يلبث أن عاد وأخذ بيدي ، وقال : إني
لما انصرفت عن حلقتك دخلت فوقفت بين يدي المعتضد أمير المؤمنين ،
فذكرت حكايتك وما جرى من نواديرك فاستضحكت ، فرآني أمير
المؤمنين ، فأنكر ذلك مني ، وقال : ويلك !! مالك ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين
على الباب رجل يعرف بابن المغازلي يضحك ويحاكي ، ولا يدع حكاية
أعرابي وتركي ومكي ونجدية ونبطية وزنجية وسندية وخادم إلا حكاها ،
ويخلط ذلك بنوادير تضحك الشكول وتُصبي الحلِيم ، وقد أمرني بإحضارك
ولي نصف جائزتك ، فقلت له وقد طمعت في الجائزة السنية : يا سيدي ،
أنا ضعيف وعلى عيالة ، وقد منَّ الله عليَّ بك فما عليك إن أخذت بعضها
سدسها أو ربعها ، فأبى إلا نصفها ، فطمعت في النصف وقنعت به ؛
فأخذ بيدي وأدخلني عليه ، فسلمت وأحسنتم ، ووقفت في الموضع الذي
أوقفت فيه ، فردَّ عليَّ السلام ، وقد كان ينظر في كتاب ، فلما نظر في
أكثره أطبقه ثم رفع رأسه إليَّ وقال لي : أنت ابن المغازلي ؟ قلت : نعم
يا أمير المؤمنين ، قال : قد بلغني أنك تحكي وتضحك ، وأنت تأتي
بحكايات مجيبة ونوادير طريفة ، قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، الحاجة تفتق
الحيلة ، أجمع بها الناس ، وأتقرب إلى قلوبهم بحكايتها ، أتمس برهم ،
وأعيش بما أناله منهم ، قال : فهات ما عندك ، وخذ في فنك ، فإن
أضحكتني أجزتك بخمسمائة درهم ، وإن لم أضحك فإلى عليك ؟ فقلت للحين^(٢)

(١) في ١ « بأنواع من الأخبار والنوادير والمضاحك »

(٢) في ١ ، ب « للعين والحدلان » وما أثبتناه أدق وأحسن

والخذلان : ما معى إلا قفأى فاصفعه ما أحببت ، وكم شئت ، وبما شئت ، فقال لى : قد أنصفت ، إن ضحكك فلك ما ضمننت ، وإن أنا لم أضحك صفعك بهذا الجراب عشر صفعات ، فقات فى نفسى : ملك لا يصفع إلا بشىء يسير ، وبشىء خفيف هين ، ثم التفت وإذا أنا بجراب آدم ناعم فى زاوية البيت ^(١) ، فقلت فى نفسى : ما أخطأ حزرى ، ولا أخلف ظنى ، وما عسى أن يكون من جراب فيه ریح ، إن أنا أضحكته ربحت ، وإن أنا لم أضحكه فأمر عشر صفعات بجراب منفوخ هين ، ثم أخذت فى النوادر والحكايات والنفاسة والعبارة ، فلم أدع حكاية أعرابى ولا نحوى ولا مُحَنَث ولا قاضٍ ولا زطى ولا نبطى ولا سندی ولا زنجى ولا خادم [ولا تركى] ولا شطارة ولا عيارة ولا نادرة ولا حكاية إلا أحضرتها وأتيت بها ، حتى نفذ جميع ما عندى وتصدع رأسى [وانقطعت وسكت ، وفترت وبردت ، فقال لى : هيه ، هات ما عندك ، وهو مغضب لا يضحك ولا يبتسم] ولم يبق ورائى خادم إلا هرب ، ولا غلام إلا ذهب لما استفزهم الضحك وورد عليهم من الأمر ، فقلت : يا أمير المؤمنين قد نفذ والله مامعى ، وتصدع رأسى ، وذهب معاشى ، ومارأيت قط مثلك ، وما بقيت لى إلا نادرة واحدة ، فقال : هاتها ، فقلت : يا أمير المؤمنين وعدتني أن تصفنى عشرأً وجعلتها مكان الجائزة ، فأسألك أن تضعف الجائزة وتضيف إليها عشرأً ، فأراد أن يضحك فاستمسك ، ثم قال : نفعل ، يا غلام حذ بيده ، فأخذ بيدي ومددت قفأى فصفعت بالجراب صفة ، فكأنما سقط على قفأى قلعة ، وإذا فيه حصى مدور كأنه صنجات ، فصفعت به عشرأً كادت أن تنفصل رقبتي وبنكسر عنقى ، وطنت أذناى ، وقدح الشعاع من عيني ، فلما استوفيت العشرة صيحت : يا سيدى ، نصيحة ، فرفع الصفع عنى بعد أن عزم على إبقاء ما كنت سألته من إضعاف جائزتي ، فقال : ما نصيحتك ؟ فقلت : يا سيدى ، إنه ليس فى الديانة ^(٢) أحسن من الأمانة ، ولا أقبح من الخيانة ، وقد ضمننت

(٢) فى ب « فى الدنيا »

(١) فى ا « فى زاوية المجلس »

للخادم الذي أدخلني عليك نصف الجائزة على قاتلها أو كثرتها ، وأمير المؤمنين
 أطال الله بقاءه بفضله وكرمه قد أضعفها ، فقد استوفيت نصفها ، وبقى لخادمك
 نصفها ، فضحك حتى استلقى ، واستغزاه ما كان قد سمعه مني أولاً ، وتحامل له
 وصبر عليه ، فما زال يضرب بيده ويفحص برجله ويمسك بمراق بطنه ،
 حتى إذا سكن ضحكه ورجعت إليه نفسه قال : على بفلان الخادم ، فأنى به ،
 وكان طوّالاً ، فأمر بصفعه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أى شيء قضيتي (١) ؟
 وأى جناية جنابتي ؟ فقلت له : هذه جائزتي ، وأنت شريكى ، وقد استوفيت
 نصفها ، وبقى نصيبك منها ، فلما أخذ الصفع وطرق قفاه الصافع أقبلت عليه
 أقول له : قلت لك : إني ضعيف مُعِيلٌ وَشَكَّوْتُ إِلَيْكَ الْحَاجَةَ وَالْمَسْكَنَةَ ،
 وأقول لك : يا سيدى ، لا تأخذ نصفها ، لك سدسها ، لك ربعها ، وأنت
 تقول : ما آخذ إلا نصفها ، ولو عدت أن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه
 جوائزهُ صَفَعٌ وَهَبْتَهَا لَكَ كُلِّهَا ، فعاد إلى الضحك من قولى للخادم ،
 وعتابى له ، فلما استوفى صفعه وسكن أمير المؤمنين من ضحكه أخرج من
 تحت تكأته صُرَّةً قد كان أعدها فيها خمسمائة درهم ، ثم قال له وقد أراد
 الانصراف : قِفْ ، هذه كنت أعدتها لك ، فلم يدعك فضولك
 حتى أحضرت لك شريكاً فيها ، ولعلنى كنت أمنعه منها . فقلت :
 يا أمير المؤمنين ، أين الأمانة وقبح الخيانة ؟ ووددت أنك كنت تدفعها
 كلها إليه ، وتصفعه مع العشرة عشرة أخرى ، وتدفع له الخمسمائة درهم ،
 فقسم الدراهم بيننا ، وانصرفنا .

وفى سنة اثنتين وثمانين ومائتين كانت وفاة إسماعيل بن إسحاق القاضي ،
 والحارث بن أبي أسامة (٢) ، وهلال (٣) بن العلاء الرقى .

وفى سنة ثلاث وثمانين ومائتين نزل المعتضد تكريت . وسار الحسين (٤) بن
 حمدان في الأولياء لحرب هارون الشاربي ، فكانت بينهم حرب عظيمة كانت
 حرب هارون الشاربي

(١) في « أى شيء قضيتى »

(٢) في نسخة « أبى أئامة » محرفاً

(٣) في ب « وبلال بن العلاء »

(٤) في ب « الحسن بن حمدان »

للحسين^(١) بن حمدان عليه ، فأتى به المعتضد أسيراً بغير أمان ، ومعه أخوه فدخل المعتضد بغداد ، وقد نُصِبَتْ له القباب ، وزينت له الطرقات ، وَعَبَّأَ المعتضد بالله جيوشه بباب الشماسية أحسن ما يكون من التعبئة وأكمل هيئة ، فاشتقوا بغداد إلى القصر المعروف بالحسني ، ثم خلع المعتضد على الحسين^(١) بن حمدان خِلاًماً شرفه بها ، وطوقه بطوق من ذهب ، وخلع على جماعة من فرسانه ورؤساء أصحابه وأهله ، وشهرهم في الناس كرامة لما كان من فعلهم وحسن بلائهم ، ثم أمر بالشاري فأركب فيلاً وعليه دُرَاعَة ديباج ، وعلى رأسه برنس خز طويل ، وخلفه أخوه على جمل فالج وهو ذوالسنامين ، وعليه دُرَاعَة ديباج وبرنس خز ، وسيرهما^(٢) في أثر الحسين^(١) بن حمدان وأصحابه ، ثم دخل المعتضد في أثره عليه قباء أسود وقانسوة محدودة على فرس صنای^(٣) عن يساره أخوه عبد الله بن الموفق ، وخلفه بدر غلامه ، وأبو القاسم عبید الله بن سليمان بن وهب وزيره وابنه القاسم بن عبید الله ، فأكثر الناسُ الدعاء له ، وتكاثف الناس في منصرفهم من الجانب الشرقي إلى الغربي ، فانخسف بهم كرسى الجسر الأعلى ، وسقط على زورق مملوء ناساً ، ففرق في هذا اليوم نحو من ألف نفس ممن عرف دون من لم يعرف ، واستخرج الناس من دجلة بالكلايب وبالغاصّة ، وارتفع الضجيج ، وكثر الصُراخ من الجانبين جميعاً ، فبينما الناس كذلك إذ أخرج بعض الغاصّة صبيّاً عليه حلي فاخرة من ذهب وجوهر ، فبصر به شيخ من النظارة طرّار ، فجعل يلطم وجهه حتى أدمى أنفه ، ثم تمرغ في التراب ، وأظهر أنه ابنه ، وجعل يقول : يا سيدي ، لم تَمُتْ إذ أخرجوك صحیحاً سوياً لم يأكلك السمك ، ولم تمت ، حبيبي ليتني^(٤) كحلت عيني بك مرة قبل الموت ، وأخذه فحمله على حمار ثم مضى به ، فما برح القوم الذين رأوا من

(١) في ب « الحسن بن حمدان » (٢) في ب « وسيرهم »

(٣) في ب « فرس ضاف » (٤) في ب « إذ كحلت »

الشيخ ما رأوا حتى أقبل رجل معروف باليسار مشهور من التجار حين بلغه الخبر وهو لا يشك إلا أن الصبي في أيديهم ، وليس بهم ما كان عليه من حلى وثياب ، وإنما أراد أن يكفنه ويصلى عليه ويدفنه ، فخبره الناس بالخبر ، فبقي هو ومن معه من التجار متعجبين مبهوتين ، وسألوا عنه واستبحثوا ، فإذا لا عين ولا أثر ، وعرفَ تَوَّابُ هذا الجسر هذا الشيخ المحتال فأبأسوا أبا الغريق منه ، وذكروا أنه شيخ قد أعيام أمره وحيروهم كيدته ، وأنه بلغ من حيله وخبثه ودهائه أنه أتى يوماً من أول الصباح إلى باب بعض العُدُولِ الكبار المشهورين بالرياسة واليسار ومعه جرة فارغة [قد حملها] على عاتقه وفأس وزنبيل ، فقام في ثوب خاقٍ ، ولم يتكلم حتى وضع الفأس في الدكاكين التي على باب ذلك العدلِ فهدمها ، وجعل ينقى الآجر ويعزله ، فسمع ذلك العدل بهدمها ، ووقع الفأس والهدم ، فخرج لينظر فإذا الشيخ دائب يهدم دكاكينه التي على باب داره ، فقال : يا عبد الله ، أى شيء تصنع ؟ ومن أمرك بهذا ؟ فجعل الشيخ يعمل عمله ، ولا يلتفت إلى العدل ، ولا يكلمه ، فاجتمع الجيران وهما في المحاورة ، فأخذوا بيد الشيخ ، فوكزه هذا ، ودفعه هذا ، فالتفت إليهم ، فقال : [مالكم ؟] وبلكم !! أى شيء تريدون مني ؟ أما تستحيون ؟ تعبهون بي وأنا شيخ كبير ؟ ! فقالوا : مالنا والعبت بك ؟ وَيْحَكَ !! مَنْ أمرك بهذا ؟ قال : وَيْحَكُمْ !! أمرني صاحبُ الدار ، فقالوا : هذا صاحب الدار يكلمك ، قال : لا والله ما هو هذا ، فلما سمعوا كلامه وغفلته رحموه ، وقالوا : هذا مجنون أو مخدوع خدعه بعض جيران هذا العدل بمن قد حسده على ما أنعم الله تعالى به عليه ، وهم الذين حملوا هذا الشيخ على هذا الفعل ؛ فلما منعه من الهدم مضى إلى الجرة التي جاء بها - وقد كان وضعها إلى جانب الباب - فأدخل يده فيها كأنه قد خبأ ثيابه بها ، فصرخ وبكى ، فلم يشك العدل أن محتملاً خدعه وأخذ ثيابه ، فقال : وأى شيء

ذهب لك ؟ قال : قميص جديد اشتريته أمس ومِلْحَفَةٌ لبيتي وسَرَاوِيل ، فرقوا له جميعاً ، ودَعَاهُ الْعَدْلُ فَكَسَاهُ وَوَهَبَ لَهُ دَرَاهِمَ كَثِيرَةً ، وَوَهَبَ لَهُ الْجِيرَانُ دَرَاهِمَ كَثِيرَةً ، وَانصَرَفَ غَانِماً ، وَهَذَا الشَّيْخُ كَانَ يُعْرَفُ بِالْعَقَابِ ، وَيَكْنَى بِأَبِي الْبَازِ ، وَلَهُ أَخْبَارٌ عَجِيبَةٌ وَحِيلٌ [لطيفة] وهو الذي احتال للمتوكل ، حين بايعه بختيشوع الطيب أنه إن سرق من داره شيئاً يعرفه في ثلاث ليالٍ ذكرت من ذلك الشهر فعليه أن يحمل إلى خزانة أمير المؤمنين عشرة آلاف دينار ، وإن خرجت هذه الليالي ولم يتم عليه ما ذكرنا فله الضيعة المعين ذكرها في المبايعه ، فأتى بهذا الشيخ في عنفوان شبابه إلى المتوكل ، فضمن للمتوكل أن يأخذ من دار بختيشوع شيئاً لا ينكره ، وقد كان بختيشوع حراس داره وحصنها في هذه الليالي ، فاحتال هذا الشيخ المعروف بالعقاب بحيل لطيفة إلى أن سرق بختيشوع وجعله في صندوق وأتى به المتوكل ، في خبر ظريف ، وأنه رسول لعيسى ابن مريم نزل إلى بختيشوع بشمع أسرجه وتخليط عمله وبنج في طعام اتخذهُ أَطْعَمَهُ لِحِرَاسِ دَارِهِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا ذَلِكَ فِي كِتَابِنَا « أَخْبَارُ الزَّمَانِ » وَهَذَا الشَّيْخُ قَدْ بَرَّزَ فِي مَكَايِدِهِ وَمَا أوردته من حيله على دالة المحتملة وغيرها من سائر المكارين والمحتملين ممن سلف وخلف منهم .

الكيمياء
ولطلاب صنعة الكيمياء من الذهب والفضة وأنواع الجواهر من اللؤلؤ وغيره وصنعة أنواع الإكسيرات من الإكسير المعروف بالفرار وغيره وإقامة الزئبق وصنعة فضة وغير ذلك من خُدَعِهِمْ وَحِيلِهِمْ فِي الْقِرْعِ وَالْمَغْنَطِيسِ (١) والتقطير والتكليس والبواشق والخطب والفحم والمنافع أخبار عجيبة وحيل [في هذا المعنى] قد أتينا على ذكرها ووجوه الخدع فيها وكيفية الاحتيال بها في كتابنا « أخبار الزمان » وما ذكرناه في ذلك من الأشعار ، وما عزوه إلى من سلف من اليونانيين والروم ، مثل قلوبطرة الملكة ، ومارية ، وما ذكره

(١) « الأنبيق » .

خالد بن يزيد بن معاوية في ذلك ، وهو عند أهل هذه الصنعة من المتقدمين
فيهم ، في شعره الذي يقول فيه :

خذ الطلق مع الأشق وما يوجد في الطرق
وشيئاً يشبه البرقا فدبره بلا حرق^(١)
فإن أحببت مولا كما فقد سوذت في الخلق

وقد صنف يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي رسالة في ذلك ،
وجعلها مقالاتين يذكر فيها تعذر فعل الناس لما انفردت الطبيعة بفعله ،
وخدع أهل هذه الصناعة وحيلهم ، وترجم هذه الرسالة بإبطال دعوى
المدعين صنعة الذهب والفضة من غير معادنها ، وقد نقض هذه الرسالة على
الكندي أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الفيلسوف صاحب الكتاب المنصوري
في صناعة الطب الذي هو عشر مقالات ، وأرى القول أن ما ذكره الكندي
فاسد ، وأن ذلك قد يتأتى فعله ، ولأبي بكر بن زكريا في هذا المعنى كتب
قد صنفها ، وأفرد كل واحد منها بنوع من الكلام في هذه الصنعة في الأحجار
المدنية [والشعر] وغير ذلك من كيفية الأعمال ، وهذا باب قد تنازع الناس
فيه من فعل قارون وغيره ، ونحن نعوذ بالله من التهورس فيما يخسف الدماغ ،
ويذهب بنور الأبصار ، ويكسف الألوان من بخار التصعيدات ورائحة
الزاجات وغيرها من الجمادات .

وفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين كان الفداء [بالأسر] بين المسلمين والروم
في شعبان ، وكان بدؤه الثلاثاء ، وفيه كان مسير جيش بن خمارويه بن أحمد
ابن طولون من الشام إلى مصر في جيوشه ، فخالفه طفج بدمشق بعد ذلك .
وفيها خرج عن [عسكر] جيش بن خمارويه خاقان المفلحى وبندقة بن
كجور^(٢) بن كنداج^(٣) فساروا إلى وادي القرى ، ودخلوا مدينة السلام ، فخلع

جيش
ابن خمارويه
وأصحابه

(١) « وشيئاً يشبه البورق » (٢) في ب « نيدقة بن كسحور »

(٣) في ب « وابن كنداج »

عليهم المعتضد ، وفيها كان الشعب بمصر ، وقتل على بن أحمد المارداني أبو محمد^(١) المارداني المقبوض عليه في هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة - بمصر ، وقبض على جيش بن خمارويه ، ونصب أخوه هارون بن خمارويه مكانه ، وكانوا قد نعموا على جيش تقدمه لعلامه نجح المعروف بالطولوني وأخيه سلامة المعروف بالموثمن ، وقد كان أخوه سلامة هذا بعد ذلك صاحب^(٢) جماعة من الخلفاء منهم القاهر والراضي ، وأراه مع المتقى في هذا الوقت ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة .

وفاة
مقدم الرعي

وفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين كانت وفاة أبي عمرو مقدم بن عمرو الرعي بمصر ، ليومين بقياً من شهر رمضان ، وكان من جلة الفقهاء ، ومن كبار أصحاب مالك .

وفيها ولي المعتضد يوسف بن يعقوب القضاء بمدينة السلام ، وخلع عليه ، وانتدبه للجانب الشرقي .

مصادرة
ابن الطيب
السرخسي
ومقتله

وفي هذه السنة - وهي سنة ثلاث وثمانين ومائتين - قبض المعتضد على أحمد بن الطيب بن مروان السرخسي صاحب يعقوب بن إسحاق الكندي ، وسأله إلى بدر غلامه ، ووجه إلى داره من قبض على جميع ماله ، وقرر جواربه على المال حتى استخرجوه ، فكان جملة ما حصل من العين والورق وثمان الآلات خمسين ومائة ألف دينار ، وكان ابن الطيب قد ولي الحسبة ببغداد ، وكان موضعه من الفلسفة لا يُجهد ، وله مصنفات حسان في أنواع من الفلسفة وفنون من الأخبار .

وقد تنازع الناس في كيفية قتله ، والسبب الذي من أجله كان قتل المعتضد إياه ، وقد أتينا على ما قيل في ذلك في كتابنا المترجم بالأوسط ، فأغنى ذلك عن إعادته في ذلك الكتاب .

(١) في ب « وقتل أحمد المارداني بن محمد بن المارداني » .

(٢) في ا « حجب جماعة » .

رافع
ابن هرثمة

ثورة

شبح يتشكل
المعتضد

وفيهما ورد الخبر بقتل عمرو بن الليث لرافع بن هرثمة^(١)
وفي سنة أربع وثمانين ومائتين أدخل إلى بغداد رأس رافع بن هرثمة ،
ثم صلب ساعة من نهار ، ثم رُدَّ إلى دار السلطان .
وفي هذه السنة كان لأهل بغداد ثورة مع السلطان لصياحهم بالخدم
السودان : ياعقيق ، صبماء واطرح دقيق ، ياعاق ، ياطويل الساق ، وذلك
أن الخدم في دار السلطان منهم اجتمعوا فكلموا المعتضد بما يلحقهم في
الأزقة والشوارع والدروب وسائر الطرق من الصغير والكبير من العوام ،
فأمر المعتضد بجماعة من العامة ، فضربوا بالسياط ، فشغب العامة^(٢) لذلك
وفي هذه السنة ظهر للمعتضد شخص في صورٍ مختلفة في داره ، فكان
تارة يظهر في صورة راهب ذي لحية بيضاء وعليه لباس الرهبان ، وتارة يظهر
شاباً حسن الوجه ذا لحية سوداء بغير تلك البزة ، وتارة يظهر شيخاً أبيض
اللحية ببزة التجار ، وتارة يظهر بيده سيف مسلول ، وضرب بعض الخدم
فقتله ، فكانت الأبواب تؤخذ وتغلق فيظهر له أين كان في بيت أو صحن
أو غيره ، وكان يظهر له في أعلى الدار التي بناها ، فأكثر الناس القول
في ذلك ، واستفاض الأمر ، واشتهر في خواص الناس وعوامهم ، وسارت به
الركبان ، وانتشرت به الأخبار والقول في ذلك على حسب ما كان يقع
لكل واحد منهم ، فمن قائل : إن شيطاناً مريداً صمد له يظهر فيؤذبه ،
ومنهم من يقول : إن بعض مؤمنى الجن رأى ما هو عليه من المنكر وسفك
الدماء فظهر له رادعاً وعن المنكر زاجراً ، ومنهم من رأى أن ذلك بعض
خدمه كان قد هوى بعض جواريه قاحتال بحيلة فلسفية من بعض العقاقير
الخاصة فيضعها في فمه فلا يدرك بحاسة البصر ، وكل ذلك ظن وحسبان ،

(١) في ب « قتل عمرو بن الليث ورافع بن هرثمة » .

(٢) في ب « فتشعب العامة » .

فأحضر المعتضد المعزمين ، واشتدَّ قلقه ، واستوحش ، وجاز عليه أمره ، فقتل وغرق جماعة من خدمه وجواريه ، وضرب وحبس جماعة منهم ، وقد أتينا على الخبر في ذلك وما حكى عن أفلاطون في هذا المعنى ، وعلى خبر شغب^(١) أم المقتدر بالله والسبب الذي من أجله حبسها المعتضد وأراد قطع أنفها والتشويه بها في كتابنا « أخبار الزمان » .

وفي هذه السنة وَرَدَ الخبر بقتل أبي الليث الحارث بن عبد العزيز بن أبي دُلْفٍ بسيفه لنفسه في الحرب ، وذلك أن سيفه كان على عاتقه مشهوراً فكبابه فرسه فذبحه سيفه ، فأخذ عيسى النوشري رأسه وأنفذه إلى بغداد .
وفي سنة خمس وثمانين ومائتين وقع صالح بن مدرك الطائي في نهبان وسنيس وغيرهم من طيء بالحاج ، وعلى الحاج جيء^(٢) الكبير ، وكانت لجيء^(٢) مع صالح ومن معه من الطائيين^(٣) حرب عظيمة في الموضع المعروف بقاع الأجر ، وتشوش الحاج وأخذهم السيف ، فمات عطشا وقتلا خلائق من الحاج ، وأصاب جيء^(٢) ضربات كثيرة ، وكانت العرب ترتجز في ذلك اليوم وتقول :

ما إن رأى الناس كيوم الأجر الناس صرعى والقبور تحفر
وأخذ من الناس نحو من ألفي ألف دينار .

وفاة إبراهيم
ابن محمد
الحربي الفقيه

وفي هذه السنة — وهي سنة خمس وثمانين ومائتين — كانت وفاة أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفقيه المحدث في الجانب الغربي ، وله خمس وثمانون سنة ، وكانت [وقاته] يوم الاثنين لسبع بقين من ذى الحجة ، ودفن مما يلي باب الأنبار وشارع السكبش والأسد ، وكان صدوقا عالما فصيحاً جواداً عفيفاً ، وكان زاهداً عابداً ناسكاً ، وكان — مع ما وصفنا من زهده وعبادته — ضاحك السن ، ظريف الطبع ، سلس القياد ، ولم

(١) في ب « سعب » بالسين والعين المهملتين .

(٢) في ب « يحيي الكبير » (٣) في ب « الطالبيين »

يكن معه تجبر ولا تكبر ، وربما مزح مع أصدقائه بما يستحسن منه ،
ويُستقبح من غيره ، وكان شيخ البغداديين في وقته ، وظهر يفهم ، وناسكهم ،
وزاهدهم ، ومسندهم في الحديث ، وكان يتفقه لأهل العراق ، وكان له
مجلس يوم الجمعة في المسجد الجامع الغربي .

وأخبرنا أبو إسحاق [إبراهيم] بن جابر قال : كنت أجلس يوم الجمعة
في حلقة إبراهيم الحربي ، وكان يجلس إلينا غلامان في نهاية الحسن والجمال
من الصورة والبزّة من أبناء التجار من الكرخيين ، وبزّتهما واحدة ،
كأنهما روحان في جسد ، إن قاما قاما معاً ، وإن قعدا قعدا معاً ، فلما كان
في بعض الجمع حضر أحدهما وقد بان الاصفرار بوجهه والانكسار في عينيه ،
فتوسمت أن غيبة الآخر لعلة [و] قد لحق الحاضر من أجل ذلك الانكسار ،
فلما كان الجمعة الثانية حضر الغائب ولم يحضر الذي كان في الجمعة الأولى ،
منهما ، وإذا الصفرة والانكسار بين في لونه ونشاطه ، فعلمت أن ذلك
للفراق [الواقع] بينهما ، ولأجل الألفة الجامعة لهما ، فلم يزالا يتسابقان في كل
جمعة إلى الحلقة ، فأيهما سبق صاحبه إلى الحلقة لم يجلس الآخر ، فصح عندي
ما كان تقدم في نفسي جواز كونه ، فلما كان في بعض الجمع حضر أحدهما
فجلس إلينا ، وجاء الآخر فأشرف على الحلقة ، فإذا صاحبه قد سبق ، وإذا
المسبوق المطلع إلى الحلقة قد خنفته العبرة ، فتبينت ذلك في حال يق عينيه ، وإذا
في يسراه رفاع صغار مكتوبة فقبض بيمينه رقعة من تلك الرفاع وحذف بها في
وسط الحلقة ، وانساب بين الناس ماراً مستحياً ، وأنا أرمقه ببصري ، وكذلك
جماعة ممن كان جالساً في الحلقة ، وكان إلى جانبي علي اليمين أبو عبد الله على
ابن الحسين بن حوثة^(١) ، وذلك في عنفوان الشباب وأوان الحدائث ، فوقعت
الرقعة بين يدي إبراهيم الحربي ، فقبض عليها ونشرها وقرأها ، وكان من شأنه
فعل ذلك إذا وقعت في يده رقعة فيها دعاء أن يدعو لصاحبها مريضاً كان أو غير

(١) في ب « ابن جويرة »

ذلك ، ويؤمنُ على دعائه من حضر ، فلما قرأ الرقعة أقبل يتأمل ما فيها تأملاً شافياً لأنه رأى ملقياً ، ثم قال : اللهم اجمع بينهما ، وألف بين قلوبهما ، واجعل ذلك مما يقرب منك ويُرِفُ لديك ، وأمنوا على دعائه كما جرت العادة منهم بفعله ، ثم أدرج الرقعة بسببته وإبهامه وحذفتي بها ، فتأمات ما فيها ، وقد كنت مستظلاً نحوها لتبين الملقى لها ، فإذا فيها مكتوب :

عَفَا اللهُ عَنْ عَبْدِ أَعَانَ بِدَعْوَةِ لِخَلِيلَيْنِ كَانَا دَائِمِينَ عَلَى الْوَدِّ إِلَى أَنْ وَشَى وَاشَى الْهَوَى بِنَعِيمَةٍ إِلَى ذَلِكَ مِنْ هَذَا فَخَالَا عَنِ الْعَهْدِ فَكَانَتِ الرَّقْعَةُ مَعِيَ فَلَمَّا كَانَتِ الْجُمُعَةُ الثَّانِيَةَ حَضَرَا مَعًا وَإِذَا الْأَصْفَرَارُ وَالْانْكَسَارُ قَدْ زَالَا [عَنْهُمَا] ، فَقُلْتُ لِابْنِ حَوْثِرَةَ ^(١) : إِنْ لَأَرَى الدَّعْوَةَ قَدْ سَبَقَتْ لَهَا بِالْإِجَابَةِ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى ، وَإِنْ دَعَاءُ الشَّيْخِ كَانَ عَلَى التَّمَامِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ؛ فَلَمَّا كَانَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ كُنْتُ مِمَّنْ حَجَّ فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمَا بَيْنَ مَنِيَّ وَعُرْفَاتٍ مُحْرَمِينَ جَمِيعًا ، فَلَمْ أَزَلْ أَرَاهُمَا مَتَّالِفَيْنِ إِلَى أَنْ كَهَلَا ، وَأَرَى أَنَّهُمَا فِي صَفِّ أَصْحَابِ الدِّيْبَاجِ فِي الْكَرْخِ ، أَوْ غَيْرِهِ مِنَ الصَّفُوفِ .

إبراهيم
ابن جابر
القاضي

قال المسعودي : وهذا الخبر سمعته من إبراهيم بن جابر القاضي قبل ولايته القضاء ، وهو يومئذ ببغداد يعالج الفقر ، ويتلقاه من خالقه بالرضا ، ناصراً للفقر على الغنى ، فما مضت أيام حتى لقيته بحلب من بلاد قنسرين ^(٢) والعواصم من أرض الشام ، وذلك في سنة تسع وثلثمائة ، وإذا هو بالضد عما عهدته ، متولياً القضاء على ما وصفنا ، ناصراً ومشرفاً للغنى على الفقر ، فقلت له : أيها القاضي ، تلك الحكاية التي كنت تحكيها عن الوالي الذي كان بالري ، وأنه قال لك : إن الخواطر اعترضتني بين منازل الفقراء والأغنياء ، فرأيت في النوم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال لي : يا فلان ؛ ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء شكراً لله تعالى وأحسن ^(٣) من ذلك تعزز الفقراء على الأغنياء ثقة بالله تعالى ، فقال لي : إن الخلق تحت

(١) في ب « لأبي جويرة » (٢) في ا « من جند قنسرين والعواصم »

(٣) أعتقد أنه سقط من الاصول هنا « فقلت له : وأحسن من ذلك - » إلخ

التدبير لا ينفكون من أحكامه في جميع متصرفاتهم ، وكنت كثيراً ما أسمعه
 فيما وصفنا من حال فقره يذمُّ ذوى الحرص على الدنيا ، ويذكر في ذلك خبراً
 عن علي كرم الله وجهه - وهو أن علياً عليه السلام كان يقول : ابن آدم ،
 لا تتحمل همَّ يومك الذي لم يأتِ على يومك الذي أنت فيه ؛ فإنه إن يكن من
 أجلك يأت الله فيه برزقك ، واعلم أنك لن تكتسب شيئاً فوق قوتك إلا
 كنت خازناً فيه لغيرك - فركب بعد ذلك الهاليج من الخيل .

ولقد أخبرت أنه قطع لزوجته أربعين ثوباً تسترياً وقصباً وأشباه ذلك
 من الثياب على مقراض واحد ، وخافَ مالا عظيماً لغيره .

وفى هذه السنة - وهي سنة خمس وثمانين ومائتين - كانت وفاة أبي العباس

محمد بن يزيد النحوي المعروف بالبرد ، ليلة الاثنين لليلتين بقيتا من ذى الحجة ،

وله تسع وسبعون سنة ، ودفن بمقابر باب الكوفة من الجانب الغربي بمدينة السلام

وفى سنة ست وثمانين ومائتين مات محمد بن يونس الكوفي المحدث ، ويكنى

بأبي العباس ، يوم الخميس للنصف من جمادى الآخرة ، وله مائة سنة وست

سنين ، ودفن بمقابر [باب] الكوفة من الجانب الغربي ، وكان على الإسناد .

وفى هذه السنة كان الفرعُ من أبي سعيد الجنابي ^(١) بالبصرة ومن معه

بالبحرين خوفاً من أن يكبسها ، وكتب الوثائق - وهو أحمد بن محمد ،

وكان على حربها - إلى المعتضد بذلك ، فأطلق لسورها أربعة عشر ألف

دينار فبنيت وحصنت .

وفى هذه السنة ظفر أبو الأغر خليفة بن المبارك السلمي بصالح بن مدرك

الطائي بناحية فيدمكرافي ذهابهم إلى مكة ، وقد كانت الأعراب جمعت

لأبي الأغر ليستنقذوا صالحاً من يده ، فواقعهم وقتل رئيسهم جحش بن ذيبال ^(٢)

وجماعة معه ، وأخذ رأسه ، فلما علم صالح بن مدرك بقتل جحش بن ذيبال بثس

من الخلاص من يد أبي الأغر ، فلما نزل المنزل المعروف بمنزلة القرشي أتاهم غلام

(١) في ب « أبي سعيد الجنابي » محرفاً

(٢) في ا « جحيش بن ذيبال »

بطعام فاستلب منه سكيناً وقتل نفسه، فأخذ أبو الأغر رأسه وأظهره بالمدينة ، فتباشر الحاج ، وكانت لأبي الأغر في رجوعه وقعة عظيمة اجتمع هو ونحوه ونحوه وغيرهما من أسراء قوافل الحاج مع الأعراب ، وكانت الأعراب قد اجتمعت وتحشدت من طيء وأحلافها ، فكانت رجالاتها نحواً من ثلاثة آلاف راجل ، والخيل نحواً من ذلك ، فكانت الحرب بينهم ثلاثاً ، وذلك بين معدان^(١) القرشي والحاجر ، ثم انهزمت الأعراب وسلم الناس ، وكان ممن تولى مع أبي الأغر الحيلة على صالح بن مدرك سعيد بن عبد الأعلى . ودخل أبو الأغر مدينة السلام وقدّاهه رأس صالح وجحش ورأس غلام لصالح أسود ، وأربعة أسارى ، وهم بنو عم صالح بن مدرك ، فخلع السلطان في ذلك اليوم على أبي الأغر ، وطوّقه بطوق من ذهب ، ونصب الرءوس على الجسر من الجانب الغربي ، وأدخل الأسارى المطبق .

أحداث

وفي هذه السنة مات إسحاق بن أيوب العبدي^(٢) وكان على حرب ديار ربيعة . وفيها شخص العباس بن عمر الغنوي إلى البصرة لحرب القرامطة بالبحرين . وفي هذه السنة كانت الحرب بين إسماعيل بن أحمد وعمر وبن الليث صاحب بلخ^(٣) فأسر عمرو ، وقد أتينا على كيفية أسره في الكتاب الأوسط . وفي [رجب من هذه السنة ، وهي] سنة سبع وثمانين ومائتين كان خروج العباس بن عمرو من البصرة في جيش عظيم ومعه خلق من المطوعة نحو هجر ، فالتقى هو وأبو سعيد الجنابي^(٤) ، فكانت بينهم وقائع انهزم فيها أصحاب العباس ، وأسر وقتل من أصحابه نحو سبعمائة صبراً ، دون من هلك من الرمل والعطش ، فأحرقت الشمس أجسادهم ؛ ثم إن أبا سعيد منّ على العباس بن عمرو بعد ذلك فأطلقه فصار إلى المعتضد فخلع عليه ، وبعد هذه الواقعة افتتح أبو سعيد مدينة هجر بعد حصار طويل ، وقد أتينا على مبسوط هذه الحروب والسبب الذي من أجله كانت تخلية أبي سعيد العباس بن

(٢) في ب « العبدي »

(١) في ا « معدن القرش »

(٤) في ب « الجبائي »

(٣) في ا « بناحية بلخ »

عمر و الغنوي [في كتابنا الأوسط ، وما كان من أمر العباس بن عمرو]
مع مَنْ بالبحرين من قومه وعصبتهم له .
وفي هذه السنة - وهي سنة سبع وثمانين ومائتين - كان مسير الداعي
العلوي من طبرستان إلى بلد جرجان في جيوش كثيرة من الديلم وغيرهم ،
فلقيته جيوش المسودة من قبل إسماعيل بن أحمد ، وعليها محمد بن هارون ،
فكانت وقعة لم ير مثلها في ذلك العصر ، وصبر الفريقان جميعاً ، وكانت
للبيضة على المسودة ، ثم كانت مكيدة من محمد بن هارون لما رأى من ثبوت
الديلم على مصافحها ، فلم ينقض صفوفه ، وولى ، فأسرعت الديلم ونقضت
صفوفها ، فرجعت عليهم المسودة ، وأخذهم السيف ، فقتل منهم بشر كثير
وأصاب الداعي ضربات ، وذلك أن أصحابه لما نقضوا صفوفهم في الغنيمة
ولم يعرجوا عليه ثبت مع من وقف لنصره ، ففكرت عليهم الجيوش ،
فأسفرت الحرب وقد أثنى بالكلوم ، وأسر ولده زيد بن محمد بن زيد
وغيره ، وبقي محمد الداعي أياماً يسيرة ، وتوفي لما ناله ، فدفن بباب جرجان
وقبره هناك معظم إلى هذه الغاية . .

وقد أتينا على خبره بطبرستان وغيرها وما كان من سيرته ، وخبر بكر
ابن عبد العزيز بن أبي دلف حين دخل إليه مستأمناً في كتابنا « أخبار
الزمان » وكذلك ذكرنا خبر يحيى بن الحسين الحسنى الرسي باليمن ، وتظافره
هو وأبو سعد ابن يعفر على ما كان من جروبهم باليمن مع القرامطة ،
وما كان من أمرهم مع علي بن الفضل صاحب المذبحرة^(١) ، وما كان من قصته
وخبر وفاته ، وقصة شيخ لاعة صاحب قلعة نحل ، وخبر ولده إلى هذا الوقت
بها - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - ونزول يحيى بن الحسين الرسي مدينة
صعدة من بلاد اليمن ، وخبر ولده أبي القاسم ، وخبر ولد ولده إلى هذه الغاية
وإنما نذكر في هذا الكتاب لمعاً منبهين على ما قدمنا من تصنيفنا مما بسطناه
من أخبار من ذكرناه وشرحنا من قصصهم وسيرهم وما كان منهم .

(١) في ب « صاحب المذبحرة »

المعتضد
ووصيف
الخدام

وفي هذه السنة - وهي سنة ثمان وثمانين ومائتين - كان دخول المعتضد إلى الثغر الشامي في طلب وصيف الخادم، وراسله مع رشيق المعروف بالخزاعي، واستأمن إلى المعتضد وصيف البكتمرى^(١) وغيره من القواد قواد الخادم، وأصحابه، وقد كان وصيف الخادم لما أخذ الأكر من أصحابه أراد الدخول إلى أرض الروم والتعلق بالدروب، وقد كان المعتضد أسرع في السير من بغداد وسيراً أخباره ولم يعلم بذلك وصيف مع شدة حذره وتفقده لأمره، حتى عبر المعتضد الفرات وسار إلى الشام، فلم يُفلح جسد المعتضد لذلك لما أتعب نفسه في سرعة السير، وقد كان المعتضد لما توسط الثغر الشامي خلف سواده بالكنيسة السوداء، ووجد القواد في طلب وصيف، فساروا في طلبه خمسة عشر ميلاً إلى أن أدركه أوائل الخيل وفيهم خاقان المفلحجي ووصيف موشكين وعلى كورة وغيرهم من القواد، فقاتلهم وصيف، وذلك في الموضع المعروف بدرب الجب، فلما أشرف المعتضد ووصيف قد خذله أصحابه وتفرق عنه جمعه أسر وأتى به المعتضد، فسلمه إلى مؤنس الخادم^(٢)، وأمن جميع أصحابه إلا نفرًا انضافوا إليه من الثغر الشامي وغيره وأحرق المعتضد المراكب الحربية، وحمل من طرسوس أبا إسحاق إمام الجامع، وأبا عمير عدي بن أحمد بن عبد الباقي صاحب مدينة أذنة من الثغر الشامي وغيرهم من البحرين مثل البغيل^(٣) وابنه، وكان دخول المعتضد إلى مدينة السلام في مساء لسبع خلون من صفر سنة ثمان وثمانين ومائتين، ودخل جعفر بن المعتضد وهو المقتدر، وبدر الكبير وسائر الجيش على الظهر، وقد زينت الطرق، وبين أيديهم وصيف الخادم على جمل فالجوع عليه دراعة ديباج وبرنس، وخلفه على جمل آخر البغيل^(٣)، وخلف البغيل^(٣) ابنه على جمل آخر، وخلف ابن البغيل^(٣) على جمل

(١) في ب « وصيف اليشكري »

(٢) في ب « مؤنس العجلي » محرفاً، وانظر ص ٢٤٨ و ٢٥١ .

(٣) في ب « من البحرين مثل إسماعيل وابنه » مع اتفاق الأصلين على ذكر

« البغيل » في كل ما يأتي .

آخر رجل من أهل الشام يعرف بابن المهندس ، وقد لبسوا الدراريح من الحرير الأحمر والأصفر ، وعلى رؤوسهم البرانس ، وطُوقَ وسُورَ خاقان المفلحى وغيره من القواد ممن أُبلى في ذلك اليوم الذى كان فيه أسر وصيف الخادم ، وقد كان المعتضد أراد استحياء وصيف [الخادم] وأسف على موت مثله لشهامته وشجاعته وحسن حيله وإقدامه ، ثم قال : ليس فى طبع هذا الخادم أن يرأسه أحد ، بل فى طبعه أن يرؤس [فى] نفسه ؛ وقد كان بعث إليه بعد أن قبض عليه وأوثق بالحديد : هل لك من شهوة ؟ قال : نعم ، باقة من الريحان أشمها ، وكتب من سير الملوك الغابرة أنظر فيها ، فلما رجع الرسول إلى المعتضد وأخبره [بما سأله أمره بما طلب ، وأمر من يراعى نظره فى الكتب ، فى أى فصل ينظر ؟ فأخبر] أنه يديم النظر فى سير الملوك وحروبها ومحنها ، دون سائر ما حمل إلى حضرته من الدفاتر ، فتعجب المعتضد وقال : هو يهون على نفسه الموت .

وفى هذه السنة كانت وفاة أبى عبيد الله محمد بن أبى الساج بأذربيجان ، ابن أبى الساج فاختلفت كلمة أصحابه وغلمانهم بعده ؛ فمنهم من انحاز إلى أخيه يوسف بن أبى الساج ، ومنهم من انحاز إلى ولده بودار^(١) .

بشر بن موسى المحدث [وفى هذه السنة — وهى سنة ثمان وثمانين ومائتين — كانت وفاة أبى على بشر بن موسى بن صالح بن صبيح بن عمير ، المحدث ، وله ثمان وسبعون سنة ، ودفن فى الجانب الغربى بمقابر باب التين] .

عمرو بن الليث وفى هذه السنة أدخل عمرو بن الليث إلى مدينة السلام فى جمادى الأولى ، قدم به عبد الله بن الفتح رسول السلطان ، فشهرو عمرو ، وأركب على جمل فالج وقد ألبس دراعة ديباج وخلفه بدر والوزير القاسم بن عبيد الله فى الجيش ، فأتوا به الثريا ، فراه المعتضد ، ثم أدخل المطامير ، وقد كان فى هذا الوقت ثارت عساكر

(١) فى ا « إلى ولده ديوداد » وفى نسخة « بوادر » .

الشاكريّة من قبل طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث غضباً لجده عمرو ، ولحقته ببلاد الأهواز ، وخرجت عن حدود فارس ، واضطرب الأمر ، وبعث المعتضد بعبد الله بن الفتح وأشناس^(١) إلى إسماعيل بن أحمد ومعهما هدايا ، منها : مائة بدنة ديباج ، منسوجة بالذهب ، مرصعة بالجواهر ، ومنطقة ذهب مرصعة بالجواهر ، وغير ذلك من الجواهر ، وثلاثمائة ألف دينار ليفرقها في أصحابه ، ويبعثهم إلى بلاد سجستان إلى حرب طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث ، وأمر عبد الله بن الفتح أن يحمل في طريقه من خراج ما يجتاز به من بلاد الجبل عشرة آلاف ألف درهم ، ويضيفها إلى الثلاثمائة ألف دينار ، وسار بدر غلام المعتضد بالله في عساكره إلى بلاد فارس من هذه السنة ، فنزل شيراز ، وانكشف عن البلد الشاكريّة^(٢).

وفي أول يوم من المحرم - وهو يوم الثلاثاء من سنة تسع وثمانين ومائتين - وفاة وصيف الخادم توفي وصيف الخادم ، فأخرج وصلب على الجسر بدنأ بالرأس ، وقد كان الخدم سألوا المعتضد أن يستر عورته ، فأباح لهم ذلك ، فألبس ثياباً ، ولف عليه ثوب جديد ، وخيط على مكان الثياب من سرتة إلى الركبتين ، وطلّى بدنه بالصبر وغيره من الأطلية القابضة والماسكة لأجزاء جسمه ، فأقام مصلوباً على الجسر لا يبلى إلى سنة ثلاثمائة في خلافة المقتدر بالله .

وفي هذه السنة شغب الجند^(٣) والعامّة ، فعمدت العامّة إليه تماجناً وخطوه من فوق الخشبة ، وقالوا : قد وجب علينا حق الأستاذ أبي علي وصيف الخادم لطول مجاورته لنا وصبره علينا ، ولا يبلى على هذه الخشبة ، فلفوه في رداء بعضهم ، وحملوه على أكتافهم ، وهم نحو من مائة ألف من الناس : يرقصون ويفنون ويصيحون حوله : الأستاذ ، الأستاذ ، فلما ضجروا من ذلك طرحوه في دجلة

(١) في ب « واستأمن إلى إسماعيل بن أحمد »

(٢) في ب « اليشكريّة » (٣) في ب « تشعب الجند والعامّة »

[ففرق في ذلك اليوم منهم قوم في دجلة] وذلك أنهم شيعوه في الماء سباحة ،
ففرق منهم في جرية الماء خلق كثير .

أبو الفوارس
القرمطي
وفي هذه السنة أتى بجماعة من القرامطة من ناحية الكوفة ، منهم
المعروف بأبي الفوارس^(١) [فأدخلوا على الجمل ، فأمر المعتض بالله بقتل
أبي الفوارس]^(١) بعد أن قطعت يده ورجلاه ، وصاب إلى جانب وصيف
الخدوم ، ثم حول إلى ناحية الكنائس^(٢) مما يلي الياسرية من الجانب
الغربي ، فصاب مع قرامطة هناك .

وقد كان لأهل بغداد في قتل أبي الفوارس^(١) هذا أراجيف كثيرة ،
وذلك أنه لما قدّم ليضرب عنقه أشاعت العامة أنه قال لمن حضر قتله من
العوام : هذه عمامتي تكون قبلك ، فإني راجع بعد أربعين يوماً ، فكان
يجتمع في كل يوم خلائق من العوام تحت خشبته ويحصون الأيام ويقتلون
ويتناظرون في الطرق في ذلك ، فلما تمت الأربعون يوماً - وقد كان كثير
لفظهم ، واجتمعوا ، فكان بعضهم يقول : هذا جسده ، ويقول آخر :
قد مرّ ، وإنما السلطان قتل رجلاً آخر وصلبه موضعه لكي لا يفتن
الناس - فكثير تنازع الناس في ذلك حتى نودي بتفريقهم ، فترك التنازع
والخوض فيه .

المعتضد
والطالبيون
وكان ورد مال من محمد بن زيد من بلاد طبرستان ليفرق في آل أبي طالب
سيراً ، فغمز بذلك إلى المعتضد ، فأحضر الرجل الذي كان يحمل المال
إليهم ، فأنكر عليه إخفاء ذلك ، وأمره بإظهاره ، وقرب آل أبي طالب .
وكان السبب في ذلك قرب النسب ، ولما أخبرنا به أبو الحسن محمد بن
عليّ الوراق الأنطاكي ، الفقيه المعروف بابن الغنوي بأنطاكية ، قال :

(١) في « بابن أبي القوس » وسقط من ب ما وضع بين المعقوفين بعدها

(٢) في ب « الكنائس مما يلي الناشرية »

أخبرني محمد بن يحيى بن أبي عباد الجليس ، قال : رأى المعتضد بالله وهو في سجن أبيه كأن شيخاً جالساً على دجلة ، يمدُّ يدهُ إلى ماء دجلة ، فيصير في يده وتجفُّ دجلة ، ثم يردُّه من يده ، فتعود دجلة كما كانت ، قال : فسألت عنه ، فقيل لي : هذا علي بن أبي طالب عليه السلام ! قال : فقامت إليه وسألت عليه ، فقال : يا أحمد ، إن هذا الأمر صائر إليك ، فلا تتعرض لولدي ، ولا تؤذهم ، فقلت : السمع والطاعة يا أمير المؤمنين .

وغمَّ الناسَ تأخرُ الخراج عنهم ، وكان إنعام المعتضد عليهم ، فقالت الشعراء في ذلك وأكثرت ، ووصفت في أشعارها ذلك وأطنبت ، [فمن وصف] فأحسن يحيى بن علي المنجم ، فقال :

يا مُجَيَّ الشرف اللبَابُ وَجَدَّ الملك الخراب
ومعيد رُكن الدين فينا ثابتاً بعد اضطراب
فَتَّ الملوك مـبرزاً فَوَّت المبرز في الحِلَاب
أستعد بنـيروز جمعت الشكر فيه إلى الثواب
قدمت في تَأخِيرِ مَا قَد قَدَّمُوهُ إِلَى الصَّوَاب

وقوله :

يَوْمَ نِيرُوزِكَ يَوْمَ وَاحِدٍ لَا يَتَأَخَّرُ
مِنْ حَزِيرَانِ يُوَافِي أَبَدًا فِي أَحَدِ عَشْرٍ

وكان وصول قطر الندى بنت خمارويه إلى مدينة السلام مع ابن الجصاص في ذي الحجة سنة إحدى وثمانين ومائتين ؛ ففي ذلك يقول علي بن العباس الرومي :

يا سيد العرب الذي زُفَّتْ له باليمن والبركات سيدة العجم
أستعد بها كسعودها بك ، إنها ظفرت بما فوق المطالب والهمم
ظفرت بِمَلَأَى نَاظِرِيهَا بِهِجَةً وضميرها نُبْلًا ، وَكَفَيْهَا كَرَمَ
شمس الضحى زفت إلى بدر الدجى فتكشفت بهما عن الدنيا الظلم

وصول
قطر الندى
المعتضد

ولما دخل عمرو بن الليث مدينة السلام من المصلى العتيق رافعاً يديه
يدعو وهو على جبل فالج ، وهو ذو السنامين ، وكان أنفذهُ إلى المعتضد في
هدايا تَقَدَّمت له قبل أسره ، فقال في ذلك الحسن بن محمد بن فهم (١) :

ألم ترَ هذا لدهر كيف صرُوفه يَكُونُ عَسيراً مَرَّةً وَيَسيراً
وَحَسْبُكَ بِالصَّفَارِ نُبْلاً وَعِزَّةً يروح وَيَغْدُو فِي الجِيوشِ أَميراً
حَبَاهُمْ بِأَجْمَالٍ ، ولم يَدْرِ أَنَّهُ عَلَى جَمَلٍ مِنْهَا يُقَادُ أُسيراً
وفي ذلك يقول محمد بن بَسَّام :

أَيُّهَا الْمُفْتَرُّ بالدنيا أما أبصرت عمراً
مُقْبِلاً قد أركب الفالج بعد الملك قسراً
وعليه بُرُوسُ السَّخَطَةِ إِذْ لَاحَ وَقَهْرًا
رافعا كَفَيْهِ يَدْعُو اللهُ إِسْرَاراً وَجَهْرًا
أن ينجيه من القَتْلِ وأن يعمل صفرًا

ولما [ظَهَرَ] قتل محمد بن هارون لمحمد بن زيد العلوي أظهر المعتضد
لذلك النكير والحزن ، تأسفاً على قتله .

وكانت وفاة نصر بن أحمد صاحب ما وراء نهر بلخ في أيام المعتضد ،
وذلك في سنة تسع وثمانين ومائتين ، وصار الأمر إلى أخيه إسماعيل بن أحمد .
وكانت وفاة أحمد بن أبي طاهر الكاتب صاحب كتاب «أخبار بغداد»
سنة ثمانين ومائتين .

وفاة جماعة
من الأعيان

وفيها كانت وفاة أحمد بن محمد القاضي الذي يحدث .
وفي سنة إحدى وثمانين ومائتين كانت وفاة أبي بكر عبد الله بن محمد
ابن أبي الدنيا القرشي مؤدب المكتفي بالله ، في المحرم ، وهو صاحب
الكتب المصنفة في الزهد وغيره .

(١) في ب « الحسن بن محمد بن مهر »

وفي سنة اثنتين وثمانين ومائتين كانت وفاة أبي سهل محمد بن أحمد الرازي [القاضي] المحدث .

وإنما نذكر وفاة هؤلاء لدخولهم في التاريخ ، وتحمّل الناس العلم عنهم من الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكانت وفاة عبيد الله بن شريك المحدث في سنة خمس وثمانين ومائتين ببغداد .

وفيها [كانت] وفاة بكر بن عبد العزيز بن أبي دلف بطبرستان .

وفيها مات محمد بن الحسين الجنيد^(١) .

وفي سنة ثمان وثمانين ومائتين مات أبو علي بشر [بن موسى بن صالح ابن شيخ] بن عميرة البغدادي^(٢) ، [وكانت وفاة أبيه أبي محمد موسى بن صالح بن شيخ بن عميرة الأسدي في سنة سبع وخمسين ومائتين في خلافة المعتضد على الله] ، وله نيف وتسعون سنة ، وقبض ولده وهو ابن تسع وتسعين سنة .

وفيها مات أبو المثنى معاذ بن المثنى بن معاذ العنبري^(٣) في أيام المعتضد .

قال المسعودي : وقد ذكرنا من اشتهر من الفقهاء والمحدثين وغيرهم من أهل الآراء والأدب في كتابينا « أخبار الزمان » و « الأوسط » وإنما نذكر في هذا الكتاب لمعاً ملوّحين على ما سلف .

وكانت وفاة المعتضد لأربع ساعات خلت من ليلة الاثنين لثمان بقين من وفاة المعتضد ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين ، في قصره المعروف بالحسني ، بمدينة السلام ، وقيل : إن وفاته كانت بسم إسماعيل بن بلبل قبل قتله إياه ، فكان يسري في جسده ، ومنهم من ذكر أن جسده تحلل في مسيره في طلب

(١) في ب « محمد بن الحسين بن الجنيد » .

(٢) في ب هنا « الأسدي » وسقط منها ما بين المعقوفين من أسماء آباءه

(٣) في ب « العبدى »

وصيف الخادم على ما ذكرنا ، ومنهم مَنْ رأى أن بعض جواريه سمّته
 في منديل أعطته إياه يتنشّف به ، وقيل غير ذلك مما عنه أعرضنا .
 وقد كان أوصى أن يُدفنَ في دار محمد بن عبد الله بن طاهر ، في الجانب
 الغربي من الدار المعروفة بدار الرخام ، فلما اعتراه الغشي ووقع الموت
 شكّوا في وفاته ، فتقدم الطبيب إلى بعض أعضائه فجسه فأحس به وهو
 على ما به من السكرات ، فأنف من ذلك ورَّكَّله برجله فقلبه أذرعاً ،
 فيقال : إن الطبيب مات منها ، ومات المعتضد من ساعته ، وسمع ضجة وهو
 على ما به من الحال ، ففتح عينيه ، وأشار بيديه كالمستفهم ، فقال له مؤنس
 الخادم : يا سيدي ، الغلمان قد ضجوا عند القاسم بن عبيد الله ، فأطلقنا لهم
 العطاء ، فقَطَّب وهمهم في سكرته ، فكادت أنفُسُ الجماعة أن تخرج من
 هَيْبته ، وحمل إلى دار محمد بن عبد الله بن طاهر ، فدفن بها^(١) .
 قال للمسعودي : وللمعتضد أخبار وسير وحروب ومسير في الأرض
 غير ما ذكرنا ، قد أتينا على ذكرها وَالغُرَر من مبسوطها في كتابنا
 « أخبار الزمان » و « الأوسط » .

(١) في « ا » فدفن فيها »

ذكر خلافة المكتفي بالله

وبوبع المكتفي بالله - وهو على بن أحمد المعتضد - بمدينة السلام ، في
اليوم الذي كانت فيه وفاة أبيه المعتضد ، وهو يوم الاثنين لثمان بقين من
شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين ، وأخذ له البيعة القاسم بن
عبيد الله ، والمكتفي يومئذ بالرقعة ، وللمكتفي يومئذ نيف وعشرون سنة ،
ويكنى بأبي محمد ، فكان وصول المكتفي إلى مدينة السلام [من الرقة]
يوم الاثنين لسبع ليال بقين من جمادى الأولى سنة تسع وثمانين ومائتين ،
وكان دخوله في الماء ، ونزل قصر الحسيني على دجلة ، وكانت وفاته يوم
الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين
وهو يومئذ ابن إحدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر ، فكانت خلافته ست
سنين وسبعة أشهر واثنين وعشرين يوماً ، وقيل : ست سنين وستة أشهر
وسبعة عشر يوماً ، على تباين الناس في تواريخهم ، والله أعلم .

ذكر جمل من أخباره وسيره

ولم يمتد ما كان في أيامه

اسم علي
في الخلفاء

رد المظالم
إلى أهلها

ولم يتقلد الخلافةَ إلى هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - من خلافة المتقي بالله من اسمه علي إلا علي بن أبي طالب والمكثفي .
ولما نزل المكثفي قصر الحسن في اليوم الذي كان [فيه] دخوله إلى مدينة السلام خلع علي القاسم بن عبيد الله ، ولم يخلع علي أحد من القواد ، وأمر بهدم المطامير التي كان المعتضد أخذها لعذاب الناس ، وإطلاق من كان محبوبا فيها ، وأمر برد المنازل التي كان المعتضد أخذها لموضع المطامير إلى أهلها ، وفرق فيهم أموالا ، فمالت قلوب الرعية إليه ، وكثر الداعي له بهذا السبب .

غلب عليه
جماعة

وغلب عليه القاسم بن عبيد الله وفاتك مولاه ، ثم غلب عليه بعد وفاة القاسم [بن عبيد الله] وزيره العباس بن الحسن^(١) وفاتك ، وقد كان القاسم ابن عبيد الله أوقع بمحمد بن غالب الأصبهاني ، وكان يتقلد ديوان الرسائل وكان ذا علم ومعرفة ، وأوقع بمحمد بن بشار^(٢) وابن منارة لشيء بلغه عنهم^(٣) ، فأوثقهم بالحديد ، وأحدرهم^(٤) إلى البصرة ، فيقال : إنهم غرقوا في الطريق ، ولم يعرف لهم خبر إلى هذه الغاية ؛ ففي ذلك يقول علي بن بسام :

عذرتك في قتلك المسلمين وقلنا : عداوة أهل الملل

فهذا المناري ما ذنبه ودينكما واحدا لم يزل

وقد كانت الحال انفرحت بين القاسم بن عبيد الله وبدر قبل هذا الوقت ، فلما استخلف المكثفي أغراه القاسم ببدر ، وكان ميل جماعة من القواد عن^(٤) بدر

إيقاعه ببدر

(١) في ب « العباس بن الحسين » (٢) في ب « بمحمد بن يسار »

(٣) في ا « بلغه عنهما .. وأحدرهما .. إنهما غرقا .. لهما »

(٤) في ب « إلى بدر »

فساروا إلى حضرة السلطان ، وسار بدر إلى واسط ، فأخرج القاسم المكتفي إلى نهر ذبال^(١) ، فعسكر هنالك ، وجعل في نفس المكتفي من بدر كل حالة يقدر عليها من الشر ، وأغراهُ به ، فأحضر القاسم أبا حازم القاضي وكان ذا علم ودراية^(٢) فأمره عن أمير المؤمنين بالمسير إلى بدر فيأخذ له الأمان ويحيى به معه ويضمن له عن أمير المؤمنين ما أحبَّ ، فقال أبو حازم : ما كنت أبلغُ عن أمير المؤمنين رسالة لم أسمعها منه ، فلما امتنع عليه أحضر أبا عمرو [محمد] بن يوسف القاضي فأرسل به إلى بدر في شذاء^(٣) ، فأعطاه الأمان [والعهود] والمواثيق عن المكتفي ، وضمن له أن لا يسلمه عن يده إلا عن رؤية أمير المؤمنين ، فخلى عسكره ، وجلس معه في الشذاء^(٣) مُضْعِدِينَ فلما انتهوا إلى ناحية المدائن والسبب تلقاه جماعة من الخدم^(٤) فأحاطوا بالشذاء ، وتنحى أبو عمرو عنه إلى طيار فركب فيه ، وقرب بدر إلى الشط ، وسألهم أن يصلي ركعتين ، وذلك في يوم الجمعة لست خلون من شهر رمضان سنة تسع وثمانين ومائتين قبل^(٥) الزوال [من ذلك اليوم] ، فأمهلوه للصلاة ، فلما كان في الركعة الثانية قطعت عنقه ، وأخذ رأسه فحمل إلى المكتفي ، فلما وضع الرأس بين يدي المكتفي سجد وقال : الآن ذقت طعم الحياة ولذة الخلافة .

ودخل المكتفي إلى مدينة السلام يوم الأحد لثمان خلون من شهر رمضان ؛ ففي محمد بن يوسف القاضي يقول بعض الشعراء في ضمانه لبدر العهود والمواثيق عن المكتفي :

قل لقاضي مدينة المنصور بيم أحلت أخذ رأس الأمير ؟

بعد إعطائه المواثيق والعهود وعقد الأمان في منشور^(٦)

أين أيمانك التي يشهد الله على أنها يمين فُجُورٍ ؟

أين تأكيدك الطلاق ثلاثاً ليس فيهن نية التخير ؟

(١) في نسخة «نهر ذبال» (٢) في «علم وديانه» (٣) في ب «في سر»

(٤) في ب «جماعه بالحدز» (٥) في «وقت الزوال» (٦) في ب «في مسطور»

أن كَفَيْكَ لا تفارق كَفَيْهِ إلى أن ترى مَلِيكَ السِّرير
 يا قليل الحياء يا أ كذب الأمة يا شاهداً شهادة زور
 ليس هذا فعل القضاة ، ولا نُحْسِنُ أمثاله ولاية الجسور
 قد مضى من قتلت في رمضان راعياً بعد سَجْدَةِ التكبير
 أي ذنب أتيت في الجمعة الزهراء في خير خير خير الشهر ؟
 فأعدّ الجواب للحكم العا دل من بعد منكر ونكير
 يا بني يوسف بن يعقوب أضحى أهل بغداد منكم في غرور
 شئت الله شملكم ، وأراني بكم الذل بعد ذل الوزير
 أنتم كلكم فداء أبي حا زم المستقيم كل الأمم —
 قالوا : وكان بدر حراً ، وهو بدر بن خير^(١) من موالى المتوكل ، وكان

منزلة بدر

بدر في خدمة ناشيء غلام الموفق صاحب ركابه ، ثم اتصل بالمعتضد ، وقرب
 من قلبه وخفّ بين يديه في أيام الموفق ، وكان للمعتضد غلام يقال له فاتك ،
 وكان من أعلى غلماناه ، فبعد من قلبه ، وانحطت مرتبته ، وكان السبب في
 ذلك أن المعتضد غضب على بعض جواريه فأمر ببيعها ، ففسّ فاتك من
 ابتاعها له ، فكان السبب في إبعاده من قلب المعتضد عند نمو ذلك إليه ،
 وزاد أمر بدر ، وعلت مرتبته ، حتى كان يلتمس الحوائج به من المعتضد ،
 وكانت الشعراء تقرن مدح بدر بمدح المعتضد ، وكذلك من خاطبه فيما
 عدا المنظوم من الكلام .

قال المسعودي : وأخبرني أبو بكر محمد بن يحيى الصولي النديم الشطرنجي
 بمدينة السلام ، قال : كان لي وعد على المعتضد ، فما ظفرت به حتى عملت
 قصيدة ذكرت فيها بدرأ أولها :
 أيها الهاجر مزحاً لا مجد أجزاءه الود أن يُلقَى بصد ؟

(١) في « بدر بن خر »

لأمير المؤمنين — بين المعتضد
وأبو النجم لمن يقصده
قد مضى الفطر إلى الأضحى وقد
ما اقتضائي الوعد أن لست على
غير أن النفس تهوى عاجلا
وسوا أعطى كريم أو وعد
قال: فضجك وأمر بما وعدني به .

وأخبرنا محمد بن النديم بمدينة السلام ، قال : سمعت المعتضد يقول :
أنا آنف من هبة القليل ، ولا أرى الدنيا لو كانت لي أموالها وجمعت
عندي تفي بقدر جودي ، والناس يزعمون أني بخيل ، أترام لا يعلمون أني
جعلت أبا النجم بيني وبينهم أعرف ما مبلغ ما ينفقه يوماً [فيوماً] لو كنت
بخيلاً ما أطلقت ذلك له .

وأخبرنا أبو الحسن علي بن محمد^(٢) الفقيه الوراق الأنطاكي بمدينة
أنطاكية قال : أخبرني إبراهيم بن محمد الكاتب ، عن يحيى بن علي المنجم
النديم ، قال : كنت يوماً بين يدي المعتضد وهو مقطب ، فأقبل بدر ، فلما
راه من بعيد ضحك وقال لي : يا يحيى ، من الذي يقول من الشعراء :
في وجهه شافع يمحو إساءته من القلوب وجيهه حيثما شفعاً
فقلت : يقوله الحكم بن قنبرة^(٣) المارني [البصري] ، فقال : لله دره !
أنشدني هذا الشعر ، فأنشدته :

وَيْلِي عَلَى مَنْ أَطَارَ النُّومَ فامتنعاً
كأنما الشمس في أعطافه لمعت
مستقبل بالذي يهوى ، وإن كثرت
في وجهه شافع يمحو إساءته
وزاد قلبي على أوجاعه وجمعاً
حسيناً ، أو البدر من أزراره طلعا
منه الذنوب ، ومعه نور بما صنعنا
من القلوب وجيهه حيثما شفعنا

(١) في « ما اقتضى في الوعد بأن لست على »

(٢) في ب « محمد بن علي » (٣) في ب « الحكم بن مرة »

قال : وأخذ قوله :

* أو البدر من أزراره طلعا *

أحمد بن يحيى بن العراف الكوفي فقال :

بدا وكأنما قمر على أزراره طلعا

يحت المسك من عرق الجبين بنانه ولعا

وفي سنة تسع وثمانين ومائتين ظهر القرمطي بالشام ، وكان من حروبه مع طنج وعساكر المصريين ما قد اشتهر خبره ، وقد أتينا على ذكره فيما سلف [من كتبنا] وما كان من خروج المكتفي إلى الرقة وأخذ القرامطة^(١) وذلك في سنة إحدى وتسعين ومائتين ، وكذلك ما كان من ذكرويه بن مبرويه^(٢) ووقوعه بالحاج في سنة أربع وتسعين ومائتين إلى أن قتل وأدخل إلى مدينة السلام .

ظهور
القرمطي
بالشام

قال المسعودي : وكان فداء الغدر في ذي القعدة من سنة اثنتين وتسعين ومائتين باللامس^(٣) بعد أن فادوا بجماعة من المسلمين والروم ، ثم إن الروم غدروا بعد ذلك ، وكان فداء التمام باللامس بين الروم والمسلمين على التمام في شوال من سنة خمس وتسعين ومائتين ، والأمير في الفداءين جميعاً رستم وكان على الثغور الشامية ، فكان عدة من فدى به من المسلمين في فداء ابن طغان^(٤) في سنة ثلاث وثمانين ومائتين - على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب من ذكره - ألفي نفس وأربعمائة وخمسة وتسعين نفساً من ذكر وأثني ، وكان عدة من فدى به من المسلمين في الغدر ألفاً ومائة وأربعاً وخمسين نفساً ، وعدد من فدى به في فداء التمام ألفين وثمانمائة واثنين وأربعين نفساً .

فداء الغدر
وفداء التمام

ومات المكتفي وقد خلف في بيوت الأموال [من العين] ثمانية آلاف ألف دينار ومن الورق خمسة وعشرين ألف درهم ومن الدواب والبغال والجزارات

مالية الدولة

(١) في « وأخذ القرمطي » (٢) في ب « ذكرويه بن مبرويه »
(٣) في ب « بالآمنين » (٤) في ب « ابن طغان »

وغيرها تسعة آلاف رأس ، وكان مع ذلك بخيلاً ضيقاً .

وأخبرنا أبو الحسن أحمد بن يحيى المنجم المعروف بابن النديم ، وكان من حذاق أهل النظر والبحث وأهل الرياسة من أهل التوحيد والعدل ، وفي أخيه^(١) علي بن يحيى يقول أبو هفان :

لِرَبِيعِ الزمانِ في الحَوْلِ وقتِ وابنِ يحيى في كلِّ وقتِ رَبِيعُ
رَجُلٌ عنده المكارمِ سَوْقٌ يَشْتَرِي دَهْرَهُ ونحن نبيعُ

وظيفته
من الطعام

قال : وكانت وظيفة المكتفى بالله عشرة ألوان في كل يوم ، وجدى^١ في كل جمعة ، وثلاث جامات حلواء ، وكان يردد عليه الحلواء ، ووكّل على مائدته بعض خدمه ، وأمره أن يحصى ما فضل من الخبز ، فما كان من المكسر عزله للثريد ، وما كان من الصحاح رُدًّا إلى مائدته من الغد ، وكذلك كان يفعل بالبوارد^(٢) والحلواء .

وأمر أن يتخذ له قصر بناحية الشماسية بإزاء قطربل ، فأخذ بهذا السبب ضياعاً كثيرة ومزارع كانت في تلك النواحي بغير ثمن من ملاً كها ، فكثرت الداعي عليه ، فلم يستقم ذلك البناء حتى توفي ، وكان هذا الفعل مشاكلاً لفعل أبيه المعتضد^(٣) في بناء المطامير .

وكان وزيره القاسم بن عبيد الله عظيم الهيبة ، شديد الإقدام ، سفاكاً للدماء ، وكان الكبير والصغير على رعب [وخوف] منه ، لا يعرف أحد منهم لنفسه نعمة معه .

وكانت وفاته عشية الأربعاء لعشر خلون من ربيع الآخر سنة إحدى وتسعين ومائتين ، وله نيف وثلاثون سنة ؛ ففي ذلك يقول بعض أهل الأدب ، وأراه عبد الله بن الحسن بن سعد :

شربنا عَشِيَّةً مات الوزير ونشرب يا قوم في ثالثه
فلا قدسَ الله تلك العظامَ ولا بركَ الله في وارثه

(١) في ب « وفي ابنه علي بن يحيى » (٢) في ب « بالنوادر »

(٣) في ا « مشاكلاً لما فعله أبوه المعتضد »

مقتل
عبد الواحد
ابن الموفق

وكان ممن قتل القاسم بن عبيد الله عبد الواحد بن الموفق ، وكان معتقلا عند مؤنس [الفحل] فبعث إليه حتى أخذ برأسه ، وذلك في أيام المكتفي ، وقد كان المعتضد يُعزّزه ويميل إليه ميلا شديداً ، ولم يكن لعبد الواحد همة في خلافة ولا سمو إلى رياسة ، بل كان همته في اللعب مع الأحداث ، وقد كان المكتفي أخبر عنه أنه راسل عدة من غلمانہ الخاصة ، فوكل به مَنْ يراعى خبره وما يظهر من قوله إذا أخذ الشراب منه ، فسمع منه وقد طرب وهو ينشد شعر العتابي حيث يقول :

تلوم على ترك الغنى باهائية	طوى الدهر عنها من طريف وتالد
رأت حولها النسوان يمشين خلصة	مقلمة أجياؤها بالقلائد
أسرّك أنى نلت مانال جعفر	من الملك أو مانال يحيى بن خالد
وأن أمير المؤمنين أغصني	مغصهما بالمرهفات البوارد
ذريتي تجنني ميتتي مطمئنة	ولم أنجشم هول تلك الموارد
فإن نفيسات الأمور مشوبة	بمستودعات في بطون الأسود
وإن الذي يسمو إلى درك العلا	ملقى بأسباب الردى والمكايد

فقال له بعض ندمائه وقد أخذ منه الشراب : يا سيدي ، أين أنت عما

تمثل به يزيد بن المهلب :

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجِدْ حياةً لنفسى مثل أن أتقدماً

فقال له عبد الواحد : مه ، لقد أخطأت الغرض ، وأخطأ ابن المهلب ، وأخطأ قائل هذا البيت ، وأصاب أبو فرعون التميمي حيث يقول ، قال

النديم : حيث يقول ماذا ؟ قال :

وما بي شيء في الوغى غير أنني أخاف على فخارتي أن تحطماً
ولو كنت مُبتاعاً من السوق مثلها لدى الروع ما باليت أن أتقدماً
فلما انتهى ذلك إلى المكتفي ضحك ، وقال : قد قلت للقاسم ليس عمي

عبدُ الواحد ممن تسمو همته إليها ، هذا قول من ليس له همة غير فرجه وجوفه وأمرد يعانقه وكلاب يهارش بها وكباش يفاطح بها وديوك يقاتل بها ، أطلقوا لعمى كذا وكذا ، فلم يزل القاسم بعبد الواحد حتى قتله .
وقد كان المكتفى لما أن مات القاسم وتبين قتله لعبد الواحد أراد نبش القاسم من قبره ، وضره به بالسوط ، وحرقه بالنار ، وقد قيل غير ذلك ، والله أعلم .

وممن أهلكه القاسم بن عبيد الله على ما قيل بالسم في خشكناجحة على بن العباس بن جرّيج الرومى ، وكان منشؤه ببغداد ووفاته بها ، وكان من مختلفى معانى الشعراء ، والمجودين فى القصير والطويل ، متصرفاً فى المذهب تصرفاً حسناً ، وكان أقل أدواته الشعر ، ومن محكم شعره وجيده قوله :
رأيت الدهر يجرح ثم يأسو يعوض أو يسلى أو ينسى
أبت نفسى الهلوع لفقْدِ شيء كفى حزناً لنفسى فقد نفسى (١)
ومن قوله العجيب الذى ذهب إلى معانى فلاسفة اليونانيين ومن مَهَرَّ من المتقدمين قوله فى القصيدة التى قالها فى صاعد بن مخلد :

لما تؤذِنُ الدنيا به من زوالها يكونُ بكاءَ الطفلِ ساعةً يوضعُ
وإلا فما يُبكيه منها ، وإنها لأفسحُ مما كان فيه وأوسعُ ؟
ومما دقَّ فيه فأحسن وذهب إلى معنى لطيف من النظر على ترتيب
الجدليين وطريقة حذاق المتقدمين قوله :

غموض الشيء حين تدبُّ عنه يُقللُ ناصر الخصم المحقق (٢)
تضييقُ عقولٍ مستمعيه عنه فيقضى لهجل على المدقق
ومما أجاد فيه فى وصف القناعة قوله :

إذا ما شئت أن تعلم يوماً كذب الشهوه

(١) فى ب « أبت نفسى الهلاك »

(٢) فى ا « يقلل ناظر الخصم المحقق »

فَكُلُّ مَا شئتَ بِصَدْرِكَ عَنِ الْمُرَّةِ وَالْحُلْوَةِ
وَطَأَ مَا شئتَ بِحِصْنِكَ عَنِ الْحَسَنَاءِ فِي الْخُلْوَةِ (١)
وَكَمْ أَنْسَاكَ مَا تَهَوَّا هـ نَيْلُ الشَّيْءِ لَمْ تَهْوَهُ

وقوله :

بِأَبِي حُسْنٍ وَجْهَكَ الْيُوسُفِيُّ يَا كَفِيَّ الْهُوَى وَفَوْقَ الْكَفِيِّ
فِيهِ وَرَدٌ وَنَرْجِسٌ ، وَعَجِيبٌ اجْتِمَاعٌ "تَوَى وَالصَّيْفِيُّ

وقوله في العنب الرازقي :

وَرَازِقِيَّ مُخْطَفَ الْخِصْمِ كَأَنَّهُ مَخَازِنُ الْبَلْبُورِ
أَلَيْنَ فِي الْمَسِّ مِنَ الْحَرِيرِ [وَرَيْحُهُ كَمَا وَرْدٍ جُورِي]
لَوْ أَنَّهُ يَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ لَقَرَّطُوهُ لِلْحَسَنِ الْحَوْرِ

ولابن الرومي أخبار حسان مع القاسم بن عبيد الله الوزير ، وأبي الحسن
علي بن سليمان الأخفش النحوي ، وأبي إسحاق الزجاج النحوي .
وكان ابن الرومي الأغلب عليه من الأخلاط السوداء ، وكان شريهاً
نهماً ، وله أخبار تدل على ما ذكرناه من هذه الجمل مع أبي سهل إسماعيل
ابن علي التوبختي وغيره من آل نوبخت .

وفى سنة تسعين ومائتين مات عبد الله بن أحمد بن حنبل ، يوم السبت
لعشر بَقِينَ من جمادى الآخرة : وفاة جماعة
من الاعيان

وفى سنة إحدى وتسعين ومائتين كانت وفاة أبي العباس أحمد بن يحيى
المعروف بشعلب ، ليلة السبت لثمان (٢) بَقِينَ من جمادى الأولى ، ودفن
في مقابر باب الشام في حجرة اشترت له ، وخلف إحدى وعشرين ألف
درهم وألفي دينار ، وغلة بشارع باب الشام قيمتها ثلاثة آلاف دينار .

(١) في ا « عن الحسناء والدرة »

(٢) في ا « لثمان عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى »

ولم يزل أحمد بن يحيى مقدماً عند العلماء منذ أيام حدائته إلى أن كبر سن أخبار ثعلب وصار إماماً في صناعته ، ولم يخلف وارثاً إلا ابنة لابنه ، فرد ماله عليها ، وكان هو ومحمد المبرد^(١) عالين قد ختم بهما الأدباء ، وكانا كما قال بعض الشعراء من المحدثين :

أيا طالب العلم لا تجهلنْ وعُدْ بالمبرد أو ثعلب
تجد عند هذين علم الوري ولاتك كالجمل الأجر
علوم الخلائق مقرونة بهذين في الشرق والمغرب

وكان محمد بن يزيد المبرد يحب أن يجتمع في المناظرة مع أحمد بن يحيى ويستكثر منه ، وكان أحمد بن يحيى يمتنع من ذلك .

وأخبرنا أبو القاسم جعفر بن حمدان الموصلي الفقيه - وكان صديقهما - قال : قلت لأبي عبد الله^(٢) الدينوري ختن ثعلب : لم يأبى أحمد بن يحيى الاجتماع مع المبرد ؟ فقال لي : أبو العباس محمد بن يزيد حسن العبارة ، حلو الإشارة ، فصيح اللسان ، ظاهر البيان ، وأحمد بن يحيى مذهبه مذهب المعلمين ، فإذا اجتمعا في محفل حكم لهذا على الظاهر إلى أن يعرف الباطن .

وأخبرنا أبو بكر القاسم بن بشار الأنباري النحوي ، أن أبا عبد الله الدينوري^(٣) هذا كان يختلف إلى أبي العباس المبرد يقرأ عليه كتاب سبويه عمرو بن عثمان ابن قنبر ، فكان ثعلب يعذله على ذلك ، فلم يكن ذلك يرده .
وقيل : إن وفاة أحمد بن يحيى ثعلب كانت في سنة اثنتين وتسعين ومائتين .

وفاة جماعة من العلماء

وفي هذه السنة - وهي سنة إحدى وتسعين ومائتين - مات محمد بن محمد الجدوعي^(٤) القاضي ، وله أخبار عجيبة فيما كان به من المذهب قد أتينا على وصفه ونوادره فيها وما كان له من التعزز في الكتاب الأوسط .
وفي سنة اثنتين وتسعين ومائتين كانت وفاة أبي حازم عبد العزيز بن

(١) في ب « أحمد بن المبرد » وهو خطأ (٢) في ب « لأبي عبيد الله الدينوري »
(٣) في ب هنا « أن أبا علي الدينوري » (٤) في ب « الجدوعي »

عبد الحميد القاضي ، يوم الخميس لسبع ليال خلون من جمادى الآخرة من هذه السنة ببغداد ، وله نيف وتسعون سنة .

أحداث

وفي هذه السنة تغلب ابن الخليجي^(١) على مصر .
وفيها وقع الحريق العظيم ، فأحرق بياب الطاق^(٢) نحواً من ثلثمائة دكان وأكثر .

وظفر بابن الخليجي في سنة ثلاث وتسعين ومائتين بمصر ، وأدخل إلى بغداد ، وقد أشهر ، وقدامه أربعة وعشرون إنساناً من أصحابه منهم صندل المزاحي^(٣) الخادم الأسود ، وذلك للنصف من شهر رمضان من هذه السنة .

وفيات

وفي سنة أربع وتسعين ومائتين مات موسى بن هرون بن عبدالله بن مروان البزاز^(٤) المحدث ، المعروف بالجمال ، في يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من شعبان ببغداد ، ويكنى أبا عمران ، وهو ابن نيف وثمانين سنة ، ودفن في مقابر باب حرب إلى جانب أحمد بن حنبل .

وفد قدمنا العذر فيما سلف من هذا الكتاب لذكرنا وفاة هؤلاء الشيوخ إذ كان الناس في أغراضهم مختلفين ، وفي طلبهم الفوائد متباينين ، وربما قد يقف على هذا الكتاب من لا غرض له فيما ذكرناه فيه ويكون غرضه معرفة وفاة هؤلاء الشيوخ .

وكانت وفاة أبي مسلم إبراهيم بن عبد الله الكجي البصري المحدث في المحرم سنة اثنتين وتسعين ومائتين [وهو ابن اثنتين وتسعين سنة] وكان مولده في شهر رمضان سنة مائتين .

وقبض أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب وهو في سن أبي مسلم على ما ذكرنا من تنازع الناس في تاريخ وفاته ، وقد كان أبو العباس أحمد ابن يحيى قد ناله صممٌ وزاد عاياه قبل موته ، حتى كان المخاطب له يكتب ما يريد في رقاع .

(١) في ب زيادة « في ستة آلاف وتسعين بمصر »

(٢) في ب « فأحرق الغلة بياب الطاق »

(٣) في ب « منهم العراجي الخادم » (٤) في ب « البزاز »

وصف
القطائف

وأخبرنا محمد بن يحيى الصولى الشطرنجى قال : كُنَّا يَوْمًا نَأْكُلُ بَيْنَ
يَدَيِ الْمَكْتَفِيِّ ، فَوَضَعَتْ بَيْنَ أَيْدِينَا قَطَائِفَ رَفَعَتْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ فِي نَهَائِهِ
النُّضَارَةَ^(١) وَرَقَةَ الْخُبْزِ وَإِحْكَامَ الْعَمَلِ ، فَقَالَ : هَلْ وَصَفْتَ الشُّعْرَاءَ هَذَا ؟
فَقَالَ لَهُ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ : نَعَمْ ، قَالَ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى فِيهَا^(٢) :

قَطَائِفٌ قَدْ حُشِيَتْ بِاللُّوزِ وَالسُّكَّرِ الْمَازِيٍّ حَشْوِ الْمَوْزِ
تَسْبَحُ فِي آذَى دَهْنِ الْجَوْزِ سَرَرْتُ لَمَّا وَقَعْتُ فِي حَوْزِي
* سُرُورِ عَبَّاسٍ بِقَرَبِ فَوْزِ *

قال : وأنشدته لابن الرومى قوله :

* وَأَنْتَ قَطَائِفٌ بَعْدَ ذَلِكَ لَطَائِفُ *

فقال : هذا يقتضى ابتداء ، فأنشدنى الشعر من أوله ، فأنشدته لابن الرومى :

وَخَبِيصَةٌ صَفْرَاءُ دِينَارِيَّةٍ ثَمْنَاً وَلَوْنًا زَفَّهَا لَكَ حَزْوَرُ^(٣)
عَظُمَتْ فَكَادَتْ أَنْ تَكُونَ إِوْزَةً وَثَوْتُ فَكَادَ إِهَابُهَا يَنْفَطِرُ
طَفِقَتْ تَجُودُ بِوَبْلِهَا جَوْذَابَةٌ فَإِذَا لُبَّابُ اللُّوزِ فِيهَا السُّكَّرُ
نَعَمَ السَّمَاءُ هُنَاكَ ظَلَّ صَدِيبُهَا يَهْمِي ، وَنَعَمَ الْأَرْضُ ظَلَّتْ تُمَطِّرُ
يَا حَسَنًا فَوْقَ الْخَوَانِ وَدَهْنَهَا قَدَامَهَا بِصَهْبِهَا يَتَفَرَّغُ
ظَلْنَا نُقَشِّرُ جِلْدَهَا عَنِ لَحْمِهَا وَكَأَنَّ تَبْرًا عَنِ الْجَيْنِ يُقَشِّرُ
وَتَقْدَمَتُهَا قَبْلَ ذَلِكَ ثَرَانِدُ مِثْلَ الرِّيَاضِ بِمِثْلَانٍ يُصَدِّرُ
وَمُرَقَّاتٍ كُلِّهِنَّ مِنْ خَرْفِ بِالْبَيْضِ مِنْهَا مَلْبَسٌ وَمُدْرُ
وَأَنْتَ قَطَائِفٌ بَعْدَ ذَلِكَ لَطَائِفُ تَرْضَى اللَّهْمَاءَ بِهَا وَيَرْضَى الْخَنْجَرَ
نَحْكُ الْوَجُوهَ مِنَ الطَّبْرُزْدِ فَوْقَهَا دَمْعَ الْعَيُونِ مَعَ الدَّهَانِ يَقَطِرُ

(١) فى ا « فى نهاية اللطافة »

(٢) فى ا « فقال يحيى بن على : لعنى أحمد بن يحيى فيها »

(٣) فى ا « وسميطة صفراء » وفى ب « زفها لك جوذر »

وصف
اللوزينج

فاستحسن المكتفي بالله الأبيات ، وأوماً إلى أن أكتبها له ، فكتبت لها .
قال محمد بن يحيى الصولي : وأكلنا يوماً بين يديه بعد هذا بمقدار شهر ،
فجاءت لوزينجة ، فقال : هل وصف ابن الرومي اللوزينج ؟ فقلت : نعم ،
فقال : أنشدني ، فأنشدته :

لا يخطئني منك لوزينج	إذا بدأ أعجب أو عجبا
لم تغلق الشهوة أبوابها	إلا أبت زلفاه أن يحجبا
لو شاء أن يذهب في صخرة	لَسَهَّلَ الطيبُ له مذهباً
يدور بالنفخة في جامه	دوراً ترى الدهن له لولبا
عاون فيه منظر فخبراً	مستحسن ساعد مستعبدا
[كالحسن المحسن في شدوه	ثم فأضحى مغرباً مطرباً ^(١)
مستكثف الحشو ، ولكنه	أرق جلدأ من نسيم الصبا ^(٢)
كما قدت جلايبه	من أعين القطر الذي قيبا ^(٣)
يخال من رقة أجـزائه	شارك في الأجنحة الجندبا ^(٤)
لو أنه صـور من خبزه	نغر لكان الواضح الأشنبا
من كل بيضاء يود الفتى	أن يجعل الكف لها مره كبا
مدهـونة زرقاء مدفونة	شهباء تحكي الأزرق الأشهبها
ذيق له اللوز فما مرة	مرت على الذائق إلا أبي
وانتقد الكـر نقاده	وشارفوا في نقده المذهبها
فلا إذا العين رأتها نبت	ولا إذا الضرس علاها نبا

(١) هذا البيت لا يوجد في ب

(٢) في ا « أرق قشرا من نسيم الصبا » . (٣) في ب « الذي طنبا »

(٤) وقع هذا البيت في ب هكذا :

يخال في رقة خرسانه شارك في الأضحية الجندبا

وفي الديوان (٣٢٥/١) « رقة خرسائه » .

فحفظها المكتفي ؛ فكان يُنشدُها .

من شعر
المكتفي

ومما استحسن من شعر المكتفي لنفسه :

إني كَلِيفْتُ ، فلا تَلْجُوا ، بجارية كأنها الشمس ، بل زادت على الشمس
لها من الحسن أعلاه ؛ فرويتها سَعْدِي ، وَغَيْبَتَهَا عن ناظري نحسى
وللمكتفي أيضاً :

بلغ النفس ما اشتَهَتْ فإذا هي قد اشْتَفَتْ
إنما العيش — — — أنت فيها وما انقضت
كل من يعدل المحب إذا ما هَـدَا سكت
وله أيضاً :

مَنْ لِي بَأَن يَعْلَمَ مَا أَلْتِي فيعرف الصَّبْوَةَ والعشقا
ما زال لي عبداً ، وَحُبِّي له صَيَّرَنِي عبداً له رِقاً^(١)
أُعْتِقَ من رقي ، ولكني من حبه لا أملك العتقا

شراب
الدوشاب

وأخبرنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي المعروف بنفطويه ،
قال : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن حمدون ، قال : تذاكرنا يوماً بحضرة
المكتفي أصناف الأشرطة ، فقال : فيكم مَنْ يحفظ في نبيذ الدوشاب^(٢) شيئاً ؟
فأنشدته قول ابن الرومي :

إذا أَجَدْتَ حبه وَدَبَّسَهُ ثم أَجَدْتَ ضربه وَمَرَّسَهُ^(٣)
ثم أَطَلْتَ في الإناء حَبْسَهُ شربت منه البابلي نفسه
فقال المكتفي : قبحه الله !! ما أشره !! لقد شوقني في هذا اليوم
إلى شرب الدوشاب^(٢) .

(١) في « صيرني عبداً له حقا » .

(٢) الدوشاب : نبيذ التمر ، أو النبيذ الأسود .

(٣) في ب « إذا أخذت ... ثم أخذت » تحريف .

قصة هريسة

وقدم الطعام ، فوضع بين أيدينا طيفورية عظيمة فيها هريسة ، وقد جعل في وسطها مثل السكرجة الضخمة مملوءة من دسم الدجاج ؛ فضحكت وخطر بيالي خبر الرشيد مع أبان القاري ، فلحطني المكتفي ، وقال : يا أبا عبد الله ؛ ما هذا الضحك ؟ فقلت : خبر ذكرته في الهريسة يا أمير المؤمنين ودهن الدجاج مع جدك الرشيد ، فقال : وما هو ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، ذكر العتبي والمدائني أن أبان القاري تَفَدَّى مع الرشيد ، فجاءوا بهريسة عجيبة في وسطها مثل السكرجة الضخمة على هذا المثال من دهن الدجاج ، قال أبان : فاشتبهت من ذلك الدسم ، وأجلت الرشيد من أن أمد يدي فأغمس فيه ، قال : ففتحت بأصبعي فيه فتجا يسيرا ، فانقلب الدسم نحوي ، فقال الرشيد : يا أبان ، أخرجتها لتفرق أهلها ؟ فقال أبان : لا يا أمير المؤمنين ، ولكن سقناه لبلد ميت ، فضحك الرشيد حتى أمسك صدره .

هدية من
أبي مضر
ابن الأغلِب
وفي سنة خمس وتسعين ومائتين وردت إلى مدينة السلام هدية زيادة
الله بن عبد الله ، ويكنى أبا مضر ، وكانت الهدية مائتي خادم أسود ،
وأبيض ، ومائة وخمسين جارية ، ومائة من الخيل العربية ، وغير ذلك
من اللطائف .

آل الأغلِب
بأفريقية
وقد كان الرشيد في سنة أربع وثمانين ومائة - وذلك بالركة -
قلد إبراهيم بن الأغلِب أمر إفريقية من أرض المغرب ، فلم يزل آل
الأغلِب أمراء إفريقية حتى أخرج عنها زيادة الله بن عبد الله هذا في سنة
ست وتسعين ومائتين ، وقيل : في ستة خمس وتسعين ومائتين ، أخرجه
من المغرب أبو عبد الله المحتسب الداعية الذي ظهر في كتامة^(١) وغيرها
من البربر ، فدعا إلى عبيد^(٢) الله صاحب المغرب ، وقد ذكرنا فيما سلف
من هذا الكتاب تولية المنصور للأغلِب ابن سالم السعدي المغرب .

(١) ب « الذي ظهر في كتانة » (٢) في ب « فدعا إلى عبد الله » محرفا

قال : واشتدت علة المكتفي بالله بالذرب ، فأحضر محمد بن يوسف القاضي علة المكتفي وعبد الله بن علي بن أبي الشوارب ، فأشهدهما على وصيته^(١) بالعمد إلى أخيه جعفر ، وقد قدّمنا ذكر وفاته^(٢) فيما سلف من هذا الكتاب فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع .

قال المسعودي : وللمكتفي بالله أخبار حسان ، وما كان في عصره من الكوائن في قصة ابن البلخي^(٣) بمصر ، وأسر القريمطي بالشام ، وأمر ذكرويه^(٤) وخروجه على الحاج ، وغير ذلك مما كان في خلافته ، وقد أتينا على جميع ذلك في كتابينا « أخبار لزمان » والأوسط ، فأغنى ذلك عن إعادة ذكره .

(١) في ب « على قضيته » . (٢) في ب « قدّمنا ذكر وصيته » .
(٣) في ب « ابن الحلبي » . (٤) في ب « ذكرويه » بالبدال مهملة .

ذكر خلافة المقتدر بالله

وبويع المقتدر بالله جعفر بن أحمد في اليوم الذي توفي فيه أخوه
المكتفي بالله ، وكان يوم الأحد لثلاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً خلت من ذى القعدة
سنة خمس وتسعين ومائتين ، ويكنى أبا الفضل ، وأمه أم ولد يقال لها
شعب^(١) ، وكذلك أم المكتفي أم ولد يقال لها ظُلُوم ، وقيل غير ذلك ،
وكان له يومَ بَوعِ ثلاثَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وقتل ببغداد بعد صلاة العصر يوم
الأربعاء لثلاث ليالٍ بَقِيْنَ من شوال سنة عشرين وثلثمائة ؛ فكانت
خلافته أربعاً وعشرين سنة وأحد عشر شهراً وستة عشر يوماً ، وبلغ من
السن ثمانية و ثلاثين سنة وخمسة عشر يوماً ، وقد قيل في مقدار عمره
غير ما ذكرنا ، والله أعلم .

سوجز

(١) في ب « شعب » بمهملتين .

ذكر جمل من أخباره وسيره ،

ولمع مما كان في أيامه

وبويع المقتدر وعلى وزارته العباس بن الحسن إلى أن وثب الحسين بن مقتل وزيره حمدان ، ووصيف بن سوار تكين ، وغيرها من الأولياء على العباس بن الحسن فقتلوه وفاتكا معه ، وذلك في يوم السبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول سنة ست وتسعين ومائتين ، وكان من أمر عبد الله بن المعتز ومحمد بن داود وغيرها ما قد اتضح في الناس واشتهر ، وأتينا على ذكره في الكتاب الأوسط وغيره في أخبار المقتدر بالله .

وقد صنف جماعة من الناس أخبار المقتدر مجتمعة مع أخبار غيره من الخلفاء ومفردة ، وعمل ذلك في أخبار [الدولة من أخبار] بغداد ، وقد صنف أبو عبد الله بن عبدوس الجهشياري أخبار المقتدر بالله في ألوف من الأوراق ، ووقع لي منها أجزاء يسيرة .

وأخبرني غير واحد من أهل الدراية أن ابن عبدوس صنف أخبار المقتدر في ألف ورقة ، وإنما نذكر من أخبار كل واحد منهم لعمري ، وإنما الغرض جوامع من أخبارهم تبعث على درسه وحفظ ما فيه ونسخه .

وكان عبد الله بن المعتز أديباً ، بليغاً ، شاعراً ، مطبوعاً ، مجوداً ، مقتدراً على الشعر ، قريب المأخذ ، سهل اللفظ ، جيد القريحة ، حسن الاختراع^(١) للمعاني ، فمن ذلك قوله :

تقول العاذلات : تعزَّ عنها وأطفٍ هيب قلبك بالسُّلو^(٢)
وكيف وقبلة منها اختلاسا ألد من الشماتة بالعدو ؟

(١) في ب « حسن الاقتراح للمعاني » .

(٢) في ب « يقول العاذلون تعز عنها » .

وقوله :

ضعيفةٌ أجفانه والقلب منه حَجَرٌ
كأنما الحَاظَه من فعاه تعتذر

وقوله :

تولّى الجهل ، وانقطع العتاب ، ولاح الشيب ، وافتضح الخضاب
أقد أبفضت نفسي في مشيبي فكيف تحبني الخود الكعاب؟

وقوله :

عجبا للزمان في حالتيه وبلاءً دفعت منه إليه^(١)
رُبَّ يوم بكيت فيه فلما صرت في غيره بكيت عليه

وقوله في أبي الحسن علي بن محمد بن الفرّات الوزير :

أبا حسن ، أثبتت في الأرض وطأني وأدركتني في المعضلات الهزاهز
وألبستني درعا على حصينة فنادت صرف الدهر هل من مبارز

وقوله [أيضاً] :

ومن شر أيام الفتى بَذَلُ وجهه إلى غير من خفت عليه الصنائع
متى يدرك الإحسان من لم تكن له إلى طلب الإحسان نفس تنازع^(٢)

وقوله :

فإن شئت عادتني السقاة بكأسها وقد فتح الإصباح في ليلة فَمَا
نخلت الدجا والفجر قد مدّ خيطه رداء مؤشّي بالكواكب معلما

وقوله :

وأبكي إذا ما غاب نجم كأنني فقدتُ صديقاُ أوزنتُ حميا
فلوشق من طرف الليالي كواكب شقت لها من ناظري نجومًا

(١) في ب « عجبا للزمان من حالتيه » .

(٢) في ا « متى يدرك الأشياء » .

ومما أحسن فيه قوله في عبید الله بن سليمان :

لآل سليمان بن وهب صنائع إلى ، ومعروف لدى تقدماً
هم علموا الأيام كيف تبرئني وهم غسلا من ثوب والدي الدما^(١)
وقوله عند وفاة المعتصم بالله :

قضوا ما قضوا من حقه ثم قدموا إماما يؤم الخلق بين يديه
وصلوا عليه خاشعين كأنهم صفوف قيام للسلام عليه
وقوله في فساد المعتضد^(٢) بالله :

يادماً سال من ذراع الإمام أنت أركى من عنبر ومدام
قد ظنناك إذ جريت إلى الطست دموعا من مقلتي مستهام
إنما غرق الطبيب شبا الموضع في نفس مهجة الإسلام
وقوله :

اصبر على حسد الحسو د فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله
وقوله :

يطوف بالراح بيننا رشاً محكم في القلوب والمقل
يكاد لحظ العيون حين بدا يسفك من خده دم الخجل
وقوله :

رشاً يتيه بحسن صورته عبث الفتور بلحظ مقلته
وكان عقرب صدغه وقت لما دنت من نار وجمته
وقوله :

إذا اجتنى وردة من خده فمه تكونت تحتها أخرى من الخجل

(١) في ب « هم علموا الأيام كيف بنوني » .

(٢) في ب « عند وفاة المعتصم بالله » محرفاً

وفاة محمد
ابن داود
الأصفهانی

قال : وكانت وفاة أبي بكر محمد بن داود بن علي بن خلف الأصفهانی الفقيه سنة ست وتسعين ومائتين ، وكان ممن قد علا في رتبة الأدب^(١) ، وتصرف في بحار اللغة ، وتفنن في موارد المذاهب ، وأشفي على أغراض المطالب ، وكان عالماً بالفقه منفرداً ، وواحداً فيه فريداً ، وألف في عنفوان صباه وقبل كماله وانتهائه الكتاب المعروف بالزهرة ، ثم تناهت فكرته ، ونسقت قوته ، فصنف في الفقهيات ككتابه الوصول إلى معرفة الأصول ، وكتاب الإنذار ، وكتاب الأعداء والإيجاز^(٢) ، وكتابه المعروف بالانتصار على محمد بن جرير وعبد الله بن شرشير^(٣) وعيسى بن إبراهيم الضرير .

ومما قال فيه فأحسن في عنفوان شبابه ، وأثبتته في كتابه المترجم بالزهرة ، وعزاه إلى بعض أهل عصره ، وإن كان محسناً في سائر كلامه من منظومه ومنشوره قوله :

على كبدى من خيفة البين لوعةٌ يكاد لها قلبي أسي يتصدعُ
يخاف وقوع البين والشمل جامع فيبكي بعين دمعها متسرع
فلو كان مسروراً بما هو واقع كما هو محزون بما يتوقعُ
لكان سواء برؤه وسقامه ولكن شك البين أدهى وأوجع

وقوله :

تمتع من حبيبك بالوداعِ إلى وقت السرور بالاجتماع
فكم جرّبت من وصل وجر ومن حال ارتفاع وانّضاع
وكم كأس أمر من المنايا شربت فلم يضق عنها ذراعى

(١) في « ممن علا في قنة الأدب » وهي أدق .

(٢) في ب « والإيجاز » .

(٣) في ب « بن شرشى » .

فلم أر في اندي لاقيت شيئاً أمرٌ من الفراق بلا وداع
تعالى الله كل مواصلات وإن طالت تؤول إلى انقطاع

وقوله :

لا خير في عاشق يُخني صَبَابته بالقول ، والشوقُ في زَفَرَاتِه بَادِي (١)
يخني هواه وما يخني على أحد حتى على العيس والركبان والحادي

وفاة علي
ابن بسام

وفي سنة ثلاث وثلثمائة في خلافة المقتدر بالله كانت وفاة علي بن محمد بن نصر بن منصور بن بسام ؛ وكان شاعراً لسنا ، مطبوعاً في الهجاء ، ولم يسلم منه وزير ولا أمير ولا صغير ولا كبير . وله هجاء في أبيه وإخوته وسائر أهل بيته ، فما قال في أبيه [محمد بن نصر] :

بَنَى أَبُو جَعْفَرٍ دَاراً فَشَيَّدَهَا ومثله نَحِيَارُ الدَّوْرِ بَنَاءً
فَالْجُوعُ دَاخِلُهَا ، وَالذَّلُّ خَارِجُهَا ، وفي جوانبها بؤس وضرأء
مَا يَنْفَعُ الدَّارَ مِنْ تَشْيِيدِ حَائِطِهَا وليس داخلها خبز ولا ماء

وله فيه :

هَبِّكَ عُمَّرْتُ عَمْرَ عَشْرِينَ نَسْراً أترى أني أموت وتبقى
فَلَنْ عَشْتُ بَعْدَ يَوْمِكَ يَوْمًا لأشَقَّنَّ جيب مالك شقاً

وله فيه :

رَأَى الْجُوعُ طَبَا ، فَهُوَ يَحْسَى وَيَحْتَمَى فلست ترى في داره غير جائع
وَيَزْعَمُ أَنَّ الْفَقْرَ فِي الْجُودِ وَالسُّخَا وأن ليس حظ في اكتساب الصنائع
لَقَدْ أَمِنَ الدُّنْيَا ، وَلَمْ يَخْشَ صَرْفَهَا ولم يدر أن المرء رهنُ الفجائع

وأنشدني أبو الحسن محمد بن علي الفقيه الورّاق الأنطاكي بأنطاكية ، لعلي

(١) في « والعشق في زفراته بادي » .

ابن محمد بن بسام ، يهجو الموفق والوزير أبا الصقر إسماعيل بن بلبل ،
والطائي أمير بغداد ، وعبدون النصراني ، أخا صاعد ، وأبا العباس بن
بَسْطَام^(١) ، وحامد بن العباس وزير المقتدر بالله بعد ذلك ، وإسحاق بن
عمران ، أمير الكوفة يومئذ :

أيرجو المَوْفِقُ نَصَرَ الإِلهِ	وأمر العباد إلى دانيه
ومن قبلها كان أمر العباد	لَعَمْرُ أَيْبِكُ إِلَى زَانِيهِ
فإِن رَضِيَتْ رَضِيَتْ أَنَّهُ	كِدَالِيَةِ فَوْقَهَا دَالِيهِ
وَظَلَّ ابْنُ بُلْبُلٍ يُدْعَى الْوَزِيرِ	وَلَمْ يَكُ فِي الْأَعْصَرِ الْخَالِيهِ
وطحان طى تولى الجُسُورِ	وَسَقَى الْفِرَاتِ وَزُرْقَامِيهِ
وبحكم عبدون في المسلمين	ومن مثله تؤخذ الجَالِيهِ ^(٢)
وأحول بَسْطَامِ ظِلَّ الْمَشِيرِ	وَكَانَ يَحْكُوكُ بَيْرِزَاطِيهِ
وحامد يا قوم لو أمره	إِلَى الْأَزْمَتِ الرَّاويهِ
نعم ، ولأرجعته صاغراً	إلى بيع رمان حضراويهِ
وإسحاق عمران يدعى الأمير	لداهيَةِ أَيْمَا دَاهِيهِ
فهذي الخلافة قد ودَّعَتْ	وَظَلَّتْ عَلَى عَرْشِهَا خَاويهِ
فَخَلَّ الزَّمانُ لِأَوْغَادِهِ	إلى لعنة الله والهاويهِ
فياربٍ قد ركب الأردلون	ورجلى من رجليهم عاليهِ
فإن كنت حامِلِنَا مثلمهم	وإلا فأرحل بني الزانيهِ

جمع في شعره هذا جميع رؤساء أهل الدولة في ذلك العصر .

وأنشد أبو إسحاق الزَّجَّاجُ النُّجُومِيُّ صاحب المبرد [لابن بسام]

في المعتضد ، وقد خَتَنَ ابْنَهُ جَعْفَرًا الْمُقْتَدِرَ :

(١) في ب « وأبا العباس بن بسام » .

(٢) في ب « ومن ضله موجد الحالية » .

انصرف الناس من ختان يدعون من جوعهم حزاما
فقلت : لا تعجبوا لهذا فهكذا تختن اليتامى
وله أيضاً في المعتضد :

إلى كم لا نرى ما نرتجيه ولا ننفك من أمل كذوب
لئن سموك معتضداً فإني أظنك سوف تعضد عن قريب
وله في الوزير العباس بن الحسن ، وابن عمرو بن الخراساني ، وكان
أمير بغداد يومئذ :

لعن الله الذي قلده عباس الوزارة
والذي ولي ابن عمرو به ببغداد الإمارة
فوزير شرج الوجه بطين كالغراره^(١)
وقفاً فيه سناماً ن ورأس كالخياره
لم يزل يعرف بالزور قديماً والعياره
وأما أمير أعجمي كحمار ابن حمارة
رحل الإسلام عنا بتوليته الإدارة

وأشدني في أبي الحسن جحظة البرمكي المغني :

لجحظة المحسن عندي يد أشكرها منه إلى المحشر
لما أراني وجة بردونه وصانتي عن وجه المنكر

وله في أبيه محمد بن نصر بن منصور بن بسام :

خبیصة تعقد من سكره وبرمة تطبخ من قنبره
عند فتى أسمح من حاتم يطبخ قدرين على مجره

(١) روى هذا البيت في ب هكذا :

لوزير سمج الوجه بطين كالقواره

وليس ذا في كل أيامه لكنه في الدعوة المنكرة
 في يوم هو فظع هائل ومجمع اللذات والقرقره
 يقول للآكل من خبزه : تعساً لهذا البطن ما أكبره
 وله في أبيه أيضاً :

خبز أبي جعفر طباشير^(١) فيه الأفاويه والعقاقير
 فيه دواء لكل مفضلة للبطن والصدر والبواسير
 وقصعة مثل مدهن صفراً تزرق من حولها النواظير^(١)
 ونيل ما ترتجيه من يده ما ليس تجرى به المقادير

وله فيه :

بعثت لأستهديه عيراً ولم أكن لأعلم أن العير صار لنا صهراً
 فوجه لي كي نستوى في ركوبه فيركبه بطناً وأركبه ظهراً
 وقال في جماعة من الرؤساء :

قل للرؤوس ومن تُرجى نوافلهم ومن يؤمل فيه الرّفد والعمل
 إن تشغلوني بأعمال أصيرها شغلاً ، وإلا ففي أعراضكم شغل

وله أيضاً :

مالي رأيتك دائماً مستسخطاً أبداً لرزقك

ارجع إلى ما تستحق فإن قوتك فوق حقتك

وله في عبيد الله بن سليمان الوزير :

عبيد الله ليس له معاد ولا عقل ، وليس له سدّاد

رددت إلى الحياة فعدت عنها لقول الله : لو ردوا لعادوا

(١) وقع هذا البيت في ب هكذا :

وقصعة الأكل مثل مدهنة يرهق من حولها النواظير

- وله في القاسم بن عبيد الله بن سليمان :
 قل للهوى دولة السلطان :
 كم من وزير قد رأيت معظماً
 عند الكمال توقُّعُ النقصان
 وله في عبيد الله بن سليمان :
 لا بد يا نفس من سجود
 أضحي بدار مذلة وهوان^(١)
 هبَّتْ لك الريح يا ابن وهب
 في زمن القرد للقروود
 وله في إسماعيل بن بلبل الوزير :
 لأبي الصقر دولة
 نخذ لها أهبة الركود
 مُزَنَةٌ حين أطمعتُ
 مثله في التخلف
 آذنت بالتكشِف^(٢)
 وله في العباس بن حسن الوزير :
 تحمَّلَ أوزار البرية كلها
 وزير بظلم العالمين يجاهر
 ألم تر أسباب الذين تقدموا
 وكيف أتتهم بالبلاء الدوائر
 وله في الوزير صاعد بن مخلد :
 سجدنا للقروود رجاء دنيا
 حوتها دوننا أبدى القروود
 فما نالت أناملنا بشيء
 عملناه سوى ذل السجود^(٣)
 وله في العباس بن الحسن الوزير :
 بنيت على دجلة مجلسا
 تباهى به ففعل من قد مضى
 فلا تفرحنَّ فكم مثل ذا
 رأينا ما تم حتى انقضى
 وله في الوزير علي بن محمد بن الفرات :
 وقفت شهوراً للوزير أعدّها
 فلم تثنه نحوى الحقوق السوائف

(١) في « كم من وزير قد رأيت معظماً » .

(٢) في ب « مزنة حين أطمعت »

(٣) في ب « سوى ذلك السجود »

فلا هو يرعى لي رعاية مثله ولا أنا أستحي الوقوف وآنفُ
وله في أبي جعفر محمد بن جعفر الغربلي (١) :

سألت أبا جعفر فقال : يَدِي تَقْصُرُ
فقلت له : عاجلا يكون كما تذكر

وله فيه :

لحية كثة أضربها النّـفـفُ ، ووجه مُشوّهُ ملعون
قلت لما بدا يجمع في القو ل وَيَهْدِي كأنه مجنون :
صدق الله ، أنت من ذكر الله مهين ولا يكاد بين
وله في ابن المرزبان ، وقد كان سأله دابة فمنعه :

بَخِذْتَ عني بمقرف عطب فلن تراني ما عشت أطلبه (٢)
وإن تكن صنّته فما خلق الله مصوناً وأنت تركبه

وله مما أحسن فيه :

تضمن لي في حاجتي ما أحبه فلما اقتضيت الوعد قُطِبَ واعتلى (٣)
وصير عذراً شغله واتصاله ولولا اتصال الشغل ما كان أشغلاً (٤)

ولعلي بن محمد بن بسام في هذه المعاني أشعار كثيرة ، اكتفينا بذكر
البعض عن إيراد ما هو أكثر منه في هذا الكتاب ، لما قدمنا ذكره
فيما سلف قبله من الكتب ، وقد كان أبوه محمد بن نصر بن منصور (٥)
في غاية السرو والمروءة ، وكان رجلاً مترفاً ، حسن الزى ، ظاهر المروءة ،
مشغولاً بالبناء (٦) .

(١) في ب « القوملي » . (٢) في ب « فلم تراني ما عشت أركبه » .

(٣) في ب « تضمن لي في حاجة »

(٤) في ب « وصرت عذاراً شغله »

(٥) في ب « وقد كان أبو محمد بن جعفر في غاية السر »

(٦) في ب « مشغولاً بالنساء » .

وذكر أبو عبد الله^(١) القمي قال : دخلت عليه يوماً شاتياً ، شديد البرد ببغداد ، فإذا هو في قبة واسعة قد طليت بالطين الأحمر الأرمني ، وهو يلوح^(٢) بريقاً ، فقدرت أن تكون القبة عشرين ذراعاً في مثلها ، وفي وسطها كانون بزرافين إذا اجتمع ونُصِبَ كان مقداره عشرة أذرع في مثلها ، وقد ملئ جمر الفضي ، وهو جالس في صدر القبة ، عليه غلالة تستريه ، وما فضل عن الكانون مفروش بالديباج الأحمر ، فأجلسني بالقرب منه ، فكدت أتناظي ، فدفع إلي جام ماء الورد وقد مزج بالكافور ، فمسحت به وجهي ، ثم رأيت أنه قد استسقى ماء ، فأتوه بماء رأيت فيه ثلجاً ، فلم يكن لي وُ كُدُّ إلا قطع ما بيني وبينه ، ثم خرجت من عنده إلى برد مائع ، وقد قال لي : لا يصلح هذا البيت لمن يريد الخروج منه .

طعام محمد
ابن نصر

قال : ودخات عليه في بعض الأيام وهو جالس في موضع آخر في داره ، وقد رفعه على بركة ، وفي صدره صفة ، وهو يُشرف منها على البستان ، وعلى حير الغزلان ، وحظيرة القماري وأشباهاها ، فقالت له : يا أبا جعفر ، أنت والله جالس في الجنة ، قال : فليس ينبغي لك أن تخرج من الجنة حتى تصطبح فيها ، فما جلست واستقر بي المجلس حتى أتوه بمائدة جزع لم أر أحسن منها ، وفي وسطها جام جزع ملونة ، قد لوى على جنباتها الذهب الأحمر ، وهي مملوءة من ماء ورد ، وقد جعل سافاً على ساف ، كهيئة الصومعة من صدور الدجاج ، وعلى المائدة سكرجات جزع فيها الأصباغ وأنواع الملح ، ثم أتينا بسنبوسق يفور^(٣) وبعده جامات اللوزينج ، ورفعت المائدة ، وقمنا من فورنا إلى موضع الستارة ، فقدم بين أيدينا إجانة صيني بيضاء قد كومت بالبنفسج والخيري ، وأخرى مثلها قد عبيء فيها التفاح الشامي قدرنا مقدار ما حضر فيها ألف تفاحة^(٤) ، فما رأيت طعاماً أنظف منه

(١) في ب « أبو عبد الرحمن العتيبي »

(٢) في ب « بشنبوشق باور »

(٣) في ب « ألف حبة »

(٤) في ب « وهو يدع »

ولا ریحاناً^(١) أظرف منه ، فقال لي : هذا حقُّ الصُّبوحِ ، فما أنسى إلى الساعة طيبَ ذلك اليوم .

قال المسعودي : وإنما ذكرنا هذا الخبر عن محمد بن نصر^(٢) ليعلم أن علي ابن محمد ابنه أخبر عنه بضد ما كان عليه ، وأنه لم يسلم من لسانه إنسان ، وله أخبار وهجو كثير في الناس قد أتينا على مبسوطها فيما سلف من كتبنا ، وما كان من قوله في القاسم بن عبيد الله ، ودحوه إلى المعتضد وهو يلعب بالشطرنج ويُمثل بقول علي بن بسام :

حَيَاةُ هَذَا كَمُوتِ هَذَا فليس تخلو من المصائب

فلما شال رأسه نظر إلى القاسم فاستحيا ، فقال : يا قاسم ، أقطع لسان ابن سَاسِمْ عنك ، فخرج القاسم مبادراً ليقطع لسانه ، حتى قال له المعتضد : بالبر والشغل ولا تعرض له بسوء ، فولاه القاسم البريد والجسر بجند قنسرين والعواصم من أرض الشام ، وما كان من قوله في أسد بن جهور الكاتب وخبره معه وما عم بهجائه أسداً وغيره من الكتاب وهو :

تَعِسَ الزمان لقد أتى بعجائب ومحارُسُومَ الظرف والآداب
أوما ترى أسدَ بن جهور قد غدا متشبهاً بأجـ لة الكتاب
وأتى بأقوام لو انبسطت يدي فيهم رددتهم إلى الكتاب

وزراء المقتدر ولما قتل العباس بن الحسن استوزر المقتدر علي بن محمد بن موسى بن الفرات [يوم الأربعاء لأربع ليال خلون من ذي الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين] فكانت وزارته إلى أن سخط عليه ثلاث سنين وتسعة أشهر وأياماً .

واستوزر محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان في اليوم الذي سخط فيه علي بن محمد بن موسى بن الفرات ، وهو يوم الأربعاء لأربع خلون من ذي الحجة

(١) في ب « ولاريحان » (٢) في ب « محمد بن جعفر » محرفاً

[سنة تسع وتسعين ومائتين] وخلع عليه ولم يخاع على أحد غيره ، وقبض عليه يوم الاثنين لعشر خلون من المحرم سنة إحدى وثلثمائة .

وخلع على الوزير علي بن عيسى بن داود بن الجراح يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة [خلت] من المحرم سنة إحدى وثلثمائة ، وقبض عليه يوم الاثنين لثمان خلون من ذي الحجة سنة أربع وثلثمائة .

واستوزر علي بن محمد بن الفرات ثانية ، وخلع عليه يوم الاثنين لثمان خلون من ذي الحجة سنة أربع وثلثمائة ، وقبض عليه يوم الخميس لأربع بقين من جمادى الأولى سنة ست وثلثمائة .

وخلع على الوزير حامد بن العباس يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من جمادى الآخرة سنة ست وثلثمائة ، وأطلق علي بن عيسى في اليوم الثاني من وزارته ، وهو يوم الأربعاء ، وفوضت الأمور إليه ، وقبض على حامد بن العباس .

واستوزر علي بن محمد بن الفرات ، وهي الثالثة من وزارته ، وقد كان ولده محسن بن علي هو الغالب على الأمور في هذه الوزارة ، فأتى على جماعة من الكتاب [ثم قبض عاياه وعلي ولده ، على حسب ما قدمنا من خبرهما في صدر هذا الباب] .

واستوزر المقتدر عبد الله بن محمد بن عبيد^(١) الله الخاقاني ، ثم استوزر بعده أحمد بن عبيد الله الخصبي ، ثم استوزر علي بن عيسى ثانية ، ثم استوزر [أبا] علي محمد بن علي بن مقلة ، ثم استوزر بعده سليمان بن الحسن بن مخلد ، ثم استوزر بعده عبيد الله بن محمد الكواذى^(٢) ، ثم استوزر بعده الحسين^(٣) ابن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب ، وهو المقتول بالرقعة ، ثم استوزر بعده الفضل بن جعفر بن موسى بن الفرات^(٤) .

(١) في ب « محمد بن عبد الله » وفي الفخرى أن اسمه « عبيد الله بن محمد بن عبيد الله »

(٢) في ا « الكواذاني » وفي الفخرى « الكلوذاني »

(٣) في ب « الحسن بن القاسم »

(٤) في الفخرى أنه « أبو الفضل جعفر بن الفرات » ولا يلتئم مع ما يأتي قريبا

مقتل المقتدر

وقتل المقتدر بالله ببغداد وقت صلاة العصر يوم الأربعاء لثلاث ليال بقين من شوال سنة عشرين وثلثمائة ، وكان قتله في الواقعة التي كانت بينه وبين مؤنس الخادم باب الشماسية من الجانب الشرقي ، وتولى دفن المقتدر العامة وكان وزيره في ذلك اليوم أبا الفتح الفضل بن جعفر [بن موسى بن الفرات على حسب ما ذكرنا] .

وذكر أن الفضل أخذ الطالع في وقت ركوب المقتدر بالله إلى الواقعة التي قتل فيها ، فقال له المقتدر : أي وقت هو ؟ فقال : وقت الزوال ، فقطب له المقتدر ، وأراد أن لا يخرج حتى أشرفت عليه خيل مؤنس ، فكان آخر العهد به من ذلك الوقت .

السادس من بنى العباس

وكل سادس من خلفاء بنى العباس مخلوع مقتول ، فكان السادس منهم محمد ابن هارون المخلوع ، والسادس الآخر : المستعين ، والسادس الآخر : المقتدر بالله . وللمقتدر أخبار حسان ، وما كان في أيامه من الحروب والوقائع ، وأخبار ابن أبي الساج وأخبار مؤنس وأخبار سليمان بن الحسن الجماني ^(١) وما كان منه بمكة في سنة سبع عشرة وثلثمائة وغيرها ، وما كان في المشرق والمغرب وقد أتينا على جميع ذلك في كتابنا « أخبار الزمان » مفصلاً ، وفي الكتاب الأوسط مجملاً ، وذكرنا منه في هذا الكتاب لمعاً ، وأرجو أن يفسح الله لنا في البقا . ويمد لنا في العمر ويسعدنا بطول الأيام ، فنعقب تأليف هذا الكتاب بكتاب آخر نضمنه فنون الأخبار ، وأنواعاً من ظرائف الآثار ، على غير نظم من تأليف ، ولا ترتيب من تصنيف ، على حسب ما يسنح ^(٢) من فوائد الأخبار ، ويوجد من نوادر الآثار ، ونترجمه بكتاب وصل المجالس بجوامع الأخبار ومخاطب الآداب ، تالياً لما سلف من كتبنا ، ولاحقاً لما تقدم من تصنيفنا .

وفاة موسى
ابن إسحاق
الأنصاري

وكانت وفاة موسى بن إسحاق [الأنصاري] القاضي في خلافة المقتدر ، وذلك في سنة سبع وتسعين ومائتين ، ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة [الفقيه] الكوفي ، ودفن في الجانب الشرقي ، وكان هذا [ن] من علماء أهل الحديث وكبار أهل النقل .

(٢) في ب « على حسب ما يسنح »

(١) في ب « الجباري »

غرق البيت الحرام حتى عمَّ الفرق^(١) الطواف وفاضتُ بئر زمزم ، وأن ذلك لم يعهد [وه] فيما سلف من الزمان .

وفيهما كانت وفاة يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن حماد القاضي ، وذلك في شهر رمضان بمدينة السلام ، وهو ابن خمس وتسعين سنة ، وقيل : إن في هذه السنة كانت وفاة محمد بن داود بن [علي بن] خلف الأصبهاني الفقيه ، وقد قدمنا ذكره ، وأن وفاته كانت في سنة ست وتسعين ومائتين وإنما حكينا الخلاف في ذلك .

وفي هذه السنة — وهي سنة سبع وتسعين ومائتين — كانت وفاة ابن أبي عوف البروري^(٢) المعدل ببغداد ، وذلك في شوال ، وهو ابن نيف وثمانين سنة ، ودفن في الجانب الغربي .

وإنما نذكر هؤلاء لفقاهم السنن ، واشتهارهم بذلك ، وحاجة أهل العلم وأصحاب الآثار إلى معرفة وقت وفاتهم .

وفيهما مات أبو العباس أحمد بن مسروق المحدث وهو ابن أربع وثمانين سنة ، ودفن بباب آل حرب^(٣) من الجانب الغربي .

وقد قدمنا في هذا الكتاب أخبار مَنْ ظهر من آل أبي طالب في أيام بني أمية وبني العباس ، وفي غيره مما سلف من كُتبتنا ، وما كان من أمرهم من قتل أو حبس أو حرب^(٤) .

وقد كان ظهر بصعيد مصر أحمد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن [إسماعيل بن إبراهيم بن] الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، فقتله أحمد ابن طولون ، بعد أقاصيص قد أتينا عليها فيما سلف من كُتبتنا .

وإنما نذكر مَنْ ظهر من آل أبي طالب والامع من أخبارهم في هذا الكتاب لاشتراطنا فيه على أنفسنا من إيراد ذكرهم ومقاتلتهم ، وغير ذلك من أخبارهم من

(١) في « حتى جرى الفرق » (٢) في « ا » البروري »

(٣) في « باب حرب » وهو المشهور (٤) في « أو حرب »

وفاة الرسى

منذ [قتل] أمير المؤمنين إلى الوقت الذي ينتهي إليه تصنيفنا لهذا الكتاب .
وكانت وفاة يحيى بن الحسين [الحسنى] الرسى بعد أن قطن بمدينة صعدة من
أرض اليمن في سنة ثمان وسبعين ومائتين ، وقام بعده ولده الحسن ^(١) بن يحيى .
وكان ظهور ابن ^(٢) الرضا - وهو محسن بن جعفر بن علي بن محمد بن علي بن موسى
ابن جعفر بن محمد - في أعمال دمشق في سنة ثلثمائة ، وكانت له مع أبي العباس
أحمد بن كيبلغ وقعة فقتل صبراً ، وقيل : قتل في المعركة ، وحمل رأسه إلى
مدينة السلام فنصب على الجسر الجديد بالجانب الغربى .

ظهور
ابن الرضا

ظهور
الأطروش
العلوى

وظهر ببلاد طبرستان والديلم الأطروش - وهو الحسن بن علي - وأخرج
عنها المسودة ، وذلك في سنة إحدى وثلثمائة ، وقد كان ذا فهم وعلم ومعرفة
بالآراء والنحل ، وقد كان أقام في الديلم سنين ، وهم كفار على دين المجوسية
ومنهم جاهلية ، وكذلك الجليل ، فدعاهم إلى الله عز وجل ، فاستجابوا
وأسلموا ، وقد كان للمسلمين بإزائهم ثغور مثل قزوين وغيرها ، وبني في
الديلم مساجد ، والديلم زعم كثير من الناس من ذوى المعرفة بالنسب أنهم
من ولد باسل بن ضبة بن أدد ^(٣) وأن الجليل من تميم ، وقد قيل : إن دخول
الأطروش إلى طبرستان كان في أول يوم من المحرم سنة إحدى وثلثمائة ،
وإن في هذا اليوم دخل صاحب البحرين البصرة ، وقتل أميرها طمسك ^(٤)

المفلحى ، وقد أتينا على خبر الأطروش العلوى وخبر ولده وخبر أبي محمد
الحسن بن القاسم الحسنى الداعى واستيلائه على طبرستان ومقتله ، وما كان
من الجليل والديلم في أمره في كتابنا « أخبار الزمان » .

وفيات

وكانت وفاة أبي العباس أحمد بن [عمر بن] شريح ^(٥) القاضى في سنة ست وثلثمائة
وكانت وفاة أبي جعفر محمد [بن جرير الطبرى الفقيه ببغداد في سنة عشر
وثلثمائة ، وكانت وفاة أبي إسحاق] إبراهيم بن جابر القاضى بحلب ، وأدخل

(٢) في ب « أبى الرضا »

(٤) في ب « عسكر المفلحى »

(١) في ب « الحسين بن يحيى »

(٣) في ب « بن أدوار »

(٥) في ب « أحمد بن شريح »

الليث بن علي بن الليث بن أخي الصفار إلى مدينة السلام على الفيل في سنة سبع وتسعين ومائتين وقدامه الجيش وحوله ، وقد شهر ، وقيل : إن الليث أدخل إلى مدينة السلام في سنة ثمان وتسعين ومائتين .

وفي هذه السنة - وهي سنة ثمان^(١) وتسعين ومائتين - مات ببغداد أبو بكر محمد بن سليمان الروزي^(٢) ، المحدث ، صاحب الجاحظ ، وقيل أيضاً : إن وفاته كانت في سنة ثمان وتسعين .

أحداث
وفي هذه السنة كان دخول فارس صاحب سراكب الروم وحربها إلى ساحل الشام ، فافتتح حصن القبة بعد حرب طويل ، وعدم مغيث يغيثهم من المسلمين ، وافتتح مدينة اللاذقية فسبى منها خلقاً كثيراً ، ووقع بالكوفة برآء عظيم الواحدة رطل بالبغدادى ، وريح مظلمة ، وذلك في شهر رمضان ، وانهدم كثير من المنازل والبنيان ، وكان فيها رجفة عظيمة هلك فيها خلق كثير من الناس ، هذا كان بالكوفة في سنة تسع وتسعين^(٣) ومائتين ، وكان بمصر في هذه السنة زلزلة عظيمة ، وفيها طاع نجم الذنب^(٤) .

وفيها غزا دمنانة^(٥) صاحب الغزو بالبحر الرومى في سراكب المسلمين جزيرة قبرص ، وقد كانوا نقضوا العهد الذى كان في صدر الإسلام : أن لا يعينوا الروم على المسلمين ولا المسلمين على الروم ، وأن خواجه نصفه للمسلمين ونصفه للروم ، وأقام دمنانة^(٥) في هذه الجزيرة أربعة أشهر يسبى ويحرق ويفتح مواضع قد تحصن فيها ، وقد أتينا على خبر هذه الجزيرة فيما سلف من هذا الكتاب عند إخبارنا عن جمل البحار ومبادئ الأنهار ومطارحها ؛ فمنع ذلك من إعادة وصفها .

(١) في « وهي سنة سبع وتسعين » وهو المستقيم مع مايلي

(٢) في « الروزى » (٣) في ب « سنة تسع وثمانين ومائتين »

(٤) في « كوكب الذنب » (٥) في ب « وهنائة »

موت ابن ناجية وفي سنة إحدى وثلاثمائة مات عبد الله بن ناجية^(١) المحدث بمدينة السلام، وكان مولده في سنة اثنتي عشرة ومائتين .

ابن الجصاص وكان القبض على ابن الجصاص الجوهري بمدينة السلام في سنة اثنتين وثلاثمائة ، والذي صح مما قبض من ماله من العين والورق والجوهر والفرش والثياب والمستغلات خمسة آلاف ألف وخمسمائة ألف دينار .

وفيات القاسم وفيها مات القاسم بن الحسن بن الأشيب - ويكنى أبا محمد - يوم الاثنين لليلتين بقيتاً من جمادى الأولى ، وكان من كبار العلماء والمحدثين ، ودُفن في الجانب الغربي في الشارع المعروف بشارع الجمالين^(٢) ، وحضر جنازته محمد بن يوسف القاضي ، وأبو جعفر أحمد^(٣) بن إسحاق بن البهلول القاضي ، وغيرهما من الفقهاء والعدول والكتاب وأهل الدولة ، وهو أبو أبي عمران موسى بن القاسم بن الحسن المعروف بابن الأشيب ، وهو كبير من فقهاء الشافعيين في هذا الوقت .

وفات القاسم
ابن الحسن
ابن الأشيب

غارة البربر وفي هذه السنة - وهي سنة اثنتين وثلاثمائة - ورد الجيش من الغرب ؛ فكان لأهل مصر من أصحاب السلطان معهم [مصر] حروب عظيمة ، وقتل فيها خلق كثير ، واستأمن رجل من وجوه البرابرة يعرف بأبي جرة^(٤) إلى السلطان ، وسار إلى مدينة السلام ، فخلع عليه .

غارة البربر
على مصر

ابن أبي الساج وفي سنة سبع وثلاثمائة^(٥) أدخل يوسف بن أبي الساج إلى مدينة السلام، وقد شهر على الجمل الفالج وعليه دراعة الديباج التي لبسها عمرو بن الليث ووصيف الخادم ، وعلى رأسه برنس طويل بشقائق وجلجل ، وحوله الجيوش ومؤنس الخادم ورائه مع [سائر] أرباب الدولة من أصحاب السيوف، وقد أتينا على خبر هذه الواقعة التي أسر فيها مؤنس الخادم ابن أبي الساج

(١) في نسخة « عبد الله بن ناجية » محررفا عما أثبتناه موافقا لما في اب

(٢) في ب « الجماليق » (٣) في ب « محمد بن إسحاق »

(٤) في ب « بأبي جرة » (٥) في ب « سنة سبع عشرة وثلاثمائة »

بناحية أردبيل ، ومن حضرها من الأمراء مثل ابن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان ، وعلى بن حسان ، وأبي الفضل المروى ، وأحمد بن علي أخى^(١) صعلوك ، وغيرهم من الأمراء والقواد ، وذكرنا تخليمة المقتدر لابن أبي الساج ، وخروجه من ديار ربيعة ومضر [ومسيره إلى أعماله من] بلاد أذربيجان وأرمينية ، وما كان من غلامه سبك^(٢) واستيلائه على عمل مولاه ومفارقة الفارقي ، وما كان من سائر أخبار ابن أبي الساج ومسيره إلى واسط ، ثم مسيره إلى الكوفة ، وما كان من خبره في حربه لأبي طاهر سليمان بن الحسن الجنابي^(٣) وأسرته إياه وقتله له نحو الأنبار وهيت حين أشرف على سواده بليق ونظيف غلام ابن أبي الساج ، وما كان في هذه الواقعة وهزمه لبليق ونظيف ، ومسير القرمطي ونزوله على هيت ، وغير ذلك ، وذلك في سنة خمس عشرة وثلثمائة ، فيما سلف من كتبنا ، وكذلك ذكرنا ما كان من مؤنس الخادم ، ومن كان [معه] من أولياء السلطان من القتال بجيش صاحب المغرب بمصر ، وذلك في سنة تسع وثلثمائة .

(١) في ب « بن صعلوك »

(٢) في ب « الجبائي » محرفا

(٣) في ب « غلامه مسك »

ذکر خلافة القاهر | بالله |

موجز

وبويع القاهر محمد بن أحمد المعتضد بالله يوم الخميس لليلتين بقيتا من شوال سنة عشرين وثلثمائة ، ثم خلع يوم الأربعاء لخمس خلون من جمادى الأولى سنة ائنتين وعشرين وثلثمائة ، وسُمِّلت عيناه ، وكانت خلافته سنة وستة أشهر وستة أيام ، ويكنى بأبي منصور ، وأمه أم ولد .

ذكر جهل من أخباره وسيره

ولع مما كان في أيامه

واستوزر القاهر أبا علي محمد بن علي بن مُقَلَّةَ في سنة إحدى وعشرين وثلثمائة
ثم عزله ، واستوزر أبا جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان^(١) [ثم عزله ،
واستوزر أبا العباس أحمد بن عبيد الله الخصبى] .

وكانت أخلاقه لا تكاد تحصل^(٢) ، لتقلبه وتلونه ، وكان شهماً شديداً البطش
بأعدائه ، وأباد جماعة من أهل الدولة ، منهم مؤنس الخادم ، وبليق ، وعلي بن
بليق ، فهابه الناس وخشوا صوته ، واتخذ حربة عظيمة يحملها في يده إذا سعى
في داره ويطرحها بين يديه في حال جلوسه ، ويباشر الضرب^(٣) بتلك الحربة
لمن يريد قتله ، فسكن من كان يستعمل على من قبله من الخلفاء التشعب والتوثب
عليهم ، وكان قليل الثبوت في أمره ، مخوف السطوة ، فأداه ما وصفنا من فعله
إلى أن احتيل عليه في داره فقبض عليه ، وسملت كلتا عينيه وهو حي في هذا
الوقت في الجانب الغربي في دار ابن طاهر ، على ما نُمي إلينا من خبره واتصل بنا
من أمره ، وذلك أن الراضى بالله غيَّب خبره وقطع ذكره ، فلما بويع إبراهيم
المتقى بالله أصيب القاهر معتقلاً في بعض المقاصير ، فأمر به إلى دار ابن طاهر ،
فاعتقل بها إلى هذه الغاية على ما وصفنا .

وذكر محمد بن علي العبدى الخراسانى الأخبارى ، وكان القاهر به آنساً ،
قال : خلا بي القاهر فقال : اصدقنى أو هذه - وأشار إلى بالحربة - فرأيت والله
الموت عياناً بينى وبينه ، فقلت : أصدقك يا أمير المؤمنين ، فقال لى : انظر ،
يقولها ثلاثاً ، فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : عما أسألك عنه ، ولا تُغيَّب عني

(١) وقع في ب « محمد بن القاسم بن عبد الله الخصبى » فاختلف الإسمان

وسقط أحدهما

(٢) في ب « ويباشر الحرب »

(٣) في ب « لا تكاد نحصى »

شيئاً ، ولا تحسن القصة ، ولا تسجع فيها ، ولا تسقط منها شيئاً ، قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : أنت علامة بأخبار [خلفاء] بني العباس في أخلاقهم وشيمهم من أبي العباس [السفاح] فمن دونه ، فقلت : على أن لي الأمان يا أمير المؤمنين ، قال : ذلك لك .

وصف السفاح قال : قلت : أما أبو العباس السفاح ، فكان سريعاً إلى سفك الدماء ، واتبعه عماله في الشرق والغرب في فعله ، واستنوا بسيرته ، مثل محمد بن الأشعث بالمغرب ، وصالح بن علي بمصر ، وخازم بن خزيمة^(١) ، وحميد ابن قحطبة ، وكان مع ذلك^(٢) بحراً سمحاً وصولاً جواداً بالمال ، وسلك من ذكرنا [من عماله وغيرهم] ممن كان في عصره سبيله ، وذهبوا مذهبه ، مؤتمين به .

وصف المنصور قال : وأخبرني عن المنصور ، قلت : الصدق يا أمير المؤمنين ؟ قال : الصدق .

قلت : كان والله أول من أوقع الفرقة بين ولد العباس بن عبد المطلب وبين آل أبي طالب ، وقد كان قبل ذلك أمرهم واحداً ، وكان أول خليفة قريب المنجمين وعمل بأحكام النجوم ، وكان معه نوبخت المجوسي المنجم ، وأسلم على يديه ، وهو أبو هؤلا ، النوبختية ، وإبراهيم الفزاري المنجم ، صاحب القصيدة في النجوم ، وغير ذلك من علوم النجوم وهيئة الفلك ، وعلى بن عيسى الإسطرلابي المنجم ، وهو أول خليفة ترجمت له الكتب من اللغات العجمية إلى العربية ، منها : كتاب « كليلة ودمنة » ، وكتاب « السندهند » ، وترجمت له كتب أرسطاطاليس ، من المنطقيات وغيرها ، وترجم له كتاب « المجسطي » لبطليموس ، وكتاب « الأرتماطيقى » ، وكتاب « إقليدس » وسائر الكتب القديمة من اليونانية ، والرومية ، والفهلوية ، والفارسية ، والسريانية ، وأخرجت إلى الناس ، فنظروا فيها ، وتعلقوا إلى علمها ، وفي أيامه وضع محمد بن إسحاق كتاب

(١) في ب « خازم بن خزيمة » (٢) في ا « وكان مع ذلك نبداً » .

«المغازي ، والسير : وأخبار المبتدأ» ولم تكن قبل ذلك مجموعة ولا معروفة ولا مُصَنَّفَة ، وكان أول خليفة استعمل مواليه وغلما ناه [في أعماله] وصرفهم في مهماته ، وقدّمهم على العرب ، فامتثل ذلك الخلفاء من بعده من ولده ، فسقطت وبادت العرب ، وزال بأسها^(١) ، وذهبت مراتبها ، وأفضت الخلافة إليه ، وقد نظر في العلم ، وقرأ المذاهب ، وارتاض في الآراء ، ووقف على النحل ، وكتب الحديث ، فكثرت في أيامه روايات الناس ، واتسعت عليهم علومهم .

قال القاهر : قد قلت فأحسنت ، وعبرت فبينت ، فأخبرني عن المهدي وصف المهدي كيف كانت أخلاقه^(٢) ؟

قلت . كان سنجاً سخياً كريماً جواداً ، فسلك الناس في عصره سبيله ، وذهبوا في أمرهم مذهبه ، واتسعوا في مساعيهم ، وكان من فعله في ركوبه أن يحمل معه بدرّ الدنانير والدرهم ، فلا يسأله أحد إلا أعطاه ، وإن سكت ابتدأه المفرق بين يديه ، وقد تقدم بذلك إليه ، وأمعن في قتل الملحدين ، والذاهنين^(٣) عن الدين لظهورهم في أيامه ، وإعلانهم باعتقاداتهم في خلافته ؛ لما انتشر من كتب ماني وابن ديصان^(٤) ، ومرقبون مما نقله عبد الله بن المقفع ، وغيره ، وترجمت من الفارسية والفهلوية إلى العربية ، وما صنفه في ذلك ابن أبي العرجاء ، وحماد عجرد ، ويحيى بن زياد ، ومطيع ابن إياس : من تأييد المذاهب المانية ، والديصانية ، والمرقيونية ، فكثرت بذلك الزنادقة ، وظهرت آراؤهم في الناس ، وكان المهدي أول من أمر الجدليين من أهل البحث من المتكلمين بتصنيف الكتب على الملحدين ممن ذكرنا من الجاحدين وغيرهم ، وأقاموا البراهين على المعاندين ، وأزالوا شبهة الملحدين ، فأوضحوا الحق للشاكين ، وشرع في بناء المسجد الحرام ، ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم على ما هما عليه إلى هذه الغاية ، وبني بيت المقدس ، وقد كان هدمته الزلازل .

(١) في ا « وزالت رياساتها »
 (٢) في ب « كيف كانت خلافته »
 (٣) في ب والذاهبين عن الدين «
 (٤) في ب « وابن دميان »

وصف الهادي

قال : فأخبرني عن الهادي على قصر أيامه كيف كانت أخلاقه وشيمه ؟
قلت : كان جَبَّاراً عظيماً ، وأول من مشت الرجال بين يديه بالسيوف
المُرَهَفَة ، والأعمدة المشهورة ، والقسيِّ الموتورة ، فسلكت عماله طريقته ،
ويعموا منهجه ، وكثر السلاح في عصره .

قال : لقد أجدت في وصفك ، وبالغت فيما ذكرت من قولك ، فأخبرني
عن الرشيد كيف كانت طريقته ؟

وصف الرشيد

قلت : كان مواظباً على الحج ، متابعاً للغزو ، واتخاذ المصانع والآبار والبرك
والقصور في طريق مكة ، وأظهر ذلك بها وبمناجى وعرفات ، ومدينة النبي صلى
الله عليه وسلم ، فعمم الناس إحسانه ، مع ما قرن به من عدله ، ثم بنى الثغور ،
ومدّن المدن ، وحصّن فيها الحصون ، مثل طرسوس وأذنة ، وعمر المصيصة
ومر عس ، وأحكم بناء الحرب ، وغير ذلك من دور السبيل والمواضع للمرابطين ،
واتبعه عماله ، وسلكوا طريقته ، وقفّته رعيته مقتدية بعمله ، مُستندة بإمامته ،
فقمع^(١) الباطل ، وأظهر الحق ، وأنار الأعلام ، وبرز على سائر الأمم ، وكان
أحسن الناس في أيامه فعلاً أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور لما أحدثته
من بناء دور السبيل بمكة ، واتخاذ المصانع والبرك والآبار بمكة ، وطريقها المعروفة
إلى هذه الغاية ، وما أحدثته من الدور للتسبيل بالثغر الشامي وطرسوس وما أوقفت
على ذلك من الوقوف ، وما ظهر في أيامه من فعل البرامكة وجودهم وإفضالهم
وما اشتهر عنهم من أفعالهم . وكان الرشيد أول خليفة لعب بالصولجان في الميدان
ورمى بالنشاب في البرجاس ، ولعب بالأكرة والطبّاطاب . وقرب الخدّاق في ذلك
فعم الناس ذلك الفعل . وكان أول من لعب بالشطرنج من خلفاء بني العباس ،
وبالنرد وقدم اللعاب ، وأجرى عليهم الرزق ، فسمى الناس أيامه - لنضارتها ،
وكثرة خيرها وخصبها - أيام العروس ، وكثير مما يجاوز النعت ويتفاوت فيه الوصف

(١) في ب « فعمط الباطل »

قال القاهر : فأراك قد قصرت في تفصيل [أفعال] أم جعفر ، فلم ذلك ؟ وصف أم جعفر
 قلت : يا أمير المؤمنين ميلاً إلى الاقتصار ، وطلباً للإيجاز .
 قال : فتناول الحربة وهزّها ، فرأيت الموت الأحمر في طرفها ، ثم برق
 عينيه مع ذلك فاستسلمت ، وقلت : هذا ملك الموت ، ولم أشك أنه يقبض
 روحى ؛ فأهوى بها نحوى ، فزُغْتُ منها ، فاسترجع وقد أخطأتنى ، فقال :
 ويلك !! أبغضت ما فيه عيناك ، ومَلَلت الحياة ؟ قلت : ما هو يا أمير المؤمنين ؟
 قال : أخبار أم جعفر زدنى منها ، قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، كان من
 فعلها وحسن سيرتها في الجد والهزل ما برزت فيه على غيرها ، فأما الجد
 والآثار الجميلة التي لم يكن في الإسلام مثلاً ، مثل حفرها العين المعروفة بعين
 المشاش بالحجاز ، فإنها حفرتها ، ومهدت الطريق لمسائها في كل خفض ورفع
 وسهل وجبل ووعر ، حتى أخرجتها من مسافة اثني عشر ميلاً إلى مكة ،
 فكان جملة ما أنفقت عليها - مما ذكر وأحصى - ألف ألف وسبعمائة
 ألف دينار ، وما قدّمت ذكره من المصانع والدور والبرك والآبار بالحجاز
 والثغور ، وإنفاقها الألوفاً على ذلك ، دون ما كان في وقتها من البذل ،
 وما عم أهل الفاقة من المعروف والخصب ، وأما الوجه الثاني - مما تتباهى
 به الملوك في أعمالهم ، وبنعمون به في أيامهم ، ويصونون به دَوْلَهُمْ ، ويدون
 في أفعالهم وسيرهم - فهو أنها أول من اتخذ الآلة من الذهب والفضة المكلمة
 بالجواهر ، وصنع^(١) لها الرفيع من الوشى ، حتى بلغ الثوب من الوشى الذي
 اتخذ^(٢) لها خمسين ألف دينار ، وهى أول من اتخذ الشاكرية من الخدم
 والجواري ، يختلفون على الدواب في جهاتها ، ويذهبون في حوائجها برسائلها
 وكتبها ، وأول من اتخذ القباب [من] الفضة والآنوس والصندل وكلاليها
 من الذهب والفضة ملبسة بالوشى والسمور والديباج وأنواع^(٣) الحرير من

(١) في « واصطنع لها » (٢) في « حتى بلغ ثوب وشى اتخذ لها »

(٣) « وألوان الحرير » .

الأحمر والأصفر والأخضر والأزرق ، واتخذت الخفاف المرصعة بالجواهر
 وشمع العنبر ، وتتبَّه الناس في سائر أفعالهم بأم جعفر
 ولما أفضى الأمر إلى ولدها يا أمير المؤمنين قدَّم الخدم ، وآثرهم ،
 ورفع منازلهم ، ككوثر وغيره من خدَمِه ، فلما رأت أم جعفر شدة شفقه
 بالخدم واشتغاله بهم اتخذت الجوارى المقدودات الحسان الوجوه ، وعممت
 رؤوسهن ، وجعلت لهن الطَّرَر^(١) والأصداع والأقفية ، والبستن الأقبية
 والقراطق والمناطق ، فمات^(٢) قدودهن ، وبرزت أردافهن ، وبعثت بهن
 إليه ، فاختلفن في يديه ، فاستحسنهن واجتذبن قلبه إليهن ، وأبرزهن للناس
 من الخاصة والعامة ، واتخذ الناس من الخاصة والعامة الجوارى المطمومات ؛
 وألبسوهن الأقبية والمناطق ، وسموهن الغلاميات .

فلما سمع القاهر ذلك الوصف ذهب به الفرح والطرب والسرور ، ونادى
 بأعلى صوته : يا غلام ، قدح على وصف الغلاميات ، فبادر إليه جوار
 كثيرة قدَّهن واحد ، توهمتن غلماناً بالقراطق والأقبية والطرر^(١)
 والأقفية ومناطق الذهب والفضة ، فأخذ الكأس بيده ، فأقبلت أتأمل
 صفاء جوهر الكأس ونورية الشراب ، وشعاعه ، وحسن أولئك الجوارى،
 والحربة بين يديه ، وأسرع في شربه ، فقال : هيه .

وصف المأمون
 فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ، ثم أفضى الأمر إلى المأمون ، فكان في
 بدء أمره — لما غلب عليه الفضل بن سهل وغيره — يستعمل النظر في
 أحكام النجوم وقضاياها ، وينقاد إلى موجباتها ، ويذهب مذاهب من سلف
 من ملوك ساسان كأردشير بن بابك [وغيره] ، واجتهد في قراءة الكتب
 القديمة ، وأمعن في درسها ، وواظب^(٣) على قراءتها ، فافتن في فهمها ،
 وبلغ درايتهما ؛ فلما كان من الفضل بن سهل ذي الرياستين ما اشتهر وقدم
 العراق انصرف عن ذلك كله ، وأظهر القول بالتوحيد والوعد والوعيد ،
 وجالس المتكلمين ، وقرب إليه كثيراً من الجدليين [المبرزين] والمناظرين

(١) في « الطرز »

(٢) في ب « فبانت قدودهن » .

(٣) في ا ه « واظب في قراءتها »

كأبي الهذيل وأبي إسحاق إبراهيم بن سيار النظام وغيرهم ممن وافقهم وخالفهم^(١) ، وألزم مجلسه الفقهاء ، وأهل المعرفة من الأدباء ، وأقدمهم من الأمصار ، وأجرى عليهم الأرزاق ، فرغب الناس في صنعة النظر ، وتعلموا البحث والجدال ، ووضع كل فريق منهم كتباً ينصر فيها مذهبه ويؤيد بها قوله ، وكان أكثر^(٢) الناس عفواً ، وأشدهم احتمالاً ، وأحسنهم مقدرة ، وأجودهم بالمال الرغيب ، وأبذلهم للعطايا ، وأبعدهم من التسافه^(٣) واتبعه وزرأوه وأصحابه في فعله ، وسلكوا سبيله ، وذهبوا مذهبه .

ثم المعتصم ، فإنه يا أمير المؤمنين سلك في النحلة رأى أخيه المأمون ، وصف المعتصم وغلب عليه حب الفروسية ، والتشبه بالملوك الأعاجم في الآلة ، ولبس القلانس والساشيات فلبسها الناس اقتداءً بفعله ، واثمأما به ، فسميت المعتصميات ، وعم الناس إفضاله ، وأمنت به السبل في أيامه ، وشمل [الناس] إحسانه .

ثم هرون بن محمد الواثق ، فإنه اتبع ديانة أبيه ، وعمه ، وعاقب المخالف ، وصف الواثق وامتحن الناس ، وكثر معروفه ، وأمر القضاة في سائر الأمصار أن لا يقبلوا شهادة من خالفه ، وكان كثير الأكل ، واسع العطاء ، سهل الانقياد^(٤) متحجباً إلى رعيته .

ثم المتوكل يا أمير المؤمنين ، فإنه خالف ما كان عليه المأمون والمعتصم وصف المتوكل والواثق من الاعتقاد ، ونهى عن الجدل والمناظرة في الآراء وعاقب عليه ، وأمر بالتقليد ، وأظهر الرواية للحدث ، فحسنت أيامه ، وانتظمت دولته ، ودام ملكه ، وغير ذلك يا أمير المؤمنين مما اشتهر من أخلاقه .

قال القاهر : قد سمعت كلامك وكأني مشاهد للقوم على ما وصفت ؛ معان لهم فيما ذكرت ، واقدم سررتي ماسمعت منك ، ولقد فتحت أبواب السياسة ، وأخبرت عن طرق الرياسة ، ثم أمر لي بجائزة عجل لي عطاءها في وقتها ، ثم قال لي : إذا شئت فقم ، فقامت ، وقام على أثرى بحر بته ، فخييل

(١) في « وغيرهما ممن وافقهما وخالفهما » .

(٢) في « وكان أكرم الناس » (٣) في « وأبعدهم من النفاة »

(٤) في « سلس القياد متحنناً على رعيته » .

والله لي أنه برميني بها من ورأني ، ثم عَطَفَ نحو دار الخدم ، فما مضت
إلا أيام يسيرة حتى كان من أمره ما ظهر
قال المسعودي : وهذا الرجل الذي أَخْبَرْتُ عنه بهذا الحديث له أخبار
حسان ، وهي حتى يرزق إلى هذه الغاية ، وهي سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة ،
مداحاً للملوك ، معاشرراً لأهل الرياسات ، حسن الفهم ، جيد الرأي .

وفاة ابن دريد

وفي خلافة القاهر بالله - وهي سنة إحدى وعشرين وثلثمائة - كانت
وفاة أبي بكر محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ ببغداد ، وكان ممن قد برَعَ في زمننا
هذا في الشعر ، وانتهى في اللغة ، وقام مقام الخليل بن أحمد فيها ، وأورد
أشياء في اللغة لم تُوجَد في كتب المتقدمين ، وكان يذهب في الشعر كل
مذهبٍ ، فطوراً يجزل ، وطوراً يرق ، وشعره أكثر من أن نحصيه أو
يأني عليه كتابنا هذا ، فمن جيد شعره قصيدته المقصورة [التي مدح بها
الشاه ابن ميكال ، ويقال : إنه أحاط فيها بأكثر المقصور] وأولها :
إِذَا تَرَى رَأْسِي حَاكِي لَوْنُهُ طُرَّةً صَبِيحَ تَحْتِ أَذْيَالِ الدُّجَى
وَاشْتَعَلَ المَبْيُضُ فِي مَسْوَدِهِ مِثْلَ اشْتِعَالِ النَّارِ فِي جَزْلِ القَضَى
ومنها :

إِن الجَدِيدِينَ إِذَا مَا اسْتَوَلِيَا عَلَى جَدِيدِ أَدْنِيَاهِ لِلْبَيْلَى

[وفيها يقول] :

لَسْتُ إِذَا مَا أَبْهَظَّتْني غَمْرَةٌ مِمَّنْ يَقُولُ : بَلَّغَ السَّيْلُ الزُّبْيُ (١)

ومنها :

وَإِن ثَوَّتْ بَيْنَ ضُلُوعِي زَفْرَةٌ تَمَلُّ مَا بَيْنَ الرَّجَا إِلَى الرَّجَا (٢)

وقد عارضه في هذه القصيدة المقصورة جماعة من الشعراء ؛ منهم أبو القاسم

علي بن محمد بن داود بن فهم (٣) التَّنُوخِيُّ الأنطَاكِيُّ ، وهو في وقتنا هذا - وهو

(١) في ب « لست إذا ما أنهضتني غمرة » .

(٢) في ب « ما بين الرجا إلى الرجا » (٣) في ب « بن الفهم »

سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، بالبصرة في جملة البريديين^(١) ، وأول قصيدته المقصورة التي يمدح فيها تنوخ وقومه من قضاة :

لولا انتهائي لم أطيع نهى النهى أى مَدَى يَطْلُبُ مَنْ جاز المَدَى
إن كنت أقصرت فما أقصر قلباً دامياً تَدْمِيهِ الحَاظُ الدَّمَى
ومُقَلَّةٌ إن مقلت أهل الغضا أغضتُ وفي أجفانها جهر الغضى
وفيها يقول :

وكم ظباء رَعِيهَا الحَاظُهَا أسرع في الأنفس من حَدِّ الظبي
أسرع من حرف إلى جر ، ومن حب إلى حَبَّةِ قلبٍ وَحَشَى^(٢)
قضاة بن مالك بن حمير ما بعده للمرتقين مرْتَقَى

وقد سبق إلى المقصورة أبو المقاتل نصر بن نصير الحلوانى في محمد بن زيد الداعى [الحسنى] بطبرستان بقوله :

قفا خليلي على تلك الرُّبَى وسائلها أين هاتيك الدَّمَى ؟
أين اللواتى ربت ربوعها عليك ؟ باستنجاها تَشْفِي الجوى ؟
ولابن ورقاء في المقصورة أيضاً :

ما شئت قل هي المها هي القنا جواهر بكين أعطاف الدمى

ومن تأخر موته بعد موت ابن دُرَيْدِ العُمَانِي أبو عبد الله المفجع ، وكان كاتباً شاعراً بصيراً بالفريب ، وهو صاحب الباهلى المصرى الذى كان يناقض ابن دُرَيْدِ ، فما جَوَّدَ فيه المفجع قوله :

الأطرب الفؤاد إلى رُدَيْنِ ودون مزارها ذو الجلمتين
ألم خيالها وهنأ برحلى فولى رعية الشرطين عيني

وقد أتينا على ما كان في أيام القاهر - مع قصر مدته - من الكوائن في الكتاب الأوسط ، فمنع ذلك من ذكره في هذا الكتاب .

(١) في ب « اليزيديين » . (٢) في ا « أسرع بن خوف إلى جوف » .

ذكر خلافة الرازي بالله

وبويح الرازي بالله محمد بن جعفر ، المقتدر ، ويكنى أبا العباس ، يوم
الخميس لست خلون من جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة ، فأقام
في الخلافة إلى أن مضى من ربيع الأول عشرة أيام ، سنة تسع وعشرين
وثلثمائة ، ومات حتف أنفه بمدينة السلام ، وكانت خلافته ست سنين
وأحد عشر شهراً وثلثمائة^(١) أيام ، وأمّه أم ولد يقال لها ظلوم .

موجز

(١) في « وثمانية أيام »

ذكر جمل من أخباره وسيره .

ولع مما كان في أيامه

وَأَسْتَوَزَرَ الرَّاضِيَ أَبَا عَلِيٍّ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ مُقَلَّةَ ، ثُمَّ اسْتَوَزَرَ أَبَا عَلِيٍّ
عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَيْسَى بْنِ دَاوُدَ بْنِ الْجُرَّاحِ ، ثُمَّ أَبَا جَعْفَرَ مُحَمَّدَ بْنَ الْقَاسِمِ
الْكَرْخِيَّ ، ثُمَّ أَبَا الْقَاسِمِ سَلِيمَانَ بْنَ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، ثُمَّ أَبَا الْفَتْحِ الْفَضْلَ
ابْنَ جَعْفَرَ بْنِ الْفُرَاتِ ، ثُمَّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ الْبُرَيْدِيِّ (١) .

وَكَانَ الرَّاضِيَ أَدِيبًا شَاعِرًا ظَرِيفًا ، وَلَهُ أَشْعَارٌ حَسَنَةٌ فِي مَعَارٍ مُخْتَلِفَةٍ ،
إِنْ لَمْ يَكُنْ ضَاغِيًا بِهَا ابْنُ الْعَتَزِ فَمَا نَقَصَ عَنْهُ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ فِي وَصْفِ
حَالِهِ وَحَالِ مَعْشُوقِهِ إِذَا التَّقِيَا :

يَصْفَرُ وَجْهِي إِذَا تَأَمَّلَهُ طرفي ، ويحمرُّ وجهه خجلًا (٢)
حَتَّى كَأَنَّ الَّذِي بَوَّجَنَّتَهُ من دم وجهي إليه قد نقلًا
وَمِنْ جَيِّدِ شِعْرِهِ قَوْلُهُ :

يَا رَبَّ لَيْلٍ قَدْ دَنَا مَزَارُهُ يسترني ومؤنسي أزراره
سَاقٍ مَلِيحٍ الْقَدِّ كَدَجَارِهِ سراجي ، ووجهه مناره (٣)
يَشْهَدُ لِي بِهَذَا زُنَّارُهُ تاهَ بخد ظهرَ أحمِاره
مَاسَ مَعَ الْحَمْرَةِ جُلْنَارُهُ أَيَّ كَثِيبٍ قَدْ حَوَى إِزَارُهُ ؟
وَأَيُّ غَصْنٍ ضُمَّتْ أَزْرَارُهُ طَوَّعَ الْكُؤُوسَ ، غَرَّهَ عِدَارُهُ
[إِخْفَاؤُهُ تَعْتَادُهُ أَمْرَارُهُ لَا كَانَ لَهُ لَمْ يَثِرْ غِبَارُهُ] (٤)
وَقَدْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ الصُّوْلِيُّ يَرُوي كَثِيرًا مِنْ أَشْعَارِ الرَّاضِي ، وَيَذْكَرُ حَسَنَ

(١) في ب « اليزيدي »

(٢) في ا « ويحمر خده خجلًا »

(٣) في ا « مليح القد لما حاره »

(٤) سقط هذا البيت من ا وليس بمستقيم القافية ولا الألفاظ

أخلاقه وجميل أخباره ، وارتياضه بالعلم وفنون الأدب ، وإشرافه على علوم المتقدمين ، وخوضه في بحار الجدليين من أهل الدراية والمفلسفين .
وذكر أن الرازي رأى في بعض منتزهاته بالثريا بستاناً موقفاً ، وزهراً رائقاً ، فقال لمن حضر [من ندمائه] : هل رأيتم أحسن من هذا ؟ فكل قال أشياء ذهب فيها إلى مدحه ووصف محاسنه ، وأنها لا يفي بها شيء من زهرات الدنيا ، فقال : لعب الصولي الشطرنج والله أحسن من هذا [الزهر] ومن كل ما تصفون .

من محاسن
الصولي
أبي بكر

وذكر أن الصولي في بدء دخوله إلى المكتفي ، وقد كان ذكر له بجودة لعبه الشطرنج ، وكان الماوردي اللاعب [مقدماً عنده ، متمكناً من قلبه] معجباً بلعبه ، فلعبا جميعاً بحضرة المكتفي ، فحمل المكتفي حسن رأيه في الماوردي وتقدم الحرمة^(١) والألفة على نصرته وتشجيعه^(٢) حتى أدهش ذلك الصولي في أول وهلة ، فلما اتصل اللعب بينهما وجمع له الصولي غايته [وقصد قصده ، غلبه] غالباً لا يكاد يرد عليه شيئاً ، وتبين حسن لعبه للمكتفي ، فعدل عن هواه ونصره للماوردي ، وقال له : صار ماء وردك بولاً .

قال المسعودي : وقد تنهى بنا الكلام وتغلغل بنا التصنيف إلى جمل من أخبار الشطرنج ، وما قيل فيها ، مع ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا لأخبار الهند ومبادئ اللعب بالشطرنج والنرد ، واتصال ذلك بالأجسام العلوية والأجرام السماوية ، فلنذكر جملاً مما ذكر في ذلك ، مما لم يتقدم له ذكر فيما سلف من هذا الكتاب .

الخليل بن أحمد^(٣) [و ذكر عمرو بن بحر الجاحظ في كتابه في تفضيل صنعة الكلام ، وهي الرسالة المعروفة بالهاشمية ، أن الخليل بن أحمد من أجل إحسانه في النحو والعروض وضع كتاباً في الإيقاع وتراكيب الأصوات ، وهو لم يعالج وترأ قط ، ولا لمس بيده قضيباً قط ، ولا كثرت مشاهدته للمغنين ، وكتب كتاباً في الكلام ، ولو

(١) في ب « وتقدم الخدمة »
(٢) في ب « وتسميحه » .
(٣) سقط هذا الكلام كله من ١ ، وليس له كبير معنى

جهد كل بليغ في الأرض أن يعتمد ذلك الخطأ والتعقيد لما وقع له ، ولو أن
ممروراً استغرق قوَى مرته في الهذيان لمساتها له مثل ذلك منه ، ولا يتأتى
مثل ذلك لأحد إلا بخذلان الذي لا يبق منه شيء ، قال الجاحظ : ولولا أن
أسخف الكتاب وأجر الرسالة وأخرجها من حد الجد إلى الهزل حكيت
صدر كتابه في التوحيد وبعض ما وصفه في العدل ، قال : ولم يرض بذلك
حتى عمد إلى الشطرنج فزاده في الدولاب حملاً ، فلعبت به أناس من حاشية
الشطرنجين ، ثم رموا به [(١)] .

وقد ذكر الناس ممن سلف وخلف أن جميع آلات الشطرنج على اختلاف
أنواع آلات
الشطرنج
هيئاتها ست صور لم يظهر في اللعب غيرها ؛ فأولها الآلة المربعة المشهورة ،
وهي ثمانية أبيات في مثلها ، ونسبت إلى قدماء الهند ، ثم الآلة المستطيلة ،
وأبياتها أربعة في ستة عشر ، والأمثلة تنصب فيها في أول وهلة في أربعة
صفوف من كلا الوجهين ، حتى تكون الدواب منها في صفين ، والبيادق
أيضاً أمامها صفين ، ومسيرها كمسير أمثلة الصورة الأولى ، والآلة المربعة
- وهي عشرة في مثلها - والزيادة في أمثلتها قطعتان تسميان الدبابتين ،
ومسيرها كمسير الشاه إلا أنهما يأخذان ويؤخذان ، ثم الآلة المدورة
المنسوبة إلى الروم ، ثم الآلة [المدورة] النجومية التي تسمى الفلكية ،
وأبياتها اثنا عشر على عدد بروج الفلك ، مقسومة نصفين ، وينقل فيها سبعة
أمثلة مختلفة الألوان على عدد الخمسة الأنجم والنيرين وعلى ألوانهما .

وقد بينا فيما سلف من أخبار الهند كيفية اتصالها بالأجسام السماوية ،
وما قيل في عشقها للأشخاص العلوية ، وأن تحرك الفلك لعشقه لما فوقه ،
وقولهم في النفس ونزولها عن عالم العقل إلى عالم الحس حتى نسيت بعد
الذكر وجهت بعد العلم ، وغير ذلك من تخاليطهم مما يتصل عنه عندهم
بمنصوبات الشطرنج .

(١) إلى هنا منتهى الساقط من ا .

ثم آلة أخرى تسمى الجوارحية ، استحدثت في زماننا هذا ، وهي سبعة أبيات في ثمانية ، وأمثلتها اثنا عشر في كل جهة منها ستة ، كل واحد من الستة يسمى باسم جارحة من جوارح الإنسان التي بها يميز وينطق ويسمع ويبصر ويبطش ويسمى ، وهي سائر الحواس ، والحاس المشترك ، وهو الذي من القلب .

وقد ذكرت الهند وغيرها من اليونانيين والفرس والروم وغيرهم ممن لعب بها كيفية صورها ونصّبها ومبادئها ووجوه عللها والفرائب فيها وتصنيف القوائم والمفردات وأنواع ظرائف المنصوبات .

وقد استعمل لُعب الشطرنج عليها فنون الهزل والنوادر المدهشة ؛ فزعم كثير منهم أن ذلك مما يبعث على لعبها وانصباب المواد وصحيح الأفكار إليها ، وأن ذلك بمنزلة الارتجاز الذي يستعمله أهل القتال عند اللقاء والحادي عند الإعياء والمأخ للفرّج عند الاستقاء ، وأن ذلك عُدّة للاعب كما أن الشعر والارتجاز من عُدّة المحارب .

وقد قيل فيما وصفنا أشعار كثيرة مما قاله بعض اللّعب ؛ فمن ذلك :

نوادر الشطرنج في وقتها أحرّ من ملتهب الجمر

كم من ضعيف اللعب كانت له عوناً على مستحسن القمّر

ومما قيل فيها فأحسن قائلها وبالغ في وصف اللعب بها :

أرض مربعة حمراء من آدم ما بين ألفين موصوفين بالكرم

تذاكرا الحرب فاحتالاً لها شَبهاً من غير أن يسعياً فيها يسفك دم

هذا يُغيرُ على هذا ، وذاك على هذا يغير ، وعين الحرب لم تم

فانظر إلى الخيل قد جاشت بمعرفة في عسكرين بلا طَبيل ولا علم

ومما قيل فيها فبولغ في وصفها ، واستوعب النظر لأكثر معانيها ،

ما قاله أبو الحسن بن أبي البغل الكاتب ، وكان من جِلّة الكتاب وكبار

العمال ومن اشتهر بمعرفتها واللعب^(١) بها ، وهو :

(١) في «الحدق بها» .

فتى نصّب الشطرنج كما يرى بها عواقب لا تسمو لها عين جاهل^(١)
 وأبصر أعقاب الأحاديث في غد بعيني مجدّ في مخيـلة هازل
 فأجدى على السلطان في ذلك أنه أراه بها كيف اتقاء الغوائل
 وتصريف ما فيها إذا ما اعتبرته شبيهه بتصريف القنا والقنابل

قال المسعودي : فأما ما قيل في النرد وأوصافها فقد قدمنا فيها ساف من كلمات في النرد
 هذا الكتاب كيفية نصبها والمحدث للعبها ، على ما حكى من التنازع في ذلك
 عند ذكرنا أخبار الهند ، وفيها عند ذوى المعرفة بها ضروب من اللعب
 وفنون من الترتيب ، ووجوه من النصب ، إلا أن عدد البيوت واحد
 لازيادة فيها ولا نقصان ، على ما تقدم في ذلك من علمها والمعهود في أصولها ،
 وأن الفصين فيها مُحَكَّمان ، واللعب بهما وإن لم يكن مختاراً ولا خارجاً
 عن حكم الفصين فيها وقضائهما محتاج إلى أن يكون صحيح النقل وسابقه
 صحيح الحساب حسن الترتيب جيده .

وقد قيل في لعبها ووصفها وإحكام الفصين فيها وقضائهما على لعبها
 أشعار كثيرة بالغوا بالقول فيها ، وأغرقوا في استيعاب معانيها ، من ذلك
 قول بعضهم :

لا خير في النرد لا يفتى ممارسها حُسنُ الذكاء ، إذا ما كان محروماً
 تريك أفعال فصيتها بحكمهما ضدين في الحال ميموناً ومشثوما
 فما تكاد ترى فيها أخوا أدب يفوته القمر إلا كان مظلوماً

وأخبرني أبو الفتح محمود^(٢) بن الحسين السندی بن شاهك الكاتب
 المعروف بكشاجم ، وكان من أهل العلم والرواية^(٣) والمعرفة والأدب ، أنه
 كتب إلى صديق له يذم النرد ، وكان بها مشتهراً ، أبياتاً ، وهي :

أيها المعجب المفـاخر بالترـد د ليزهـى بها على الإخوان
 قد لعمرى حرصت جهداً على قـمـرك لو لم تواتك الفصـان

(١) في ب « لا يسمونها غير جاهل » .

(٢) في ب « محمد بن الحسن السندی » .

(٣) في ا « والدراية » .

غیر أن الأریب یکذبه الظن ویبکی لشدة الحرمان
وإذا ما القضاء جاءت بحکم لم یحذ عن قضائها الخصمان
ولعمری ما کنت أول إنسان تمنی فأخلفته الأمانی
وأنشدنی أبو الفتح أيضاً لأبی نواس :

ومأمورة بالأمر تأتي بغيره ولم تتبع في ذلك غياً ولا رشدا
إذا قلت لم تفعل، وليست مطيعة وأفعل ما قالت، فصرت لها عبدا
وقد قدمنا في باب أخبار ملوك الهند فيما سلف من هذا الكتاب قول
من قال في النرد والفصين : إنها جعلت مثلاً للمكاسب ، وإنها لا تنال
بالكيس ولا بالحيل ، وما ذكر عن أردشير بن بابك في ذلك أنه أول من
لعب بها ، وأرى تقلب الدنيا بأهلها ، وجعل بيوتها اثني عشر على ترتيب
عدد الشهور ، وإن كلابها ثلاثون كلباً بعدد أيام الشهور ، وإن الفصين
مثال للقدر وتلعبه بأهل هذا العالم ، وغير ذلك مما وصفنا من أحوالها ،
وما قدمنا من ذكرها في هذا الكتاب وغيره مما سلف من كتبنا .

وذكر بعض أهل النظر من الإسلاميين أن واضع الشطرنج كان عدلياً
مستطيعاً فيما يفعل ، وأن واضع النرد كان مجبراً ، فتبين^(۱) باللعب بها أنه
لا صنع له فيها ، بل تصرفه فيها على ما يوجبه القدر عليه بها .

وذكر العروضي - وهو ممن كان أدب الراضی وغيره من الخلفاء
وأبنائهم - قال : حدثت الراضی ذات يوم خيراً لقتيبة^(۲) بن مسلم الباهلی
في الكبر وغيره من الخصال التي توجد في أهل الرياسات مما یحمد فيهم
وما یكره منهم من الأخلاق ، فكتب ذلك في حال صباه وحنفوان حدائته
واقدر رأيته مواظباً على درسه إلى أن استكمل إتقانه في مجلسه ، فداخله
عند ذلك طرب وفرح وأريحية لم أعهد لها منه ، ثم قال لي وقد أقبل على :

العروضي
یحكى عن
الراضی
وسعة اطلاعه

(۱) كذا في ۱ ، ب ولعله « فين » .

(۲) في ب « خيراً ألقيته عن مسلم الباهلی » .

لعل الزمان أن يبلغ بي أن أتأدب بهذه الخصال ، وأكون فى مرتبة من يرتاض بهذه الآداب ، وهو أنه قيل لقتيبة بن مسلم وهو والى على خراسان للحجاج [و] محاربٌ للترك : لو وجهت فلانا - لرجل من أصحابه - إلى حرب بعض الملوك على الجيش ، فقال قتيبة : إنه رجل عظيم الكبر ، ومن عظم كبره اشتد عجبته ، ومن أعجب برأيه لم يشاور كفيًا ، ولم يؤامر نصيحًا ومن تبجح بالإعجاب ونخر بالاستبداد ، كان من الصنع بعيداً ، ومن الخذلان قريباً ، والخطأ مع الجماعة خير من الصواب مع الفرقة ، ومن تكبر على عدوه حقره ، وإذا حقره تهاون بأمره ، ومن تهاون بأمر عدوه ووثق بأمر قوته وسكن إلى جميع عدته قل احترامه ، ومن قل احترامه كثر عثاره ، وما رأيت عظيماً تكبر على صاحب حرب قط إلا كان منكوباً ومهزوماً ومخذولاً ، لا والله حتى يكون أسمع من فرس ، وأبصر من عقاب وأهدى من قطة ، وأحذر من عقق ، وأشد إقداماً من أسد ، وأوثب من فهد ، وأحقد من جمل ، وأروغ من ثعلب ، وأسخى من ديك ، وأشح من ظبي ، وأحرس من كركى ، وأحفظ من كلب ، وأصبر من ضب ، وأجمع من النمل ، وإن النفس إنما تسمح بالعناية على قدر الحاجة ، وتتحفظ على قدر الخوف ، وتطمع على قدر السبب ؛ وقد قيل على وجه الدهر : ليس لمعجب رأى ، ولا لمتكبر صديق ، ومن أحب أن يُحَبَّ تحبب .

قال العروضى : وتذاكرنا يوماً بحضرة الراضى بالله فى حال صباه - وقد بين معاوية
وقيس بن سعد حضر جماعة من ذوى العلم والمعرفة بأخبار الناس ممن غبر - فانتهى بنا
الأمر إلى خبر معاوية بن أبى سفيان حين ورد عليه كتاب من ملك الروم
أن يرسل إليه سراويل أجسم رجل عنده ، فقال معاوية : لا أعلمه إلا قيس
ابن سعد ، فقال لقيس : إذا انصرفت فابعث إلى بسراويلك ، فخلعها
ورمى بها ، فقال معاوية : هلا بعثت بها من منزلك ، فقال قيس :

أردت لكما يعلم الناس أنها سراويل قيس ، والوفود شهود
 وأن لا يقولوا : غاب قيس ، وهذه سراويل عاد قد نمته ثمود
 فقال قائل ممن حضر : قد كان جبلة بن الأيهم أحد ملوك بني غسان
 طوله اثنا عشر شهراً ، فإذا ركب مسحت قدماه الأرض ، فقال له الراضى
 بالله : قد كان قيس بن سعد هذا المذكور [إذا ركب] تخط قدماه الأرض ،
 وإذا مشى بين الناس يتوهمون أنه راكب ، وقد كان جدى على بن عبد الله
 ابن العباس طويلاً جميلاً يتعجب الناس من طوله ، وكان يقول : كنت
 إلى منكب عبد الله بن عباس ، وكان عبد الله إلى منكب جدى العباس ،
 وكان العباس بن عبد المطلب إذا طاف بالبیت يرى كأنه فسطاط أبيض ،
 قال : فتعجب والله من حضر من إirاده هذا الخبر [ومن كلامه] مع
 صفر سنة .

طير الكيكم

ثم تذاكرنا عجائب البلدان ، وما خص به كل صقع من الأرض من
 أنواع النبات والحيوان والجماد من أنواع الجواهر وغيرها ، فقال لي قائل ممن
 حضر : إن أعجب ما فى الدنيا [طير] يكون بأرض طبرستان على شاطئ
 الأنهار شبيه بالبأشقي ، وأهل طبرستان يسمونه بالكيكم ، وهو صياحه الذى
 يصيح به ، ولا يصيح فى السنة إلا فى هذا الفصل [بمنى الربيع] فإذا صاح
 اجتمعت عليه العصافير وصغار الطيور مما يكون فى المياه وغيرها ؛ فتزقه من
 أول النهار ، حتى إذا كان فى آخره أخذ واحداً مما قرب من الطير فأكله ،
 وكذلك يفعل فى كل يوم إلى أن ينقضى هذا الفصل الربيعي فإذا انقضى
 ذلك انعكست عليه الطيور فلا تزال تجتمع عليه وتضربه وتطرده ، وهو
 يهرب منها ولا يسمع له صوت إلى الفصل الربيعي ، وهو طير حسن موشى
 حسن العينين ، قال : وذكر على بن زيد^(١) الطيب الطبرى صاحب كتاب

(١) فى ب « على بن زيد »

فردوس الحكمة أن هذا الطائر ليس يكاد يُرى ، ولم تُرَق قدماه على الأرض معاً ، بل يطأ على الأرض بإحدى قدميه على البديل لا يطأ الأرض بهما [معاً] في حالة واحدة ، قال : وقد ذكر الجاحظ أن هذا الطير من إحدى عجائب الدنيا ، وذلك أنه لا يطأ الأرض بقدميه ، بل بإحداها ، خوفاً على الأرض أن تنخسف به من تحته .

قال : والعجب الثاني دودة تكون من الميثقال إلى الثلاثة تضيء بالليل كضوء الشمع ، وتطير بالنهار ، ويرى لها أجنحة خضراء ملساء ، ولا جناحين لها ، غذاؤها التراب لا تشبع منه قط ، خوفاً أن يفنى تراب الأرض فتهلك جوعاً ، وفيها خواص كثيرة ومنافع واسعة .

قال : والعجب الثالث أعجب من الطير والدودة ، من يكري نفسه للقتل ، يعني المرتزقة من الجند .

فاستحسن هذا الخبر مَنْ حضر ، فقال أبو العباس الرازي معارضاً لهذا الخبر الذي أخبر بالخبر الأول : قد ذكر عمرو بن بحر الجاحظ أن أعجب ما في الدنيا ثلاث ؛ البوم لا يظهر بالنهار خوفاً أن تصيبها العين لحسنها وجمالها ، ولما قد تصور في نفسها أنها أحسن الحيوان ؛ فتظهر بالليل ، والعجب الثاني الكركي ، لا يطأ بقدميه الأرض ، بل بإحداها ، فإذا وطىء بإحداها لا يعتمد عليها اعتماداً قوياً ، ومشى بالتأني ، خوفاً من أن تنخسف الأرض من تحته ، لثقله ، والعجب الثالث الطائر الذي يقعد على بُشوقِ الماء^(١) من الأنهار إذا انخرقت^(٢) ، الذي يعرف بمالك الحزين على شبه الكركي خوفاً من الماء أن يفنى من الأرض فيموت عطشاً .

قال العروضي : فافترق مَنْ حضره وكلُّ متعجب من الرازي مع صباه

(١) في ب « على سوق الماء » .

(٢) في ب « إذا انخرنت » .

وصغر سنه كيف تتأتى منه هذه المذاكرات ، مع أن من حضره من أهل
الرأى والسن والمعرفة .

قال المسعودي : وقد أتينا فيما سلف من كتبنا على عجائب الأرض والبحار
وما فيها من عجائب البنيان والحيوان والجماد والمائع والرجراج ؛ فأغنى ذلك
عن إيرادها في هذا الموضع .

وإنما نذكر أخبار الراضى وما كان من أمره في صباه وما أخبر عنه
مؤدبه ، ونظمنا من أخباره ما تأتى لنا ذكره في هذا الكتاب .

وأخبرنا العروضى قال : سمرت عند الراضى في ليلة شاتية صُهاية^(١) ؛
فرأيتَه قلفاً متململاً ؛ فقلت له : يا أمير المؤمنين ، أرى منك خصالاً لم أعهد لها ،
وضيق صدر لم أعرفه ؛ فقال له : دع عنك هذا ، وحدثنى بحديث فإن أنت
أزلت بحديثك ما أجده من الهم فلك ما على وما تحتى ، على أن أشرط عليك
إزالة الهم بالضحك ، قلت : يا أمير المؤمنين ، رَحَلَ^(٢) رجل من بنى هاشم
إلى ابن عمه بالمدينة ؛ فأقام عنده حولا لم يدخل مُستراحاً ؛ فلما كان بعد
الحول أراد الرجوع إلى الكوفة ، فحلف عليه [ابن عمه] أن يقيم عنده أياماً
آخر ، فأقام ، وكان للرجل قَيْنَتَانِ ، فقال لهما : أما رأيتما ابن عمى وظرفه ؟
أقام عندنا حولا لم يدخل الخلاء ، فقالتا له : فعلينا أن نصنع له شيئاً لا يجد
معه بدامن الخلاء ، قال : شأنكما وذلك ، فعمدتا إلى خشب العُشْر ، فدقتاه ،
وهو مسهل ، وطرحته في شرابه ، فلما حضر وقت شرابهما قدّمته إليه ،
وسقته مولاها من غيره ، فلما أخذ الشراب مأخذه منه تناوم المولى ، وتمفص
الفتى [من جوفه] فقال لتي تليه : يا سيدتى ، أين الخلاء ؟ فقالت لها
صاحبتها : ما يقول لك ؟ قالت : يسألك أن تغنيه :

خَلَا من آل فاطمة الديار فَنَزَلُ أهلها منها قِفَارُ

(٢) في « شخص رجل » .

(١) ب « صهاية » .

فغنته ، فقال الفتى : أظنهما كوفيتين وما فهمتا عنى ، ثم التفت إلى الأخرى ، فقال لها : يا سيدتى ، أين الحُشُّ ؟ فقالت لها صاحبتها : ما يقول لك ؟ قالت : يسألك أن تغنيه :

أَوْحَشَ الدَّقْرَاتِ فَالْدِيرِ مِنْهَا فَعْنَاهَا بِالْمَنْزِلِ المَعْمُورِ
فغنته ، فقال الفتى : أظنهما عراقيتين وما فهمتا عنى ، ثم التفت إلى الأخرى فقال لها : أعزك الله أين المتوضأ ؟ فقالت لها صاحبتها : ما يقول لك ؟ قالت : يسألك أن تغنيه :

تَوَضَّأَ لِلصَّلَاةِ وَصَلَّ خَمْسًا وَأَازَنَ بِالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ
فغنته ، فقال : أظنهما حجازيتين وما فهمتا عنى ، ثم التفت إلى الأخرى فقال لها : يا سيدتى أين الكنيف ؟ قالت لها صاحبتها : ما يقول لك ؟ قالت : يسألك أن تغنيه :

تَكَنَّفَنِى الْوِاشُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَلَوْ كَانَ وَاشٌ وَاحِدٌ لَكَفَانِيَا
فغنته ، فقال : أظنهما يمانيتين وما فهمتا عنى ، ثم التفت إلى الأخرى ، فقال لها : يا هذه أين المستراح ؟ فقالت لها صاحبتها : ما قال لك ؟ قالت : يسألك أن تغنيه :

تَرَكَ الْفِكَاهَةَ وَالْمَزَاحَا وَقَلَّ الصَّبَابَةَ وَاسْتَرَاحَا
فغنته ، والمولى يسمع ذلك وهو متناوم ، فلما اشتد به الأمر أنشأ يقول :
تَكَنَّفَنِى السَّالِحُ وَأُضْجِرُونِى عَلَى مَا بَى بَتْمَكْرِيرِ الْأَغَانِى
فَلَمَّا ضَاقَ عَنِ ذَاكَ اصْطَبَارِى ذَرَقْتُ بِهِ عَلَى وَجْهِهِ الزَّوَانِى
ثم إنه حلَّ سراويله وسَلَّحَ عليهما ، فتركهما آيةً للناظرين ، وانتبه المولى فى أثر ذلك ، فلما رأى ما نزل بجواريه قال : يا أخى ، ما حملك على هذا الفعل ؟ قال : يا ابن الفاعلة لك جَوَارِيْرَيْنِ المَخْرَجِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا لا يَدُلُّنَنِى عَلَيْهِ ، فلم أجد جزاء غير هذا . ثم رحل عنه ، قال : فذهب بالراضى الضحك

كلّ مذهب ، وسلم إلى كل ما كان عليه وتحتته من لباس وفرش ، فكان مبلغ ثمن ذلك نحواً من ألف دينار .

وذكر الصولي قال : قال لي الرازي : ما كان السبب في لبس المأمون الخضره ورفعه السواد ثم لبسه السواد بعد ذلك ؟ قلت : هو ما أخبرنا به محمد بن زكريا الغلابي^(١) قال : حدثنا يعقوب بن جعفر بن سليمان قال : لما قدم المأمون بغداد اجتمع الهاشميون إلى زينب بنت سليمان بن علي ، وكانت أقد ولد العباس نسبا ، وأكبرهم سنناً^(٢) ، فسألوها أن تكلم أمير المؤمنين المأمون ، في تغييره الخضره ، فضمنت لهم ذلك ، وجاءت إلى المأمون فقالت : يا أمير المؤمنين ، إنك على برّ أهلك من ولد علي بن أبي طالب أقدر منك على برهم لنا من غير أن تزيل سنة من مضى من آبائك ، فدع لباسك الخضره ، ولا تطمعن أحداً فيما كان منك ، قال لها : يا عمة ما كلني أحد في هذا المعنى بكلام أوقع من كلامك ، ولا أقصد منه لما أردت ، لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي فولى الإمرة أبو بكر ، فقد عرفت ما كان من أمره فينا أهل البيت ، ثم وليها عمر فلم يتعدّ فيها فعل من تقدمه ، ثم وليها عثمان فأقبل على بني أمية وأعرض عن غيرهم ، ثم آل الأمر إلى علي بن أبي طالب من غير صفو كصفوها لغيره بل مشوبة بالأكدار ، فولى مع ذلك عبد الله بن العباس البصرة ، وولى عبيد الله بن العباس اليمن ، وولى قثم البحرين ، وما ترك منهم أحداً إلا ولاه ، فكانت هذه في أعناقنا حتى كافأته في ولده بما فعلت ، ولا يكون بعد هذا إلا ما تحبون ، ثم رجع إلى لبس السواد ، ولله المأمون يا أمير المؤمنين شعر يشاكل معنى ما ذكرت من هذا الخبر وهو قوله :

الأمُّ على شكر الوصي أبي الحسن
وذلك عندي من عجائب ذا الزمن
خليفة خير الناس ، والأول الذي
أعان رسول الله في السر والعلن

(١) في ب « العلابي » .

(٢) في ب « وأكرمهم بيتا » .

ولولاه ما عُدَّتْ لها شيم امرة
فولى بنى العباس ما اختص غيرهم
فأوضح عبد الله بالبصرة الهدى
وقسّم أعمال الخِلافة بينهم
وكانت على الأيام تقضى وتُمْتَنُّ
ومن مسه أولى بالتكريم والمنن
وفاض عبيد الله جوداً على اليمن
فلازلت مربوطاً بذالك شكر مرتين

بين القاهر والراضى
وكان القاهر قد عمد إلى كثير من الأموال عند قتله لمؤنس وبلق وابنه
على وغيرهم فغيبها ، فلما قبض عليه وسُئِلت عيناه وأفضت الخِلافة إلى الراضى
طولب القاهر بالأموال ، فأنكر أن يكون عنده شيء من ذلك ، فأوذى
وعُدِّب بأنواع من العذاب ، وكل ذلك لا يزيدُه إلا إنكاراً ، فأخذ الراضى
وقربه وأدناه ، وطالت مجالسته إياه ، وإكرامه له ، وأعطاه حق العمومية
والسن والتقدم فى الخِلافة ، ولاطفه وأحسن إليه غاية الإحسان ، وكان
للقاهر فى بعض الحصون^(١) بستان نحو من جريب قد غرس فيه النارج وقد
حمل إليه من البصرة وعمان مما حمل من أرض الهند ، قد اشتبكت أشجاره ،
ولاحت ثماره كالنجوم من أحمر وأصفر ، وبين ذلك أنواع الفروس والرياحين
والزهر ، وقد جعل مع ذلك فى الصحن^(٢) أنواع الأطيّار من القمّارى
والدبّاسى^(٣) والشحارير والبيغاء ، مما قد جلب إليه من الممالك والأمصار ،
وكان ذلك فى غاية الحسن ، وكان القاهر كثير الشرب عليه ، والجلوس
فى تلك المجالس ، فلما أفضت الخِلافة إلى الراضى اشتد شغفه بذلك الموضع ،
فكان يداوم الجلوس والشرب فيه ، ثم إن الراضى رَفَقَ بالقاهر ، وأعلمه
بما هو فيه من مطالبة الرجال بالأموال والحاجة إليها ، ولا شيء قبَلَه منها ،
وسأله أن يُسَعِّفه بما عنده منها إذ كانت الدولة له ، وأن يدبر تدبيره ،
ويرجع فى كل الأمور إلى قوله ، وحلف له بالأيمان الوكيدة أن لا يسعى

(١) فى ا « فى بعض الصحن » .

(٢) فى ا « وقد جعل فى ذلك الصحن » .

(٣) فى ب « والدبّاسى » .

في قتله ولا الإضرار به ولا بأحد من ولده ، فأنعم له القاهر بذلك ، وقال :
ليس لي مال إلا في بستان النارج ؛ فصار الراضي إلى البستان وسأله عن الموضع ،
فقال له القاهر : قد حجب بصرى فلست أعرف موضعه ، ولكن مر بحفرة فإنك
تظهر على الموضع ولا يخفى عليك مكان ذلك ، فحفر البستان ، وقلع تلك الأشجار
والفروس والأزهار حتى لم يبق منه موضع إلا حفرة ، وبولغ في حفرة فلم
يجد شيئاً ، فقال له الراضي : فما ههنا شيء مما ذكرت ، فما الذي حملك على
ما صنعت ؟ فقال له القاهر : وهل عندي من المال شيء ؟ إنما كانت حسرتي
[على] جلوسك في هذا الموضع وتمتعك به ، وكان لذني من الدنيا ، فتأسفت على أن
يمتع به بعدي غيري ، فتأسف الراضي على ما توجه عليه من الحيلة في أمر
ذلك البستان ، وندم على قبوله منه ، وأبعد القاهر ، فلم يكن يدنو منه خوفاً
على نفسه أن يتناول بعض أطرافه .

خلق الراضي
وعاداته

وكان الراضي كثير الاستعمال للطيب ، حسن الهيئة ، سخياً ، جواداً ،
حسن المذاكرة بأخبار الناس وأيامهم ، مقر بالأهل العلم والأدب والمعرفة ،
كثير الدنو منهم ، فائضاً بجوده عليهم ، ولم يكن ينصرف عنه أحد من
ندمائه في كل يوم إلا بصلة أو خلعة أو طيب ، وكانوا عدة ندماء : منهم
محمد بن يحيى الصولي ، وابن حمدون النديم ، وغيرها ، فعوتب على كثرة
إفضاله على من يحضره من الجلساء ، فقال : أنا أستحسن فعل أمير المؤمنين
أبي العباس [السفاح] ؛ لأنه كانت فيه فضائل لا تكاد تجتمع في أحد ،
لا يحضره نديم ولا مفن مله ولا قينة فينصرف إلا بصلة أو كسوة قلت
أو كثرت ، وكان لا يؤخر إحسان محسن لغد ، ويقول : العجب من
إنسان يفرح إنساناً فيتعجل السرور ويؤخر ثواب من سره تسويفاً وعدة ،
فكان أبو العباس في كل ليلة أو يوم يقعد لشغله لا ينصرف أحد من حضره
إلا مسروراً ، ونحن إن لم تتأت لنا الأمور كتأتيها لمن سلف فإننا نواسي
جلساءنا ، بل إخواننا ، ببعض ما حضرنا ، وكان سخياً على سائر الأشياء لا يستكثر

لأحد من ندمائه كثرة ما يصل إليه على طول الأيام ، حتى كان بعضهم ربما يتأخر عن الحضور لما يترادف عليه من فضله ، وكان الغالب عليه من الخدم راغب الخادم وزيرك ، ومن الغلمان ذكى وغيره .

وحدث أبو الحسن العروضى مؤدب الراضى قال : اجتزت فى يوم الراضى بالله
ومعكم التركى مهرجان بدجلة بدار بجمكم^(١) التركى ؛ فرأيت من الهرج والملاهى واللعب
والفرح والسرور ما لم أر مثله ، ثم دخلت إلى الراضى بالله فوجدته خالياً
بنفسه قد اعتراه همٌّ ؛ فوقفت بين يديه ، فقال لى : اذنُ ، فدنوت ؛ فإذا
بيده دينار ودرهم ، فى الدينار نحو من مئتين ، وفى الدرهم كذلك ،
عليهما صورة بجمكم^(١) شك فى سلاحه وحوله مكتوب :

إنما العز فاعلم للأمير المعظم

سيد الناس بجمكم^(١)

ومن الجانب الآخر الصورة بعينها ، وهو جالس فى مجلسه كالفكر المطرق
قال الراضى : أما ترى صنع هذا الإنسان ، وما تسمو إليه همته ، وما تحدثه به
نفسه ؟ فلم أجبه بشيء ، وأخذت به فى أخبار من مضى من [الخلفاء وسيرهم
فى أتباعهم ، ثم نقلته إلى أخبار [ملوك الفرس وغيرها ، وما كانت تلقاه
من أتباعها ، وصبرهم عابهم ، وحسن سياستهم لذلك ، حتى تصلح أمورهم ،
وتستقيم أحوالهم ؛ فسلا عما عرض لنفسه ، ثم قلت : ما يمنع أمير المؤمنين
أن يكون كالمؤمنون فى هذا الوقت حيث يقول :

صِلِ النَّدَمَانَ يَوْمَ المَهْرَجَانِ بَصَافٍ مِنْ مُعْتَقَةِ الدَّنَانِ
بِكَاسِ خُسْرُوَانِي عَتِيقِ فَإِنَّ العِيدَ عِيدَ خُسْرُوَانِي
وَجَنَّبِنِي الزَّيْبِيِّينَ طُرًّا فَشَأْنُ ذُوِ الزَّيْبِ خِلَافِ شَانِي

(١) فى ب « دار بجمكم » محرفاً .

فأشربها وأزعمها حراماً وأرجو عفو رب ذي امتنان
 ويشربها ويزعمها حلالاً وتلك على الشقي خطيئتان
 قال : فطرب وأخذته أريحيته ، فقال لي : صدقت ، ترك الفرحة
 في مثل هذا اليوم عجز ، وأمر بإحضار الجلساء ، وقعد في مجلس التاج على
 دجلة ، فلم أر يوماً كان أحسن منه في الفرحة والسرور ، وأجاز في ذلك
 اليوم [من حضره] من الندماء والمغنين والملهين بالدنانير والدرهم والخلع
 وأنواع الطيب ، وأنته هدايا بجمكم وألطافه من أرض العجم ، فسُرَّ
 في ذلك اليوم وجميع من حضره .

قال المسعودي : وقد أتينا على ما كان في أيام الراضي من الكوائن
 والحوادث مجملًا ومفصلاً في كتابنا « أخبار الزمان ، ومن أباده الحدثان ،
 من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الدائرة » وما كان من أمره
 في حال خروجه مع بجمكم إلى بلاد الموصل وديار ربيعة ، وما كان بين
 بجمكم وأبي محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان المسمى بعد ذلك بناصر
 الدولة ، وقصدنا فيما ذكرنا في هذا الكتاب إلى الاختصار ، دون الشرح
 والإكثار ، إذ كان في الإكثار من الأخبار ثقل على القلوب ، ومَلَلٌ
 للسامع ، وقليل الأخبار ، يفنى عن كثير الاقتدار .

ذكر خلافة المتقى لله

وبويع المتقى لله ، وهو أبو إسحاق إبراهيم بن المقتدر ، لعشر خلون من ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثلثمائة ، وخلع وُسِمِلَتْ عيناه يوم السبت لثلاث خلون من صفر سنة ثلاث وثلثين وثلثمائة ، وكانت خلافته ثلاث سنين وأحد عشر شهراً وثلاثة وعشرين يوماً ، وأمه أم ولد

ذكر جمل من أخباره وسيره ،

ولم يملع مما كان في أيامه

وزراؤه

ولما أفضت الخلافة إلى المتقي لله أقرَّ على الوزارة سليمان بن احسن بن مخلد ، ثم استوزر أبا الحسن أحمد بن محمد بن ميمون^(١) ، وكان كاتبه قبل الخلافة ، ثم استوزر أبا إسحاق محمد بن أحمد القراريطي ، ثم استوزر أبا العباس أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، ثم استوزر أبا الحسن علي بن [محمد بن] مُقَلَّة ، وَغَلَبَ على الأمر أبو الوفاء توزون التركي .

انتفاض
الأمر عليه

واشتد أمر البريديين^(٢) بالبصرة ، ومنعوا السفن أن تصعد ، وعظم جيشهم ، وكثرت رجالهم ، وصار لهم جيشان : جيش في المساء في الشدوات والطيارات والسميريات والزبازب^(٣) ، وهذه أنواع من المراكب يُقاتل فيها صغار وكبار ، وجيش في البر عظيم ، واصطنعوا الرجال ، وبذلوا الرغائب ، فانضاف إليهم حجرية السلطان وغلمايه ، وصار جيش السلطان الأتراك والديلم والجبل ونفراً من القرامطة ، وكل ذلك مع توزون ، وكان توزون من رفقاء بجمكم^(٤) والخواص من أصحابه ، فأنحدر توزون إلى واسط لحرب البريديين^(٢) ، وكانوا ملكوا واسط وتغلبوا عليها ، فكانت بينهم سجالاً ، والمتقي لله لا أمر له ولا نهى ، فكاتب المتقي أبا محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان ناصر الدولة ، وأخاد أبا الحسن علي بن عبد الله سيف الدولة أن يُنجدوه ويستنقذوه مما هو فيه ، ويفوض إليهما الملك والتدبير ، وقد كان قبل ذلك خرج إليهم وتوزون في جملتهم منضاف وغيره من الأتراك والديلم ، وذلك عند قتلهم محمد بن رائق في سنة ثلاثين وثلثمائة ، وأنحدرهم إلى مدينة السلام ، واستيلائهم على الملك والقيام به

(٢) في ب « الزيديين »

(١) في ب « بن تيمون » محرفاً

(٤) في ب « بجمكم » تحريف

(٣) في ب « والسميريات والديارب »

وحربهم البريديين ، وما كان بينهم من الوقائع إلى أن توجه عليهم ما ذكرنا في كتابنا « أخبار الزمان » من خروج أبي محمد الحسن بن عبد الله من الحضرة إلى الموصل ، ولحق أخيه أبي الحسن [على] بن عبد الله ، وخلاصه مما دبره عليه توزون وجمع التركي ، وخرج المتقى إلى الموصل ، فلما بلغ توزون ذلك رجع إلى بغداد وقصد بني حمدان ، فكان التقاؤهم بمكبرا ، فكانت بينهم سجالات ، ثم كانت لتوزون عليهم ، فرجع إلى بغداد ، ثم أجمعوا له أيضاً ، ورجعوا إليه ، فتركهم حتى قربوا إلى بغداد ، فخرج عليهم فلقبهم فهزمهم بعد مواععات كانت بينهم ، وسار وراءهم حتى دخل الموصل ، وخرج عنها إلى مدينة بلد ، فصالحوه على مال حملوه إليه ؛ فرجع إلى بغداد وهو مُستظهِر بمن معه من الأتراك والجليل والديلم وكال العدة والكراع ، وسار المتقى إلى نصيبين ، ورجع^(١) عنها إلى الرقة فنزلها ، وذلك لأيام بقين من شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، وكاتب [الإخشيدي] محمد بن طفج [صاحب مصر] فسار إلى الرقة وحمل إليه مالا كثيراً ، وأهدى إليه غلماناً وأثاثاً ، وضم إليه قائداً من قواده ، وجعل أمره ، وزاد في حاله ، وبرَّ جميع من معه من وزيره أبي الحسن علي بن محمد بن مقله ، وقاضى القضاة أحمد بن عبد الله بن إسحاق الخرقى ، وسلام الحاجب المعروف بأخي نبح الطولوني ، وجماعة الوجوه والغلمان ، ثم لم يعبر الإخشيدي محمد بن طفج إلى الرقة ولا إلى شيء من جانب الجزيرة وديار مُضَرَ ، وعبر المتقى ، وسار إلى معسكره من الجانب الشامي ؛ فكانت بينهم خطوب وأيمان وعهود ، وأبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان مقيم بجران على طول مُقام المتقى بالرقة ، وقد كان أبو عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان سار عن حلب وبلاد حمص عند مسير الإخشيدي إلى بلاد قنسرين والعواصم ؛ فانفضَّ جمعه ، وتفرق جنده عنه ، وانضافوا إلى أبي الحسن علي بن عبد الله ،

(١) في « ورحل عنها » .

واتصلت كُتُبُ توزون^(١) بالمتقي ، وتواترت رسله يسأله الرجوع إلى
الحضرة ، وأشهد توزون^(١) مَنْ حضره من القضاة والفقهاء والشهود ،
وأعطى العهود والمواثيق بالسمع والطاعة للمتقي ، والتصرف له بين أمره
ونهيهِ ، وترك الخلاف عليه ، وأنفذ إليه كتب القضاة والشهود بما بذل من
الأيمان وأعطى من العهود ، وأشار بنو حمدان على المتقي أن لا ينحدر ،
وحوّثوه من توزون^(١) ، وحثّروه أمره ، فإنه لا يأمنه على نفسه ؛ فأبى
إلا مخالفتهم والثقة بماورد عليه من توزون^(١) ، وقد كان بنو حمدان أنفقوا
على المتقي نفقةً واسعةً عظيمةً طول مقامه عندهم واجتيازه بهم ، يكثر وصفها
بِعسر علينا في التحصيل إيرادها بإكثار الخبرين لنا بتحديدِها ، وانصرف
الإخشيدي عن الفرات متوجهاً نحو مصر ، وانحدر المتقي في الفرات ؛ فلتقاه
أبو جعفر بن شيرزاد كاتب توزون^(١) بأحسن لقاء ، وأقام له الأتراك ،
ومضى في انحداره حتى دخل النهر المعروف بنهر عيسى ، وسار إلى الضيعة
المعروفة بالسندية على شاطئ هذا النهر ؛ فلتقاه توزون^(١) هنالك ، وترجّل
له ومشى بين يديه ؛ فأقسم عليه أن يركب ففعل ، حتى وافى به إلى المضرب
الذي كان ضرب به له على الشط من نهر عيسى ، وذلك على شوطٍ من مدينة
السلام ؛ فأقام هنالك ، وأنفذ رسلاً إلى دار طاهر ليحضر المستكفي ، فلما
حصل المستكفي في المضرب قبض على المتقي ، ونهب جميع ما كان معه ،
وقبض على وزيره أبي الحسن علي بن محمد بن مُقَلَّة ، وعلى قاضيه أحمد بن
عبد الله بن إسحاق ، ونهب جميع العسكر ، وانصرف القائد الذي كان
الإخشيدي ضمه إلى المتقي ومن معه إلى صاحبهم ، وأحضر المستكفي فبويع له ،
وكجّل المتقي ، فصاح وصاح النساء والخدم لصياحه ، فأمر توزون^(١)
بضرب الدباب حول المضرب ، ونفخ صُراخُ الخدم ، وأدخل إلى الحضرة ،
مسمول العينين وأخذ منه البردة والقضيب والخاتم ، وسلم إلى المستكفي

(١) في ب « تورون » بالراء المهملة - هنا وفي كل ما سلف وما يأتي .

بالله ، وبلغ ذلك القاهر فقال : قد صرنا اثنين محتاج إلى ثالث ، يعرض
بالمستكفي بالله .

المتقي يطلب
رجلاً أخبارياً
يأنس به

وحدث محمد بن عبد الله الدمشقي قال : لما نزل المتقي الرقة كنت فيمن
يتصرف بين يديه ، وأقرب منه في الخدمة ، لطول صحبته ، فقال لي في
بعض الأيام في الرقة وهو جالس في داره مُشْرِفاً على الفرات : اطلب لي
رجلاً أخبارياً يحفظ أيام الناس أتفرج إليه في خلواتي وأستريح به في الأوقات ،
قال : فسألت بالرقة عن رجل بهذا الوصف ، فأرشدت إلى رجل بالرقة كهل
لازم لمنزله ، فصرت إليه ، ورغبت في الدخول إلى المتقي بالله ، فقام معي
كالسكره ، وصرنا إلى المتقي فأعلمته إحضاري للرجل الذي طلبه ، فلما خلا
وجهه دعا به واستدناه ، فوجد عنده ما أراد ، فكان معه أيام مُقَامِهِ بالرقة ،
فلما انحدر كان معه في الزورق ، فلما صار إلى فم نهر سعيد وذلك بين الرقة
والرحبة - أرق المتقي ذات ليلة ، فقال للرجل : ما تحفظ من أشعار المبيضة
وأخبارها ؟ فر الرجل في أخبار آل أبي طالب إلى أن صار إلى أخبار الحسن
ابن زيد وأخيه محمد بن زيد [بن الحسن]^(١) وما كان من أمرهما ببلاد
طبرستان ، وذكر كثيراً من محاسنهما ، وقصد أهل العلم والأدب إياهما ،
وما قالت الشعراء فيهما ، فقال له المتقي : أتخفظ شعر أبي المقاتل نصر بن
نصير الحلواني في محمد بن زيد الحسنى الداعى ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين لكن
معى غلام لي قد حفظ بحداثة سنة وحدة مزاجه وغلبة الهمة لطلب العلم
والأدب عليه ما لم أحفظ من أخبار الناس وأيامهم وأشعارهم ، قال :
أحضره ، ولم أخفيت عنى خبر مثل هذا فيكون حضوره زيادة في أنسنا ؟
فأحضر الغلام من زورق آخر ، فوقف بين يديه ، فقال له صاحبه : أتخفظ قصيدة
أبي المقاتل في ابن زيد ؟ قال : نعم ، قال المتقي : أنشدنيها ، فابتدأ ينشده إياها :

قصيدة
أبي المقاتل في
الداعى العلوى

لَاتْفَلُ بُشْرَى وَقَلَّ لِي بُشْرِيَانِ غُرَّةُ الدَاعِي وَيَوْمَ المَهْرَجَانِ
خَلَقَتْ كَفَّاهُ مَوْتًا وَحَيَاةَ وَحَوَّتْ أَخْلَاقَهُ كُنَّةَ الجَنَانِ

(١) لا توجد هذه الزيادة في ١ .

فَهَوَ فَصَل فِي زَمَانِ بَدَوِي
 فَهَوَ لِلْكَلِّ بِكُلِّ مُسْتَقْلِلِ
 أَوْ حَدٌّ قَامَ بِتَشْبِيهِهِ الْمَبَانِي
 مُسْرِفٍ فِي الْجُودِ مِنْ غَيْرِ اعْتِدَارٍ
 وَهُوَ مَنْ أَرَسَى رَسُولَ اللَّهِ فِيهِ
 سَيْدَ عَرَقٍ فِيهِ السَّيْدَانِ
 مُخْتَفٍ فِكْرَتِهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ
 يَعْرِفُ الدَّهْرَ عَلَى مَا غَابَ عَنْهُ
 يَدْنَأِي لَفْظَنَا عَنْهُ ، وَلَكِنْ
 أَخْرَجَتْ أَلْفَاظُهُ مَا فِي الْخَفَايَا
 كَافِرٌ بِاللَّهِ جَهْرًا وَالْمَثَانِي
 وَإِذَا مَا أَسْبَغَ الدَّرْعَ عَلَيْهِ
 بَعَثَتْ سَطْوَتَهُ فِي الْمَوْتِ رُعبًا
 يَحْدَقُ الْأَبْطَالَ بِالْأَلْحَاطِ حَتَّى
 مَلَكَ الْمَوْتَ يَنَادِيهِ أَجْرَنِي
 لَا تَكْلِفْنِي فَوْقَ الْوُسْعِ وَارْفُقْ
 يَا شَقِيقَ الْفَدْرِ الْمُحْتَمِومِ كَمْ قَدْ
 [لَكَ يَوْمَانِ فِيَوْمٍ مِنْ لِيَانِ
 أَنْجَزْتَ كِفَاكَ وَعَدَاً وَوَعِيدَاً
 فَإِذَا مَا أَرَوْتَ الْيَمِيْنِي حِبَاءً
 جَدَّتَا فِي النِّفْعِ وَالضَّرِّ بَدَارَاً
 أَرَّخْتَ كِفَاكَ فِي الْآفَاقِ حَتَّى

وابن زيد مالك رِقَّ الزمان
 بِالْعَطَايَا وَالْمَنْسَابَا وَالْأَمَانِ
 فِيهِ اسْتَنْبِطَ أَجْنَاسُ الْعَمَانِ
 وَعَظِيمُ الْبِرِّ مِنْ غَيْرِ امْتِنَانِ
 وَعَلِيَّاهُ الْمَعْلَى وَالْحَسَانِ
 وَالَّذِي يَكْبُرُ عَنْ ذِكْرِ الْحِصَانِ
 فَهَوَ فِي كُلِّ مَحَلٍّ وَمَكَانِ
 فَيَرَى الْمَضْمَرَ فِي شَخْصِ الْعِيَانِ
 هُوَ بِالْأَوْصَافِ فِي الْأُذْهَانِ دَانَ (١)
 وَكَفَّاهُ الدَّهْرُ نَطَقَ التَّرْجَمَانِ
 كُلُّ مَنْ قَالَ : لَهُ فِي الْخَلْقِ ثَانِ
 وَأَنْكَفَتْ يَمْنَاهُ بِالسَّيْفِ الْبِيَانِ
 أَيَقِنُ الْمَوْتَ بِأَنَّ الْمَوْتَ قَانَ
 يَتْرُكُ الْمَقْدَامَ فِي شَخْصِ الْجَبَانِ
 مِنْكَ ، كَمْ تَغْزُو بِضَرْبِ وَطْعَانِ؟
 فَلَقَدْ مَلَكَكَ اللَّهُ عِنَانَ
 رُضْتُ بِالصَّيْلِمْ عَمْدَا ذَا حِرَّانِ
 يَقْتَنِي يَوْمَ أَرُونَ أَرُونَانَ [
 وَأَحَاطَتْ لَكَ بِالْدُنْيَا الْيَدَانِ
 هَمَّتِ الْبَسْرَى بِإِرْوَاءِ السَّفَانِ
 فَهِيَ فِي كُلِّ حَالٍ ضَرَّتَانِ
 مَا تَلَاقَى بِسَوَاكِ الشَّفَتَانِ

(١) في ا « هو بالوصف من الأوهام دان » .

قدمتك المدحُ الغرُّ وصالت لك أيضاً في أعاديك الهجان
 أنت لا تحوى بمعقولٍ كتاب لك شأن خارج عن كل شأن
 لك أثقال أياذٍ مثقلات عجزت عن حملهنَّ الثقة لان
 إنما مدحك وحيٌّ وزبورُ والذي ضمت عليه الدفتان
 هاكها حـوهرة تدرية تو لى وجوه الموت تكفين الحنان
 يا إمام الدين خذها من إمامٍ ملكت أشعاره سبقَ الرهان
 واستمع للرملِ الأول ممن كشف المحنة من غير امتحان
 فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن ستة أجزاءها عند الوزن
 كرة الآفاق لا تطلعُ إلا صارت الريح لها كالصَّوْجان
 جلبت في صنعة الألفاظ مما يرتجيه كل ذى عفو وجان^(١)
 أنت تحكى جنة الخلد طباعاً والقوافى فيك كالحور الحسان
 فأبق للشعر بقاء الشعر والشكر مع الدهر فنعم الباقيان
 عُمرُ رضوى بل ثبير وشام وأرام وشماريح أبان
 شهد الله على ما فى ضميرى فاستمع لفظى ترجيع أذان
 حسناتٍ ليس فيها سيآتُ مدحة الداعى، اكتبها يا كاتبان

فلم يزل المتقى كلما مر به بيت استعاده ، ثم أمر الغلام بالجلوس ، فلما كان فى اليوم الذى لقيه فيه ابن شير زاد الكاتب سمعه ينشد هذا البيت :

* لا تقل بشرى وقل لى بشرىان *

فقال له الغلام ، وقد كان أنس به : يا أمير المؤمنين :

* دامتِ البشرى فقل لى بشرىان *

وقد كان أنشده أولاً القصيدة «لا تقل بشرى» وأنشده ثانياً هذا الوجه

(١) فى ب « جلبت » وفى ا « فى صنعة الألفاظ » .

« دامت البشرية فقل لي بشريان » وذكر له خبر أبي المقاتل مع الداعي ،
فوالله ما زال المتقي يقول « لا تقل رَمَى » ولا يختار في ذلك الوجه غير
ذلك ، فقال له الرقي والغلام : والله امتطيرنا لأمير المؤمنين من اختياره
إنشاد هذا البيت على هذا الوجه ، فكان من أمره ما ذكرنا .

ومن صفات
الخيال

وحدث محمد بن عبد الله الدمشقي قال : لما أهدرنا مع المتقي من الرحبة
وصرنا إلى مدينة عانة^(١) دعا بالرقى وغلامه فحدثناه ، وتسلسل بهم القول
إلى فنون من الأخبار ، إلى أن صاروا إلى ذكر الخيل ، فقال المتقي : أيكم
يحفظ خبر سليمان بن ربيعة الباهلي [مع عمر بن الخطاب] فقال الغلام : ذكر
[أبو] عمرو بن العلاء يا أمير المؤمنين أن سليمان بن ربيعة الباهلي كان يهجن
الخيال ويعربها^(٢) في زمن عمر بن الخطاب ، فجاءه عمرو بن معد يكرب بفرس
كमित [فكتبه] هَجِينًا^(٣) ، فاستعدى عليه عمر وشكاه إليه ، فقال سليمان :
ادع بإناء رَجْرَاجَ قصير الجُدُر ، فدعا به ، فصب فيه ماء ، ثم أتى بفرس عتيق
لاشك في عنقه ، فأسرع وبرك^(٤) وشرب ، ثم أتى بفرس عمرو الذي كان هجن
فأسرع فصب سنبيه ومد عنقه كما فعل العتيق ، ثم ثنى أحد السنبيين قليلا
فشرب ، فلما رأى ذلك عمر بن الخطاب وكان ذلك بمحضرة قال : أنت سليمان
الخيال ، فقال المتقي : فما عندكم عن الأصمعي وغيره من علماء العرب في صفاتها؟
قال الرقي : ذكر الرياشي عن الأصمعي قال : إذا كان الفرس طويل أو ظفّة
اليدين قصير أو ظفّة الرجلين طويل الذراعين قصير الساقين طويل الفخذين طويل

(١) في ب « غانة » بالغين المعجمة .

(٢) في ب « يعديها » ومعنى « يعربها » يحكم بأنها عربية .

(٣) سقطت كلمة « فكتبه » من ب ، مع بقاء كلمة « هجيناً » على نصها ،

ففسد اللفظ والمعنى جميعاً .

(٤) في ب « ونزل » .

العضدين مفرع^(١) الكتفين لم يكده يُسْبَقُ ، وقال : إذا سلم من الفرس شيان لم يضره عيب سواهما : مفروز عنقه في كاهله ، ومفروز عجزه في صلبه ، وإذا جادت^(٢) حوافره فهو هو ، وأنشدنا المبرد :

ولقد شهدت الخيل تحمل شِكَّتِي عَتَدُ كسرحان القصيمة منهب
فرس إذا استقبلته فكأنه في العين جزع من أوائل مشرب^(٣)
وإذا اعترضت له استوت أقطاره فكأنه مستدير متصوب

وسأل يا أمير المؤمنين معاوية مطر بن دراج : أي الخيل أفضل وأوجز؟ فقال : الذي إذا استقبلته قلت نافر ، وإذا استدبرته قلت زاخر ، وإذا استعرضته قلت زافر ، سوطه عنانه ، وهواه أمامه ، قال : فأى البراذين شر؟ قال : الغليظ الرقبة ، الكثير الجلبة ، الذي إذا أرسلته قال : أمسكني ، وإذا أمسكته قال : أرسلني ، قال الغلام : أحسن ما قيل في الفرس ووصفه قول بعضهم :

خير ما يركبُ الشجاع إذا ما قيل يوماً ألا اركبوا للغوار
كلُّ نَهْدٍ أَقْبَّ مَعْتَدِلِ الخلق متين الشظي عتيق النجار^(٤)

سلجهم اللحي واسع السحر حد الأذن وافي الدماغ والوجه عار
ما حتمته الحرار واشتدَّ عليا ه فأكدى مُخْدَوْدِبًا بالعوار

محضر القصر مكرب الرسغ دامي الأبط ساعى الجفون والأشفار
مُشْرِفٌ مُقْبِلٌ يخب إذا أد برَّ مُسْتَدْبِرٌ ككر مغار

فهو في خلقه طوال ورحب وعراض إلى سداد قصار
طال هاديه والذراعان والأضلاع منه فقيم في جفار

ثم طالت وأبدت نخبه فهاه فهو كفت الوثوب ثبت الخيار
والرحيب الفروج والجلد والمشفر قدام منخر كالوجار

(١) في ب « منفرج الكتفين » (٢) في ا « وإذا جادت »

(٣) في ا ، ب « من أوائل مشرب » (٤) في ا « أمين الشظي »

والعريض الوظيف والجنب والأوس : راك والجهة العريض الفقار
والحديد الفؤاد والسمع العر قوب والطرف حدة في وقار
فهو صافي الأديم والعين والحما فر غمر بديهته الإحضار
والقصير الكراع والظهر والرسغ القصير العسيب والصلب وار
لم تخن متنه القطة ولم يسلمه تركيبها إلى استئثار
مطمئن النسور بين حزام كل لأم أحمم كالمنقار
يكفت المشى كالذي يتخطى طنباً أو يشق كالسار
وإذا ما استمر من غير ما بأ س به مانع من استمرار
لأن فاهتز مقبلاً فإذا أد بر أهوى متابع الإدبار
في تعاقب كالتمايل أو كالجن أو كالظباء أو كالحوار
فإذا ما طجا به الجرى فالعقبان تهوى كواسر الأعسار

من أخبار
حلبة الخيل

فلما كان في الليلة الثانية دعا بهما ، فقال : عوداً إلى ما كنتما عليه
البارحة ، وأشرعاً في أخبار الحلائب ومراتب الخيل فيها ، قال الغلام :
يا أمير المؤمنين ، أذكر قولاً جامعاً أخبرني به كلاب بن حمزة العقيلي ،
قال : كانت العرب ترسل خيلها عشرة عشرة أو أسفل ، والقصب تسعة^(١)
ولا يدخل الحجرة المحجرة من الخيل إلا ثمانية ، وهذه أسماءها : الأول السابق ،
وهو المجلي ، قال أبو الهندام كلاب : إنما سمي المجلي لأنه جلي عن صاحبه
ما كان فيه من الكرب والشدة ، وقال الفراء : إنما سمي المجلي لأنه يجلي
عن وجه صاحبه ، والثاني المصلي ؛ لأنه وضع جحفلته على قطة المجلي ،
وهي صلاه ، والصلا : عجب الذنب بعينه ، والثالث المسلي ؛ لأنه كان
شريكاً في سبق ، وكانت العرب تعد من كل ما تختار ثلاثة ، أو لأنه سلي
عن صاحبه بعض همه بالسبق ، والرابع التالي ، سمي بذلك لأنه تلا هذا المسلي
في حال دون غيره ، والخامس المرتاح ، وهو المفتعل من الراحة ؛ لأن في الراحة

(١) في القصب سبعة .

خمس أصابع لا يعد منها غيرهن ، وإذا أومأت العرب من العدد إلى خمس فتح الذي يوميء بها يده و فرق أصابعه الخمس ، وذلك أيضاً ما يومنون به من غير عقد الحساب ، ثم يكون بعدها إلى أن تكون عشرة فيفتح الذي يوميء بها يديه جميعاً ، ويقابل الخمس أصابع بالخمسة ، فلما كان الخامس مثل خامسة الأصابع وهي الخنصر سمي مرتاحاً ، وسمى السادس حظياً ؛ لأن له حظاً ، وقيل : لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى السادس قضيبه^(١) ، وهي آخر حظوظ خيل الحلبة ، غير أنه له حظ ، وسمى السابع العاطف ؛ لدخوله الحجرة لأنه قد عطف بشيء وإن قل ، وحسن إذ كان قد دخل الحجرة المحجورة ، وسمى الثامن المؤمل على القلب والتفاؤل كما سموا الفلاة مفازة والديع سليماً ، وكنوا الحبشى أبا البيضاء ، ونحو ذلك ، فكذلك سموا الخائب المؤمل ، أي أنه يؤمل وإن كان خائباً ؛ لأنه قرب من بعض ذوات الحظوظ بعد ، والتاسع اللطيم ؛ لأنه لو رام الحجرة للطم دونها لأنه أعظم جرماً من السابع والثامن ، والعاشر السكيت لأن صاحبه يعلوه خشوع وذلة ويسكت حزناً وغماً^(٢) ، فكانوا يجعلون في عنق السكيت حبلاً ويحملون عليه قرداً ، ويدفعون للقرد سوطاً ؛ فيركضه القرود ليعير بذلك صاحبه ، وأنشد في ذلك الوليد بن حصن الكلبي :

إذا أنت لم تسبق و كنت مُخْلَفًا سُبِقْتَ إذا لم تدع بالقرود والحبيل
وإن تك حقاً بالسكيت مُخْلَفًا فتورث مولاك المذلة بالنبل

أما ذكره النبل فإن بعضهم كان يفعل ذلك : ينصب فرسه ثم يرميه بالنبل حتى يتمجف ، وقد فعل ذلك النعمان بفرسه النهب ، قال كلاب بن حمزة : ولم نعلم أحداً من العرب في الجاهلية والإسلام وصف خيل الحلبة العشرة بأسمائها وصفاتها وذكروها على مراتبها غير محمد بن يزيد بن مسامة بن عبد الملك بن مروان ، وكان

(١) في ب « قضة » محرفاً .

(٢) في ب « وعياً » .

بالجزيرة بالقرية المعروفة بمحصن مَسَامَة من إقليم بَلَسَخ^(١) من كورة الرقة من ديار مضر فإنه قال في ذلك :

شهدنا الرهان غداة الرهان	بِمَجْمَعَةٍ ضَمَّهَا الْمَوْسِمُ ^(٢)
نقود إليها مقاد الجميع	ونحن بصـنعتها أقومُ
غدونا بمقوودة كالتداح	غدت بالسعود لها الأنجمُ
مقابلة نسبة في الصريح	نماهنَّ للأكرم الأكرمُ
كَمَيَّتٌ إِذَا مَا تَبَاطَى بَيْلٌ	يفوت الخطوط إذا يُلَجَّمُ
فمنهنَّ أحوى ممر أغر	وأجود ذو غرة أرثم
تلاؤاً في وجهه فرجة	كان تلاؤها المرزم ^(٣)
فقيدت لمدخور ما عندها	لمتظري أنها تنجم
عليهن سحم صفار الشخوص	نماهم لحام أتى أسحم
كانهم فوق أشباحها	زرزير في سُقْفِ حَوْمُ
فصفت على الجبل في محضر	بلى أمره ثقة مسلم
تراضوا به حكما بينهم	فبالحق بينهم يحكم
وربك بالسبق عن ساعة	من الناس كلهم أعلمُ
فقلت ونحن على جدة	من الأرض نيرها مظلم
لقد فرغ الله مما يكون	ومهما يكن فهو لا يُبَكِّمُ
فأقبل في أمرنا نافرٌ	كما يُقبِل الوابل المنجم
وأتبع فَوْضَى ومرفضة	كما ارفض من سلكه المنظم
أوالسرب سرب القطاراعه	من الجو شوذائق مظلم
فواصل من كل قسطالة	كان عثاينها العندمُ

(٢) في ب « بجمعية » .

(١) في ا « إقليم بليخ » .

(٣) في ا « في وجهه قرحة » .

وللمرء من فرج ما تستشير
فجلى الأغر، وصلى الكميت،
وأردفها رابع تالياً
وما ذمّ مرتاحها خامساً
وجاء الحظيُّ لها سادساً
وسابعها العاطف المستجير
وجاء المؤمل فيها يخيب
وجاء اللطيم لها تاسعاً
يخبئ السكيت على إثره
كان جوانبه بين ذى
إذا قيل من ربّ ذالم يحزّ
ومن لا يعد للحلاب الجياد
وما ذو اقتضاب لمجهولها
فرحناً بسبق شهرنا به
وأحرزن عن قصبات الرهان
برود من القصب موشية
فراحت عليهن منشورة
ومن ورق صامت بكرة
ففضت لنهب خواتيمها
نوزعها بين خدامها
وإنا لترنيط المعربا
يعدّها لها المحض بعد الحليب
ويخلطها بصميم العيال
مشاربها الصافيات العذاب

سنا بكون سنا مضم
وسلى فلم يذمّ الأدم
وأين من المنجد المتهم ؟
وقد جاء يقدم ما يقدم
فأسهمه حظّاه المسهم
يكاد لحيرته يحرم
وعن له الطائر الأشام
فمن كل ناحية يلطّم
وذفراه من قبة أعظم
جمانة نيط بها ققم
من الخزي بالصمت يستعصم
وشيك لعمرك ما يندم
كن ينتميهما ويستلزم
ونيل به الفخر والمغم
رغائب أثقالها تقسم
وأكسية الخز والملحم
كان حواشيهنّ الدم
ينوء بها الأغلب الأعصم
وبدرتنا الدهر لا تحتم
ونحن لها منهم أخدم
ت في اللزبات فما ترزم
كما يصلح الصبية المفطم
بمن له حب هو المحرم
ومطعمها فهو المطعم

فهنَّ بأكناف أبياتنا صَوَافِنُ يصهلن أو حُوم
ومال محمد بن يزيد في كلمته هذه إلى أنه لاحظَ للثامن ، وجعل للسابع
حظاً في السبق ، والهندسة إجراء الخيل وتجربتها فيما دون الغاية ، وإنما
سميت الحَلْبَة حلبة لأن العرب تحلب إليها خيولها من كل مكان .

قال المتقي : أثبتت ما يجري في هذه الأوقات ودَوَّنَاهُ ، فلم يزالا معه في
ذلك يحدِّد لهما البر إلى أن كان من أمره ما قد اشتهر .

وقد تنهى بنا الكلام إلى هذا الموضوع من خلافة المتقي ؛ فلنذكر الآن
بعض من اشتهر شعره في هذا الوقت واستفاض في الناس وظهر .

فمنهم أبو القاسم نصر بن أحمد الخبزأرزي^(١) ، وهو أحد المطبوعين
المجودين في البديهة المعروفين بالفضل ؛ فمن جيد شعره قوله :

أنضى الهوى جسدي وبدلني به جسداً تكوّن من هوى متجسد^(٢)
ما زال إيجاد الهوى عدى إلى أن صرت لو أعدمته لم أوجد

ومن جيد شعره ما عاتب به ابن لنكك الشاعر ، وهو :

لم لا ترى لصداقتي تصديقا فينا ، ولم تدعُ الصديق صديقاً ؟
ذو العقل لا يرضى بوسم صداقة حتى يرى لحقوقها تحقيقاً
فلمن يرجي الحق أن يدعى إخا وعلى الرفيق بأن يكون رفيقاً^(٣)
إن غاب غاب محافظاً ، أو حلَّ كان ن مداعباً ، أو قال كان صدوقاً

وفي هذا الشعر يقول :

(١) في ١ ، ب « أبو نصر القاسم » وهو خطأ تسويبه عن ابن خلكان ،

وفي ب « الحروري » محرفاً عما أثبتناه عن ا وابن خلكان .

(٢) في ب « أنضى الهوى » وفي ا في آخره « مستجسد » .

(٣) في ا « فلمن توخى » .

ويكاد من علق الهوى بفؤاده
مما تفكر أن يرى زنديقا
وقوله :

أعليك أعتب أم على الأيام ؟
قطع التواصل قربنا بتواعد
هلا ألفت إذ الزمان مُسْتَدَّتْ
والإلف للأرواح لا الأجسام
وفي هذا الشعر يقول :

عذراً أبا عيسى عسى لك في القبال
عذراً ، وذا علم بلا إعلام^(١)
من غابت الأخبار عنه ودينه
دين الإمامة قال بالأوهام
خذ من فرأئك الذي أعطيتني
فالدرُّ درك والنظام نظامي
حكيم معانيها معانيك التي
فصلتها لي ، والكلام كلامي

وشعره في الغزل^(٢) وغيره أكثر من أن نأتي عليه ، وأكثر الغناء
المحدث في وقتنا هذا من شعره ، وقد أشيع بموته وأن البريدي^(٣) غرقه
لأنه كان هجاء ، وقيل : بل هرب من البصرة ولحق بهجر والأحساء^(٤)
بأبي طاهر بن سليمان بن الحسن صاحب البحرين .

قال المسعودي : وقد أتينا على أخبار المتقى وما كان في أيامه من
الكواثر والأحداث على الشرح والإيضاح في الكتاب الأوسط الذي
كتابنا هذا تال له ، وإنما نذكر من أخبارهم في هذا الكتاب لمعاً
لاشتراطنا فيه على أنفسنا الاختصار والإيجاز ، وكذلك أتينا على خبر
مقتل بجم^(٥) التركي ، وكان مقتله في رجب سنة تسع وعشرين وثلثمائة ،
وما كان من أمره مع الأكراد بناحية واسط ، وما كان من كورتكين^(٦) مقتل بجم
الديلمي واستيلائه على جيش بجم^(٥) ، وأحمدار محمد بن رائق من الشام

(١) في « قهل لك في القبال عذرا » محرفاً (٢) في ب « في الهزل »

(٣) في ب « اليزيدي » (٤) في ب « هجر ولجأ بأبي طاهر »

(٥) في ب « بجم » محرفاً (٦) في ب « كونسكار » محرفاً

ومحاربتة كورتكين^(١) بعكبرا ، ومخاتلته إياه ، ودخوله الحضرة ،
وما كان بينهم من الوقعة بالحضرة إلى أن انهزم كورتكين^(١) ، واستولى
محمد بن رائق على الأمر ، وما كان من البريديين^(٢) وموافاتهم الحضرة ،
وخروج المتقى عنها مع محمد بن رائق الموصلي ، في كتابنا المترجم « بأخبار
الزمان » فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الكتاب ، والله الموفق للصواب .

(١) في ب « كونسكار » وانظر الهامشة رقم ٦ في ص ٣٥٣ .

(٢) في ب « اليزيديين » .

ذكر خلافة المستكفي بالله

وبويع المستكفي بالله ، وهو أبو القاسم عبدُ الله بن علي المـسـكـفـي ، يوم السبت لثلاث خـلـونَ من صفر سنة ثلاث و ثلاثين و ثلثمائة ، و خـلـعَ في شعبان سنة أربع و ثلاثين و ثلثمائة ، لسبع بـقـينَ من هذا الشهر ، فكانت خلافته سنة و أربعة أشهر إلا أياماً ، و أمه أم ولد .

ذكر جمل من أخباره ، وسيره

ولم مما كان في أيامه

ذكر أول أمره قد قدّمنا عند ما ذكرنا خلع المتقي لله أن المستكفي بويع له بالسبق على نهر عيسى من أعمال بادوريا^(١) بإزاء القرية المعروفة بالسندية في الوقت الذي سُمِّتَ فيه عيننا المتقي ، بايع له أبو الوفاء توزون^(٢) وسائر مَنْ حضره من القواد وأهل الدولة، وأهل عصره من القضاة منهم القاضي أبو الحسن محمد بن الحسين بن أبي الشوارب وجماعة من الهاشميين ، فصلى بهم في يومهم ذلك المغرب والعشاء ، وسار حتى نزل في يوم الأحد بالشَّامِسية ، فلما كان في يوم الاثنين انحدر في الماء راكباً في الطيار الذي يسمى الغزل^(٣) ، وعليه قلنسوة طويلة محدودة ، ذُكِرَ أنها كانت لأبيه المكتفي بالله ، وعلى رأسه توزون^(٢) التركي ومحمد بن محمد بن يحيى [بن] شيرزاد وجماعة من غلمانه ، وسلم إليه المتقي ضريراً ، وأحمد بن عبد الله القاضي مقبوضاً عليه ، وحضر بعد ذلك سائر القضاة والهاشميين ، فبايعوا له ، واستوزر أبا الفرج محمد بن علي السامري مدة ، ثم غضب عليه ، وغلب على أمره^(٤) محمد بن شيرزاد ، فأمّر وجلس للناس ، وسأل عن القضاة ، وكشَفَ عن أمر شهود الحضرة ، فأمر بإسقاط بعضهم ، وأمر باستتابة بعضهم من الكذب وقبول بعضهم لأشياء كان قد علمها منهم قبل الخلافة ، فامتثل القضاة ما أمر به من ذلك ، واستقضى على الجانب الشرقي محمد بن عيسى المعروف بابن أبي موسى الحنفي ، وعلى الجانب الغربي محمد بن الحسين بن أبي الشوارب الأموي الحنفي ، فقالت العامة : إلى ههنا انتهى سلطانه ، وانتهى في الخلافة أمره ونهيه ، وقد كان بينه وبين الفضل بن المقتدر الذي يسمى بالمطيع قبل ذلك

(٢) في ب « بورون »

(١) في ب « فاذور »

(٤) في ا « وعول في أمره على محمد »

(٣) في ب « يسمى الغزالة »

مجاورة^(١) في دار ابن طاهر ، وعداوة في اللعب بالحمام وتطيرها ، واللعب بالكباش والديوك والسمان ، وهو الذي يسمى بالشام الففخ^(٢) ، فلما حمل المستكفي إلى نهر عيسى ليبيع له هرب المطيع من داره ، وعلم أنه سيأتي عليه ، فلما استقرت للمستكفي طلب المطيع ، فلم يقف له على خير ، فهدم داره ، وأتى على جميع ما قدر عليه من بستان وغيره .

المستكفي
وغلام ضمه له
توزون

وذكر أبو الحسن علي بن أحمد الكاتب البغدادي ، قال : لما استخلف المستكفي ضم إليه توزون^(٣) غلاماً تركياً من غلمانه يقف بين يديه ، وكان للمستكفي غلام قد وقف على أخلاقه ونشأ في خدمته ؛ فكان المستكفي يميل إلى غلامه ، وكان توزون يريد من المستكفي أن يقدم المضموم إليه على غلامه الأول ؛ فكان المستكفي يبعث بالغلام التركي في حوائجه ، اتباعاً لمرضاة توزون ، فلا يبلغ له ما يبلغ غلامه .

من أخبار
الحجاج مع
أهل الشام

قال : وأقبل المستكفي يوماً على محمد بن محمد بن يحيى بن شيرزاد الكاتب ، فقال له : أتعرف خبر الحجاج بن يوسف مع أهل الشام ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين ، قال : ذكروا أن الحجاج بن يوسف كان قد اجتمع قوم من أهل العراق وجدّ عندهم من الكفاية ما لم يجد عند مختصيه من الشاميين ؛ فشق ذلك على الشاميين وتكلموا فيه ، فبلغ إليه كلامهم ؛ فركب في جماعة من انفرقين ، وأوغل بهم في الصحراء ؛ فلاح لهم من بُعد قطار إبل ؛ فدعا برجل من أهل الشام ، فقال له : امض فاعرف ما هذه الأشباح ، واستقص أمرها ، فلم يلبث أن جاء وأخبره أنها إبل ، فقال : أمحمة هي ؟ أم غير محملة ؟ قال : لا أدري ، ولكنني أعود وأتصرف ذلك ، وقد كان الحجاج أتبعه برجل آخر من أهل العراق ، وأمره بمثل ما كان أمر الشامي ، فلما رجع العراقي أقبل عليه الحجاج وأهل الشام يسمعون ،

(١) في ب « محاورة » بالحاء مهملة (٢) في ب « الففخ »

(٣) في ب « توزون » بالراء

ما هي؟ قال: إبل، قال: ومك عددها؟ قال: ثلاثون، قال: وما تحمل؟
قال: زيتا، قال: ومن أين صدرت؟ قال: من موضع كذا، قال:
[وأين قصدت؟ قال: موضع كذا، قال: [ومن ربها؟ قال: فلان،
فالتفت إلى أهل الشام، فقال:

ألام على عمرو، ولومات أوناي لقل الذي يُعني غنَاءك يا عمرو

فقال ابن شيرزاد: فقد قال: يا أمير المؤمنين بعض أهل الأدب في هذا المعنى:

شر الرسولين من يحتاج مرسله منه إلى العود، والأمران سيان

كذاك ما قال أهل العلم في مثل طريق كل أخى جهل طريقان

قال المستكفي: ما أحسن ما وصف البحتري الرسول بالذكاء بقوله:

وكان الذكاء يبعث منه في سواد الأمور شُعلة نار

وعلم ابن شيرزاد استئصال المستكفي لغلام توزون؛ فأخبر توزون بذلك

فأعفاه منه، وأزاله عن خدمته.

وحدث أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق المعروف بابن الوكيل البغدادي

قال: كان أبي قديما في خدمة المكتفي، فلما كان من أمره ما اشتهر،

صرت في خدمة ابنه^(١) عبد الله بن المكتفي، فلما أفضت الخلافة إليه كنت

أخص الناس به؛ فرأيت في بعض الأيام وعنده جماعة من ندمائه ممن كان

يعاشرهم قبل الخلافة من جيرانه بناحية دار ابن طاهر، وقد تذاكروا

الخمير وأفعالها، وما قال الناس فيها من المنثور والمنظوم، وما وصفت به،

فقال بعض من حضر: يا أمير المؤمنين، ما رأيت أحدا وصف الخمرة

بأحسن من وصف بعض من تأخر؛ فإنه ذكر في بعض كتبه في الشراب

ووصفه أنه ليس في العالم شيء واحد أخذ من أمهاته الأربع فضيلتها وابتزها

أكرم خواصها إلا الخمرة؛ فلها^(٢) لون النار، وهو أحسن الألوان، ولذونة

الهواء، وهي ألين المجسات، وعذوبة الماء، وهي أطيب المذاقات، وبرد

(١) في ب « في خدمة أخيه عبد الله بن المكتفي » تحريف

(٢) في ب « فإنها لون النار »

مسامرة
في وصف
الخمير

الأرض ، وهي أذالمشروبات ، قال : وهذه الأربعة وإن كُنَّ في جميع المآكل والمشارب متراكبة فليس الغالب عليه ما وصفنا من الغالب على الخمر ، قال واصفها :
قد قلت في اجتماع الصفات التي ذكرنا فيها :

لست أرى كالراح في جمعها لأربع هن قوامُ الوري

عذوبة الماء ، ولينُ الهواء ، وسخنة النار ، وبرد الثرى

ولما كانت الراح بالموضع الذي وصفناها به ، من الفضل على سائر ما ينال [من هذه الدنيا ، كانت الأوصاف أحسن لها من سائر ما ينال] ويوصف من صنوف اللذات والمدح بها بما تبعث^(١) من فنون الشهوات .

قال : فأما [شعاع] الخمر فإنه يشبه بكل شيء نوري ، من شمس وقمر ونجم ونار ، وغير ذلك من الأشياء النورية ، فأما لونها فيحتمل أن يشبه بكل أحمر في العالم وأصفر ، من ياقوت وعقيق وذهب ، وغير ذلك من الجواهر النفيسة والحلى الفاخرة .

قال : وقد شبهها الأولون بدم الذبيح ، ودم الجوف^(٢) ، وشبهها غيرهم بالزيت والرازق وغيرهما ، وتشبيها بالجواهر الأكرم أفضل لها ، وأحسن في مدحها .
قال : فأما صفاؤها فيحتمل أن يشبه بكل ما يقع عليه اسم الصفاء ، وقد

قال بعض الشعراء المتقدمين في صفتها :

* تُرِيكَ الْقَدَى مِنْ دُونِهَا وَهِيَ دُونَهُ *

وهذا أحسن ما قاله الشعراء في وصف الخمر ، قال : وقد أتى أبو نؤاس في وصفها ووصف طعمها وريحها وحسنها ولونها وشعاعها وفعلها في النفس وصفة آلاتها وظروفها وأذنانها ، وحال المناديات عليها ، والاصطباح ، والاعتباق ، وغير ذلك من أحوالها ، بما يكاد يفتاق^(٣) به باب وصفها ، لولا اتساع^(٤) الأوصاف لها ، واحتمالها إياها ، وأنها لا تكاد تحصر ، ولا يبلغ إلى غاياتها ، قال : وقد وصف أبو نؤاس نورها فقال :

(١) في ب « بما بنفع » (٢) في ب « ودم الجون » تحريف

(٣) في ب « بما يكاد يعلو به » (٤) في ب « لولا اتضاع »

فكأنها في كفه شمس ، وراحته قمر

وقال :

فعلت في البيت إذ مُرِجَتُ مثل فعل الصبح في الظلمِ
فاهتدى ساري الظلام بها كاهتداء السفرِ بالعلمِ

وقال أيضا :

بنت عشر صفت ورقّت ؛ فلو صببت على الليل راح كل ظلام

وقال أيضا :

إذا عبّ فيها شاربُ القوم خيلته يُقبّلُ في داج من الليل كوكبا
تري حيفا كانت من البيت مشرقا وما لم تكن فيه من البيت مغربا

وقال أيضا :

وكان شاربها لفرط شعاعها في الكأس يكرع في ضياء مقباس

وقال أيضا :

فقلت له : ترفق بي ؛ فإني رأيت الصبح من خلل الديار
فقال تعجبا مني : أصبِحُ ولا صبح سوى ضوء العقارِ
وقام إلى الدنان فسدّ فاها فعاد الليل مصبوغ الإزار^(١)

وقال أيضا :

وحراء قبل المزج صفراء دونه كان شعاع الشمس يلقاك دونها

وقال :

كان نارا بها مُحَرَّشَةٌ تهابها تارة وتنجشها

وقال أيضا :

حراء لولا انكسار الماء لاختطفت نور النواظر من بين الحمايق

وقال أيضا :

ينقضُّ منها شعاع كلما مرجت كالشهب تنقضُّ في إثر العفاريت

(١) في الإزار مسدول الإزار

وقال :

عُتِّمَتْ فِي الدَّانِ حَتَّى اسْتَفَادَتْ نَوْرَ شَمْسِ الضُّحَى وَبَرَدَ الظُّلَامِ

وقال :

فَجُوزَهَا عَنِّي عُقَارًا تَرَى لَهَا إِلَى الشَّرْفِ الْأَعْلَى شِعَاعًا مَطْنِبًا^(١)

وقال :

قال : ابغني المصباح ، قلت له : اتئد ، حَسْبِي وَحَسْبُكَ ضَوْؤُهَا مَصْبَاحًا
فَسَكَبْتُ مِنْهَا فِي الزَّجَاجَةِ شَرِبَةً كَانَتْ لَنَا حَتَّى الصَّبَاحِ صَبَاحًا^(٢)

قال : وله في هذا الفن أشياء كثيرة قد وصفها في مشابهة النار ومجانسة^(٣)

الأنوار والرفع للظلام ، وتصيير الليل نهاراً والظلم أنواراً ، مما هو إغراق
الواصف واشتطاط المادح ، قال : وليس إلى صفة لونها ونورها ما هو
أحسن مما وصفها ، إذ ليس بعد الأنوار شيء في الحسن ، قال : فداخل
المستكفي سرور وفرح وابتهاج بما وصف ، فقال : ويحك !! فرج عني من
هذا الوصف ، قال : نعم يا سيدي .

قال عبد الله بن محمد الناشي : وقد كان المستكفي ترك التبذ حين
أفضت الخلافة إليه ، فدعا بها من وقته ، ودعا إلى شربها ، وقد كان
المستكفي - حين أفضت الخلافة إليه - طالب الفضل بن المقتدر ، على
حسب ما قدمنا ، لما كان بينهما من العداوة فيما ذكرنا ، وغير ذلك مما
عنه أعرضنا ، فهرب الفضل ، وقيل : إنه هرب إلى أحمد بن بويه
الديلمي متكرراً^(٤) ، وأحسن إليه أحمد ولم يظهره ، فلما مات توزون^(٥)

ودخل الديلمي إلى بغداد وخرج الأتراك عنها صار إلى ناصر الدولة
أبي محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان ، وانحدر معه هو وابن عمه أبو عبد الله بن
أبي العلاء ، فكان بينه وبين ابن بويه الديلمي من الحرب ما قد اشتهر ، وانحاز
الديلمي إلى الجانب الغربي ومعه المستكفي والمطيع مختف ببغداد ، والمستكفي

(١) كذا في أو الديوان (ص ٧ ط أوربة) ، وفي ب « يجودها عني عيانا يرى لها »

(٢) في أ « كانت له حتى الصباح صباحا » (٣) في ب « ومخالفة »

(٤) في ب « متصرا »

(٥) في ب « تورون »

يطلبه أشدَّ الطلب ، وأُنزل المستكفي في بيعة النصارى المعروفة بدُرْنَا من الجانب الغربي .

فذكر أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق المعروف بابن الوكيل ، ومنزلته من خدمة المستكفي ما قدمنا ، قال : كان المستكفي في سائر أوقاته فازعاجلاً من المطيع أن يبلى الخلافة ، ويُسلم إليه فيحكم فيه بما يريد ، فكان صدره يضيق لذلك ، فيشكو ذلك في بعض الأوقات إلى من ذكرنا ممن كان يألفه من ندائه فيشجعونه ويهونون عليه أمر المطيع ، إلى أن قال لهم في بعض الأيام : قد اشتبهت أن نجتمع في يوم^(١) كذا كذا فنتذاكر أنواع الأطعمة وما قال الناس في ذلك منظوماً ، فاتفق معهم على ذلك ، فلما كان في اليوم الذي حضروا أقبل المستكفي فقال : هاتوا ، ما الذي أعدّه كل واحد منكم ؟ فقال واحد منهم : قد حضرني يا أمير المؤمنين أبيات لابن المعتز يصف سلة فيها سكارج كوامخ ، فقال : [هاتها ، قال :]

أمتع بسلة قضبان أتتك وقد
حفت جوانبها الجامات أسطار
فيها سكارج أنواع مصففة
حمر وصفرة ، وما فيهن إنكار
فيهن كوامخ طرخون مبهورة
وكامخ أحمر فيها وكبار^(٢)
أعطته شمس الضحى لو نأفجاء به
كأنه من ضياء الشمس عطار^(٣)
فيهن كوامخ مرزنجوش قابله
من القرنفل نوع منه مختار
وكامخ الدارصيني فليس له
في الطعم شبهه ، ولا في اونه عار
كأنه المسك ريحاً في تنسمة
حريف في طعمه والريح معطار
وكامخ الزعتر البري إن له
لوناً حكاه لدينا المسك والقار
وكامخ الثوم لما أن بصرت به
أبصرت عطراً له بالأكل أمار^(٣)
كأن زيتونها فيها ظلام دجى
في الجنب منه من المقبور أسفار
إذا تأملت ما فيهن من بصل
كأنهن اجين حشوه نار

لابن المعتز
في وصف سلة
كوامخ

(١) في ب « أن نجتمع في مكان كذا » (٢) في ب « وتيار »

(٣) وقع في هذا البيت هكذا .
له روايح ترتاح النفوس لها كأنما فت فيها المسك عطار

وسَلَجَمٌ مستدير القد خالطه طعم من الخل قد حازته أسطار
 كأن أبيضه فيه وأحمره دراهم صففت فيهن دينار
 في كل ناحية منها يلوح لها نجم إلينا بضوء الفجر نظار
 كأنها زهرة البستان قابلاً بدر وشمس وإظلام وأنوار
 قال المستكفي : تحضر هذه الجونة بعينها على هذا الوصف ، وهاتوا ،
 فلسنا نأكل اليوم إلا ما تصفون ، فقال آخر من الجلساء : يا أمير المؤمنين
 لمحمود بن الحسين الكاتب المعروف بكشاجم في صفة سلة نوادر^(١) :

في وصف سلة
 نوادر

متى نَنشَطُ للأكل فقد أصاحت الجونة
 وقد زَيَّنَّا الطاهي لنا أحسن ما زينه
 فجاءت وهى من أطيء ما يؤكل مشحونه
 فمن جدى شويئناه وعصبنا مصاريفه
 ونضدنا عليه نعنم البقل وطرخونه
 وفرخ وافر الزور أجدنا لك تسمينه
 وطيهوج وفروج أجدنا لك نطجينه
 وسنبوسجة مقلاة في إثر طردينه
 وحمراء من البيض إلى جانب زيتونه
 وأوساط شطيرات بزيت الماء مدهونه
 يولدن لدى التخممة جوعا ويشهينه
 ترنج بكسور الند بالعنبر معجونه
 وحريف من الجبن به الأوساط مقرونة
 وطلع كالآلى في سموط الفيد مكنونه

(١) لعلها « بوارد » وقد اخترنا في هذه القصائد عبارة ا ؛ إذ كانت الثقة بها أشد ، إلا أن يكون ما في ب واضح الصحة ، ولم نكثر بذكر اختلاف عبارات الأصليين ، فنبهنا هنا على ذلك .

وخل ترعف الآنا ف منه وهي مختونه
 وباذنحان بوران به نفسك مفتونه
 وهليون وعهدى بك تستعذب هليونه
 ولوزينجسة في الدهن والسكر مدفونه
 [وعندي لك رستيجة مطبوخ وقنينه]^(١)
 وساق وعدت بالوصل منه عطفة النونه
 له شدة الحاظ وفي الفاظه لينه
 وقمرى يغنيك لحوناً غير ملحونه
 ألا يا من لحزون نأى عن دار محزونه
 فما عذرک في أن لا ترى من سكره طينه

لابن الرومي فقال المستكفي : أحسنت وأحسن القائل فيما وصف ، ثم أمر بإحضار
 في وصف وسط كل ما يجري في وصفه مما يمكن إحضاره ، ثم قال : هاتوا ، من معه شيء
 في هذا المعنى ؟ فقال آخر : في هذا المعنى لابن الرومي في صفة وسط :

يا سائلي عن مجمع اللذات سألت عنه أنعت النعات
 فهالك ما أنشأته من قصه مسلماً من شوبه ونقصه
 خذ يا مرید الماء كحل للذيد جرد قتي خبز من السميد
 لم تر عينا ناظرٍ مثلهما فقشر الحرفين عن وجهيهما
 حتى إذا ما صارتا طفاطفا فاضفُ على إحداها تفايفا
 من لحم فروج ولحم فرخ تذب جوداها بالنفخ
 واجعل عليها أسطراً من لوز معارضات أسطراً من جوز
 إعجامها الجبن مع الزيتون وشكلها النعنع بالطرخون
 حتى ترى بينهما مثل اللبن مقسومة كأنها وشي اللبن

(١) هذا البيت لا يوجد في ا

واعمد إلى البيض السليق الأحمر
وَتَرَّبِ الأَسْطَرِ بالملح ، ولا
فَدَرَّهِمِ الوَسْطَ به وَدَرِّ
وَرَدِّدِ العَيْنِينَ فِيهِ لِحْظًا
وَمَتَّعِ العَيْنِينَ بِهِ مَلِيًّا
وامسك بنابيك وأكدم كدما^(١)

تسرع فيما قد بنيت هـ — ذمًا
[طوراً ترى كحلقة الدولاب
[وتارة مثل الرحي بلا سغب
[لهفي عليها وأنا الزء — يم

وقال آخر : يا أمير المؤمنين ، لإسحاق بن إبراهيم الموصلي في صفة
سنبوسج :

يا سائلي عن أطيب الطعام
اعمد إلى اللحم اللطيف الأحمر
واطرح عليه بصلاً مدورا
والق السذاب بعده موفراً
وبعد شئ من القرنفل
وكف كمون وشئ من مري
فدقه يا — يدي شديداً
واجعله في القدر وصب الماء
حتى إذا الماء فنى وقلاً
فلفه إن شئت في رفاق
سألت عنه أبصر الأنام
فدقه بالشحم غير مكثراً
وكرنباً رطباً جنياً أخضراً
ودار صيني وكف كزبرا
وزنجبيل ص — الح وفلفل
وملء كفتين بملح تدمر
ثم أوقد النار له وقوداً
من فوقه واجعل له غطاءً
ونشفته النار عنه كلا
ثم احكم الأطراف بالإلحاق

(١) في ا ه املأ ثناياك وأكدم كدما

(٢) هذه الأبيات الثلاثة لا توجد في ا ، وفي باولها «طوراً ترى حلقة الدولاب»

أو شئت خذ جزءاً من العجين
فابسطه بالسويق مستديراً
وَصُبَّ في الطابق زيتاً طيباً
وضعه في جام له لطيف
وكله أكلاً طيباً بخردل
معتدلاً التفريك مستلين
ثم اطفرن أطرافه تطفيرا
ثم أقدله بالزيت قلياً عجبا
ووسطه من خردل حريف
فهو ألدُّ المأكَل المعجل

فقال آخر : يا أمير المؤمنين ، لمحمود بن الحسين بن السندی كشاجم

الكاتب في وصف هليون :
في وصف هليون

لنا رماح في أعاليها أود
مستحسنات ليس فيها من عقد
مكسوة من صنعة الفرد الصمد
ثوب من السندس من فوق برد
كأنها ممزوجة حمرة خد
[نخالطه حمرة خد ويد
منضدات كتفاضيد الزرد
كأنها مطرف خرز قد مهد
كانت فصوصاً لخواتيم الخرد
يجول في جانبها جزر ومد
كأنه من فوقه حين لبد
فلو رآها عابد أو مجتهد
مفتلات الجسم فتلا كالمسد
لها رؤوس طالعات في جسد
منتصبات كالقдах في العمد
قد أشربت حمرة لون يتقد
قد قرصت حمرة كغف خرد
كأنها في صحن جام أو برد^(١)
نسايج المسجد حسناً منتضد
لو أنها بقي على طول الأبد
من فوقها مري عليها يطرد
مكسوة من زيتها ثوب زبد
شراك تبر أو لجين قد مسد
أفطر مما يشتهيها وسجد

فلما فرغ منها قال له المستكفي : هذا مما يتعذر وجوده في هذا الوقت
بهذا الوصف في هذا البلد ، إلا أن نكتب إلى الإخشيد محمد بن طنج

(١) سقط هذا البيت من ا

يحمل إلينا من ذلك البر من دمشق ، فأنشدونا فيما يمكن وجوده .
قال آخر : يا أمير المؤمنين ، لحمد بن الوزير المعروف بالحافظ الدمشقي
في صفة أرزية^(١) :

في وصف
أرزية

لله در أرزّة وافي بها طاهٍ كحسن البدر وسط سماء
أنقى من الثلج المضاعف نسجه من صنعة الأهواء والأنداء
وكانها في صحفة مقدودة بيضاء مثل الدرة البيضاء
بهّرت عيون الناظرين بضوئها وتربك ضوء البدر قبل مساء
وكان سُكَّرَها على أكنافها نُورٌ تَجَسَّدَ فوقها بضياء

فقال آخر : يا أمير المؤمنين ، أنشدت لبعض المتأخرين في هريسة :

في وصف
هريسة

ألذُّ ما يأكله الإنسان إذا أتى من صيفه نيسان^(٢)
وطالت الجديان والخرفان هريسة يصنعها النسوان
لهنّ طيب الكف والإتقان يُجمَع فيها الطير والحملان
وتلتقى في قدرها الأدهان واللحم والألية والشحمان
وبعد إوزة سمان وَالْحِنْطَةُ البيضاء والجلبان
وبعد هذا اللوز والإبان جَوَدَها بِطَحْنِهِ الطَّحان
وبعد الملح وخولنجان قد تعبت لعقدها الأبدان
تخجل من رؤيتها الألوان إذا بدت يحملها الفلمان
تضمها الصحفة والخوانُ وفوقها كالتقبو خيزران
يمسكه سقف له حيطان مُقَبَّبٌ وماله أركان
أبرزها للأكل الولدان [تفتت من لهيبها العيمان]
[والمرء فيها فله مكان] يُوْثِرُها الْجَائِحُ والشبعان
وبشيتها الأهل والضيفان لها على أضرابها السلطان
تصفونها العقول والأذهان وانتفعت بأكلها الأبدان

(١) في « في صفة أرزة » (٢) في « إذا أتى من صيفه نيسان » تحريف

أبدعها في عصره ساسان وأعجبت كسرى أنوشروان
إذا رآها الجائع الغرثان لم يُعْطَ صبراً معها الجيعان
وقال آخر : يا أمير المؤمنين ، ليعض المتأخرين في صفة المَضِيرَةِ :

في وصف
المضيرة

إنَّ المَضِيرَةَ في الطعام كالبدر في ليل التمام
إشراقها فوق الموا تُد كالضياء على الظلام
مثل الهلال إذا بدا للناس في خَلِّ الغمام
في صحن مملوءة للناس من جزع النَّهَام
قد أعجبت لأبي هريرة إذ أتت بين الطعام
حتى لقد مال الهوى بهواه عن طلب الصيام
ولقد رأى في أكلها حَظًّا فبادر بالقيام
ولقد تنكَّب أن يكو ن مؤاكلة عند الإمام
إذ ليس ثمَّ مَضِيرَةٌ تشفى السقيم من السَّقام
لا غرور في إتيانها من غير إتيان الحرام
فهي اللذيذة والغريبة والعجيبة في الأنام

وقال آخر : يا أمير المؤمنين ، لمحمود بن الحسين في صفة جوذابة :

في وصف
جوذابة

جوذابة من أرز فائق مصفرة في اللون كالعاشق
عجيبة مشرقة لونها من كف طاهٍ محكم حاذق
نسيجة كالتبر في حُرَّة ورديّة من صنعة الخالق
بسكر الأهواز مصبوغة فطعمها أحلى من الرائق
غريقة في الدهن رجراجة تدور بالنفخ من الذائق^(١)
لينّة ملمسها زبدة وريحها كالعنبر الفائق
كأنها في جامها إذ بدت تزهر كالكوكب في الفاسق

(١) في ب « تزور بالنفخ من الرائق »

عقيقة ص — فَرَّتْهَا فاقع في جيد خودِ بَضَّة عاتق
أحلى من الأمن أتى مؤمناً إلى ف — واد قلق خافق
وقال آخر : يا أمير المؤمنين ، معى لبعض المحدثين في صفة جوذابة :
وجوذابة مثل لون العقيق وفي الطعم عندي كطعم الرحيق
من السكر المحض معمولة ومن خالص الزعفران السحيق
مُفَرَّقة بش — حوم الدجاج وبالشحم ، أكرم بها من غريق
لذيذة طعم إذا استعملت وفي اللون منها كلون الخلق
[عليها اللآلئ من فوقها تضم جوانبها ضم ضيق^(١)
يُرَدِّدها في الإناء نفخة وما في حلاوتها من مطيق^(٢)

وقال آخر : يا أمير المؤمنين ، لمحمود بن الحسين كشاجم في صفة قطائف :
عندي لأصحابي إذا اشتدَّ السَّغَبُ قطائف مثل أضاير الكتب
كأنه إذا أبتدى من الكتب كوافر النحل بياضاً قد ثقب
قد مَجَّ دهن اللوز مما قد شرب وأبتلَّ مما عام فيه ورَسَبُ
وجاء ماء الورد فيه وذهب فهي عليه حَبَبٌ فوق حَبَبُ
إذا رآه واله القلب طرب مدرج تدريج أبناء الكتب
أطيب منه أن تراه ينتهب كل أمرىء لَدَّتُهُ فيما أحب

فأقبل المستكفي على معلم كان يعلمه في صباه طيب النفس ، وكان يضحك
منه ويستظرفه ، فقال له : [ذد] أنشدنا ما سمعت ، فأنشدنا أنت ، قال :
لا أدري ما قال هؤلاء ، وما أنشدوا ، غير أنى مضيت في أمس يومنا هذا
أدور حتى أتيت باطنجما ، فرأيت رياضها ، فذكرت [قول أبي نُوَاس فيها ،
فوالله لقد شجاني ، وذهب بي كل مذهب ، فقال له المستكفي : وما الذي
قال أبو نُوَاس ، ووصف] من أمرها ؟ قال :

(١) سقط هذا البيت من أ (٢) في أ « يدور الإناء بها نفخة »
(٢٤ — مروج الذهب ٤)

لأبي نواس
في وصف
ياطرنبجا

نومُ عينيك يا ابن وهب غِرَّارُ ولنار الهوى بقلبك نار
[باطرنجا مها ثَوَّابِي ، ولي فيهما إذا دارت الكؤوس اعتباراً] (١)
من حديثي ألى مررت بها يَوْ ما وقلبي من الهوى مُسْتَطَار
وبها نَرْجِسٌ ينادى غلامى قف فقد أذَرَ كَتُّ لَدِينَا العِقَارُ (٢)
وتغنى الدراج واستمطر اللهم ووجدت بنورها الأزهار
فانثينا إلى رياض عيون ناظرات ما إن بهنَّ أَحْوَرَارُ
ومكان الجفون منها ابيضاض ومكان الأحداق منها اصفرار
بينما نحن عندها صرَّخَ الوَرُ دُ : إِينَا يَا أَيُّهَا السَّمَّارُ (٣)
عندنا قهوة تغافل عنها دهرها فالوجود منها مُخَّارُ
وانثينا للورد من غير أن تذبو عَنِ النَّرْجِسِ المَضَاعِفِ دار
فراى النَّرْجِسِ الذى صنع الوَرُ د ، فنادى مسته رِخاً : يَا بَهَّارُ
ورأى الورد عسكرين من الصفر فنادى فجاءه الجَلَنَّارُ
واستجاشا تُفَّاحَ لُبْنَانَ لَمَّا حَمِيَّتْ مِنْ وَطِيسِهَا الأوتار
واستجاش البهَّارُ جيشاً من الأتـرجُ فِيهِ صِغَارُهُ والكَبَّارُ
فرايت الربيع في عسكر الصفر وقلبي يشـفه الأجرَارُ
ليس إلا لحرمة من خُدودِ مِنْ أَنَاسٍ بَفَوْا عَلَيْنَا وَجَارُوا

فلم أر المستكفي منذ ولي الخلافة أشد مروراً منه في ذلك اليوم ، وأجاز
جميع من حضر من الجلساء والمغنين والملمهين ، ثم أحضر ما حضره في وقته من
هَيْنٍ وَوَرِقٍ مع (٤) ضيق الأمر إليه ، فوالله ما رأيت له بعد ذلك يوماً مثله ،

(١) سقط هذا البيت من ب

(٢) في ب « وبها ترجعن ينادى علانا »

(٣) في الأصلين « يا معشر السمار » وفي البيت على هذا عيب الإقواء

(٤) في ب « عن ضعيف الأمر »

حتى قبضَ عليه أحمد بن بُوَيْهٍ الديلمي ، وَسَمَلَ عَيْنَيْهِ ، وذلك أن الحرب لما طالت بين أبي محمد الحسين بن عبد الله بن حمدان - وكان في الجانب الشرقي ومعه الأتراك - وابن عمه الحسين بن سعيد بن حمدان ، وبين أحمد^(١) بن بُوَيْهٍ الديلمي في الجانب الغربي ، والمستكفي معه ، اتهم الديلمي المستكفي بمسألة بني حمدان ومكاتبتهم بأخباره ، وإطلاعهم على أسرارهم ، [مع] ما كان تقدم له في نفسه ؛ فَسَمَلَ عَيْنَيْهِ ، وَوَلَّى المطيع ، وأعمل الديلمي الحيلة في البيات بالديلم ؛ فحملهم في السفن مع بوقات ودبابات^(٢) في الليل ، وألقاهم في مواضع كثيرة من الشارح إلى الجانب الشرقي ؛ فَتَوَجَّهَتْ له على بني حمدان الحيلة فخرجوا نحو الموصل من بعد أحداث كثيرة بين لآتراك وبينهم ببلاد تكريت ، واستوثق الأمر لأحمد بن بُوَيْهٍ الديلمي ، وشرع في عمارة البلد ، وسد البُثُوقَ ، على حسب ما ينمو إلينا من أخباره ، واتصل بنا من أفعاله ، على بعد الدار ، وفساد السبل ، وانقطاع الأخبار ، وكوننا ببلاد مصر والشام .

قال المسعودي : ولم يتأت لنا من أخبار المستكفي - مع قصر أيامه - غير ما ذكرنا ، والله الموفق للصواب .

(١) في ب « وابن أحمد » محرفاً (٢) في ا « ودباب » .

ذكر خلافة المطيع لله

موجز مبدئه

وبويع المطيع لله - وهو أبو القاسم الفضل بن جعفر المقتدر - لسبع
بقيين من شعبان سنة أربع وثلاثين وثلثمائة ، وقيل : إنه بويع في جمادى الأولى
من هذه السنة ، وغلب على الأمر ابن بويه [الديلمي] ، والمطيع في يده
لا أمر له ولا نهى ، ولا خلافة تعرف ، ولا وزارة تذكر ، وقد كان أبو جعفر
محمد بن يحيى بن شيرزاد يدبر الأمر بحضرة الديلمي ، فيما بأمر الوزارة برسم
الكتابة ، ولم يخاطب بالوزارة إلى أن استأمن الحسين بن عبد الله ^(١) بن حمدان
إلى الجانب الغربي ، وخرج معه عند خروجه إلى ناحية الموصل ، إلى أن اتهمه
بتفريقه الأثر الك عليه ؛ فسلم عينيه ، وقد قيل : إن أبا الحسن [علي بن] محمد بن
علي بن مقله يعرض الكتب على الديلمي والمطيع ، ويتصرف برسم الكتابة ^(٢) ،
لا برسم الوزارة في هذا الوقت ، وهو جمادى الأولى سنة ست وثلاثين
وثلثمائة ، ولم نفرده بجوامع تاريخ المطيع باباً مفصلاً عن أخباره كما فرادنا لغيره
مما سلف ذكره في هذا الكتاب لأننا في خلافته بعد .

قال المسعودي : وقد كُنَّا شرطنا [على أنفسنا] في صدر كتابنا هذا
أن نذكر مقاتل آل أبي طالب ، ومن ظهر منهم في أيام بني أمية
وبني العباس ، وما كان من أمرهم من قتل أو حبس أو ضرب ، ثم ذكرنا
ما تآتى لنا ذكره من أخبارهم ، من قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
رضي الله عنه ، وبقي علينا من ذلك ما لم نورد ، وقد ذكرناه في هذا الموضع ،
وفاء بما تقدم من شرطنا في هذا الكتاب .

فمن ذلك أنه ظهر بصعيد مصر أحمد بن عبد الله بن إبراهيم بن إسماعيل
ابن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ^(٣) بن علي بن أبي طالب رضي
الله عنه ، فقتله أحمد بن طولون ، بعد أقاصيص قد أتينا على ذكرها فيما سلف
من كتبنا ، وذلك نحو سنة سبعين ومائتين .

(١) في ب « برسم الكتابة » (٢) في ب « الحسين بن علي » وانظر ص ٣٧٠

(٣) في ا « ابن الحسين بن علي »

وكان خروج أبي عبد الرحمن المعجمي^(١) على أحمد بن طولون بصعيد مصر وما كان من أمره إلى أن قتل .

ظهور محسن
ابن الرضا
بدمشق

ومن ذلك ظهور ابن الرضا ، وهو محسن بن جعفر بن [محمد بن] علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين^(٢) بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، في أعمال دمشق سنة ثلثمائة ، فكان له مع أميرها أحمد بن كيفاغ [أحداث] فقتل صبراً ، وقيل : قتل في المعركة ، وحمل رأسه إلى مدينة السلام فنصب على الجسر الجديد بالجانب الغربي .

ظهور
الأطروش
بطرستان

وظهر ببلاد طبرستان والديلم الأطروش ، وهو الحسن بن علي بن محمد بن علي [بن الحسن بن علي] بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وأخرج عنها المسودة ، وذلك في سنة إحدى وثلثمائة ، وقد كان أقام في الديلم والجبل^(٣) سنين ، وهم جاهلية ومنهم مجوس ؛ فدعاهم إلى الله تعالى فاستجابوا وأسأوا إلا قليلاً منهم في مواضع من بلاد الجبل والديلم في جبال شاهقة وقلاع وأودية ومواقع خشنة على الشرك إلى هذه الغاية ، وبني في بلادهم مساجد ، وقد كان للمسلمين بإزائهم ثغور مثل قزوين وشالوس^(٤) وغيرها من بلاد طبرستان ، وقد كان بمدينة شالوس حصن منيع وبنيان عظيم بنته ملوك فارس ، يسكن فيه الرجال المرابطون بإزاء الديلم ، ثم جاء الإسلام فكان كذلك إلى أن هدمه الأطروش وقد كان بين الأطروش والحسن بن القاسم الحسيني الداعي حروب على بلاد طبرستان ، فكانت بينهم سجالات ، وكان الحسن بن القاسم الحسيني الداعي وأبي الري ، وذلك في سنة سبع عشرة وثلثمائة في جيوش كثيرة من الجبل والديلم ومعه ما كان بن كاكي الديلمي أحد فتاك الديلم ووجوهها فأخرج عساكر نصر بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد صاحبه عنها ، واستولى عليها وعلى قزوين وزنجان وقم وأبهر وغير ذلك مما اتصل بالري ، فكتب المقتدر إلى نصر بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد صاحب خراسان يُنكر عليه ذلك ويقول : إني

(١) في ب « ابن عبد الرحمن العمري » (٢) في ب « بن الحسن بن علي »

(٣) في ب « الجبل والديلم » وفي نسخة « الجبل » بياء مشناة في كل موضع

(٤) في ب « شالوس »

ضممتك المال والدم ، فأهملت أمر الرعية ، وأضعفتها ، وأهملت البلد ، حتى دخلته المبيضة ، وألزمه إخراجهم عنه ، فوقع اختيار نصر صاحب خراسان على إنفاذ رجل من أصحابه من الجبل ، يقال له أسفار بن شيرويه ، وأخرج معه ابن المحتاج^(١) ، وهو أمير من أمراء خراسان ، في جيش كثير ليحارب من مع الداعي وما كان بن كاكي^(٢) من الديلم لما [كان] بين الجبل والديلم من الضفان والتنافر ، فسار أسفار بن شيرويه الجبلي فيمن معه من الجيوش إلى حدود الري ، فكانت الوفاة بين أسفار بن شيرويه الجبلي وبين ما كان ابن كاكي الديلمي ، فاستأمن أكثر أصحاب ما كان بن كاكي الديلمي وقواده ، مثل مشير وتالجن وسايان بن شركة الأشكري ومرد الأشكري وهشونه بن أومكر في آخرين من قواد الجبل ، فحمل عليهم ما كان في نفر يسير من غلمان سبعة عشرة حملة ، وصبرت له عساكر خراسان ومن معه من الأتراك ، فولى ما كان ودخل بلاد طبرستان ، وانهزم الداعي بين يديه ، وما كان على حاميته ؛ فلحقته خيول خراسان والجبل والديلم والأتراك ، فيهم أسفار بن شيرويه ، ومضى ما كان لكثرة الخيول وانحاز الداعي وقد لحق بقرب آمل قصبه بلاد طبرستان إلى طاحونة^(٣) هنالك وقد نخل عنده من كان معه من الأنصار ، فقتل هنالك ، ولحق ما كان بالديلم ، واستولى أسفار ابن شيرويه على بلاد طبرستان ، والري ، وجرجان ، وقزوين ، وزنجان ، وأبهر ، وقم ، وهمدان ، والكرخ^(٤) ، ودعا لصاحب خراسان واستوثقت له الأمور ، وعظمت جيوشه وكثرت مدته ، فتجبر وطغى ، وكان لا يدين بملة الإسلام ، وعصى صاحب خراسان وخالف عليه ، وأراد أن يعقد التاج على رأسه ، وينصب بالري سريراً من ذهب للملك ، ويتملك على ما في يديه مما قد ذكرنا من البلاد ويحارب السلطان وصاحب خراسان ، فسير المقتدر هارون ابن غريب في الحال نحو قزوين فكانت له معه حروب ، فأنكشف هارون

(١) في ب « ابن النجاج » (٢) في ب « ما كان بن كلكي » محرفاً

(٣) في ب « إلى ناحية هنالك » (٤) في ب « والكرج »

وقتل من أصحابه خلق كثير ، وذلك بباب قزوين . وقد كان أهل قزوين عاونوا أصحاب السلطان ، فقتلوا منهم عدّة ، فكانت لهم بعد هزيمة هارون بن غريب مع الديلم حروب ، وسار إليهم أسفار بن شيرويه ؛ فأتى على خاتق عظيم بها ، وملك القلعة^(١) التي في وسط قزوين ، وتدعى بالفارسية : كشوين^(٢) وهو الحصن الذي كان للمدينة أولاً في نهاية المنعة ، ما كانت الفرس جعلته ثغراً بإزاء الديلم وشحنته بالرجال ، لأن الديلم والجبل - مذ كانوا - لم ينفقوا إلى ملة ، ولا استحجوا شرعاً^(٣) ثم جاء الإسلام ، وفتح الله على المسلمين البلاد ، فجعلت قزوين للديلم ثغراً هي وغيرها ، مما أطاف ببلاد الديلم والجبل وقصدها المطوعة والغزاة ؛ فربطوا وغزوا ونفروا منها ، إلى أن كان من أمر الحسن ابن علي العلويّ الداعي الأطروش ؛ وإسلام من ذكرنا من ملوك الجبل والديلم على يديه ما تقدم ذكره في صدر هذا الباب من خبره ، والآن قد فسدت مذاهبهم وتغيرت آراؤهم وألحد أكثرهم ، وقد كان قبل ذلك جماعة من ملوك الديلم يدخلون في الإسلام ، وينصرون من ظهر ببلاد طبرستان من آل أبي طالب ، مثل الحسن ومحمد ابني زيد الحسيني ؛ وخرّب أسفار بن شيرويه قزوين لما كان من فعل أهلها ومعاونتهم أصحاب السلطان على رجاله ، وقلع أبوابها ، وسبى ، وأباح الفروج ، وسمع المؤذن يؤذن على صومعة الجامع ، فأمر أن ينعكس منها على أمّ رأسه ، وخرّب المساجد ، ومنع الصلوات ، فاستغاث الناس في المساجد في أمصار المشرق ، واستفحل أمره ، وسار صاحب خراسان يريد الريّ لحرب أسفار بن شيرويه في عساكره وانفصل عن مدينة بخارى ، وهي دار مملكة صاحب خراسان في هذا الوقت ، وعبر نهر بلخ فنزل مدينة نيسابور ، وسار أسفار بن شيرويه إلى الري ، وجمع عساكره ، وضم إليه رجاله من الأطراف ، وعزم على مجاربة صاحب خراسان فأشار عليه وزيره - وهو مطرف الجرجاني ، وكان يخاطب بالرئيس^(٤) -

(١) في ب « القاعة »

(٢) في ب « مكثرين » .

(٣) في ب « ولا استنهبوا شرعاً » . (٤) في ب « بالوزير الرئيس » .

أن بلاطف صاحب خراسان ، ويراسله ويطمعه في المال وإقامة الدعوة ؛
فإن الحرب تارات ، وأوقاتها سجال ، والإنفاق عليها من رأس المال ،
فإن جَنَحَ إلى ما دعوته [إليه] وراسلته به ، وإلا فالحرب بين يديك ، لأن
من معك من الأتراك وأكثر فرسان خراسان إنما هم رجاله ، وإنما قد
تملكتهم بالإحسان إليهم ، ولا تدري لعله إذا قرب منك صاروا مع
صاحبهم ، فقبل قوله ، وأمر عمكاتبته ، فلما وردت الكتب على صاحب
خراسان أبي أن يقبل شيئاً من ذلك ، وعزم على المسير إليه ، فأشار عليه
وزيره أن يقبل منه ما بذل ، وأن يرضى منه بما يحمل من الأموال وإقامة
الدعوة ، فإن الحرب عَثْرَاتُهَا لا تُقَال ، ولا يدرى إلى ما تؤول ، لأن
الرجل قوى بالمال والرجال ، فإن هزم لم يكن في ذلك كبير فتح ، إذ كان
رجلاً من رجالك انتدبته لحرب عدوك وضممت إليه عساكرك وغلمانك ،
نخالف عليك ، وإن كانت وعائذ بالله عليك لم تستقل من ذلك ، فشاوَر
صاحب خراسان ذوى الرأي من قواده وأصحابه فيما قال وزيره فسددوا
رأيه ، وصَوَّبُوا قوله ، فجنح إلى قولهم ، وما أشير عليه ، فأجاب أسفار
ابن شيرويه إلى ما سأل ، وأعطاه ما طلب ، من بعد شروط اشترطها عليه من
حمل أموال وغير ذلك ، فلما ورد الكتاب على أسفار بن شيرويه قال لوزيره :
هذه أموال عظيمة قد اشترط علينا حملها ، ولا سبيل إلى إخراجها من بيت
المال ، فالواجب أن نستفتح خراج هذه البلاد ، فقال له وزيره : إن في
استفتاح الخراج في غير وقته مضرة على أرباب الضياع ، وخراب البلاد ،
وجلاء لكثير من أهل الضياع^(١) قبل إدراك غلاتهم ، قال له أسفار : فما
الوجه ؟ قال الوزير : الخراج إنما يخص بعض الناس من أرباب الضياع خاصة ،
وهمنا وجه يعم سائر الناس من أرباب الضياع وغيرهم من المسلمين ، وسائر أهل
الملل من أهل هذه البلاد وغيرهم من الغرباء ، من غير ضرر عليهم ولا كثير

(١) في ب « وخلصا للكبير من أهل الخراج » .

مؤنة ، بل إعطاء شئ يسير ، وهو أن تجعل على كل رأس ديناراً ، فيكون في ذلك ما اشترط علينا حمله من المال وزيادة عليه كثيرة ، فأمره أسفار بذلك ، فكتب أهل الأسواق والمحال من المسلمين وأهل الذمة حتى وصل في الإحصاء إلى مَنْ في الفنادق والخانات من الغرباء من التجار وغيرهم ، وحشَرَ الناس إلى دار الخراج بالرى وسأر أعمالها ، فطولبوا بهذه الجزية ، فمن أدى كتب له براءة بالأداء مختومة على حسب ما تكتب براءة أهل الذمة عند أدائهم الجزية في سأر الأمصار ، فأخبرني جماعة من أهل الرى وغيرهم ممن طرأ عليهم من الغرباء من التجار وغيرهم — وأنا يومئذ بالأهواز وفارس — أنهم أدوا هذه الجزية وأخذوا هذه البراءة بأدائها ، فاجتمع من ذلك أموال عظيمة حمل منها ما اشترط عليه ، وكان الباقي من ذلك ألف ألف دينار ونيفاً ، وقيل : أضعاف ما ذكرنا على حسب الخلائق الذين بالرى وأعمالها ، ورجع صاحب خراسان إلى بخارى ، وعظم أمر أسفار على خلاف ما عهد ، وبعث برجل من أصحابه كان صاحب جيش من الجبل يقال له مرداويج بن زيار^(١) إلى ملك من ملوك الديلم مما يلي قزوین ، وهو صاحب الطرم من أرض الديلم ، وهو ابن أسوار المعروف بسلار^(٢) الذي ولده في هذا الوقت صاحب أذربيجان وغيرها ، ليأخذ عليه البيعة لأسفار ابن شيرويه والعهد والدخول في طاعته ، فسار مرداويج إلى سلار^(٣) فتشاكياً ما نزل بالإسلام من أسفار بن شيرويه ، وإخراجه البلاد ، وقتله الرعية ، وتركه العمارة والنظر في عواقب الأمور ، فتحالفا وتعاقدا على التظاهر على أسفار والتعاون على حربه ، وقد كان أسفار سار في عساكره إلى قزوین ، وقرب من نَحُوم^(٣) الديلم من أرض الطرم من مملكة ابن أسوار منتظراً لصاحبه مرداويج بن زيار^(١) وأنه إن لم يَنْقَدِ ابن أسوار إلى طاعته ورجع إليه رسوله بما لا يحب وطمى بلاده ، وسلار^(٢) هذا هو خالُّ علي بن وهوذان^(٤) المعروف بابن

(١) في ب « بن زياد »

(٢) في ب « سلام »

(٣) في ب « نحو الديلم »

(٤) في ب « علي بن دهشوذان »

حسان ملك آخر من ملوك الديلم ، وهو الذي قتل بالري ، قتله ابن أسوار
 هذا في خبر بطول ذكره ، فلما ب مرداويج من عساكر أسفار راسل
 قواده وكاتبهم في معارنته على الفتك بأسفار ، وأعلمهم مظاهره سار^(١)
 عليه ، وقد كان القواد وسائر أصحابه سئموا أيامه ، ومثلوا درلته ، وكرهوا
 سيرته ، فأجابوا مرداويج إلى ذلك ، فلما دنا من الجيش استشعر أسفار بن
 شيرويه البلاء ، وعلم توجه الحيلة عليه ، وأن لناصر له من أصحابه ولاغيرهم
 لما تقدم من سوء سيرته ، فهرب في نفر من غلمانه ، فوافى مرداويج وقد
 فاته أسفار ، فاستولى على الجيش وحاز الخزائن والأموال ، وأحضر وزير
 أسفار المعروف بمطرف الجرجاني^(٢) ، فاستخرج منه الأموال ، وأخذ البيعة
 على القواد والرجال ، وفرق فيهم الأموال من الأرزاق والجوائز ، وزاد
 في أنزلهم ، وأحسن إليهم بما لم يكونوا يعرفونه من أسفار ، ومضى أسفار
 إلى نحو مدينة السارية من بلاد طبرستان فلم يجد له ما جاء يقصده ، وحر
 في أمره ، فرجع يريد قلعة من قلاع الديلم منيعة تعرف بقلعة الموت ، وكان
 فيها شيخ من شيوخ الديلم يعرف بأبي موسى مع عِدَّةٍ من الرجال قبلة
 ذخائر أسفار بن شيرويه وكثير من خزائنه وأمواله ، وكان مرداويج لما
 توجه له ذلك وملك الجيش والأموال خرج بتصيد على أميال من قزوين
 نحو الطريق الذي سلكه أسفار ليستعلم أمره^(٣) ، وأى البلاد سلك ، وإلى
 أى القلاع لجأ ، فمال إلى القلعة فنظر إلى خيل يسيرة في بعض الأودية ؛
 فأسرع أصحابه نحوها [ليأخذوا خبرها] فوجدوا أسفار بن شيرويه في عِدَّةٍ
 يسيرة من غلمانه يؤمُّ القلعة يأخذ ماله فيها من الأموال ويجمع الرجال من
 الديلم والجيل ويعود إلى حرب مرواويج بن زيار^(٤) فأتى عليه مرداويج .
 فلما وقعت عينه عليه نزل فذبجه من ساعته ، وأقبل رجال الديلم والجيل نحو

(٢) انظر ص ٣٧٦

(١) في ب « سلام » حيث وقعت

(٣) في ا « ليأخذ أخبار أسفار ويستعلم خبره »

(٤) في ب « بن زياد » حيث وردت

مرداويج ؛ لما ظهر من بَدَله وإحسانه إلى جنده ، وتسامع الناس بإذْراره الأرزاقَ على جنده ، فقصدوه من سائر الأمصار ، فعظمت عساكره ، وكثرت جيوشه ، واشتد أمره ، ولم يسعه ما في يديه من الأمصار ، ولا كفى رجاله ما فيها من الأموال ، ففرق قواده إلى بلاد قم وكرخ ابن أبي دلف والبرج وهمدان وأبهر وزنجان ، فكان ممن أنفذ إلى همدان ابن أخت له في جيش كثيف مع جماعة من قواده ورجاله ، وكان بها جيش للسلطان مع أبي عبد الله محمد بن خلف الدينوري السرماني ، ومعه خفيف غلام أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان في جماعة من قواد السلطان ؛ فكانت لهم مع الديلم حروب متصلة ووقائع كثيرة ، وعاون أهل همدان أصحاب السلطان ، فقتل من رجال مرداويج خلق كثير من الديلم والجيل [نحو] أربعة آلاف ، وقتل ابن أخت مرداويج صاحب الجيش والمعروف بأبي الكراديس بن علي بن عيسى الطلحي ، وكان من وجوه قواد مرداويج ، وولت الديلم نحو مرداويج أو حش هزيمة ، فلما أتاه الخبر وضجت أخته ورأى ما نزل بها من أمر ولدها سار عن الري في جيوشه حتى نزل مدينة همدان على الباب المعروف بباب الأسد ، وإنما سمي هذا البابُ بباب الأسد لأن أسداً من حجارة كان على ربوة من الأرض على الطريق المؤدية إلى الري وجادة خراسان أعظم ما يكون من الأسد كالثور العظيم أو كالجيل^(١) المبارك كأنه أسد حتى حتى يدنو الإنسان منه فيعلم أنه حجر قد صور أحسن صورة ومثل أقرب ما يكون من تمثيل الأسد ، فكان أهل همدان يتوارثون أخبارهم عن أسلافهم مستفيضاً فيهم أن الإسكندر بن فيلبس بنى همدان حين انصرف من بلاد خراسان ورجوعه من مطافه^(٢) من الهند والصين وغيرها ، وأن ذلك الأسد جعل طليماً للمدينة وسورها ، وأن خراب البلد وفناء أهله وهدم سورها والقتل الذريع يكون عند كسر ذلك الأسد وقلعه من موضعه ، وأن ذلك من وجهة الديلم والجيل ، وكان أهل همدان يمنعون من يجتاز بهم من العساكر والسابلة

(١) ربما كان « أو كالجيل المبارك » (٢) في « من مصافه »

والتولعة^(١) من أحداثهم أن بقلبوا^(٢) ذلك الأسد أو يكسروا شيئاً منه ، ولم يكن ينقلب اعظمه وصلابة حجره إلا بالخلق الكثير من الناس ، وقد كان عسكر مرداويج الذي سيره مع ابن أخته [إلى همدان] نزلوا على هذا الباب وانبسطوا في تلك الصحراء قبل الواقعة بينهم وبين أصحاب السلطان ، فقلب على ما ذكر هذا الأسد فكسر ، فكان من أمر الواقعة ما ذكرنا ، وذلك على طريق الولع من الديلم ، فلما سار مرداويج ونزل على هذا الباب ، ونظر إلى مصارع أصحابه ، وقتل أهل همدان لابن أخته اشتد غضبه لذلك ، فكانت بينه وبين أهل همدان ثورة ، ثم ولي القوم وقد أسلمهم قبل ذلك أصحاب السلطان ، ورحلوا عنهم^(٣) ، فقتلوا في اليوم الأول في قول المقلل من الناس على ما ذكر لنا من أدركه الإحصاء ممن حمل السلاح في المعركة ، نحواً من أربعين ألفاً ، وأقام السيف يعمل فيهم ثلاثة أيام والنار والسبي ، ثم نادى برفع السيف في اليوم الثالث ، وأمن بقيتهم ، ونادى أن تخرج البلد ومستوروه إليه ، فلما سمعوا النداء أمّلوا الفرج ، فخرج من وثق بنفسه ، من الشيوخ وأهل الستر ، ومن لحق بهم ، فخرجوا إلى المصلى ، فدخل إليه صاحب عذابه ، وكان يقال له : السقطي^(٤) ، فسأله عن أمره فيهم ، فأمره أن يطوف بهم الديلم والجبل بحرابهم وخنابجرهم فيؤتى عليهم ، فأطافت بهم الرجل من الديلم ، فأتى على القوم جميعاً ، وألحقوا بمن مضى منهم ، وبعث منها بقائدهم قواده ، يعرف بابن علان القزويني^(٥) وكان يلقب بخواجه ، وذلك أن أهل خراسان إذا عظموا الشيخ فيهم سمّوه خواجه ، في عسكر من عساكره إلى مدينة الدينور ، ومن همدان إليها ثلاثة أيام ، فدخلها بالسيف ، وقتل من أهلها في اليوم الأول سبعة عشر ألفاً في قول المقلل ، والمكثّر يقول : خمسة وعشرين ألفاً ، فخرج إليه في مستورى أهل الدينور وصوفيتها وزهادها رجل يقال له بن مشاد^(٦) وبیده مصحف قد نشره فقال لابن علان المعروف بخواجه

(٢) في ا « أن يقربوا » محرفاً

(٤) في ب « الشقطيني »

(٦) في ب « يقال له مشاد »

(١) في ب « والتألفة »

(٣) في ب « فدخلوا »

(٥) في ا « القروي »

أيها الشيخ ، اتقى الله وارفع السيف عن هؤلاء المسلمين ، فلا ذنب لهم ولا جناية يستحقون بها ما قد نزل بهم ، فأمر بأخذ المصحف من يده ، فضرب به وجهه ، ثم أمر به فذبح ، وسبى وأباح الأموال والدماء والفروج ، وبلغت عساكر مرداويج وجنوده إلى الموضع المعروف بالشجرتين^(١) ، وهو فرزبين [بلاد] الجبل وأعمال حلوان مماليق العراق ، وذلك بين بلاد طررو والمطامير ومرج القلعة ، قتلا وسبيا ، وغنم الأموال ثم وات جيوش راجعة وقد غنمت الأموال ، وقتلت لرجال ، وملاكت الأولاد ، وأخذوا الغلمان وتملكوهم ، وسبوا من بلاد الدينور وقرماسين والزبيديه^(٢) إلى حيث ما بلغوا مما وصفنا من البلاد مما أدركه الإحصاء من الجوارى العواتق والغلمان في قول المقلل خمسين ألفاً ، وفي قول المكثرمائة ألف ، فلما تم لمرداويج ما وصفنا وحملت إليه الأموال والغنائم بعث بها إلى أصبهان بجماعة من قواده في قطعة من عساكره ، فملكوها ، وأقيمت لهم الأبنزال والعلوفات ، وعمرت لهم قصور أحمد بن [عبد العزيز بن] أبي دلف العجلي ، وهيئت له البساتين والرياض ، وزرع له فيها أنواع الرياحين على حسب ما كان في آل عبد العزيز ، فسار مرداويج إلى أصبهان ، فنزلها وهو في نحو خمسين ألفاً ، وقيل : أربعين ، سوى ماله بالرى وقم وهمدان ، وسائر أعماله من العساكر ، وقد كان أنفذ جماعة من قواده وعساكره مع أبي الحسن محمد بن وهبان الفضيلي^(٣) ، وهو الذي استأمن بعد ذلك إلى السلطان ، ثم قصد بعد ذلك إلى محمد بن رائق ، وهو بالرقعة من بلاد ديارمضر ، قبل دخول الشام ومحاربتة الإخشيد محمد بن طغج ، فاحتال عليه رافع القرمطى ، وكان من قواد ابن رائق ، حتى فرق بينه وبين عسكره وغرقه في الفرات ، وذلك نحو رحبة مالك ابن طوق ، وقد أنبنا على خبره ، وما كان من الحيلة في أمره ، ومدة قائه في المساء مقيداً إلى أن خرج ، ثم قتل بعد ذلك ، في الكتاب الأوسط في أخبار

(١) في ب « المعروف بالسحوس » (٢) في ب « وفد ساسين والربذة »

(٣) في ب « الصنعاني » .

محمد رائق، وسار ابن وهبان فيمن معه من العساكر إلى صقع^(١) كور الأهواز،
وذلك على طريق منازل وتستر وأيدج^(٢)، واحتوى على هذه البلاد وجبي
أموالها، وحمل ذلك إلى مرداوبج، فطغى مرداوبج وتكبر، وعظمت جيوشه
وأمواله وعساكره، وضرب سريراً من الذهب، رُصِّعَ له بالجوهر، وعملت
له بدلة وتاج من الذهب، وجمع في ذلك أنواع الجواهر، وقد كان سأل
عن تيجان الفرس وهياتها، فصورت له ومثَّلتُ فاختر منها تاج أنوشروان
ابن قباد^(٣).

وكان نبي إليه من كتابه ومن أطاف به من أتباعه، من ذُهاة العالم وشياطينه،
أن الكواكب ترمى بشعاعها إلى بلاد أصبهان، فيظهر بها ديانة، وينصب بها
سير ملك، ويُجَبِّي له كنوز الأرض، وأن الملك الذي يليها يكون مصفر الرجلين
ويكون من صفته كيت وكيت، وأن مدة عمره في الملك كذا وكذا، ثم يتلوه
من ولده من بعده في هذه المملكة أربعون ملكاً، وقربوا إليه الزمان في ذلك وحدوده
وتقربوا إليه بأشياء من هذه المعاني مما مال إليه هو وأهواه واستدعاه منهم واشتهوا^(٤)
وأظهر أنه المصفر الرجلين الذي يتملك الأرض، وكان معه من الأتراك نحو أربعة
آلاف ممالك في خاصته، دون من في عسكره من الأتراك، مع ما عنده من الأمراء
والأتراك، وكان سيء الصحبة لهم، كثير القتل فيهم، فعملوا على قتله، وتحالفوا
وقد كان على المسير إلى مدينة السلام، والقبض على الملك، وتولية أصحابه مدن
الإسلام بأسرها في شرق البلاد وغربها مما في يد ولد العباس، وغيرهم، فأقطع الدور
بيغداد لأهله، ولم يشك أن الأمر في يده والملك له، فخرج ذات يوم إلى الصيد وهو
فرح مسرور، وانصرف وهو كذلك لما قدم له من الأمر وتأتى له من الملك، فدخل

(١) في ب « أوسع كور الأهواز » (٢) في ب « والعش ونوح »

(٣) في ب « أنوشروان بن قتادة » محرفاً عما أثبتناه

(٤) في ا « واشتهاه »

الحمام بعد رجوعه في قصر أحمد بن عبد العزيز بن أبي دُلف العجلي بأصبهان ، فدخل إليه غلام من وجوه الأتراك ، وهو بجكم ، وكان من خواص الغلمان ، ومعه ثلاثة نفر من وجوه الأتراك أرى أحدهم توزون مدبر الدولة بعد بجكم ، فقتلوه ، فخرج بجكم ومن معه ، وقد كان أعلم الأتراك بذلك فكانوا له متأهبين دون سائر من في العسكر ، فركبوا من فورهم - وذلك في سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة في خلافة الرازي - وتفرق الجيش عند وقوع الضجة^(١) واتهب بعض الناس بعضاً ، وأخذت الخزائن واتهبت الأموال ، ثم إن الجبل والديلم ثابوا واجتمعوا وتشاوروا ، وقالوا : إن بقينا على ما نحن عليه من التحزب بغير رئيس نقاد إليه هلكننا ، فاجتمع أمرهم على مبايعة وشمكير أخى مرداويج ، وتفسير وشمكير بالمربية الآخذ [وتفسير مرداويج معلق الرجال ، وقد يكتب مرداويج بالزاي] فبايعوا وشمكير بعد أن تفرق كثير من الجيش ، ففرق فيهم كثيراً مما بقي من الأموال ، وأحسن إليهم ، وتوجه فيمن معه من العساكر إلى الري فنزلها ، وسار بجكم التركي فيمن معه من الأتراك وقد جمعوا أنفسهم إلى أن يخلصوا من الديلم ، وسار إلى بلاد الدينور فحجى منها الخراج وأخذ كثيراً من الأموال ، وسار إلى النهروان على أقل من يومين^(٢) من مدينة السلام ، فراسل الرازي ، وكان الغالب على أمره الساجية^(٣) وعدة من الغلمان الحجرية ، فأبوا أن يتركوه يصل إلى الحضرة خوفاً أن يغلب على الدولة ، فمضى بجكم لما منع من الحضرة إلى واسط إلى محمد بن رائق ، وكان مقياً بها ، فأدناه ، وحيّاه ، وغلب عليه ، وقوى أمر بجكم واصطنع الرجال ، وضعف أمر ابن رائق عنه ، فكان من أمره ما قد اشتهر ، وقد قدمنا ذكره فيما سلف من كتبنا : من اختفائه وخروج بجكم مع الرازي إلى الموصل ومعهم على بن خلف بن طباب إلى ديار بني حمدان من بلاد الموصل وديار ربيعة ، وظهور محمد بن رائق ببغداد ، ومعاونة الفوغاء له ، ومسيره إلى دار السلطان

(١) في « الصيحه »

(٢) في « أفل من يوم »

(٣) في ب « الساحة »

وقتله لابن بدر السيرافي^(١) ، وخروجه عن الحضرة ومن تبعه من الجبل^(٢) والقرامطة ، مثل رافع وعمارة وغيرهما ، وكانوا أنصاره ، ومسيره إلى ديار مصر ، ونزوله الرقة وما كان بينه وبين نميرة ، ودخول يانس المؤنسي في جملة ، ومسيره إلى جند قنسرين والعواصم ، وإخراجه طريقا السكري^(٣) عنها وتوايته الثغر الشامي .

وقد أتينا في الكتاب الأوسط الذي كتبنا هذا تال له ، والأوسط [تال] لكتابنا « أخبار الزمان ، ومن أباده الحدثنان من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الدائرة » على ما كان منه ، ومحاربتة الإخشيد محمد بن طغج بالعرش من بلاد مصر ، وانكشافه ، ورجوعه إلى دمشق ، وما كان من قتله لأخي الإخشيد محمد بن طغج باللاجون من بلاد الأردن ، وما كان قبل وقعة العريش بينه وبين عبد الله بن طغج ، وما كان معه من القواد ، وانكشافهم عنه ، واستئمان من استأمن منهم إليه مثل محمد بن تكين الخاصة وتكين الخاقاني غلام خاقان المفلح وغيرهما ، وغير ذلك من أخباره وأخبار غيره ، وذكرنا مقتل طريف السكري^(٣) في سنة ثمان وعشرين وثلثمائة على باب طرسوس ، وما كان من وقعته مع التميلية ، وهم غلمان شميلة الخادم ، فأغنى ذلك عن إعادته مبسوطاً في هذا الكتاب

وإنما تغفل بنا الكلام في التصنيف فيما ذكرنا من أخبار الديلم والجبل وما كان من أمر أسفار بن شيرويه ومرداويج عند ذكرنا لآل أبي طالب وأمر الداعي الحسن بن القاسم الحسني صاحب طبرستان ومقتله ، وخبر الأطروش الحسن بن علي الحسني .

قال المسعودي : وقد أتينا على ذكر سائر الأحداث والكواثر في أيام من

(١) في ب « الشرابي »

(٢) في ا « من الجند والقرامطة »

(٣) في ب « طريقا اليشكري » .

ذكرنا من الخلفاء والملوك في كتابينا « أخبار الزمان » والأوسط ، وذكرنا في هذا الكتاب ما يكتفى به الناظر فيه ، وانتهى بنا التصنيف فيه إلى هذا الوقت ، وهو جمادى الأولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة ، ونحن بفسطاط مصر ، والغالب على أمر الدولة والحضرة أبو الحسن أحمد بن بُوَيْهٍ الديلمي السَّمِيُّ مُعِزَّ الدولة ، وأخوه الحسن بن بُوَيْهٍ صاحب بلاد أصبهان و كُورِ الأهواز وغيرها السَّمِيُّ ركن الدولة ، وأخوهما الأكبر ، والرئيس فيهم المعظم عليُّ ابن بُوَيْهٍ الملقب بعميد الدولة المقيم بأرض فارس ، والمدبر منهم لأمر المطيع أحمد بن بُوَيْهٍ مُعِزُّ الدولة ، وهو المحارب للبريديين^(١) بأرض البصرة ، والمطيع معه على حسب ما يعمو إلينا من أخبارهم ، ودلنا في كتابنا هذا بالقليل على الكثير ، وبالخبر اليسير^(٢) على الجليل الخطير ، وذكرنا في كل كتاب من هذه الكتب ما لم نذكره في الآخر إلا ما لا يسع تركه ، ولم نجد بدا من إيراده لما دعت الضرورة إلى وصفه ، وأتينا على أخبار أهل كل عصر وما حدث فيه من الأحداث ، وما كان فيه من الكواثر إلى وقتنا هذا ، مع ما أسلفناه في هذا الكتاب من ذكرنا البر والبحر ، والعامر منهما والغامر ، والملوك وسيرها ، والأمم وأخبارها .

وأرجو أن يَفْسَحَ اللهُ تعالى لنا في البقاء ، ويمد لنا في العمر ، ويسعدنا بطول الأيام ؛ فنعتب تأليف هذا الكتاب بكتاب آخر نضمه فنوناً من الأخبار ، وأنواعاً من طرائف الآثار ، على غير نَظْمٍ من التأليف ، ولا ترتيب من التصنيف ، على حسب ما يَسْتَحُ من فوائد الأخبار ، ويوجد من نوادر الآثار ، ونترجمه بكتاب « وصل المجالس بجوامع الأخبار ومختلط الآثار » تالياً لمساف من كتبنا ، ولا حقاً بما تقدم من تصنيفنا .

وجميع ما أوردناه في هذا الكتاب لا يَسَعُ ذوى الدراية جهله ، ولا يُعْذَرُ

(١) في ب « للزبيديين »

(٢) في ب « وبالجزء القليل »

(٢٥ — مروج الذهب ، ٤)

في تركه والتغافل عنه ؛ فمن عدَّ أبواب كتابي هذا ولم يمعن النظر في قراءة كل باب منه لم يبلغ حقيقة ما قلنا ، ولا عرف للعلم مقداره ؛ فلقد جمعنا ما فيه في عدَّة السنين باجتهاد وتعب عظيم ، وجولان في الأسفار ، وطواف في البلدان من الشرق والغرب في كثير من الممالك غير مملكة الإسلام .
 فمن قرأ كتابنا هذا فليتدبره بعين المحبة ، وليتفضل بهمه^(١) بإصلاح ما أنكر منه مما غيرَه الناسخ وصحَّفه الكاتبُ ، وليرع لي نسبة العلم ، وحرمة الأدب ، وموجبات الرواية^(٢) ، وما تجشمت^(٣) من التعب فيها ، فإن منزلتي [فيه و] في نظمه وتأليفه بمنزلة من وجدَّ جوهرًا منشورًا ذا أنواع مختلفة وفنون متباينة فنظَّم منها سلكًا ، واتخذ عقدًا نفيسًا ، ثمينا باقيا لطلابه .
 وليعلم من نظر فيه أني لم أنتصر فيه لمذهب ، ولا تحيزت^(٤) إلى قولٍ ، ولا حكيت عن الناس إلا مجالس^(٥) أخبارهم ، ولم أعرض فيه لغير ذلك .
 فلنذكر الآن الباب الثاني من جامع التاريخ على حسب ما قدمنا الوعدَّ بإيراده في صدر هذا الكتاب [وبالله أستعين ، وعليه أتوكل] .

- (١) في ب « وليتفضل هو بإصلاح » وهي خير مما أثبتناه موافقا لما في ا .
 (٢) في ا « ووجبات الدراية » .
 (٣) في ب « مما تجشمت » .
 (٤) في ا « ولا تحيزت إلى قوم » وأعتقده محرفا عما أثبتناه .
 (٥) في ا « محاسن أخبارهم » .

ذكر جامع التاريخ الثاني

من الهجرة إلى هذا الوقت

وهو جمادى الأولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة الذى فيه اتهمنا من الفراغ من هذا الكتاب .

تقدمة

قد أفردنا فيما سلف من هذا الكتاب باباً فى تاريخ العالم والأنبياء والملوك إلى مولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومبعثه إلى هجرته ، ثم ذكرنا هجرته إلى وفاته ، وأيام الخلفاء والملوك إلى هذا الوقت ، على حسب ما يوجب الحساب وما فى كتب السير وأصحاب التواريخ ممن ^(١) عُنِيَ بأخبار الخلفاء والملوك ، ولم نعرض فيما ذكرنا من ذلك لما فى كتب الزيجات مما ذكره أصحاب النجوم ، على حسب ما يوجب تاريخهم ، فلنذكر فى هذا الباب جميع ما أثبتوه فى كتب زيجات النجوم من الهجرة إلى هذا الوقت المؤرخ ، ليكون ذلك أكثر لفائدة الكتاب ، وأجمع لمعرفة تباين أصحاب التواريخ من الأخباريين والمنجمين وما اتفقوا عليه من ذلك .

فالذى وجدناه من ذلك فى كتاب الزيجات أن الابتداء فى يوم الجمعة المبدأ ومقابله من تاريخ الإسكندر المستهل المحرم سنة إحدى للثروية ، وذلك يوم ستة عشر من تموز سنة تسعمائة وثلاثة وثلاثين لذي القرنين ، وكانت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة سنة إحدى بعد أن مضى منها شهران وثمانية أيام ، فكث بها حتى قبض صلى الله عليه وسلم تسع سنين وأحد عشر شهراً واثنين وعشرين يوماً ؛ فذلك عشر سنين وشهران .

أبو بكر الصديق رضى الله عنه : سنتين وثلاثة أشهر وثمانية أيام ، فذلك زمن أبي بكر اثنتا عشرة سنة وخمسة أشهر وثمانية أيام .

(١) فى « ومن عني » .

- زمن عمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه : عشر سنين وستة أشهر وتسعة عشر^(١) يوماً ،
فذلك اثنتان وعشرون سنة [وأحد عشر شهراً وخمسة وعشرون يوماً]^(٢) .
- [وكانت الشورى بعد عمر ثلاثة أيام ، فذلك اثنتان وعشرون سنة وأحد
عشر شهراً وثمانية وعشرون يوماً]^(٣) .
- عثمان عثمان بن عفان رضى الله عنه : إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً وتسعة
عشر يوماً [فذلك أربع وثلاثون سنة وأحد عشر شهراً وسبعة عشر يوماً]^(٤) .
- على على بن أبي طالب رضى الله عنه : أربع سنين وسبعة أشهر^(٥) ، فذلك
تسع وثلاثون سنة وثمانية أشهر وسبعة عشر يوماً .
- وإلى بيعة معاوية بن أبي سفيان ستة أشهر وثلاثة أيام ، فذلك أربعون
سنة وشهران وعشرون يوماً .
- معاوية معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه : تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وخمسة
وعشرون يوماً ، فذلك تسع وخمسون سنة وستة أشهر وخمسة^(٤) وعشرون يوماً .
- يزيد بن
معاوية يزيد بن معاوية : ثلاث سنين وثمانية أشهر ، [فذلك ثلاث وستون
سنة وشهران وخمسة عشر يوماً]^(٢) .
- معاوية بن يزيد معاوية بن يزيد بن معاوية : ثلاثة أشهر واثنين وعشرين يوماً ، فذلك
ثلاث وستون سنة وستة أشهر وسبعة أيام]^(٢) .
- مروان مروان بن الحكم : أربعة أشهر ، [فذلك ثلاث وستون سنة وعشرة
أشهر وسبعة أيام]^(٢) .
- عبد الله
ابن الزبير عبد الله بن الزبير : ثمان سنين وخمسة أشهر ، [فذلك اثنتان وسبعون
سنة وثلاثة أشهر وسبعة أيام]^(٢) .
- عبد الملك
ابن مروان عبد الملك بن مروان حتى قتل ابن الزبير : سنة وشهرين وستة^(٥) أيام ،
[فذلك ثلاث وسبعون سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام]^(٢) .

(٢) زيادة في واحدتها

(٤) في « وخمسة عشر يوماً »

(١) « وسبعة عشر يوماً »

(٣) في « وتسعة أشهر »

(٥) في « وثلاثة أيام »

ذكر أيام بني مروان بن الحكم

عبد الملك بن مروان بن الحكم : اثنتي عشرة سنة وأربعة أشهر وخمسة أيام^(١)
 الوليد بن عبد الملك : تسع سنين وتسعة أشهر^(٢) وعشرين يوماً .
 سليمان بن عبد الملك : سنتين وسبعة أشهر وعشرين^(٣) يوماً .
 عمر بن عبد العزيز بن مروان : سنتين وخمسة أشهر وثلاثة عشر^(٤) يوماً .
 يزيد بن عبد الملك : أربع سنين ويوماً واحداً .
 هشام بن عبد الملك : تسع عشرة سنة وثمانية أشهر وسبعة أيام ، فذلك
 مائة سنة وأربعة وعشرون سنة وثلاثة أشهر وستة أيام .
 الوليد بن يزيد بن عبد الملك حتى قتل : سنة وشهرين وعشرين يوماً ،
 فذلك مائة سنة وخمس وعشرون سنة وخمسة أشهر وسبعة وعشرون يوماً ،
 وكانت الفتنة بعد مقتله شهرين وخمسة وعشرين^(٥) يوماً ، فذلك مائة سنة
 وخمس وعشرون سنة وثمانية أشهر واثنان وعشرون يوماً .
 يزيد بن الوليد بن عبد الملك : شهرين وسبعة^(٦) أيام ، فذلك مائة وخمس
 وعشرون سنة وأحد عشر شهراً ويوم واحد .
 إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك حتى خلع : شهرين وأحد عشر يوماً ،
 فذلك مائة سنة وست وعشرون سنة وشهر واثنان عشر يوماً .
 مروان بن محمد حتى قتل : خمس سنين وشهرين ، فذلك مائة سنة وإحدى
 وثلاثون سنة وثلاثة أشهر واثنان عشر يوماً .

(١) في ١ ، ذكر مجموع ما مر عقب ذكر أيام كل واحد من الخلفاء ، كما أثبتنا
 صورة منه في أيام الخلفاء وبني معاوية بن أبي سفيان

(٢) في ١ « وسبعة أشهر وتسعة وعشرين يوماً »

(٣) في ١ « وتسعة وعشرين يوماً » (٤) في ١ « وخمسة عشر يوماً »

(٥) في ١ « وستة وعشرين يوماً » (٦) في ١ « وتسعة أيام »

ذكر الخلفاء من بني هاشم

أبو العباس عبد الله بن محمد : أربع سنين وثمانية أشهر ويومين ؛ فذلك
مائة [سنة] وخمس وثلاثون سنة وأحد عشر شهراً وأربعة عشر يوماً، وحتى
انتهت البيعة إلى المنصور أربعة عشر يوماً ؛ فذلك مائة [سنة] وخمس وثلاثون
سنة وأحد عشر شهراً وثمانية وعشرون يوماً .

أبو جعفر عبد الله بن محمد المنصور : إحدى وعشرين سنة وأحد عشر شهراً
وثمانية أيام [فذلك مائة وسبع وخمسون سنة وأحد عشر شهراً وستة أيام]
وحتى انتهى الخبر إلى المهدي اثني عشر يوماً ؛ فذلك مائة وسبع وخمسون
سنة وأحد عشر شهراً وثمانية عشر يوماً .

المهدي : عشر سنين وشهراً واحداً وخمسة أيام ، فذلك مائة [سنة] وثمان
وستون سنة وثلاثة عشر يوماً ، وحتى انتهى الخبر إلى الهادي ثمانية أيام ،
فذلك مائة [سنة] وثمان وستون سنة وشهر واحد ويوم واحد .

الهادي : سنة واحدة وشهراً واحداً وخمسة عشر يوماً ، فذلك مائة [سنة]
وتسع وستون سنة وشهران وستة عشر يوماً .

الرشيد : ثلاثاً وعشرين سنة وشهرين وستة عشر^(١) يوماً، فذلك مائة واثنان
وتسعون سنة وخمسة أشهر [وثلاثة أيام]، وحتى انتهى الخبر إلى الأمين ابنة اثنا عشر
يوماً ، فذلك مائة سنة واثنان وتسعون سنة وخمسة أشهر [وخمسة عشر يوماً .
الأمين حتى خلع وحبس : ثلاث سنين وخمسة وعشرين يوماً، فذلك مائة
وخمس وتسعون سنة وستة أشهر [وعشرة أيام]، ومكث محبوباً يومين، فذلك
مائة وخمس وتسعون سنة وستة أشهر [واثنا عشر يوماً ، وأخرج وبويع
له وحارب وحوصر حتى قتل سنة وستة أشهر وثلاثة عشر يوماً .

المأمون : عشرين سنة وخمسة أشهر واثنين وعشرين يوماً ، فذلك
مائتان وسبع عشرة سنة وستة أشهر وتسعة^(١) عشر يوماً .

(١) في « وسبعة عشر يوماً » .

المعتصم : ثمان سنين وثمانية أشهر ويومين^(١) ؛ فذلك مائتان وستة وعشرون سنة وشهران وتسعة عشر يوماً .

الواثق : خمس سنين وتسعة أشهر وخمسة أيام ؛ فذلك مائتان وإحدى وثلاثون سنة وأحد عشر شهراً وأربعة وعشرون يوماً .

المتوكل : أربع عشرة سنة وتسعة أشهر وسبعة أيام ؛ فذلك مائتان وست وأربعون سنة وتسعة أشهر ويوم واحد .

المنتصر : ستة أشهر ، فذلك مائتان وسبع وأربعون سنة وثلاثة أشهر ويوم واحد ، وإلى أن انحدر المستعين إلى مدينة السلام سنتين وتسعة أشهر وثلاثة أيام ، فذلك مائتان وخمسون سنة وأربعة أيام^(٢) [وإلى أن بويع للمعتز بسامرا عشرة أيام ، فذلك مائتان وخمسون سنة وأربعة عشر يوماً] وإلى أن خطب للمعتز بمدينة السلام أحد عشر شهراً وعشرين يوماً ، فذلك مائتان وإحدى وخمسون سنة وأربعة أيام ، وإلى أن خلع المعتز ثلاث سنين وستة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً ، فذلك مائتان وأربع وخمسون سنة وستة أشهر وسبعة وعشرون يوماً ، وإلى بيعة المهدي يومين ، فذلك مائتان وأربع وخمسون سنة وسبعة أشهر^(٣) .

المهدي : أحد عشر شهراً وثمانية عشر^(٤) يوماً ، فذلك مائتان وخمس وخمسون سنة وستة أشهر وسبعة عشر يوماً .

المعتد : ثلاثاً وعشرين سنة وثلاثة أيام ، فذلك مائتان وثمان وسبعون سنة وستة أشهر وعشرون يوماً .

المعتضد : تسع سنين وتسعة أشهر ويومين ، فذلك مائتان وثمان وثمانون سنة وثلاثة أشهر واثنا عشر يوماً .

(١) في ب « ويوما » (٢) في ب « وأربعة عشر يوماً »

(٣) في ا « وستة أشهر وتسعة وعشرون يوماً »

(٤) في ب « وثمانية وعشرين يوماً »

المكتفي : ست سنين وستة أشهر وعشرين يوماً ، فذلك مائتان وأربع وتسعون سنة وعشرة أشهر واثنا عشر يوماً .
 المقتدر حتى خلع : إحدى وعشرين سنة وشهرين وخمسة أيام ، فذلك ثلثمائة سنة وست عشرة سنة وتسعة عشر يوماً .
 ابن المعتز حتى خلع : يومين ، فذلك ثلثمائة سنة وست عشرة سنة وأحد وعشرون يوماً .
 المقتدر حتى قتل : ثلاث سنين وتسعة أشهر وثمانية أيام ، فذلك ثلثمائة وتسع عشرة سنة وتسعة أشهر وتسعة عشر^(١) يوماً .
 القاهر حتى خلع : سنة وستة أشهر وعشرة أيام ، فذلك ثلثمائة سنة وإحدى وعشرون سنة وأربعة أشهر وتسعة أيام .
 الرازي : ست سنين وأحد عشر شهراً وثمانية أيام ، فذلك ثلثمائة وثمانية وعشرون سنة وثلاثة أشهر وسبعة عشر يوماً .
 المتقي : ثلاث سنين وتسعة أشهر وسبعة عشر يوماً ، فذلك ثلثمائة واثنان وثلاثون سنة وشهر واحد وثلاثة أيام .
 المستكفي : سنة وثلاثة أشهر ، فذلك ثلثمائة سنة وثلاث وثلاثون سنة وأربعة أشهر وثلاثة أيام .
 المطيع لله إلى غرة جمادى الأولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة : سنتين وثمانية أشهر وخمسة عشر يوماً ، فذلك ثلثمائة وخمس وثلاثون سنة وأربعة أشهر إلا ثلاث ليال .

قال المسعودي : وسنو الهجرة قمرية ، وبين هذا التاريخ وتاريخ أصحاب الأخبار والسير تفاوت من زيادات الشهور والأيام ، ومَعَوْلْنَا - فيما ذكرنا

(١) في ب « وعشرون يوماً » ولم يذكر فيها الأشهر

من التاريخ من الهجرة إلى هذا الوقت - على ما وجدنا في كتب الزيجات ، إذ كان أهل هذه الصناعة يرَاعُونَ هذه الأوقات ، ويحصلون علمها على التحديد ، والذي نقلناه من التاريخ فمن زبيج أبي عبد الله محمد بن جابر البناني^(١) وغيره من الزيجات إلى هذا الوقت ، فأما ما قدمنا ذكره في هذا الكتاب - من الهجرة إلى هذا الوقت - فإننا نعيد ذكره مفصلاً في هذا الباب ، لكي يقرب تناوله على الطالب له ، ولا يبعد عما ذكرناه من الزيجات .

فالذي صح من تاريخ أصحاب السير والأخبار من أهل النقل والآثار ، أنه بعث صلى الله عليه وسلم ، وهو ابن أربعين سنة ، فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة ، وهاجر عشراً ، وقبض وهو ابن ثلاث وستين سنة ، صلى الله عليه وسلم أبو بكر : سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام .
 عمر بن الخطاب : عشر سنين وستة أشهر وأربع ليالٍ .
 عثمان بن عفان : اثنتا عشرة سنة إلا ثمانية أيام .
 علي بن أبي طالب : أربع سنين وتسعة أشهر وثمان ليالٍ .
 الحسن بن علي : ستة أشهر وعشرة أيام .
 معاوية بن أبي سفيان : تسع عشرة سنة وثمانية أشهر وخمسة وعشرين يوماً .
 يزيد بن معاوية : ثلاث سنين وثمانية أشهر إلا ثمان ليالٍ .
 معاوية بن يزيد : شهراً واحداً وأحد عشر يوماً .
 مروان بن الحكم : ثمانية أشهر وخمسة أيام .
 عبد الملك بن مروان : إحدى وعشرين سنة وشهراً ونصفاً .
 الوليد بن عبد الملك : تسع سنين وثمانية أشهر ويومين .
 سليمان بن عبد الملك : سنتين وثمانية أشهر وخمسة أيام .

(١) في ب « الساني » .

- عمر بن عبد العزيز : سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام .
- يزيد بن عبد الملك : أربع سنين وشهراً ويومين
- هشام بن عبد الملك : تسع عشرة سنة وسبعة أشهر وإحدى عشرة ليلة .
- الوليد بن يزيد : سنة وشهرين واثنين وعشرين يوماً .
- يزيد بن الوليد : خمسة أشهر وليلتين .
- مروان بن محمد : خمس سنين وعشرة أيام .
- عبد الله بن محمد السفاح : أربع سنين وتسعة أشهر .
- المنصور : اثنتين وعشرين سنة إلا تسع ليال .
- المهدي : عشر سنين وشهراً وخمسة عشر يوماً .
- الهادي : سنة وثلاثة أشهر .
- الرشيد : ثلاثاً وعشرين سنة وستة أشهر .
- الأمين : أربع سنين وستة أشهر .
- المأمون : إحدى وعشرين سنة سواً .
- المعتصم : ثمان سنين وثمانية أشهر .
- الواثق : خمس سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً .
- المتوكل : أربع عشرة سنة وتسعة أشهر وتسع ليال .
- المقتدر : ستة أشهر .
- المستعين : ثلاث سنين وثمانية أشهر .
- المعتز : أربع سنين وستة أشهر .
- المهتدي : أحد عشر شهراً .
- المعتد : ثلاثاً وعشرين سنة .
- المعتضد : تسع سنين وتسعة أشهر ويومين .
- المكتفي : ست سنين وسبعة أشهر واثنين وعشرين يوماً .

المقتدر : أربعاً وعشرين سنة وأحد عشر شهراً وستة عشر يوماً .
القاهر : سنة وستة أشهر وستة أيام .

الراضى : ست سنين وأحد عشر شهراً وثمانية أيام .

المتقى : ثلاث سنين وأحد عشر شهراً وثلاثاً وعشرين يوماً .

المستكفى : سنة وثلاثة أشهر .

المطيع إلى غرة جمادى الأولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة : سنة وثمانية

أشهر وخمسة عشر يوماً .

ونحن نؤمل من الله تعالى البقاء والزيادة في العمر ، لنزيد في هذا الكتاب

ما يحدث في أيامهم ، وما يكون في المستقبل من دولتهم^(١) .

فهذا جمل التاريخ من الهجرة إلى هذا الوقت ، وهو جمادى الأولى سنة ست

وثلاثين وثلثمائة ، وقد أوردنا في الكتاب ما ذكر الفريقان جميعاً ، لكي

لا يبعد فهم ذلك على مریده والطالب له ، إن شاء الله تعالى .

والتاريخ من المولد إلى هذا الوقت معلوم ، ومن المبعث إلى الوفاة

معروف غير مجهول ، ولا يتعذرُ تناوله على ذى الدراية من هذا الكتاب ،

إلا أن مُعَوَّلَ الناس أن بدء التاريخ من الهجرة ، على حسب ما بينا فيما

سلف من كتبنا من مشاورة عمر الناس في التاريخ عند حدوث أمورٍ وجب

تدوينها ، وما قاله الناس من كل فريق منهم ، وأخذه بقول علي بن أبي

طالب رضى الله عنه ، أن يؤرخ بهجرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وتركه

أرض الشرك ، وأن ذلك كان من عمر رضى الله عنه في سنة سبع عشرة

أو ثمانى عشرة ، على حسب التنازع في ذلك ، والله أعلم .

مبدأ الأخذ
بتاريخ الهجرة

(١) في « من دولهم » .

ذكر تسمية من حج بالناس من أول الإسلام

إلى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة

قال المسعودي : فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في شهر رمضان ، سنة ثمان من الهجرة ، ورجع إلى المدينة ، واستعمل عتّاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية على مكة ، فحج بالناس سنة ثمان ، وقيل : بل حج الناس أوزاعاً ليس عليهم أحد .

أول من حج بالناس نيابة عن الرسول

ثم حج أبو بكر ثم كانت سنة تسع ، فحج بالناس أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، حين خرج من المدينة مع ثلثمائة^(١) ، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم [معه] عشرين بدنةً ، ثم أرسل على أثره علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، فأدركه بالعرجِ ومعه سورة براءة ، فأذن بها يوم النحر عند العقبة ، فأقام أبو بكر الحجّ ، وخطب أبو بكر بمكة قبل التروية بيوم ، ويوم عرفة بعرفة ، ويوم النحر بمنى .

حجة الوداع

ثم كانت سنة عشر ، فحج بالناس سيد المرسلين ، رسول الله صلى الله عليه وسلم [وفي هذه السنة توفي] .

أيام الخلفاء الراشدين

ثم كانت سنة إحدى عشرة ، فحج بالناس عمر بن الخطاب رضي الله عنه .
 ثم كانت سنة اثنتي عشرة ، فحج بالناس أبو بكر الصديق ، رضي الله عنه .
 ثم كانت سنة ثلاث عشرة ، فحج بالناس عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه .
 ثم كانت سنة أربع عشرة ، فحج بالناس عمر بن الخطاب رضي الله عنه .
 ثم كانت سنة خمس عشرة ، فحج بالناس عمر بن الخطاب^(٢) ، ثم كانت

(١) في ا في ثلثمائة .

(٢) بياض هنا في ب .

ست عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب ، ثم كانت سنة سبع عشرة ، فحج بالناس عمر بن الخطاب ، ثم كانت سنة ثمان عشرة ، فحج بالناس عمر بن الخطاب [ثم كانت سنة تسع عشرة ، فحج بالناس عمر بن الخطاب]^(١) ، ثم كانت سنة عشرين ، فحج بالناس عمر بن الخطاب ، ثم كانت سنة إحدى وعشرين ، فحج بالناس عمر بن الخطاب ، ثم كانت سنة اثنتين وعشرين ، فحج بالناس عمر بن الخطاب ، ثم كانت سنة ثلاث وعشرين ، فحج بالناس عمر بن الخطاب ، ثم قتل رضى الله عنه آخر ذى الحجة .

ثم كانت سنة أربع وعشرين فحج بالناس عبد الرحمن بن عوف . ثم كانت سنة خمس وعشرين ، فحج بالناس عثمان بن عفان ، إلى سنة أربع وثلاثين .

ثم كانت سنة خمس وثلاثين ، فحج بالناس عبد الله بن عباس بأمر عثمان ، وهو محصور .

ثم كانت سنة ست وثلاثين ، فحج بالناس عبد الله بن عباس . ثم كانت سنة سبع وثلاثين ، بعث على بن أبي طالب على الموسم عبد الله بن العباس ، وبعث معاوية بن أبي سفيان يزيد بن شجرة^(٢) الرهاوى ، فاجتمعا بمكة ، وتنازعا الإمارة ولم يُسَلَّمْ أحدهما لصاحبه ، فاصطالحا على أن يصلى بالناس شيبه بن عثمان [بن أبي طلحة بن عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار صاحب البيت] الجمحي^(٣) ، ففعل ذلك .

ثم كانت سنة ثمان وثلاثين فحج بالناس قثم بن عباس نائب مكة ثم كانت سنة تسع وثلاثين فحج بالناس شيبه بن عثمان .

(١) لم يذكر في ب سنة تسع عشرة .

(٢) في نسخة « سجرة » ولم يذكر في ب « يزيد بن » .

(٣) في نسخة « الجمحي » .

ثم كانت سنة أربعين والتنازع بين معاوية والحسن بن علي في الخلافة، فحج بالناس المغيرة بن شعبة عن كتاب، يقال : إنه افتعله عن معاوية .

في زمن بني أمية
 ثم كانت [سنة] إحدى وأربعين فحج بالناس عتبة بن أبي سفيان، ثم كانت سنة اثنتين وأربعين، فحج بالناس عتبة بن أبي سفيان، ثم كانت سنة ثلاث وأربعين فحج بالناس مروان بن الحكم، ثم كانت سنة أربع وأربعين حج معاوية بن أبي سفيان، ثم كانت سنة خمس وأربعين حج بالناس مروان بن الحكم، ثم كانت سنة ست وأربعين حج بالناس عتبة بن أبي سفيان، ثم كانت سنة سبع وأربعين حج بالناس عتبة بن أبي سفيان، ثم كانت سنة ثمان وأربعين حج بالناس مروان بن الحكم، ثم كانت سنة تسع وأربعين حج بالناس سعيد بن العاص، ثم كانت سنة خمسين حج بالناس يزيد بن معاوية، ثم كانت سنة إحدى وخمسين فحج بالناس معاوية بن أبي سفيان، ثم كانت سنة اثنتين وخمسين، حج بالناس سعيد بن العاص عامين، ثم كانت سنة أربع وخمسين، حج بالناس مروان بن الحكم، ثم كانت [سنة] خمس وخمسين، حج بالناس مروان بن الحكم، ثم كانت سنة ست وخمسين فحج بالناس عتبة بن أبي سفيان، ثم كانت سبع وخمسين حج بالناس الوليد بن عتبة عامين، ثم كانت سنة تسع وخمسين، حج بالناس عثمان بن محمد بن أبي سفيان، ثم كانت سنة ستين حج بالناس عمرو بن سعيد ابن العاص، ثم كانت سنة إحدى وستين، حج بالناس الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، ثم كانت سنة اثنتين وستين، حج بالناس الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، ثم كانت سنة ثلاث وستين، حج بالناس عبد الله بن الزبير، إلى سنة إحدى وسبعين، ثم كانت سنة اثنتين وسبعين فحج بالناس الحجاج بن يوسف فاتوا منى ولم يطوفوا بالبیت العتيق، ثم كانت سنة ثلاث وسبعين فحج بالناس الحجاج أيضاً، وقتل عبد الله بن الزبير، ثم كانت سنة أربع وسبعين

فحج بالناس الحجاج بن يوسف، ثم كانت سنة خمس وسبعين حج بالناس عبد الملك ابن مروان، ثم كانت سنة ست وسبعين حج بالناس إلى سنة ثمانين أبان ابن عثمان بن عفان، ثم كانت سنة إحدى وثمانين حج بالناس سليمان ابن عبد الملك بن مروان، ثم كانت سنة اثنتين وثمانين حج بالناس أبان ابن عثمان بن عفان، ثم كانت سنة ثلاث وثمانين حج بالناس إلى سنة خمس وثمانين هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي، ثم كانت سنة ست وثمانين حج بالناس العباس بن الوليد بن عبد الملك، ثم كانت سنة سبع وثمانين حج بالناس عمر بن عبد العزيز بن مروان، ثم كانت سنة ثمان وثمانين حج بالناس الوليد بن عبد الملك، ثم كانت سنة تسع وثمانين حج بالناس عمر بن عبد العزيز، ثم كانت سنة تسعين حج بالناس عمر بن عبد العزيز، ثم كانت سنة إحدى وتسعين حج بالناس الوليد بن عبد الملك، ثم كانت سنة اثنتين وتسعين حج بالناس عمر بن عبد العزيز، ثم كانت سنة ثلاث وتسعين حج بالناس عثمان بن الوليد بن عبد الملك [وقيل: بل عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك]، ثم كانت سنة أربع وتسعين حج بالناس مسامة بن عبد الملك، ثم كانت سنة خمس وتسعين حج بالناس [بشر بن] الوليد بن عبد الملك، ثم كانت سنة ست وتسعين حج بالناس أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم، ثم كانت سنة سبع وتسعين حج بالناس سليمان بن عبد الملك، ثم كانت سنة ثمان وتسعين حج بالناس عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية، ثم كانت سنة تسع وتسعين حج بالناس أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم، ثم كانت سنة مائة حج بالناس أبو بكر أيضاً، ثم كانت سنة إحدى ومائة حج بالناس عبد العزيز بن عبد الله أمير مكة، ثم كانت سنة اثنتين ومائة حج بالناس عبد الرحمن بن الضحاك القهري، ثم كانت سنة ثلاث ومائة حج بالناس عبد الله بن كعب بن عمير بن سبيع بن عوف ابن نصر بن معاوية النضري، ثم كانت سنة أربع ومائة حج فيها أيضاً،

ثم كانت سنة خمس ومائة حج بالناس إبراهيم بن هشام بن إسماعيل الخزومي ،
ثم كانت سنة ست ومائة حج بالناس هشام بن عبد الملك ، ثم كانت سنة سبع
ومائة حج بالناس إبراهيم بن هشام الخزومي ، إلى سنة اثنتي عشرة ومائة ، ثم كانت
سنة ثلاث عشرة ومائة حج بالناس سليمان بن هشام بن عبد الملك . ثم كانت
سنة أربع عشرة ومائة حج بالناس خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم بن
العاص بن أمية ، ثم كانت سنة خمس عشرة ومائة حج بالناس محمد بن هشام
ابن إسماعيل بن الوليد بن المغيرة ، ثم كانت سنة ست عشرة ومائة حج بالناس
الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وهو ولي عهد ، ثم كانت سنة سبع عشرة ومائة
حج بالناس خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص ،
وقيل : مسامة بن عبد الملك ، ثم كانت سنة ثمان عشرة ومائة حج
بالناس محمد بن هشام بن إسماعيل ، ثم كانت سنة تسع عشرة ومائة حج
بالناس مسامة بن هشام بن عبد الملك أبو شاكر ، وقيل : بل مسامة بن
عبد الملك ، ثم كانت سنة عشرين ومائة حج بالناس محمد بن هشام بن
إسماعيل ، ثم كانت سنة إحدى وعشرين ومائة حج بالناس محمد بن
هشام بن إسماعيل ، إلى سنة أربع وعشرين ومائة ، ثم كانت سنة خمس
وعشرين ومائة حج بالناس يوسف ابن أخي الحجاج بن يوسف ، ثم
كانت سنة ست وعشرين ومائة حج بالناس عمر بن عبد الله بن عبد
الملك ، ثم كانت سنة سبع وعشرين ومائة حج بالناس — اس عبد العزيز
ابن عمر بن عبد العزيز ، ثم كانت سنة ثمان وعشرين ومائة حج بالناس
عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، ثم كانت سنة تسع وعشرين ومائة
حج بالناس عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان ، وكان
أبو حمزة المختار بن عوف الخارجي من الأزد داعية المعروف بطالب
الحق قد وقف وخرج تلك السنة ، فكلمه الناس حتى نزل عبد الواحد
يصلي بالناس ويخرج إلى منزله ، ثم كانت سنة ثلاثين ومائة حج بالناس
محمد بن عبد الملك بن مروان ، ثم كانت سنة إحدى وثلاثين

ومائة حج بالناس [الوليد بن] عمرو بن محمد بن عطية السعدي بكتاب افتعله على لسان عمه عبد الملك بن محمد وهو والي الحجاز واليمن لمروان بن محمد .

قال المسعودي : فهذا آخر ما حج بنو أمية ، ثم كانت سنة اثنتين وثلاثين ومائة فحج بالناس داود بن علي بن عبد الله بن العباس بن [عبد] المطلب ، ثم كانت سنة ثلاث وثلاثين ومائة حج بالناس زياد بن عبيد الله بن عبد الله ابن عبد المدان الحارثي ، ثم كانت سنة أربع وثلاثين ومائة حج بالناس عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، ثم كانت سنة خمس وثلاثين ومائة حج بالناس سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ، ثم كانت سنة ست وثلاثين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور ، وفيها بويج لأبي جعفر المنصور ، ثم كانت سنة سبع وثلاثين ومائة حج بالناس إسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس ، ثم كانت سنة ثمان وثلاثين ومائة حج بالناس الفضل بن صالح بن علي ، ثم كانت سنة تسع وثلاثين ومائة حج بالناس العباس بن محمد بن علي ، ثم كانت سنة أربعين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور ، ثم كانت سنة إحدى وأربعين ومائة حج بالناس صالح بن علي ، ثم كانت سنة اثنتين وأربعين ومائة حج بالناس إسماعيل بن علي ، ثم كانت سنة ثلاث وأربعين ومائة حج بالناس عيسى بن موسى بن محمد بن علي ، ثم كانت سنة أربع وأربعين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور^(١) ثم كانت سنة خمس وأربعين ومائة فحج بالناس السري بن عبد الله بن الجارث [بن العباس بن عبد المطلب] ، ثم كانت سنة ست وأربعين ومائة حج بالناس عبد الوهاب بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس ، ثم كانت سنة سبع وأربعين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور] ثم كانت سنة ثمان وأربعين ومائة فحج بالناس جعفر بن أبي جعفر

(١) سقط من ب « أبو جعفر المنصور » وذكر في السنة التي قبلها خطأ

المنصور [وقيل : محمد بن إبراهيم الإمام ، وقيل : بل المنصور ، ثم كانت سنة تسع وأربعين ومائة حج بالناس عبد الوهاب بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي ، ثم كانت سنة خمسين ومائة حج بالناس عبد الصمد بن علي ، ثم كانت سنة إحدى وخمسين ومائة حج بالناس محمد بن إبراهيم بن محمد ابن علي ، ثم كانت سنة اثنتين وخمسين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور ، ثم كانت سنة ثلاث وخمسين ومائة حج بالناس المهدي محمد بن عبد الله [المنصور] بن محمد بن علي ، ثم كانت سنة أربع وخمسين ومائة حج بالناس محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي ، ثم كانت سنة خمس وخمسين ومائة حج بالناس عبد الصمد بن علي ، ثم كانت سنة ست وخمسين ومائة حج بالناس العباس بن محمد بن علي ، ثم كانت سنة سبع وخمسين ومائة حج بالناس إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي ، ثم كانت سنة ثمان وخمسين ومائة حج بالناس إبراهيم بن يحيى أيضاً ، ثم كانت سنة تسع وخمسين ومائة حج بالناس يزيد بن منصور بن عبد الله بن شهير^(١) بن يزيد بن مثنوب الحميري ، ثم كانت سنة ستين ومائة حج بالناس [المهدي محمد بن المنصور ، ثم كانت سنة إحدى وستين ومائة فحج بالناس]^(٢) الهادي موسى بن المهدي ، وهو ولي عهد ، ثم كانت سنة اثنتين وستين ومائة حج بالناس إبراهيم بن جعفر بن أبي جعفر ، ثم كانت سنة ثلاث وستين ومائة حج بالناس علي بن [محمد بن]^(٢) المهدي ، ثم كانت سنة أربع وستين ومائة حج بالناس صالح بن أبي جعفر ، ثم كانت سنة خمس وستين ومائة حج بالناس صالح أيضاً ، ثم كانت سنة ست وستين ومائة حج بالناس محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي ، ثم كانت سنة سبع وستين ومائة حج بالناس إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي ، ثم كانت سنة ثمان وستين ومائة

(٢) زيادة ليست في ب

(١) في ب « بن شهر »

حج بالناس على بن محمد المهدي ، ثم كانت سنة تسع وستين ومائة حج بالناس سليمان بن أبي جعفر المنصور ، ثم كانت سنة سبعين ومائة حج بالناس هارون الرشيد ، ثم كانت سنة إحدى وسبعين ومائة حج بالناس [يعقوب بن المنصور ، ثم كانت سنة اثنتين وسبعين ومائة فحج بالناس] عبدالصمد بن علي ، ثم كانت سنة ثلاث وسبعين ومائة حج بالناس هارون الرشيد : خرج محرماً من عسكره إلى مكة ، ثم كانت سنة أربع وسبعين ومائة حج بالناس هارون الرشيد إلى سنة تسع وسبعين^(١) ومائة ، ثم كانت سنة ثمانين ومائة حج بالناس موسى بن عيسى بن محمد بن علي ، ثم كانت سنة إحدى وثمانين ومائة حج بالناس هارون الرشيد ، ثم كانت سنة اثنتين وثمانين ومائة حج بالناس موسى بن عيسى ، ثم كانت سنة ثلاث وثمانين ومائة ، حج بالناس العباس بن موسى المهدي ، ثم كانت سنة أربع وثمانين ومائة حج بالناس إبراهيم بن المهدي ، ثم كانت سنة خمس وثمانين ومائة حج بالناس المنصور بن المهدي ، ثم كانت سنة ست وثمانين ومائة حج بالناس هارون الرشيد ، ثم كانت سنة سبع وثمانين ومائة حج بالناس عبد الله بن العباس بن محمد بن علي ، وقيل : منصور بن المهدي ، ثم كانت سنة ثمان وثمانين ومائة حج بالناس هارون الرشيد ، ثم كانت سنة تسع وثمانين ومائة حج بالناس العباس ابن موسى بن عيسى بن محمد بن علي ، ثم كانت سنة تسعين ومائة حج بالناس عيسى بن موسى بن محمد^(٢) ، ثم كانت سنة إحدى وتسعين ومائة حج بالناس العباس بن عبد الله بن جعفر بن أبي جعفر المنصور ، ثم كانت سنة اثنتين وتسعين

(١) كذا في ب ، وفي ا « ثم كانت سنة خمس وسبعين ومائة فحج بالناس سليمان

ابن أبي جعفر المنصور ، ثم كانت سنة ست وسبعين ومائة ، فحج بالناس هارون الرشيد ، ثم كانت سنة سبع وسبعين ومائة ، فحج بالناس محمد بن إبراهيم بن محمد ابن علي ، ثم كانت سنة ثمان وسبعين ومائة ، فحج بالناس هارون الرشيد ، ثم كانت سنة تسع وسبعين ومائة فحج بالناس موسى بن عيسى بن محمد بن علي »

(٢) كذا في ا ، وفي ب « علي بن الرشيد »

حج بالناس العباس بن عبد الله أيضاً ، ثم كانت سنة ثلاث وتسعين ومائة
 حج بالناس داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي ، ثم كانت سنة أربع
 وتسعين ومائة حج بالناس علي بن الرشيد ، ثم كانت سنة خمس وتسعين
 ومائة حج بالناس داود بن عيسى بن موسى ، ثم كانت سنة ست وتسعين ومائة
 حج بالناس العباس بن موسى ، إلى ثمان وتسعين ، ثم كانت سنة سبع وتسعين
 ومائة حج بالناس محمد بن داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي ، ووثب
 ابن الأفتس العلوي بمكة فقبض عليها فتنحى محمد بن داود ، وخرج الناس ،
 فوقفوا بغير إمام ، فلما كانوا بالمزدلفة طلع عليهم [ابن] الأفتس فأقام لهم باقي
 حجتهم ، ثم كانت سنة مائتين حج بالناس أبو إسحاق المعتصم ، ثم كانت سنة
 إحدى ومائتين حج بالناس إسحاق بن موسى بن عيسى بن محمد بن علي ، ثم
 كانت سنة اثنتين ومائتين حج بالناس إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن
 علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهو أول طالب أقام للناس
 الحج في الإسلام ، على أنه أقامه متغلباً عليه ، لا مؤتلى من قبل خليفة ، وكان ممن
 سعى في الأرض بالفساد ، وقتل أصحاب إبراهيم بن عبيد الله الحنظلي^(١) وغيره في
 المسجد الحرام ، ويزيد بن محمد بن حنظلة الخزومي وغيره من أهل العبادة ، ثم
 كانت سنة ثلاث ومائتين حج بالناس عبد الله بن جعفر بن سليمان بن علي ، ثم
 كانت سنة أربع ومائتين حج بالناس عبيد الله بن الحسن بن عبد الله ،
 [ابن العباس بن علي بن أبي طالب ، من قبل المأمون ، وهو واليه على الحرمين] ،
 ثم كانت سنة خمس ومائتين حج بالناس عبيد الله بن الحسن أيضاً ، ثم كانت
 سنة ست وسبع^(٢) ومائتين حج بالناس أبو عيسى بن الرشيد ، ثم كانت سنة
 ثمان ومائتين حج بالناس صالح بن الرشيد ، ومعه زبيدة ، إلى سنة عشر

(١) في «الجمعي»

(٢) في «أن الذي حج في سنة ست ومائتين هو عبيد الله بن الحسن أيضاً

ومائتين ، ثم كانت سنة إحدى عشرة ومائتين حج بالناس إسحاق بن العباس بن محمد بن علي ، ثم كانت سنة اثنتي عشرة ومائتين حج بالناس المأمون^(١) ، ثم كانت سنة ثلاث عشرة ومائتين حج بالناس أحمد بن العباس ، ثم كانت سنة أربع عشرة ومائتين حج بالناس إسحاق بن العباس ابن محمد بن علي ، ثم كانت سنة خمس عشرة ومائتين حج بالناس عبد الله ابن عبيد الله أيضاً ، ثم كانت سنة ست عشرة ومائتين حج بالناس عبد الله ابن عبيد الله أيضاً ، ثم كانت سنة سبع عشرة ومائتين حج بالناس سليمان ابن عبد الله بن سليمان بن علي ، ثم كانت سنة ثمان عشرة ومائتين حج بالناس سليمان أيضاً ، ثم كانت سنة تسع عشرة ومائتين حج بالناس صالح ابن العباس بن محمد ، ثم كانت سنة عشرين ومائتين حج بالناس صالح بن العباس أيضاً ، ثم كانت سنة إحدى وعشرين ومائتين حج بالناس أيضاً صالح بن العباس بن محمد ، ثم كانت سنة اثنتين وعشرين ومائتين حج بالناس محمد بن داود بن عيسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، ثم كذلك إلى سنة ست وعشرين ومائتين ، ثم كانت سبع وعشرين ومائتين حج بالناس جعفر المتوكل بن المعتصم بن الرشيد ، ثم كانت سنة ثمان وعشرين ومائتين حج بالناس إلى سنة خمس وثلاثين ومائتين محمد بن داود بن عيسى ، ثم كانت سنة ست وثلاثين ومائتين حج بالناس محمد المنتصر [بن المتوكل] ، ومعه جدته شجاع ، ثم كانت سنة سبع وثلاثين ومائتين حج بالناس علي بن موسى بن جعفر بن المنصور ، ثم كانت سنة ثمان وثلاثين ومائتين إلى سنة إحدى وأربعين ومائتين حج بالناس عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى بن موسى بن علي بن عبد الله ابن عباس ، ثم كانت سنة اثنتين وأربعين ومائتين حج بالناس إلى سنة

(١) في أن الذي حج سنة إحدى عشرة ومائتين صالح بن العباس ، والذي

حج بالناس سنة اثنتي عشرة ومائتين هو عبد الله بن عبيد الله بن العباس .

أربع وأربعين ومائتين عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، ثم كانت سنة خمس وأربعين ومائتين حج بالناس إلى سنة ثمان وأربعين ومائتين محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الإمام ، ثم كانت سنة تسع وأربعين ومائتين حج بالناس عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله ، ثم كانت سنة خمسين ومائتين حج بالناس جعفر بن الفضل بن موسى بن عيسى بن موسى ، ويلقب بشاشات^(١) ، ثم كانت سنة إحدى وخمسين ومائتين ، فوقف بالناس إسماعيل بن يوسف العلويّ المقدم ذكره فيما مضى من هذا الكتاب ، وبطل الحج إلا يسيراً ؟ لأن إسماعيل هذا طلع على الحاج وهم بعرفة في جموعه ، فقتل من المسلمين خلقاً عظيماً حتى زعموا أنه كان يسمع بالليل تلبية القتلى ، وكان شأنه في الفساد عظيماً ، ثم كانت سنة اثنتين وخمسين ومائتين حج بالناس كعب البقر محمد [بن أحمد]^(٢) بن عيسى ابن جعفر بن المنصور ، ثم كانت سنة ثلاث وخمسين ومائتين حج بالناس عبد الله بن محمد بن سليمان [بن عبد الله]^(٢) الرسيّ ، ثم كانت سنة أربع وخمسين ومائتين حج بالناس علي بن الحسن بن إسماعيل بن العباس بن محمد بن علي ، ثم كانت سنة خمس وخمسين ومائتين حج بالناس علي بن الحسن أيضاً ، ثم كانت سنة ست وخمسين ومائتين حج بالناس كعب البقر محمد بن أحمد بن عيسى بن جعفر بن المنصور ، ثم كانت سنة سبع وخمسين ومائتين حج بالناس الفضل بن العباس بن الحسن بن إسماعيل بن العباس بن محمد حج بالناس علي بن الحسن بن إسماعيل بن العباس بن محمد حج بالناس الفضل بن علي ، ثم كانت سنة ثمان وخمسين ومائتين حج بالناس إبراهيم العباس أيضاً ، ثم كانت سنة تسع وخمسين ومائتين حج بالناس إبراهيم ابن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن علي بن برية^(٣) ، ثم كانت سنة ستين ومائتين حج بالناس ابن برية^(٣) أيضاً ، ثم كانت سنة إحدى

(١) في ب « يلقب بسليمان » محرفاً (٢) هذا الاسم لا يوجد في ا

(٣) في ب « بن بويه »

وستين حج بالناس الفضل بن العباس بن الحسن بن إسماعيل بن العباس بن محمد بن علي، ثم كانت سنة اثنتين وستين ومائتين حج بالناس الفضل بن العباس أيضاً، ثم كانت سنة ثلاث وستين ومائتين حج بالناس الفضل بن العباس أيضاً، ثم كانت سنة أربع وستين ومائتين حج بالناس إلى سنة ثمان وسبعين ومائتين خمس عشرة حجة^(١) متواليه هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، ثم كانت سنة تسع وسبعين ومائتين حج بالناس إلى سنة سبع وثمانين ومائتين تسع حجج متواليه أبو عبد الله محمد ابن عبد الله بن داود بن عيسى بن موسى، ثم كانت سنة ثمان وثمانين ومائتين حج بالناس محمد بن هارون بن العباس بن إبراهيم بن عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور، ثم كانت سنة تسع وثمانين ومائتين حج بالناس الفضل بن عبد الملك بن عبد الله بن العباس بن محمد بن علي، ولم يزل يحج بالناس كل سنة إلى سنة خمس وثلثمائة، ثم كانت سنة ست وثلثمائة حج بالناس أحمد بن العباس ابن محمد بن عيسى بن سليمان بن محمد بن إبراهيم الإمام، وهو المعروف بأخي أم موسى الهاشمية قهرمانه شغب^(٢) أم المقتدر بالله، ثم كانت سنة سبع وثلثمائة حج بالناس أحمد بن العباس أيضاً، ثم كانت سنة ثمان وثلثمائة حج بالناس إلى سنة إحدى عشرة وثلثمائة إسحاق بن عبد الملك بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد، ثم كانت سنة اثنتي عشرة وثلثمائة حج بالناس الحسن بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، ثم كانت سنة ثلاث عشرة وثلثمائة حج بالناس أبو طالب عبد السميع بن أيوب بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد خليفة لعمه الحسن، وكذلك سنة^(٣) أربع عشر وثلثمائة، ثم كانت سنة خمس عشرة وثلثمائة حج بالناس عبد الله بن سليمان بن محمد

(١) في ب « خمس عشرة سنة متواليه » (٢) في ب « شعب » بالعين مهملة

(٣) في ب أن الذي حج في سنة ٣١٤ هو عبد الله بن سليمان، وجعل الذي حج في سنة

٣١٥ عبد الله بن عبيد الله بن محمد المعروف بأبي أحمد الأزرق، فجعل الاسم الواحد اثنين

الأكبر عبد الله بن عبيد الله بن محمد المعروف بأبي أحمد الأزرق خليفة
للحسن بن عبد العزيز العباسي ، ثم كانت سنة ست عشرة وثلثمائة حج
بالناس أبو أحمد الأزرق أيضاً ، ثم كانت سنة سبع عشرة وثلثمائة ، فدخل
سليمان بن الحسن صاحب البحرين مكة ، وقد حضر عمر بن الحسن بن
عبد العزيز المقدم نسب أبيه لإقامة الحج خليفة لأبيه ، فكان من أمر
الناس ما كان فيما قدّمنا ذكره فيما سلف من هذا الكتاب ، ولم يتم حج
في موسم سنة سبع عشرة وثلثمائة هذه من أجل حادثة القرامطة لعنهم الله
إلا لقوم يسير غزواً^(١) ، وأقيم حجهم دون إمام ، وكانوا رجالة ، ثم كانت
سنة ثمان عشرة وثلثمائة فحج بالناس عمر بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمي
خليفة لأبيه الحسن بن عبد العزيز ، ثم كانت سنة تسع عشرة وثلثمائة حج
بالناس فيها جعفر بن علي بن سليمان خليفة للحسن بن عبد العزيز ، ثم كانت
سنة عشرين وثلثمائة حج بالناس فيها عمر بن الحسن بن عبد العزيز خليفة
لأبيه أيضاً ، ولم يزل يحج بالناس إلى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة ، وهو على
قضاء مكة في هذا الوقت ، وهو جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وثلثمائة ،
وإليه قضاء مصر وغيرها .

قال أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي رحمه الله : قد ذكرنا
فيما سلف من هذا الكتاب أنواعاً من الأخبار ، وفنوناً من العلم من أخبار الأنبياء
عليهم الصلاة والسلام ، والملوك وسيرها ، والأمم وأخبارها ، وأخبار الأرض
والبحار ، وما فيها من العجائب والآثار ، وما اتصل بذلك ، ليستدل به على
ما سلف من كتبنا ، ومدخلاً إلى ما تقدم من تصنيفنا في أنواع العلوم مما قدّمنا
ذكره ، ولم نترك نوعاً من العلوم ، ولا فنّاً من الأخبار ، ولا طريقاً من الآثار ،
إلا أوردناه في هذا الكتاب مُفَصَّلاً ، أو ذكرناه مجملاً ، أو أشرنا إليه بضرب

المؤلف يختم
كتابه بذكر
صنيعه

(١) في ب « غدروا قم حجهم »

من الإشارات ، أو لَوْحَنًا إليه بِفَحْوَى من العبارات ، من أخبار العجم
والعرب والكواثر والأحداث في سائر الأمم ، فمن حَرَفَ شَيْئًا من معنى
هذا الكتاب ، أو أزال ركنًا من مَبْنَاهُ^(١) ، أو طَمَسَ واضحة من
معانيه^(٢) ، أو لَبَسَ شَاهِرَةً من تراجمه ، أو غَيَّرَهُ ، أو بَدَّلَهُ ، أو اِتَّجَلَهُ^(٣) ،
أو اختصره ، أو نسبته إلى غيرنا ، أو أضافه إلى سوانا ، أو أسقط منه
ذكرنا ، فوافاه من غضب الله وسرعة نِقْمَتِهِ^(٤) وفَوَادِحِ بلاياه ما يعجز عنه
صَبْرُهُ ، وَيَحَارُ له فكره ، وجعله الله مُثَلَّةً للعالمين ، وعبرة للمعتبرين ،
وآية للمتوسمين ، وسلبه الله ما أعطاه ، وحال بينه وبين ما أنعم به
عليه من قوة ونعمة مُبْدِعُ السموات والأرض ، من أَى الملل كان
أو الآراء ، إنه على كل شيء قدير ، وقد جعلنا هذا التخويف في أول
كتابنا هذا وآخره ، وكذلك نقول في سائر ما تقدم من تصنيفنا ،
ونظمناه من تأليفنا ، فليراقب امرؤ ربه ، وايحاذر منقلبه ؛ فاللذة يسيرة ،
والمسافة قصيرة ، وإلى الله المصير .

وقد قَدَّمْنَا الاعتذار فيما سلف^(٥) من هذا الكتاب من سهوٍ إن معذرة المؤلف
عَرَضَ ، أو تصحيف أو تغيير من الكتاب إن وقع ، ولما قد دُفِعْنَا
إليه ، من الأسفار المتواترة ، والحركة المتصلة : تارة سُشْرَقِينَ ، وتارة
مغربين ، وطوراً متيامنين ، وطوراً متشائمين ، وما يلحقنا من سهو
الإنسانية ، ويصحبنا من عجز البشرية ، عن بلوغ الغاية ، وتَقْصَى النهاية ،
ولو كان لا يؤلف كتاباً إلا مَنْ حَوَى جميع العلوم إذا ما ألف أحد
كتاباً ، ولا تَأْتِي له تصنيف ؛ لأن الله عز وجل يقول : (وَفَوْقَ كُلِّ

(١) في « مبتناه »

(٢) في « من معالنه »

(٣) في « أو اتخبه »

(٤) في « وسرعة نقمه »

(٥) في « في مواضع مما سلف »

ذِي عِلْمٍ عَظِيمٍ) جعلنا الله ممن يُؤثِر طاعته ، وَ يُوفِّقُ لِرشدِهِ ، ونسأله أن
 يمحو بخير شَرًّا ، ويجد هَزْلاً ، ثم يعود علينا بعد ذلك بعفوه ، ويتغمدنا
 بفضله ، إنه جَوَادٌ مَنَّانٌ ، لا إلهَ إلا هو رب العرش العظيم [وصلى الله
 على سيد الأنام محمدٍ وعلى آله الطاهرين وسلم تسليماً]^(١) .

قال أبو أحمد ، وهو محمد محبي الدين : قد انتهيتُ بحمد الله تعالى من
 مراجعة أصول هذا الكتاب ، وترقيمه ، وضبط غريبه ، والتعليق عليه .
 وقد بالفت في تجويده وتيسيره - بحسب طاقتي ، وما وسعه جهدي
 ومعرفتي - فإن كنت قد بلغت الغاية التي يرجوها المحققُ فذلك توفيق الله
 وهدايته ، وإن تكن الأخرى فبحسبي أني اجتهدت ، وإني لأثني هنا
 على عمال مطبعة السعادة ، وعلى رأسهم الشاب الفاضل علي أفندي بن محمد
 إسماعيل مديرها ، الذين أسهموا في تجويد هذا الكتاب واحتملوا في
 سبيله من الجهد والمصاعب ما يستحقون عليه جزيل الشكر .

والله تعالى المستول أن يجعل أحسن أعمالنا خواتمها ، وأن يحشرنا وآباءنا
 وذريتنا وإخواننا في الله يوم القيامة مع الذين أنعم عليهم من النبيين
 والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً آمين ؟

الموضوع	ص	الموضوع	ص
إسحاق الموصلي والعتابي ، وقد	١٤	ذكر خلافة المأمون	٤
أغرى المأمون إسحاق على العبث		بجمل تاريخه	٤
بالعتابي		ذكر جمل من أخباره وسيره ،	٥
بعض أخبار العتابي	١٥	ولم مما كان في أيامه .	
أبو العتاهية والمأمون	١٧	الفضل بن سهل ، وبقية وزراء	٥
المأمون وبعض خواصه يتلهون	١٧	المأمون	
المأمون يحدث عن ثلاثة أجوبة	١٨	موت علي بن موسى الرضا العلوي	٥
أعبته		بطوس	
كان المأمون يناظر الفقهاء	١٩	إبراهيم بن المهدي (ابن شكلة)	٥
أنصف مناظرة		والمأمون يتلاحيان على التشيع	
بعض الحوارج يناظر المأمون في	٢٠	والتسنن	
خلافته على الناس		أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي	٥
ترجمة يحيى بن أكثم قاضي البصرة	٢١	والمأمون يستنشد به بعض شعره	
وفاة الإمام الشافعي محمد بن إدريس	٢٣	بعض حكم المأمون	٧
وفاة أبي داود الطيالسي	٢٤	المأمون يحضر إملاك بعض أهل	٧
وفاة هشام بن محمد الكلبي	٢٤	بيته ، وخطبته في شأن ذلك	
المأمون بوثنى بين يديه برجل	٢٤	يحيى بن أكثم وثمامة بن أشرس	٨
موثق يدعى النبوة ، ويناظره		في حضرة المأمون ، وحديث لهما	
المأمون ورجل يدعى بين يديه أنه	٢٥	في أن الحق واحد أو متعدد بتعدد	
إبراهيم الخليل		أهل النظر	
بعض من خرج من العلويين	٢٦	وفد الكوفة بين يدي المأمون	٩
وغيرهم على المأمون		المأمون والزنادقة من المانوية ،	٩
علي بن موسى الرضا ويعة المأمون	٢٨	وحديث طفيلي دس نفسه بينهم	
له بالخلافة من بعده		إبراهيم بن المهدي يسأل المأمون	١٠
بنو العباس يغضبون ، لمبايعة المأمون	٢٨	أن يعفو عن الطفيلي في مقابل أن	
علي بن موسى الرضا ، فيقررون		يقص عليه قصة تطفيله ذات يوم ،	
بينهم خلع المأمون		والمأمون يتخذ ذلك الطفيلي نديما	
مقتل الفضل بن سهل	٢٨	العتابي ويحيى بن أكثم على باب	١٤
		المأمون	

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٣٦	موت أبي عبيدة معمر بن المثنى النحوى	٢٨	وفاة على بن موسى الرضا
٣٧	موت أبي العتاهية ، وبعض المختار من شعره	٢٩	من شأن إبراهيم بن المهدي
٣٩	زيادة علماء العروض على ما استنبطه الخليل بن أحمد من أوزان الشعر العربي	٢٩	خروج بابك الخرمي
٤٠	أبو العباس عبد الله بن محمد الناشيء الكاتب	٣٠	زواج المأمون بيوران بنت الحسن بن سهل ، ومقدار ما ما أنفق الحسن بن سهل في ذلك الإملاك
٤٠	المأمون يعلن سب معاوية بن أبي سفيان ، ويأمر به ، ثم يدوله فيرجع عنه	٣١	إبراهيم بن المهدي وحجج يؤويه في بعض أيام اختفائه من المأمون
٤١	موت جماعة من العلماء : أبي عاصم النبيل ، ومحمد بن يوسف الفارابي ، وهوذة بن خليفة ، ومحمد بن عبد الله بن المثنى ، وإسحاق بن الطباع ، ومعاوية بن عمرو	٣٣	موت يزيد بن هارون بواسط
٤٢	دخول المأمون مصر ، وقتله عبدوسا المنقلب عليها	٣٣	موت جماعة من العلماء : جرير ابن خزيمة ، وشيبة بن سوار ، والحجاج بن محمد الأعور ، وعبد الله بن نافع ، ووهب بن جرير ، ومؤمل بن إسماعيل ، وروح بن عبادة ، والهيثم ابن عدى
٤٢	غزو المأمون بلاد الروم ، ومحاولة ملك الروم أن يرده عن بلاده بشق المغريات	٣٣	موت الواقدى : محمد بن عمر بن واقد ، وحديث له في الإيثار مع صديقين له
٤٣	أول مرض المأمون	٣٤	موت يحيى بن الحسين بن زيد ابن طلى بن الحسين
٤٥	موت المأمون . وما قيل فيه	٣٤	موت أزهر السمان ، وصلته بأبي ، جعفر المنصور ، وحديث عنه في كثرة ترده على المنصور
٤٥	أبيات كان المأمون كثيراً ما ينشدها	٣٥	مقتل ابن عائشة : إبراهيم بن محمد بن عبد الوهاب ، العباسي
٤٦	ذكر خلافة المعتصم	٣٥	المأمون ورجل من ولد العباس ابن على بن أبي طالب
٤٧	مجل تاريخه		

الموضوع	ص	الموضوع	ص
مجل تاريخه	٦٥	ذكر جل من أخباره وسيره	٤٧
ذكر لمع من أخباره وسيره	٦٦	محمد بن عبد الملك الزيات	٤٧
صفات الواثق	٦٦	حب المعتصم للعمارة	٤٧
أعرابي يذكر لأبي تمام رأيه في الواثق ورجال دولته	٦٦	قوة المعتصم وبأسه	٤٧
أبو تمام الطائي ، وبعض خبره	٦٨	كان المعتصم يأنس بعلي بن الجنيد الإسكافي ، وحدث عنه	٤٨
مقارنة بين أبي تمام والبحتري	٦٩	مر المعتصم بشيخ ضعيف قد زاق حماره ورمى بما حمله عليه ، فأعانه	٥١
الحكمة ضالة العاقل ، يطلبها ممن يعرفها	٧٤	موت جماعة من العلماء	٥١
حماسة أبي تمام	٧٤	محمد بن القاسم العلوي	٥٢
أخبار أبي تمام لأبي بكر الصولي	٧٤	ذكر بعض الفرق المهدوية	٥٢
رثاء أبي تمام للحسن بن وهب	٧٥	اصطناع المعتصم للأتراك	٥٣
من شعر الحسن بن وهب	٧٥	القاطول ، وقصر المعتصم عنده	٥٣
موت علي بن الجعد	٧٦	بناء سامرا (سر من رأى)	٥٤
مقتل أحمد بن نصر الخزاعي	٧٦	بابك الحرمي	٥٥
جلس الواثق للشراب ، وطلب إلى جلسائه أن يقترحوا ما يختارونه من النقل ، فاختلفوا	٧٦	زواج الحسين بن الأفشين بن رجة بنت أشناس	٥٩
أبو جعفر العلوي	٧٧	حرب المعتصم والروم	٥٩
عبد الله بن طاهر	٧٧	فتح عمورية	٦٠
حوار بين الواثق وجلسائه في التطيب	٧٧	خروج العباس بن المأمون	٦٠
مبادئ التجربة	٧٨	الإيقاع بالأفشين	٦١
آلات الغذاء وتفصيل الأسنان وأنواعها	٨٠	موت الأفشين ، وصلبه	٦١
حنين بن إسحاق يؤلف كتابا في الطب للواثق	٨١	موت أبي دلف العجلي	٦٢
الكلام على البيئة الطبيعية	٨٢	العداوة بين أبي دلف وابنه دلف	٦٢
كلام ديوجانس على قبر الإسكندر ، ونظم أبي العتاهية له في شعره	٨٣	موت جماعة من العلماء	٦٣
مرض الواثق ووفاته	٨٤	وفاة المعتصم	٦٣
		ذكر خلافة الواثق	٦٥

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٨٥	ذكر خلافة المتوكل على الله	٩٩	الجاحظ يذكر للمتوكل ليؤدب
٨٥	مجل تاريخه		ولده فإذا رآه استبشعه ، فيأمر
٨٦	ذكر مجل من أخباره ، ولع بما		له بعتية ويصرفه
	كان في أيامه	١٠٠	بعض قصص العشاق الذين قتلوا
٨٦	أمر المتوكل بترك الجدل والمباحثات		أنفسهم
٨٦	كانت أيامه أنصر الأيام وأحسنها	١٠٠	رجل يرفع إلى يزيد بن عبد الملك
٨٦	الفتح بن خاقان		أنه يريد أن يسمع بعض جواريه تغني
٨٧	أحدث بناء سماه الحيرى		فيجيبه إلى ذلك ، فإذا سمعها قتل نفسه
٨٧	بيعة المتوكل لأبنائه ، وما قيل في	١٠٢	غضب المتوكل على عمر الرخجى
	ذلك من الشعر	١٠٢	هدية من الموبدان إلى المتوكل
٨٨	محمد بن عبد الملك الزيات	١٠٢	وفاة أحمد بن حنبل
٨٨	بقية وزراء المتوكل	١٠٣	انقراض الكواكب في عهد المتوكل
٨٩	المبرد وبعض المجانين	١٠٣	وفاة جماعة من العلماء
٩١	البحترى عند المتوكل بمدحه	١٠٦	إبراهيم بن العباس الصولى
٩٢	أبو العنيس يهجو البحترى أمام المتوكل		الكاتب ، وشيء من شعره
٩٢	حمار أبي العنيس الذى عشق أناثا	١٠٩	العباس بن الأحنف الشاعر
	فمات من عشقه	١١١	أبو ثور إبراهيم بن مخلد الكلبي
٩٤	وفاة محمد بن سماعة القاضى الحنفى	١١١	نفي المتوكل على بن الجهم ، وذكر ما
٩٥	موت جماعة من العلماء		قيل في نسبه ، ومختار من شعره
٩٥	رجل سندی يحبس لقتله رجلا كان	١١٤	رثى أبو صاعد على بن الجهم
	يشركه فى الفسق ، فيرى المتوكل	١١٥	تأمر الأتراك على قتل المتوكل
	رؤيا يخرجها بعدها من الحبس	١١٧	تدير مقتل المتوكل
٩٦	المتوكل يرضى عن يحيى بن أكرم	١١٨	وفاة شجاع أم المتوكل
	ويغضب على ابن أبي دؤاد	١١٩	تنفيذ مؤامرة الأتراك
٩٧	وفاة ابن أبي دؤاد	١٢٢	نفقات المتوكل
٩٧	المعتصم يصطحب يوما مع ندمائه	١٢٣	محمد بن المغيث ، وعفو المتوكل عنه
	بالجوسق	١٢٤	رثاء الشعراء للمتوكل
٩٩	المتوكل وجماعة من الملاحين	١٢٤	محبوبة جارية المتوكل
	يطبخون فيشتهى طعامهم فيأكل منه	١٢٧	وفاة جماعة من العلماء

الموضوع	ص	الموضوع	ص
سعيد بن حميد (ترجمته ، وذكر مختار من شعره)	١٤٥	ذكر خلافة المنتصر بالله	١٢٩
أبو علي البصير (ترجمته ، وذكر مختار من شعره)	١٤٧	مجل تاريخه	١٢٩
ظهور يحيى بن عمر العلوى ، ومقتله ، وما قيل في رثائه	١٤٧	ذكر حمل من أخباره ، ولمع مما كان في أيامه	١٣٠
ظهور الحسن بن زيد العلوى ، بطبرستان ، وتفصيل حديثه	١٥٣	الموضع الذى قتل فيه المتوكل	١٣٠
ظهور محمد بن جعفر العلوى بالرى	١٥٣	طرب المنتصر ، وشعره	١٣١
ظهور أحمد بن عيسى العلوى	١٥٤	أحمد بن الحصيب أحد وزراء المنتصر	١٣٢
ظهور الحسن بن إسماعيل الكركى العلوى ، بقزوين	١٥٤	الوزير حامد بن العباس أحد وزراء المقتدر	١٣٢
ظهور الحسين بن محمد بن حمزة العلوى بالكوفة	١٥٤	عود إلى الحديث عن أحمد بن الحصيب وزير المنتصر بالله	١٣٣
المستعين بهم أن يعقد لابنه وهو وصى	١٥٤	موت المنتصر وقبره	١٣٣
معرفة المستعين ، وعلمه بالأخبار	١٥٥	مرض المنتصر وأسبابه	١٣٣
حديث للمستعين مع أبي البيضاء في شأن عروة بن حزام العذرى	١٥٦	خلق المنتصر	١٣٤
بعض أحاديث عن العشاق والمهين	١٥٨	خلق وزيره أحمد بن الحصيب	١٣٥
وفاة بغا الكبير التركى ، وبعض الأحاديث عنه	١٦٠	المنتصر بالله وآل أبي طالب	١٣٥
اضطراب الأتراك والفرأغنة	١٦٢	بيعة المتوكل لأولاده ، وما قيل فيها من الشعر	١٣٦
عزل المستعين وتولية المعز	١٦٢	الخوارج الذين خرجوا على المنتصر بالله	١٣٧
وأحاديث في هذا الشأن	١٦٦	حديث آخر عن خلق المنتصر بالله	١٣٧
ذكر خلافة المعز بالله	١٦٦	حديث عن العشق في مجلس المنتصر	١٣٩
مجل تاريخه	١٦٦	ذكر خلافة المستعين بالله	١٤٤
ذكر حمل من أخباره وسيره	١٦٧	مجل تاريخه	١٤٤
ولمع مما كان في أيامه	١٦٧	ذكر حمل من أخباره ، ولمع مما كان في أيامه	١٤٥
ما قيل في خلق المستعين	١٦٧	وزراء المستعين بالله	١٤٥

الموضوع	ص	الموضوع	ص
تألم القوم بعد قتل المهدي	١٨٦	وفاة جماعة من العلماء	١٦٧
سبب حنق الأتراك على المهدي	١٨٧	قصة فص من الياقوت الأحمر	١٦٨
أحمد بن المدبر والى خراج فلسطين	١٨٧	تداوله كثير من الملوك	
بعض أعمال المهدي المحمودة	١٨٩	بعض ما قيل في رجوع الأمر إلى	١٦٩
سبب عدول المهدي عن القول	١٩١	المعز من الشعر	
بخلق القرآن		وزراء المعز	١٦٩
جواب المهدي وقد سأله بعض	١٩٣	وفاة طلي بن محمد بن موسى بن	١٦٩
الناس عن السبب في حب الناس		جعفر ، العلوي ، وبعض أحاديث	
للدنيا		عنه	
خروج صاحب الزنج ، وعقيدته	١٩٤	وفاة محمد بن عبد الله بن طاهر	١٧٢
الجاحظ ، وكتبه ، ومنزلتها	١٩٥	ماني الموسوس ينادم محمد بن	١٧٢
يموت بن المزرع (ترجمته ، وبعض	١٩٦	عبد الله بن طاهر	
شعره)		المعز والمؤيد	١٧٦
خلافة المعتمد على الله	١٩٨	جماع الحوادث في عهد المعز	١٧٦
مجلد تاريخه	١٩٨	مقتل المعز	١٧٨
ذكر جمل من أخباره وسيره ،	١٩٩	رثاء المعز	١٧٨
ولم مما كان في أيامه		أحدث المعز الركوب بحلية الذهب	١٨٠
وزراء المعتمد	١٩٩	أحدث المستعين قبله الأحكام الواسعة	١٨٠
وفاة الحسن بن محمد العلوي ،	١٩٩	الحوارج على المعز	١٨٠
وذكر رأى القطعية من المعتزلة		بعض قتلى آل أبي طالب	١٨٠
في الإمامة		ذكر خلافة المهدي بالله	١٨٢
خروج يعقوب الصفار	٢٠٠	مجلد تاريخه	١٨٢
سياسة الصفار ، وأثرها في أتباعه	٢٠٢	ذكر جمل من أخباره وسيره ،	١٨٣
وفاة موسى بن بغا	٢٠٦	ولم مما كان في أيامه	
موت المزني	٢٠٦	وزراء المهدي	١٨٣
موت ابن وهب ، وابن عبد الأعلى ،	٢٠٦	حمل المهدي الناس على الجادة	١٨٣
وزيد بن سنان		كيفية قتل المعز	١٨٣
الموفق وصاحب الزنج ، وبعض	٢٠٧	موسى بن بغا والمهدي	١٨٤
أخبار عن الزنج		كيف قتل المهدي ؟	١٨٦

الموضوع	ص	الموضوع	ص
أنواع الغناء ، وفنونه	٢٢٤	صاعد بن مخلد ، يوجهه الموفق	٢٠٩
الرقص ، وأنواعه ، وصفات	٢٢٥	لحرب الصفار	
الراقص		موت جارية لصاعد بن مخلد كانت	٢٠٩
وفاة الموفق	٢٢٧	الغالبة على أمره	
المعتضد	٢٢٩	ثروة صاعد بن مخلد	٢٠٩
كيف قتل المعتضد ؟	٢٢٩	وفاة داود بن علي الأصبهاني ،	٢٠٩
ذكر خلافة المعتضد بالله	٢٣١	الفييه (الظاهري)	
مجمل تاريخه	٢٣١	وفاة أحمد بن طولون	٢١٠
ذكر جمل من أخباره وسيره ،	٢٣٢	الموفق وأبو الجيش خمارويه	٢١٠
ولم مما كان في أيامه		وفاة الربيع المرادي	٢١٠
حال الملكة في عهده	٢٣٢	الشافعي ومحمد بن الحسن الشيباني	٢١٠
بعض خصاله	٢٣٢	صاحب أبي حنيفة	
قسوته	٢٣٣	بيعة المعتمد لابنه	٢١١
رسول خمارويه إلى المعتضد ،	٢٣٣	استيلاء ابن طولون على دمشق	٢١١
وزواج المعتضد بنت خمارويه		وحمص وأنطاكية	
الحسين بن الجصاص	٢٣٤	يازمان الخادم ، مولى الفتح بن خاقان	٢١٣
أبو العيناء الشاعر	٢٣٥	وفاة عمرو بن عبيد الله ، الأقطع ،	٢١٤
هدايا عمرو بن الليث الصفار	٢٣٧	وعلي بن يحيى الأرمي	
عيسى بن علي بن ماهان والحوارج	٢٣٧	معاوية وبطريق من بطارقة الروم	٢١٤
أهل البصرة يفدون على المعتضد	٢٣٨	شغف المعتمد بالطرب	٢٢٠
فيشكون له جور الزمان ومحنه		أول من اتخذ العود ، وسببه	٢٢٠
أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمعي	٢٣٩	أول من اتخذ الطبول والمعازف	٢٢٠
خروج محمد بن أحمد بن عيسى	٢٤٠	آلات الطرب التي للروم	٢٢١
على المعتضد ، وشأنه		آلات الطرب التي للهند	٢٢١
شأن رافع بن ليث وخروجه على المعتضد	٢٤٣	الهداء عند العرب ، وسببه	٢٢١
محمد بن الحسن بن سهل يدعو الناس إلى	٢٤٣	أول من غنى من العرب	٢٢٢
البيعة لأحد العلويين فيؤخذ ويقتل		فضل الغناء ، وأثره	٢٢٢
فتح المراغة بأذربيجان	٢٤٤	صفة المغني	٢٢٣
فتح عمان	٢٤٤	أنواع الطرب	٢٢٣

الموضوع	ص	الموضوع	ص
وفاة إبراهيم بن محمد الحربي المحدث الفقيه	٢٦١	بدر بن المعتضد يتزوج بنت أبي الساج	٢٤٥
مفاضلة بين الفقراء والأغنياء	٢٦٣	مسير إسماعيل بن أحمد إلى أرض الترك وقتاله أهلها	٢٤٥
وفاة أبي العباس محمد بن يزيد المبرد	٢٦٤	الحرب بين وصيف الخادم وعمرو ابن عبد العزيز ببلاد الجبل	٢٤٦
وفاة محمد بن يونس المحدث أبي العباس	٢٦٤	شأن حمدان بن حمدون	٢٤٦
أبو سعيد الجنابي	٢٦٤	مقتل أبي الجيش خمارويه	٢٤٦
أبو الأغر خليفة بن المبارك السلمي ، وصالح بن مدرك الطائي	٢٦٤	حكم الخصيان في الشريعة الإسلامية	٢٤٧
موت إسحاق العبدى	٢٦٥	دفن أبي الجيش خمارويه ببلاد مصر	٢٤٧
مسير الداعي العلوى من طبرستان إلى جرجان	٢٦٦	بعض أخبار المعتضد وحزمه	٢٤٨
طلب المعتضد وصيفا الخادم	٢٦٧	ذكر حادثة تدل على مهارته في التحقيق الجنائي	٢٤٨
وفاة ابن أبي الساج	٢٦٨	المعتضد ورجل مهرج يقص على الناس نوادر ومضاحك	٢٥٢
وفاة وصيف الخادم ، وصلبه	٢٦٩	حرب جيوش المعتضد مع هرون الشارى	٢٥٤
صلب أبي الفوارس	٢٧٠	بعض أخبار عن المحتالين وطرقهم	٢٥٥
أراجيف أهل بغداد في صلب أبي الفوارس	٢٧٠	القول في الكيمياء ، واختلاف الناس في شأنها	٢٥٧
آل أبي طالب وشأن المعتضد معهم	٢٧٠	وفاة أبي عمرو الرعيني المالكي	٢٥٩
تأخر الخراج ، فأنعم المعتضد على الناس ، فمدحه كثير من الشعراء	٢٧١	المعتضد يولى يوسف بن يعقوب قضاء دار السلام	٢٥٩
وصول بنت خمارويه إلى المعتضد ، وما قيل فيها من الشعر	٢٧١	شأن أحمد بن الطيب بن مروان السرخسى صاحب يعقوب بن إسحاق الكندى ، ومصادرة أمواله ، وقتله	٢٥٩
وفاة جماعة من العلماء	٢٧٢	خيال يظهر للمعتضد في صور مختلفة	٢٦٠
وفاة المعتضد	٢٧٣	صالح بن مدرك يخيف حجاج البيت ويخرج عليهم	٢٦١
وصية المعتضد في شأن دفنه ، وحالته عند الموت	٢٧٤		

الموضوع	ص
٢٨٥ وفاة أبي حازم	٢٧٥ ذكر خلافة المكتفي بالله
٢٨٦ تغلب ابن الخليجي على مصر	٢٧٥ مجمل تاريخه
٢٨٦ وفاة موسى بن هرون البزار	٢٧٦ ذكر جمل من أخباره وسيره ،
٢٨٦ وفاة أبي مسلم الكجي	ولع مما كان في أيامه
٢٨٦ حديث مستفيض عن تغلب .	٢٧٦ أمر بهدم مطاير العذاب التي
وعن ابن الرومي	بناها أسلافه
٢٨٩ بعض شعر المكتفي بالله	٢٧٦ تغلب القاسم بن عبيد الله على
٢٨٩ المكتفي يسمع بيتين لابن الرومي	شؤون الدولة كلها
في وصف نبيذ الدوشاب ، فيأمر	٢٧٧ مقتل بدر بن خير أحد غلمان
بإعداد الطعام والشراب	المتوكل ، وما قيل فيه من الشعر
٢٩٠ هدية أبي مضر زيادة الله بن	١٧٨ ذكر سبب مقتل بدر غلام المتوكل
عبد الله (ابن الأغلب)	٢٧٨ منزلة بدر عند المعتضد
٢٩٠ آل الأغلب بإفريقية	٢٧٩ جود المعتضد
٢٩٢ ذكر خلافة المقتدر بالله	٢٧٩ حديث عن منزلة بدر عند المعتضد
٢٩٢ مجمل تاريخه	٢٨٠ ظهور القراطة بالشام
٢٩٣ ذكر جمل من أخباره وسيره ،	٢٨٠ تركة المكتفي
ولع مما كان في أيامه	٢٨١ شره المكتفي
٢٩٣ عبد الله بن المعتز ، وشعره	٢٨١ قسوة وزير المكتفي القاسم بن
٢٩٦ وفاة محمد بن داود الإصهاني	عبيد الله
الفقيه الظاهري ، وشعره	٢٨٢ مقتل عبد الواحد بن الموفق ،
٢٩٧ علي بن محمد بن بسام (ترجمة)	وحديث عنه
٣٠٢ محمد بن بسام (ترجمة)	٢٨٣ ابن الرومي أحد صرعي القاسم
٣٠٤ وزارة ابن الفرات	ابن عبيد الله
٣٠٤ وزارة ابن خاقان	٢٨٤ وفاة عبد الله بن أحمد بن حنبل
٣٠٥ وزارة ابن الجراح	٢٨٤ وفاة أبي العباس أحمد بن يحيى
٢٠٥ وزارة ابن الفرات ثانيا	المعروف بشعب
٣٠٥ وزارة حامد بن العباس	٢٨٥ وفاة محمد بن محمد الجدوعي القاضي

الموضوع	ص	الموضوع	ص
مقصورة ابن دريد	٣٢٠	وزارة ابن الفرات ثالثاً	٣٠٥
ذكر من عارض مقصورة ابن دريد	٣٢١	جملة من وزراء المقتدر	٣٠٥
ذكر خلافة الرازي بالله	٣٢٢	مقتل المقتدر	٣٠٥
مجموع تاريخه	٣٢٢	وفاة جماعة من العلماء	٣٠٦
ذكر جملة من أخباره وسيره ،	٣٣	أخبار الطالبين	٣٠٧
ولع مما كان في أيامه		وفيات وحوادث مختلفة	٣٠٨
وزراؤه	٣٢٣	ذكر خلافة القاهر بالله	٣١٢
شعره	٣٢٣	مجموع تاريخه	٣١٢
اتصال الصولي الكاتب بالمكتفي ،	٣٢٤	ذكر جملة من أخباره وسيره ،	٣١٣
وسببه		ولع مما كان في أيامه	
اللعب بالشطرنج ، وبعض أخباره	٣٢٤	وزراء القاهر بالله	٣١٣
بعض ما قيل في الشطرنج من الشعر	٣٢٦	أخلاقه	٣١٣
اللعب بالنرد	٣٢٧	استوصف القاهر محمد بن علي	٣١٣
بعض ما قيل في لعب النرد من الشعر	٣٢٧	العبدى الخراساني خلفاء بني	
الرازي وتأديبه بما يسمع من خلال الملوك	٣٢٨	العباس ، فوصفهم له	
معاوية وقيس بن سعد وقد أرسل	٣٢٩	٣١٤ وصف السفاح	
ملك الروم يطلب سراويل أجسم		٣١٤ وصف المنصور	
رجل في العرب		٣١٥ وصف المهدي	
الطول في العباس بن عبد المطلب	٣٣٠	٣١٦ وصف الهادي	
وأبنائه		٣١٦ وصف الرشيد	
حديث عن عجائب البلدان في	٣٣٢	٣١٧ وصف أم جعفر زبيدة ،	
حضرة الرازي		والأمين ابنها	
سمر العروزي ليلة عند الرازي	٣٣٢	٣١٨ وصف المأمون	
فراه قلقاً ، فسأله عما به ، فوعده إن		٣١٩ وصف المعتصم	
سرى عنه أن يعطيه جميع ما عليه		٣١٩ وصف الواثق	
وتحتته من لباس وفرش ، ففعل		٣١٩ وصف المتوكل	
		٣٢٠ وفاة ابن دريد ، أبي بكر محمد	
		ابن الحسن	

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٣٥٨	حديث بين المستكفي وجلسائه في الحجر ، وصفاتها ، وذكر بعض ما قيل فيها من الشعر	٣٢٤	العلقة في لبس المأمون الأخضر ، ثم رجوعه إلى لبس السواد
٣٦١	المستكفي والفضل بن المقتدر بالله	٣٢٥	الراضى ومطالبته القاهر بأمواله
٣٦٢	حديث للمستكفي وجلسائه في وصف الأطعمة ، وما قيل فيها من الشعر ، وأمره بإعداد ما يمكن إعداده مما يذكره أوصافه من أنواع الطعام	٣٢٦	صفات الراضى
٣٦٢	وصف سلة سكارج كوامخ	٣٢٧	بحكم التركي والراضى
٣٦٣	وصف سلة نوادر (بوارد)	٣٣٩	ذكر خلافة المتقى لله
٣٦٤	لابن الرومى في وصف وسط	٣٣٩	مجمّل تاريخه
٣٦٥	لإسحاق الموصلى في صفة سنبوسج	٣٤٠	ذكر جمال من أخباره وسيره ، ولعل مما كان في أيامه
٣٦٦	لكشاجم في صفة هليون	٣٤٠	وزراء المتقى لله
٣٦٧	للحافظ الدمشقى في وصف أرزية	٣٤٠	البريديون بالبصرة
٣٦٧	لبعض الشعراء في صفة هريسة	٣٤٣	المتقى يطلب رجلا أخباريا يستريح إليه في خلواته
٣٦٨	لبعض الشعراء في وصف المضيرة	٣٤٣	قصيدة أبى المقائل في ابن زيد الداعى العلوى
٣٦٨	لكشاجم في وصف جوذابة	٣٤٥	ذكر الخيل ، ووصف الجياد ، وبعض ما قيل في ذلك من الشعر
٣٦٩	لبعض الشعراء في وصف جوذابة	٣٤٨	خيل الحلبه وأسمائها ، وما قيل فيها من الشعر
٣٦٩	لكشاجم في صفة قطائف	٣٥٢	أبو القاسم نصر بن أحمد الخبزأرزى وشعره
٣٦٩	لأبى نواس في صفة مجلس بياطربجا	٣٥٥	ذكر خلافة المستكفي بالله
٣٧٢	ذكر خلافة المطيع لله	٣٥٥	مجمّل تاريخه
٣٧٢	مجمّل تاريخه	٣٥٦	ذكر جمال من أخباره وسيره ، ولعل مما كان في أيامه
٣٧٢	ذكر مقاتل بعض الطالبين	٣٥٦	البيعة له
٣٧٢	قيام أحمد بن عبد الله بن إبراهيم بصعيد مصر	٣٥٦	توزون يضم إلى المستكفي غلاما تركيا ليراقبه ويقوم بشؤونه فيضيق به المستكفي ، فيعتال لإبعاده
٣٧٣	ابن الرضا في دمشق		

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٣٧٣	الأطروش بطبرستان والديلم وأخبار الديلم والجبل وما كان من أسفار بن شيرويه ومرداويج	٣٩٦	ذكر تسمية من حج بالناس من سنة فتح مكة إلى عام ٣٣٥ من الهجرة
٣٨٥	طريقة المؤلف في تصنيف كتبه	٣٩٦	أول من حج بالناس بعد الفتح
٣٨٥	المؤلف يعد في تصنيف كتاب في ظرائف الآثار يجعله تاليا لهذا الكتاب		عتاب بن أسيد بن أبي العيص ابن أمية
٣٨٥	المؤلف يذكر ما أودعه في هذا الكتاب من أنواع المعارف	٣٩٦	وحج بعده أبو بكر رضى الله عنه
٣٨٧	ذكر جامع التاريخ من الهجرة إلى جمادى الأولى من سنة ٣٣٦	٣٩٦	ثم حج سيد المرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وهي حجة الوداع
	الهجرية في أيام المطيع	٣٩٦	ثم عمر بن الخطاب رضى الله عنه في أيام أبي بكر
٣٨٧	ذكر أيام الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه (الخلفاء الراشدين)	٣٩٦	ذكر بقية أمراء الحج في عهد الخلفاء الراشدين وأيام بني أمية
٣٨٧	ذكر أيام بني أمية	٤٠١	أمراء الحج في عهد العباسيين
٣٨٩	ذكر أيام بني مروان بن الحكم	٤٠٨	تحذير المؤلف من التصرف في كتبه أو انتحال شيء منها
٣٩٠	ذكر الخلفاء من بني هاشم إلى الزمان المذكور في أيام المطيع لله	٤٠٩	اعتذار المؤلف عما عسى أن يكون في كتبه من التحريف أو التصحيف
٣٩٣	رواية أخرى في الأزمنة من عهد الرسول إلى الزمن المذكور في عهد المطيع لله	٤١٠	خاتمة الكتاب

تمت فهرس الجزء الرابع من « مروج الذهب ، ومعادن الجواهر » للمسعودى والحمد لله أولا وآخراً ، وصلاته وأزكى سلامه على أشرف المرسلين ، وعلى آله وصحبه

